

المسح
عفا الله عنه

أبي علي العزبي
في الجاهلية

تأليف

محمد بن عبد الله بن بكير
علي بن الجارود
محمد بن الفضل بن أبي حمزة



المكتبة العلمية
مسجد الإمام الحسين

المسح
عفا الله عنه

أَسَائِمُ الْعَرَبِ
بِهَيْئَةِ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ

تَأَلَّفَ

مُحَمَّدُ أَصْحَبُ الرَّبِيعِ بَاكٍ عَالِمٌ مُحَمَّدٌ الْجَوَارِي مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ الْبُرَيْمِ

منشورات الكتبة العصرية
طيدا - بيروت

مراجيع الكتاب

الأخاني	: لأبي الفرج الأصفهاني
بلوغ الأرب في أحوال العرب	: للأتومي
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبري
تاريخ العرب قبل الإسلام	: لجورجي زيدان
تاريخ العرب القدامى	: للشيع محمد فخر الدين
جمهرة أشعار العرب	: لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي
خزانة الأدب	: للبندادي
ديوان امرئ القيس	:
ديوان الحماسة	:
ديوان علقمة الفحل	:
دغية الأمل من كتاب الكامل	: للمرصفي
شرح الميون	: لابن نباتة المصري
شرح ديوان الحماسة	: للتبريزي
شرح الفصليات	: لابن الأنباري
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
شعراء النصرانية	: للويس شيخو
شواعر العرب	:
المقد الفريد	: لابن عبد ربه
الممثلة	: لابن رشيق
قصص العرب	: للدوافين
الكامل (في الأدب)	: للبرد

: لابن الأثير	الكامل (في التاريخ)
: لابن منظور	لسان العرب
: للميداني	مجمع الأمثال
: لحمد بن أحمد الأنباري	الختار من نوادر الأخبار
: للسيوطي	الزهر
: للشمالي	المضاف والنسوب
: لياقوت الحموي	معجم البلدان
: لأبي عبيد البكري	معجم ما استمعجم
: لأبي عبيدة ميمر بن المثنى	قائض جرير والفرزدق



المستفهم

- ج -

الفهرس

١ - أيام العرب والفرس

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم الصفقة .	١	١
يوم ذى قار	٦	٢

٢ - أيام القحطانية فيما بينهم

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم البردان	٤٢	١
» الكلاب الأول	٤٦	٢
» عين أباغ	٥١	٣
» حليلة	٥٤	٤
» اليخاميم	٦٠	٥
حروب الأوس والخزرج	٦٢	٦
١ - حرب سمير	٦٢	—
٢ - حرب كعب بن عمرو	٦٩	—
٣ - حرب حاطب	٧٢	—
٤ - يوم بُمات	٧٣	—
يوم سحبل	٨٥	٧

٣- أيام القحطانيين والمدنانيين

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٩٤	يوم طخفة
٢	٩٩	» أواره الأول
٣	١٠٠	» أواره الثاني
٤	١٠٧	» السلان
٥	١٠٩	» خزاز
٦	١١٢	» حُجْر
٧	١٢٤	» السكّاب الثاني
٨	١٣٢	» فيف الربيع
٩	١٣٧	» ظهر الدهناء

٤- أيام ربيعة فيما بينها

الرقم	الصفحة	المنوان
١	١٤٢	حرب البسوس وتشتمل على : يوم النهي » الذنائب » واردات » عنيزة » القصبيات » تحلاق اللمم

٥ - أيام ربيعة ونعيم

المنون	الصفحة	الرقم
يوم الوقيط	١٧٠	١
» تبتل	١٧٥	٢
» جدود	١٧٨	٣
» زرود	١٨٢	٤
» ذى طلوح	١٨٤	٥
» الإياد	١٩١	٦
» النبيط	١٩٧	٧
» قشاوة	٢٠١	٨
» زبالة	٢٠٦	٩
» ميايض	٢٠٨	١٠
» الزوربن	٢١٢	١١
» عاقل	٢١٥	١٢
» الشيطين	٢١٧	١٣
» الوقبي	٢٢٠	١٤
» الشباك	٢٢٦	١٥

٦ - أيام قيس فيما بينها

المنون	الصفحة	الرقم
يوم منجج	٢٣٠	١
» النفراوت	٢٣٥	٢
» بطن عاقل	٢٤٢	٣

المسح

- و -

الرقم	الصفحة	العنوان
٤	٢٤٦	يوم داخس والغبراء
٥	٢٧٨	» الرقم
٦	٢٨١	» النشاءة
٧	٢٨٣	» حوزة الأول
٨	٢٨٩	» حوزة الثاني
٩	٢٩٣	» اللوى
١٠	٣٠٠	حديث ابن ضبا
١١	٣٠٤	يوم هراميت

٧ - أيام قيس وكنانة

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٣١٢	يوم الكديد
٢	٣١٩	» بوزة
٣	٣٢٢	حروب الفجار
	٣٢٢	أيام الفجار الأول :
	٣٢٢	اليوم الأول
	٣٢٤	» الثاني
	٣٢٥	» الثالث
٤	٣٢٦	أيام الفجار الثاني :
	٣٢٦	يوم نخلة
	٣٣١	» شملة
	٣٣٣	» المبلأ
	٣٣٤	» عكاظ
	٣٣٧	» الحريرة

٨- أيام تيس وتيم

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٣٤٤	يوم رخرحان
٢	٣٤٩	» شعب جبلة
٣	٣٦٥	» ذى نجب
٤	٣٦٨	» الصرام
٥	٣٧٠	» الرغام
٦	٣٧٣	» جزع ظلال
٧	٣٧٥	» المرؤوت

٩- أيام ضبة وغيرهم

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٣٧٨	يوم التّسار
٢	٣٨٢	» الشّقيقة
٣	٣٨٨	» بزّاحة
٤	٣٩٠	» دارة مأسل
٥	٣٩١	» النقيمة

- ج -

١٠ - أيام متفرقة

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم جديس	٣٩٦	١
ذات الأمل	٣٩٩	٢
ذات صومر	٤٠٩	٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

تعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدراً خصيباً من مصادر التاريخ ، وينبوعاً صافياً من ينابيع الأدب ، ونوعاً طريفاً من أنواع القصص ؛ بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث ، وما روى في أثنائها من نثر وشعر ، وما تنمى خلالها من مآثور الحكم وبارع الحيل ، ومصطفى القول ورائع الكلام .

فهي توضح شيئاً من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم ، وتروى كثيراً مما كان يقع بين العرب القحطانيين والمدنانيين من خلاف ، وبين المدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع ؛ بل إنها سييل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل ، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والمشائر .

ثم هي في أسلوبها القصصي ، وبيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب وماداتهم وأسلوب الحياة الملائمة بينهم ، وشأنهم في الحرب والسلم ، والاجتماع والفرقة ، والغناء والأسر ، والنجمة والاستقرار ؛ وهي أيضاً مرآة صادقة تظهر فيها فضائلهم وشيمهم ؛ كالذفاق عن الحریم ، والوفاء بالعهود ، والانتصار للمشيئة ، وحماية الجار ، والصبر في القتال ، والصدق عند اللقاء ، وغير هذا مما تراه واضحاً في تلك الأيام .

ولو نظرت إلى الشعر الجاهلي في جلته وتفصيله ، وبخاصة ما كان في الفخر والحاسة والثناء والهجاء ، فإنك تجده قد ارتسط بهذه الأيام ارتباطاً تاماً ، فبينما كان

الفوارس يناضلون بسيوفهم ورماحهم ، ويجودون بنفوسهم رخيصة في سبيل أقوامهم كان الشعراء من ورانهم يدفعون عن الأحساب بقصيدهم ، ويطلقون ألسنتهم في خصومهم وأعدائهم ؛ ويندبون بقوافيهم صرخاتهم والقتلى من أشرافهم وزعمائهم ؛ ترى ذلك ممثلاً في شعر الأعمش ، وعنزة ، وابن حلزة ، وعامر بن الطفيل ، وأبي قيس بن الأسلت ، وقيس بن الحطيم ، وعبد ينفوت بن صلاة ، والمهلهل بن ربيعة ، والخنساء ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم ممن ظهر أثر الأيام في شعره من قريب أو بعيد .

وما تحدث به الرواة من أخبار مساعير الحرب ، وما امتلأت به الكتب من ذكر المناوير من أبطال الواقع ؛ هذه الأيام هي مورد أقاصيصهم ، وساحة بطولتهم ، ومسرّد حوادثهم ؛ فبسطام بن قيس سيد شيبان ، وربيعة بن مكدم فارس كنانة ، ودريد بن الصمة قائد جشم ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، وهاشم بن حرملة صاحب النماء . . . هؤلاء وغيرهم من قروم الحرب وأحلاس الخيل ، قد سجّلوا في هذه الأيام مواقف ومناورات تملأ القلوب دهشة وإعجاباً .

ولم تخل هذه الحروب من زعماء قبائل ، ورؤساء عشائر ، كانوا في زعامتهم ورياستهم مثلاً علياً في نصيحة الرأي ، وإصابة المحز ، والتهدي إلى مواطن الصواب ؛ وفيها أثير عن أكرم بن صفي ، وقيس بن عاصم النقرى ، والحارث بن عباد البكرى ، وعبد الله بن جُدعان القرشي ما هو جديد على الزمن ، باقٍ على مر المصور .



يبدأ أن هذه الأيام على خطرهما وجليل شأنها ليس بأيدي الناس كتاب خاص بها يعظم هندا ، ويجمع شتاتها ، ويسهل الانتفاع منها ؛ نعم قد روى صاحب كشف

الظنون وغيره أن أبا عبيدة قد ألف فيها كتاباً صغيراً حَوَى خمسة وسبعين يوماً ، وآخر كبيراً جمع فيه ألفاً ومائتي يوم ، وأن أبا الفرج الأصفهاني ألف كتاباً جمع فيه ألفاً وسبعمائة يوم ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يقع إلينا ، وكل ما عرفناه روايات متنترة في كتب الأدب والتاريخ ؛ ككتاب الأغاني والنقائض والمقد الفريد وممجم البلدان وابن الأثير والمسعودي وممجم ما استمجم ، وهي متفرقة لا يمجدها نظام ، ولا يجتمع في باب ؛ هذا إلى اختلاف الرواية ، واضطراب الشعر ، وتحريف الأعلام .

ومحينا أخرجنا كتابنا « قصص العرب » قطعنا على أنفسنا للقراء عهداً أن نُفرد للأيام كتاباً خاصاً يجمع شقيتها، ويؤلف بين رواياتها ، ويرمى ممالها وحدودها ؛ وهانحن أولاء نخرجه اليوم كتاباً قد اجتهدنا في تنسيقه وتهذيبه ، وتأقنا في جمعه وتبويبه ، وجعلنا أساس تقسيمه الفروق الجنسية ، أو المصيبة القبلية ؛ إذ كان مثار الحفائظ ومبعت الحروب الخلفان في الجنس أحياناً ، وفي أصول القبائل أحياناً ؛ وأتبعنا كل يوم ما ورد فيه من شعر ؛ وبذلنا الجهد في ضبطه وشرحه ، واخترنا الروايات الصحيحة يكمل بعضها بعضاً ، مشيرين إلى غيرها من الروايات .

وهذا الكتاب — وإن كان معقوداً للأيام التي وقعت في العصر الجاهلي — قد تضمن قليلاً من الأيام التي حدثت في الإسلام كيوم الرقي ويوم الشيطان ويوم سحبل ؛ إذ أنها في أسبابها لم تخرج عن أسباب الأيام الجاهلية من خلاف حول الآبار ومواقع السحاب ؛ أو اعتداء على جار ، أو انتهاك لحريم . أما الأيام التي وقعت في الإسلام وكانت وليدة الخلفات السياسية والدينية والذهبية فقد أفردنا لها كتاباً خاصاً نرجو أن يكون قريباً في أيدي القراء .

هنا ، وقد اقتصرنا على الأيام المشهورة التي وصل إلينا تفصيل حوادثها
وذكر أسبابها ورواية أثمارها وقصائدها ؛ أما الأيام التي لم يقع في الكتب إلا
ذكر عنواناتها مجردة من الحوادث وذكر الأسباب ، فقد جاوزها اختيارنا ، إذ كان
النرضُ من هذا الكتاب خيراً يروى ، أو قصة تحكي ، أو مثلاً يؤثر ، أو شعراً
يذكر . . .

والله نسأل أن يجعله عملاً نافعا مقبولاً .

{ رمضان ١٩٦١
{ سبتمبر ١٩٤٧

المترجم



تنبیهات

- ١ — وضع « يوم سحبل » في الباب الثاني صفحة ٨٥ ، والصواب أن يوضع في الباب الثالث .
- ٢ — ذكرت قصيدة للخنساء في رثاء سحر في يوم حوزة الثاني صفحة ٢٩١ ، والصواب ذكرها بعد يوم الأتل صفحة ٤٠٠
- ٣ — وقع اضطراب في شرح البيت الثاني صفحة ٣٤٠ والصواب هكذا :
قال التبريزي في شرح هذا البيت : أي أقول : واسوء صباحاه . ونصب
شجناً ؛ لأنه مفعول له ؛ لأن الشجن يحملها على البناء ؛ هذا إذا جلت
الشجن الحزن والحاجة ، وإن جعلته الحبيب نصبته لأنه مفعول به .
- ٤ — سقط من قصيدة ابن القائف في يوم بزاحة صفحة ٣٨٨ البيت الرابع وهو :
ولممرُجْدك ما الرقاد بطائش رعنش بديته ولا هوآر
وإليه يرجع شرح رقم ١ صفحة ٣٨٩

المشام
عفا الله عنه

١- أَيَّامُ الْعَرَبِ وَالْفَرَسِ

وَتَشْتَمَلُ عَلَى مَا يَأْتِي

١- يَوْمُ الصَّفْقَةِ

٢- يَوْمُ ذِي قَارِ

١- سيور الصَّفَقَة

قال ابن الكلبي :

بثت كسرى أو شروان^(١) إلى عامله^(٢) باليمن بميرٍ تحمل نَبْعًا^(٣) ، وكانت غير كسرى تُبَذَّرَق^(٤) من المدائن حتى تُدْفَع إلى النعمان بن المنذر بالحيرة ، والنعمان يُبذِرُهَا بِمُخْرَجِهَا من أرض بني حثيفة ثم تُدْفَع إلى تميم ، وتُجَمَل لهم جَمَالَةً^(٥) فتُسِير بها إلى أن تبلغ اليمن ، وتُسَلَّم إلى عمّال كسرى باليمن .

ولما بثت كسرى بهذه العير ووصلت إلى البهامة قال هُوَذَة بن علي للأساوره^(٦) الذين يرافقونها : انظروا الذي تجملونه لبني تميم فأعطونيهِ ، وأنا أكفيكم أسرم ، وأسير بها معكم حتى تبلغوا ما منكم .

وخرج هُوَذَة والأساورَة والعير معهم من هَجْر^(٧) ، حتى إذا كانوا يَنْطَلَع^(٨)

* لكسرى على تميم ، وسمى الصَّفَقَة ، لأن كسرى أصفق الباب على بني تميم في حصن المشقر ، وسمى أيضاً يوم المشقر ، والمشقر حصن بالبحرين .

الأغانى ص ٧٥ ج ١٦ ، معجم البلدان ص ٣٦٨ ج ١ ، القصد القريد ص ٣٥٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٢٢٥ ج ١ ، تاريخ الطبري ص ١٣٣ ج ٢ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٢٥

(١) هو كسرى أو شروان بن قباذ ، من أشهر ملوك الفرس وأعظمهم ذكراً ، وكانت نبيلا طاهراً ، هلك لثمان وأربعين سنة من دولته (٢) هو وهزب القائد الشجاع الذي أرسله كسرى مع سيف بن ذي يزن لتطهير اليمن من الجيش (٣) النبع : شجر اللقيس والسهم ينبت في قلة الجبل (٤) البذرة : الحفارة (٥) الجمالة (مثلة) : ما يجعل على العمل (٦) الأساوره : جمع أسوار ، وهو القائد من الفرس (٧) هجر : اسم لأرض البحرين (٨) نطاع : اسم لواد بالبهامة .

بلغ بنى تميم ما صنع هوزة ؛ فساروا إليهم وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه ؛ وقتلوا
عامّة الأساورة وسلبوهم ، وأسروا هوزة بن عليّ ، فاشتري هوزة نفسه بثلاثمائة بعير ،
فساروا معه إلى هجر ، وأخذوا منه فداءه^(١) .

وعند ذلك عمد هوزة إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو تميم - وكانوا قد سلبوا -
فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى - وكان هوزة رجلاً جميلاً شجاعاً
لبيباً - فدخل عليه وقصّ عليه أمرَ بن تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من
ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إياها ، وكساه قباء^(٢) دباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ،
وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم ، ودعا يعقده من درّ فمقدّ على رأسه^(٣) .

ثم إنه سأله عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد ، وأنه نفزو النساى
فيصيب ؛ فقال له كسرى : كم ولدك ؟ قال : عشرة . قال : فأئيم أحب إليك ؟ قال :
غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ .

قال كسرى : الذى أخرج منك هذا المقل حملك على أن طلبت منى الوسيلة .
ثم قال : ياهوزة ؛ رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتى ، وأخذوا مالى ؟ أئينك وبينهم
صلح ؟ قال هوزة : أيها الملك ؛ بينى وبينهم حساء^(٤) الموت ، وهم قتلوا أبى ، فقال
كسرى : قد أدركت ثأرك ، فكيف لى بهم ؟ قال هوزة : إن أرضهم لا تطيقها

(١) فى ذلك يقول الشاعر :

ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا بهوزة مقرون اليدى لى النحر

وردنا به نخل اليمامة عانياً عليه وتاق القد والحلق السر

(٢) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٣) سمى لنلك هوزة ذا التاج (٤) حساء الموت :
تجرع الموت .

أساورتك ، وهم يمتنون بها ؛ ولكن احبس عنهم الميرة ، فاذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك ، فأقيم لهم السوق ، فإنهم يأتونها ، فتصيدهم عند ذلك خيلك .

فصل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الميرة في سنة مجديبة ، ثم أرسل إلى هوزة فاتاه ، فقال : إيت هؤلاء فاشفني منهم واشتف . وأرسل معه ألفاً من الأساورة بقيادة رجل يقال له المكعبير^(١) ؛ فساروا حتى نزلوا المشقر^(٢) من أرض البحرين ، وبمث هوزة إلى بني حنيفة فاتوه فدَنَوْا من حيطان المشقر ؛ ثم نودي : إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة ، وقد أمر لكم بميرة ، فتعالوا فامتاروا .

فانصب عليهم الناس ، وكان أعظم من أتاهم بنو سعد^(٣) ؛ فجمعوا إذا جاءوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلاً رجلاً ، حتى يذهب به إلى المكعبير فتضرب عنقه ، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل ، فإذا مرَّ رجل من بني تميم بينه وبين هوزة إياه أو رجل يرجوه ، قال للمكعبير : هذا من قومي فيخايبه له ، فنظر خيرى بن هبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، فقال : ويلكم ! أين عقولكم ؟ فوالله ما بعد السلب إلا القتل ، وتناول سيفاً ، وضرب سلسلة كانت على باب المشقر ، فقطعها

(١) كان المكعبير عامل كسرى على البحرين ، واسمه بالفارسية آزاذ فردز بن جنس ، وصنمه العرب المكعبير : لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل ، وآلى ألا يدع من بني تميم عيناً تطرف ففعل .
(٢) المشقر : حصن حياه حصن يقال له الصفا ، وبينهما نهر يقال له : محلم (بتشديد اللام) ، بناء رجل من أساورة كسرى يقال له بسك بن ماهبوذ (٣) بنو سعد : بطن من تميم .

وقطع يدَ رجل كان واقفاً بجانبها ، فانفتح الباب ؛ فإذا الناس يُقتلون ، فثارت
بنو تميم (١) .

فلسا علم هودّة أن القوم قد نذروا به كلم السكعير في مائة من خيارهم ،
فوهبهم له يوم الفصح (٢) .

(١) هذه رواية المقد القريد ، وفي الطبرى : إن الذى قطع السلسلة هو رجل من بني تميم اسمه
عيد بن وهب أقدم على سلسلة الباب فقطعها وخرج فقال :

تذكرت هنداً لان حين تذكر تذكرتها ودونها سير أشهر
حجازية علوية حل أهلها مصاب الحريف بين زور ومنور
ألا هل آتى قومي على النأى أنى حيث ذمارى يوم باب المشقر
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة فرج منها كل باب مضبر

(٢) وفي ذلك يقول الأعشى يمدح هودّة :

سائل تميماً به أيام صفتهم لما رآم أسارى كلهم ضرها
وسط المشقر في غبراء مظلمة لا يستطيعون بعد الضر منتفعا
فقال للملك أطلق منهم مائة رسلا من القول مخفوضاً ومارفعا
فك عن مائة منهم إسامم وأصبحوا كلهم من غلة خلعا
بهم تعرب يوم الفصح ضاحية يرجو الإله بما أسدى وما صنفا
فلا يرون بناكم لعمرة سبت إن قال قائلها حفاً بها وسفا

٢- يَوْمِ ذِي قَارِ

كان منزل أيوب^(١) بن مَعْرُوف في اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، فأصابَ دماً في قومه ، فهرب ، ولحق بأوس بن قلام^(٢) الحارثي بالحيرة ، وكان بينهما نَسَبٌ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ ، فلما قدم عليه أكرمه ، وأنزله في داره ، فكثت معه ماشاء الله أن يمكث .

ثم إن أوساً قال له : يا بنَ خال ؛ أتريد المقامَ عندي وفي داري ؟ فقال له : نعم ، فقد علمتُ أني إن أتيت قومي ، وقد أصبْتُ فيهم دماً ، لم أسلم ، ومالي دارٌ إلا دارُك آخر الدهر . قال أوس : إني قد كبرتُ وأنا خائفٌ أن أموتَ فلا يعرفُ ولدي لك من الحقِّ مثل ما أعرفُ ، وأخشى أن يقعَ بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرِّحِمَ ، فانظر أحبَّ مكانٍ في الحيرة إليك فأعلمني به لا تُطعمَكَه أو أتباعه لك . فاختار موضعاً في الجانب الشرقي من الحيرة ، فابتاعه له بثلاثمائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليه مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برِعاتها وفساً وقينة^(٣) . فكث في منزل أوس حتى هلك ؛ ثم تحوّل إلى داره بمد مهلك أوس ،

* ل بكر على العجم . ووقفة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : اليوم أول يوم اتصفت فيه العرب من العجم وبني نصر . وذو قار ماء لبكر قريب من الكوفة . وبعد هذا اليوم من مفاخر بكر .

المقد التريد ص ٣٧٤ ج ٣ ، تاريخ الطبري ص ١٤٨ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٢٨٩ ج ١ ، الأغاني ص ٩٧ ج ٢ (طبعة دار الكتب) ص ١٣٢ ج ٢٠ طبعة الساسي ، خزنة الأدب ص ٣٤٣ ج ١ ، النقائض ص ٦٣٨ (طبع أوروبا) ، معجم البلدان ص ٣٥٢ ج ٣ ، ص ٨ ج ٧ .
(١) روى عن ابن الأعرابي أنه أول من سمى أيوب من العرب .
(٢) هكذا ضبط في الأغاني والطبري . (٣) القينة : الأمة .

وَاتَّبَعُوا بِاللُّوْكَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحَيْرَةِ ؛ وَعَرَفُوا لَهُ حَقَّهُ وَحَقَّ ابْنِهِ زَيْدًا ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ
مَلِكٌ يَمْلِكُ إِلَّا وَلِيَّوَدَّ أَيُّوبَ مِنْهُ جَوَائِزُ وَحَمَلَانٌ (١) .

ثم إن زيد بن أيوب تزوج امرأة من آل قلام ، فولدت حماداً ، ثم خرج
زيد يوماً من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة ، وهم مُنتَدُونَ (٢) بحفير ،
فانفرد في الصيد ، وتباغض من أصحابه ، فلقى رجل من بني امرئ القيس الذين
كان لهم الثأر قبل أبيه ، فقال له — وقد عرف فيه شبهة أيوب — بمن الرجل ؟
قال : من بني تميم قال : من أيهم ؟ قال : مرئي (٣) . قال له الأعرابي : وأين منزلك ؟
قال : الحيرة قال : أمين بني أيوب أنت ؟ قال : نعم ، ومن أين تعرف بني أيوب ؟
واستوحش من الأعرابي ، وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه ؛ فقال له : سمعت بهم ،
ولم أعلم أنه قد عرفه . فقال له زيد : فن أي العرب أنت ؟ قال : أنا امرؤ من
طبي ، فأمنه زيد وسكت عنه . ثم إن الأعرابي تفعل زيدا ، فرماه بسهم فوضعه
بين كتفيه ففلق قلبه ، فلم يرم (٤) حافر دابته حتى مات .

ولبت أصحاب زيد ، حتى إذا كان الليل طلبوه ؛ وقد افتقدوه ، وظنوا أنه قد
أمّن في طلب الصيد ، فباتوا يطلبونه حتى يبسوا منه ، ثم غدوا في طلبه ، فاقتفوا
أثره حتى وقفوا عليه ، ورأوا معه أثر راكب يسيره ، فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً ؛
فمروا أن صاحب الرحلة قتله ، فاتبعوه ، وأغدوا السير ؛ فأدركوه مساء الليلة الثانية ،
فصاحوا به ، وكان من أرمي الناس ؛ فامتنع منهم بالنبل ، حتى حال الليل بينه وبينهم ؛

(١) الحملان : ما يجعل عليه من الدواب في الهبة خاصة (٢) اتدى القوم : اجتمعوا ؛ وحفير :
موضع بالحيرة ، ذكره عدى بن زيد في شعره ، قال :

قد أراننا وأهلنا بحفير نحب الدهر والسنين شهوراً

(٣) مرئي : نسبة إلى امرئ القيس بن زيد مناة (من قبائل تميم) . (٤) لم يرم : لم يرح .

وقد أصاب رجلاً منهم في مَرَجٍ (١) كتفيه بسهم ، فلما أجنَّ الليلُ مات وأفلت الرّامي ، فرجموا وقد قُتلَ زيدٌ ورجلٌ آخر معه .

فكث حماد بن زيد في أخواله حتى أَيْفَعَ (٢) ، ولحق بالوصفاء (٣) ، ثم نحول إلى دار أبيه ؛ وتلمَّ الكتابة فيها ، فكان أولَ من كتب من بني أيوب ، وخرج من أكتب الناس ؛ وطُلب حتى صار كاتب النعمان الأكبر (٤) ؛ فلبث كاتباً له ؛ حتى وُلِدَ له ابنه زيد ؛ وكان لحماد صديق من الدهاقين (٥) ، ولما حضرته الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدهقان ، فأخذه إليه فكان مع ولده ، وكان زيد قد حدَّق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدهقان ، فلما أخذه علمه الفارسية فلقينها .

ثم إنَّ الدهقان أشار على كسرى أن يجعلَ زيداً على البريد في حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعلُ ذلك إلا بأولاد المرازبة (٦) ، فكث يتولَّى ذلك لكسرى زماناً . ثم إن النعمان هلك ، فاختلف أهلُ الحيرة فيمن يملكونه إلى أن يقمَد كسرى الأمر لرجل يُنصِّبه ، فأشار عليهم الدهقان بزید بن حماد ؛ فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء (٧) .

ثم إن زيداً تزوجَ نعمة بنت ثعلبة المدوية ، فولدت له عدياً ، وولد للدهقان ابن سماه شاهان مرْد ، فلما تحرك عدي بن زيد وأبغى طرحه أبوه في الكتاب ،

(١) مرجع كتفيه : أسفلهما (٢) أَيْفَعَ : يقال : أَيْفَعَ الغلام إذا شارف الاحتلام .
(٣) الوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام ذون المراهق (٤) هو النعمان بن امرئ القيس حكم ثمانية وعشرين عاماً ، وترك الملك سنة ٤٣١ م (٥) الدهاقين : جمع دهقان وهو التاجر (٦) المرازبان : أحد مرازبة الفرس ، وهو الفارس الشجاع القدم على القوم (٧) هو المنذر بن امرئ القيس ، وماء السماء اسم أمه ، وكان أشهر ملوك الحيرة ، وهو صاحب يومى النعم والبؤس توفي سنة ٥٦٣ م .

حتى إذا حَدِّقَ أرسله الدهقان مع ابنه إلى كُتَّابِ الفارسية ، فكان يختلف إليه مع ابنه ،
ويتعلَّم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالمرية ؛
وقال الشعر ، وتعلَّم الرمي بالنشاب ، نخرج من الأساورة^(١) الرثامة ، وتعلَّم لِبَّ
العجم على الخليل بالصَّوَالِجَة^(٢) وغيرها .

ثم إن الدهقان وقد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرده ، فأثبتته كسرى مع
سائر أولاد الدهقان في صحابته ؛ فقال الدهقان لكسرى : إن عدي غلاماً^(٣)
من العرب خلفه أبوه في حجري فربيتنه ؛ فهو أفصحُ الناس وأكتبهم بالمرية
والفارسية ، والمكُّ محتاجٌ إلى مثله ؛ فإن رأى أن يُثبتته مع ولدي فمسل ، فقال :
اذعه ، فأرسل إلى عدي ، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحسنِ ، وكانت الفرسُ تتبرك
بالوجه الجميل ؛ فلما كلمه وجده أظرفَ الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه ، وأثبتته
مع ولد الدهقان ، فكان عدي أول من كتب بالمرية في ديوان كسرى .

فرغب أهلُ الحيرة إلى عدي وذهبوه ، ولم يزل بديوان كسرى في الدائن
يؤذَنُ له عليه في الخاصة ، وهو مُعجب به قريب منه ؛ وأبوه زيد يومئذ حتى ، إلا أن
ذكر عدي قد ارتفع وخمل ذكر أبيه ، فكان عدي إذا أراد المقام بالحيرة استأذن
كسرى ، فأقام في أهل الشهر والشهرين ، وأكثر وأقل ، ثم يعود .

ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهدية من طُرف ما عنده ، فلما أتاه عدي
بها أكرمه ، وحمله إلى عماله على البريد ليريه سمة أرضه ، وعظيم ملكه ؛ وكذلك
كانوا يصنعون ؛ فن ثم وقع عدي بدمشق ، وقال فيها الشعر . وكان مما قال :

(١) الأساورة : جمع أسوار ، وهو الجسد الرمي بالسهم (٢) الصوَالِجَة : جمع صولجان ،
وهو عما يطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب (٣) يريد عدي بن زيد .

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجِرْزِ مِنْ دُوْمَةَ^(١) أَشْهَى إِلَى مِنْ جَبْرُونَ^(٢)
 وَنَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَا نَا لُوا وَلَا يَرْهَبُونَ صَرْفَ النَّوْنِ
 قَدْ سُقِيَتْ الشَّمُولَ فِي دَارِ بَشْرِ قَهْوَةٌ مُرَّةً^(٣) بِمَاءِ سَخِينِ
 وَفَسَدَ أَمْرُ الْحَبِيرَةِ ، وَعَدَى بِدَمَشَقَ ؛ حَتَّى أَصْلَحَ أَبُوهُ زَيْدٌ بَيْنَهُمْ ؛ إِذْ أَنْ أَهْلَ
 الْحَبِيرَةِ حِينَ كَانَ عَلَيْهِمُ النَّذْرُ أَرَادُوا قَتْلَهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَمْدِلُ فِيهِمْ ؛ وَكَانَ يَأْخُذُ مِنْ
 أَمْوَالِهِمْ مَا يُعْجِبُهُ ؛ فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الْحَبِيرَةِ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ بَعَثَ إِلَى زَيْدٍ ،
 فَقَالَ لَهُ : يَا زَيْدُ ؛ أَنْتَ خَلِيفَةُ أَبِي ، وَقَدْ بَلَّغْنِي مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَبِيرَةِ ، فَلَا حَاجَةَ
 لِي فِي مُلْكِكُمْ ، دُونَكُمْ ، مَلِكُوهُ مَنْ شِئْتُمْ . فَقَالَ زَيْدٌ : إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ إِلَيَّ ،
 وَلَكِنِّي أَسْبِرُ لَكَ هَذَا الْأَمْرَ ، وَلَا آلُوكَ نَصْحًا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى النَّاسِ خَفِيَّوَهُ نَحِيَةَ الْمَلِكِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَلَا تَبْتَثُ إِلَى عَبْدِكَ
 الظَّالِمِ (يَعْنُونَ النَّذْرَ) قَتْرُوحَ مِنْهُ رَعِيَّتَكَ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : أَوْ لَا خَيْرَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا :
 أَيْسَرُ عَلَيْنَا ؛ قَالَ : تَدْعُونَهُ عَلَى حَالِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُلْكٍ ، وَأَنَا آتِيهِ فَأُخْبِرُهُ
 أَنَّ أَهْلَ الْحَبِيرَةِ قَدْ اخْتَارُوا رَجُلًا يَكُونُ أَمْرُ الْحَبِيرَةِ إِلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ غَزْوًا أَوْ قِتَالًا ،
 فَلِكِ اسْمُ الْمَلِكِ ، وَلَيْسَ إِلَيْكَ سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ . قَالُوا : رَأَيْتَ أَفْضَلَ .

فَأَتَى النَّذْرَ فَأُخْبِرُهُ بِمَا قَالُوا ، فَتَقَبَّلَ ذَلِكَ وَفَرِحَ ، وَقَالَ : إِنَّ لَكَ يَا زَيْدُ عَلَى
 نِعْمَةٍ لَا أَكْفَرُهَا مَا عَرَفْتُ حَقَّ سَبْدِ^(٤) . فَوَلَّى أَهْلَ الْحَبِيرَةِ زَيْدًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سِوَى
 اسْمِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُمْ أَقْرَبُوهُ لِلنَّذْرِ .

ثم هلك زيد ، وعدى بالشام ، وكان لزيد ألف ناقة للحمالات^(٥) ، كان

(١) دومة : من منازل جذيمة الأبرش (٢) جبزون : بناء عند باب دمشق (٣) الزرة :
 الحمر اللذينة الطعم (٤) سبد : صنم كان لأهل الكوفة (٥) الحمالات : جمع حمالة (بالفتح)
 وهي الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

أهل الحيرة أعطوه إياها حين وأوه ما وأوه ؛ فلما هلك أرادوا أخذها ، فبلغ ذلك المنذر ، فقال : لا ، واللواتِ والْمُزْمِي لا يُؤخذ مما كان في يد زيد تُفْرُق^(١) ، وأنا أسمع الصوت .

ثم إن عدياً قدم المدائن على كسرى بهديّة قيصر ، فصادف أباه والدّهقان الذي ربّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى في الإلام بالحيرة ، فأذن له ، فتوجّه إليها ، وبلغ المنذر خبره ، فخرج فلقاه في الناس ، ورجع معه ، وعدى أنبل أهل الحيرة في أنفسهم ، ولو أراد أن يملكوه للمكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهم واللعب على الملك ، فسكت سنين يبدو^(٢) في فصلى السنة ، فيقيم في جفير^(٣) ويشتو بالحيرة ، ويأتى المدائن في خلال ذلك ، فيخدم كسرى ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر ، وهى يومئذ جارية حين بآنت أو كادت .

٢

كان للمنذر ابنان : أحدهما النعمان ، وكان في حجر آل عدى بن زيد ، فهم الذين أَرْضَعُوهُ وربّوه ، وكان له ابن آخر في حجر بنى مَرِينَا^(٤) ، وكان له سواهما من الولد عشرة ، وكان يقال لولده الأشاهب^(٥) لجمالهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش^(٦) قصيراً ، فلما احتضر المنذر أوصى بأولاده إلى إياس بن قبيصة

(١) قال الأسي : التفروق : قمع التمرة والبسرة ، يكنى به من القلة ، يقال : ماله تفروق ، أى ماله شيء (٢) يبدو : يخرج إلى البادية (٣) جفير : موضع بنجد (٤) بنو مَرِينَا : قوم من أهل الحيرة من قبائل البجاد (٥) المشبهة في الأصل تطلق على اليانص التي يظف على السواد ، وقد يطلق على مطلق اليانص ، قال الأعشى في بنى المنذر :

وبنى المنذر الأشاهب في المسيرة يمشون غنوة كالسيوف

(٦) الأبرش : الذي يكون فيه بقعة يضاء وأخرى أى لون كان .

الطائي ، وملّكه على الحبرة إلى أن يرى كسرى رأيه ، فكث مملكا عليها أشهراً ،
وكسرى بن هُرْمُز في طلب رجل يملّكه عليهم ، فقال لمدى : مَنْ بقى من آل النذرة ؟
وهل فيهم أحدٌ فيه خير ؟ فقال : نعم ، أيها الملك السعيد ، إن في ولد النذر لبقيةً ،
وفيهم كلُّهم خير ، فقال : ابث إليهم فأحضِرْهم .

فبث عدى إليهم فأنزلهم جميعاً عنده ، ثم قال للنمان : لست أملك غيرك ، فلا
يُوحِشَنَّكَ ما أفضّل به إخوتك عليك من الكرامة ، فإني إنما أغترّهم بذلك ، ثم كان
يفضل إخوته جميعاً في النزول والامِّ كرام والألازمة ، ويُريهم تنقّصاً للنمان ، وأنه
غير طامع في تمام أمره على يده ، وجمل يخلو بهم رجلاً رجلاً ، فيقول : إذا أدخلتكم
على الملك فالبسوا أخراً ثيابكم وأجلها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطئوا في
الأكل وصفروا اللّحم ، ونزّروا ما نأكلون ، فإذا قال لكم : أنكفوني العرب ؟
فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدٌكم عن الطاعة وأفسد أنكفوننيه ؟
فقولوا : لا ، إن بعضنا لا يقدرُ على بعض ؛ ليها بكم ولا يطمع في تفرّقتكم ، ويعلم
أن للعرب منمةً وبأساً ، فقبّلوا منه ؛ وخلصا بالنمان ، وقال له : ألبس ثياب السفر ،
وادخل متقلداً سيفك ، وإذا جلست للأكل فمظّم اللّحم ، وأسرع المضغ والبّلع ،
وزد في الأكل ، وتجوّع قبل ذلك ، فإن كسرى يعجبه الأكل من العرب خاصّة ،
ويرى أنه لا خير في العربي إذا لم يكن أكولاً شرها ، ولا سيباً إذا رأى غير طعامه ،
وما لا عهد له به ، وإذا سألك : هل تكفيني العرب ؟ فقل : نعم ، فإذا قال لك :
فمن لي بإخوتك ؟ فقل له : إن هجرتُ عنهم فإني عن غيرهم لأعجز .

وخلص ابن مَرِّينا بالأسود أخيه فسأله عمّا أوصاه به عدى فأخبره . فقال : غشّك
والصليب والمثودية ، وما نصّحتك ، ولئن أطمعتني ففخّالين كل ما أمرك به ،

وَلْتَمَكَّنْ ، وَلِئِنْ عَصَيْتَنِي لَيُتَمَكَّنَنَّ النَّمَانُ اِ وَلَا يَفْرُوكَنَّ مَا أَرَاكَ مِنْ الْإِكْرَامِ
والتفضيل على النمان ، فإن ذلك دهاء منه ومكر ؛ وإن هذه المدية لا تخلو من
مكر وحيلة . فقال : إن عدياً لم يألني نُصْحًا ، وهو أعلم بكسرى منك ، وإن
خالفته أَوْحَشْتُهُ وَأَفْسَدَ قَلْبِي ، وهو جاء بنا وَوَصَفْنَا ، وإلى قوله يرجع كسرى .
فلما أيس ابن مَرِينَا من قبوله منه قال : ستعلم .

ودعا بهم كسرى ، فلما دخلوا عليه أعجبه بجمالهم وكلامهم ، ورأى رجالاً
قلماً رأى مثلهم ، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدي ، فجعل ينظر إلى النمان
من بينهم ويتأمل أكله ، فقال لعديّ بالفارسية : إن يكن في أحدٍ منهم خيرٌ ففى
هذا . فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجالاً رجالاً فيقول : أتكفينى العرب ؟
فيقول : نعم ، إلا إخوتى ، حتى انتهى إلى النمان آخرهم ، فقال : أتكفينى العرب ؟
قال : نعم . قال : كلهما ؟ قال : نعم . قال : فكيف لى بإخوتك ؟ قال : إن عجزتُ
عنهم فإنى من غيرهم أعجز . فلسكه وخلع عليه ، وَأَلْبَسَهُ تاجاً قيمته ستون ألف
درهم فيه اللؤلؤ والدُّهَبُ .

فلما خرج - وقد مُلِكَ - قال ابنُ مَرِينَا للأسود : دونك عُقْبَى خِلَافِكَ لى .
ثم صنع عديُّ بن زيد طعاماً ، ودعا عدى بن مَرِينَا إليه ، وقال : إني هرفتُ أن
صاحبك الأسود كان أحبَّ إليك أن يُمَلِّكَ من صاحبي النمان ، فلا تُلْمُنِ على شيء
كنتَ على مثله ، وإنى أحبُّ ألا تحقد على شيئاً لو قدرتَ عليه ركبته ، وإن نصيبى
من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك ، وحلف لابن مَرِينَا ألا يهجوهُ ، ولا يفضيه
خالقة أبداً . فقام ابن مَرِينَا وحلف أنه لا يزال يهجوهُ ويُبْغِضُهُ الفوائل ما بقى ، وقال :

ألا أبلغ عدياً عن عدى فلا تجزع وإن رثت^(١) قواكا
 فإن تظفر فلم تظفر جيداً وإن تعطب^(٢) فلا يبعث سواكا
 ندمت ندامة الكسبي^(٣) لا رأيت عيناك ما صنعت يداكا

ثم قال عدى بن مرينا للأسود : أما إذا لم تظفر فلا تمجزن أن تطلب بشارك من هذا المدي الذي فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرتك أن معداً لا ينام كيدها ومكرها ، وأمرتك أن تعصيه فخالفتني . قال : فأتريد ؟ قال : أريد ألا تأنيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها علي ، ففعل .

وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة ، فلم يكن في الدهر يوم يأتي إلا على باب النمان هدية من ابن مرينا ، وكان إذا ذكر عدى بن زيد عند النمان أحسن الثناء عليه ، وشيخ ذلك بأن يقول : إن عدى بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمدي لا يصلح إلا هكذا .

فلما رأى من يطيع بالنمان منزلة ابن مرينا عنده لزمه وتابوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتوني أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا له : إنه لكذلك ، ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إن الملك - يعني النمان - حامله ، وإنه هو ولأه ما ولأه ؛ فلم يزالوا به حتى أضغنوه عليه ؛ فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قهرمان^(٤) له ، ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه ؛ وأتوا به النمان فقراه ؛ فاشتد غضبه ، فأرسل إلى عدى بن زيد : عزمت عليك إلا زرتني ،

(١) رثت : ضعفت (٢) عطب كفرح : هلك (٣) الكسبي منسوب إلى كسح ، وهو حي من قبس عيلان ، والكسبي رجل رام ، رمى بمد ما أعظم الليل عيراً فأصابه ووطن أنه أخطأه ، فكسر قوسه ثم ندم من القد حين نظر إلى الصير مقتولا وسبه فيه ، فصار مثلاً لكل تلذم على ضله (٤) القهرمان هنا : أمين الملك وخاصته عند القرس .

فأني قد اشتقتُ إلى رؤيتك - وعدى يومئذ عند كسرى - فاستأذن كسرى فأذن له؛
فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في مخبئ لا يدخل عليه فيه أحد؛ فعمل عدى
يقول الشعر، وهو في الحبس، فكان أول ما قاله وهو محبوس:

ليت شعري عن الهمام ويأتيك لك بخبر الأنباء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا المسال والأه؛ فس إذ ناهدوا ليوم الحال^(١)
ورضائي في جنبك الناس يرمو ن وأزى وكلنا غير آلي^(٢)
فأصيب الذي تريد بلا غش ن وأزى عليهم وأوالي
ليت أني أخذت حثفي بكة ي ولم ألق ميتة الأقتال^(٣)
محلوا محاهم^(٤) لصرعتنا العا م فقد أوقموا الرحا بالثفال^(٥)

وقال:

سمى الأعداء لا يألون شراً طي ورب مكة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدى لئسجن أو يدهدده في القلب^(٦)
وكنت ليراز^(٧) خصمك لم أعرد^(٨) وقد سلكوك في يوم عصب
أعالنهم وأبطن كل سر كما بين اللحاء إلى المسيب^(٩)
ففرزت عليهم لما التقينا بتاجك فوزة القدر الأريب

(١) إخطار المال والأنس: بنهما. والناهدة: الناهضة في الحرب، والحال: الكيد والمكر
(٢) غير آلي: غير مقصر (٣) الأقتال: جمع قتل وهو العدو (٤) يقال: محل فلان
بصاحبه إذا سعى به إلى السلطان (٥) الثفال: الجلد الذي يبسط تحت رجا اليد ليقطع الطحين من
التراب (٦) دهدده الشيء: حذره من علو إلى سفلى، والقلب: البئر (٧) أي لا أدع
خصمك يخالف ويماند (٨) عرد: هرب وفر (٩) الصيب: جريئة من النخل مستقيمة
دقيقة يكشط خوصها. واللحاء: قشر الشجر. والمراد: أن السريتي عنده مكتوماً.

وما دَهْرِي (١) بَانَ كُدِّرَتْ فُضْلًا ولكن ما لقيتُ من العجيب
ألا من مُبْلَغِ النَمَاهِ هِي وقد تُهْدِي النَصِيحَةَ بِالْغَيْبِ
أَحْطَى كَانِ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغَلًّا وَالْبَيَانَ لَدَى الطَّيِّبِ
أَتَاكَ بِأَنْتَى قَدْ طَالَ حَبْسِي ولم تَسَامُ بِمَسْجُونِ حَرِيبِ (٢)
وَبِنِي مُقْفِرٍ إِلَّا نَسَاءَ أَرَامِلٍ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ
يِيَادِرُونَ الدَّمْعَ عَلَى عَدِيٍّ كَشَنَ خَانَهُ خَرَزَ الرَّيْبِ (٣)
يُمَاجِزُونَ الوِشَاءَ عَلَى عَدِيٍّ وما اقْتَرَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ
فَإِنْ أَخْطَأْتُ أَوْ أَوْهَمْتُ أَمْرًا قَدْ يَهِيمُ الْمُصَافِي بِالْحَبِيبِ
وَإِنْ أَظْلَمُ قَسَدَ عَاقِبَتُمُونِي وَإِنْ أَظْلَمَ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيبِي
وَإِنْ أَهْلِكَ تَجِدُ قَعْدِي وَتُخْذَلُ إِذَا أَلْتَقَى الْعَوَالِي فِي الْحُرُوبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُغْلَبُ عَلَى الرَّأْيِ الْمَصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَأْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ

•••

ولما طال سجنُ عدِيٍّ كتبَ إلى أخيه أبي - وهو مع كسرى - بهذا الشعر :

أَبْلَغُ أَيِّمَا عَلَى نَأْيِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ
بَانَ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفَوَا دِكْنَتِ بِهِ وَاتِّقَا مَا سَلِمَ
لَدَى مَلِكٍ مُوْتَقٍ فِي الْحَدِيدِ إِمَّا بِحَقِّ وَإِمَّا ظَلِمَ

(١) ما دهرى بكنا أو كفا ، أى ما لرادق وظائق كفا (٢) الحرب : الذى سلب ماله

(٣) الشن : الخلق من كل آنية صمت من الجلد ، والمراد بالرييب هنا المصلح .

فلا أعرفنك كذاتِ الفلأ م ما لم نجد عارماً تمترم^(١)
 فأرضك أرضك إن تاتنا تم نومة ليس فيها حلم
 فكتب إليه أخوه أبي :

إن بك خانك الزمانُ فلا ما جزُ باعٍ ولا ألف^(٢) ضيفُ
 وبين الإله لو أن جأوا ء طحوناً تضي فيها الشيوف^(٣)
 ذات رزٍ مجتابة غمرة المو ت صحيحٍ سر بالها مكفوف^(٤)
 كنت في سحبا لجنتك أسمى فاعلمن لو سمعت إذ تستضيف^(٥)
 أو بمالٍ سألت دونك لم نجد نع نلاذ لحاجة أو طريفُ
 أو بأرضٍ أسطيع آتيك فيها لم يهني بعد بها أو مخوفُ
 ولمعري لن جزفت عليه لجزوع على الصديق أسوفُ
 ولمعري لن ملكك عزائي لقليل شر وراك^(٦) فيما أطوفُ

وذهب أبي أخوه إلى كسرى ، فكلّمه في أمره وعرفه خبره ؛ فكتب إلى
 النعمان يأمره بإطلاقه ؛ وبث معه رجلاً - وكان للنعمان خليفة عند كسرى - فلما
 علم بأمر كسرى في عدى كتب إليه : إنه قد كتب إليك في أمر عدى .
 ولما جاء الرسول دخل على عدى قبل أن يذهب إلى النعمان وقال له : يا عدى ،

(١) أراد بذات الغلام : الأم المرضع ، والعام الراضع ، ويقال : اعترمت المرأة : تبغت من يعرهما
 أو يعس ثديها . قال في اللسان : المراد إن لم تجد من ترضعه دوت هي خلبت ثديها ، وقال ابن
 الأعرابي : يقال هذا لمن يتكلف ما ليس من شأنه (٢) الألف : الثقيل البطيء (٣) الجأوا :
 الكتيبة التي يملو لونها السواد لكثرة الدروع . والطحون : الكتيبة العظيمة تطحن ما لقيت .
 (٤) الرز : الصوت ، السربال : القميص ، والمكفوف من كفت الثوب إذا خطن حاشيته .
 ولعله يريد أنها كتيبة سالمة (٥) تستضيف : تستجير (٦) شر وراك : مثلك .

إلى قد جئت بإرسالك ؟ فاعندك ؟ فقال : عندي الذي تُحبُّ ، ووعده بعدة سَنِيَّةٍ ؛ وقال له : لا تخرجنَّ من عندي ، وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه ، فإنك والله إن خرجتَ من عندي لأُقتلَنَّ ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتي النعمان بالكتاب ، فأوصله إليه ، فانطلق بمضٍ من كان هناك من أعدائه ، وأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدى وهو ذاهبٌ به ، وإن فصل والله لم يستبقِ منا أحداً أنت ولا غيرك . فبمَثَّ مَنْ قَتَلَهُ .

ودخل الرسولُ إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه ، فقال : نعم وكرامةً ، وبث إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل إليه فخذنه . فلما أصبح الرسولُ غداً إلى السجن ، فلم يرَ عدياً ، وقال له الحرس . إنه مات منذ أيام ولم نَجْزِرِيْ على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع الرسول إلى النعمان وأخبره أنه رآه بالأمس ، ولم يره اليوم ، فقال : أيبعثُ بك الملكُ إلى فتدخل إليه قبلي ! ثم تهده ورشاه وتوثق منه ألا يُخبر كسرى إلا أنه مات قبل وصوله إلى النعمان .

٣

ندم النعمان على قتل عدى ، وعرف أنه قد احتيل عليه في أمره ؛ واجترأ أعداؤه عليه ، وهابهم هيبةً شديدةً . ثم إنه خرج للصيد فرأى ابناً لمدى يقال له زيدٌ ، فلما رآه عرف شبهه ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدى بن زيد ، فكلمه فإذا غلام ظريف ؛ ففرح به فرحاً شديداً ، واعتذر إليه من أمر أبيه ، وقرَّبه وأعطاه ووصله وجهزه ، وسيره إلى كسرى ووصفه له ، وقال : إن عدياً كان ممن أُعين به الملك في نُصْحِهِ ولُبِّهِ ، فأصابه ما لا بُدَّ مِنْهُ ، وانقطعت مُدَّتُهُ ، وانقضى أجله ،

ولم يُصَبَّ به أحدٌ أشد من مصيبي ، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلا جمل
الله له منه خلفاً ، لما عظم الله من مُلكه وشأنه ، وقد بلغ ابن له ليس بدونه ،
رأيتُه يصلحُ لخدمة الملك ، فسرحتُه إليه ، فإن رأى الملك أن يجمله مكان أبيه فليفعل
وليصرف عمه^(١) إلى عمل آخر .

فلما وقع زيد بن عدى عند الملك هذا الموقِع سألَه عن النعمان فأحسن الثناء عليه ،
وأقامَ عند الملك سنواتٍ بمنزلة أبيه ، وأُعجب به كسرى ؛ فكان يكثرُ الدخولَ
عليه والخدمة له .

وكانت للوك الأعمامُ صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، وكانوا يبعثون في طلب
من يكون على هذه الصفة من النساء ، فإذا وُجِدَتْ مُحِلَّتْ إلى الملك ، غير أنهم لم
يكونوا يطلبونها في أرض العرب ؛ ولا يظنُّونها عندهم ؛ ثم إنه بدا للملك في طلب
تلك الصفة ، وأمر فكتبَ بها إلى النواحي ؛ ودخل إليه زيدُ بن عدى ، وهو في ذلك
القول ؛ فخاطبه فيما دَخَلَ إليه فيه ، ثم قال : إني رأيتُ الملكَ قد كتبَ في نسوةٍ
يُطلبنَ له ، وقرأتُ الصفةَ ، وقد كنتُ بآل النذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من
بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة .

قال : فاكتبُ فيهن . قال : أيها الملك ؛ إنَّ شراً شيء في العرب وفي النعمان
خاصةً أنهم يتكرومون - زعموا في أنفسهم - عن المعجم ، فأنا أكرهُ أن يُفَيِّبَنَ
همنُ تمتُّ إليه ؛ أو يمرضَ عليه غيرهن ، وإن قَدِمْتُ أنا عليه لم يقدرُ على ذلك ؛
فابشئني وابث معي رجلاً من رَهاتك يفهم العربية ، حتى أبلغَ ما تحبُّه .

(١) كان عمه الذي يلي المكابية عن الملك إلى ملوك العرب في أمورهما وفي خواص أمور الملك ،
وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة .

فبثّ معه رجلاً جلدًا فهِمَا ، وخرج به زيد ، وجلس يكرم الرجلَ وَيُلِطُّهُ
حتى بلغ الحيرة ، ودخلا على النعمان ، فأعظمه زيد وقال له : إن كسرى احتاج إلى
نساءِ إنفُسِهِ وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبثّ إليك ؟ قال :
ما هؤلاء النسوة ؟ قال : هن صِفُّهُنَّ قد جئنا بها .

وكانت الصفة أن اللندر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جاريةً كان أصابها
إذ أغار على الحارث الأكبر أبي شمر النّسائي ؛ وكتب إليه بصفتها ، وبقيت
هذه الصفة إلى أيام كسرى بن هرمز حتى أرسل بها إلى النعمان مع زيد
ورفيقه ، وهي :

« إني قد وجهتُ إلى الملك جارية معتدلة الخلق ، هية اللون والثمر ، بيضاء
قمرَاء ، وَطَفَاءً (١) ، كَحَلَاءَ ، دَعَجَاءَ (٢) ، حَوْرَاءَ (٣) ، عَيْنَاءَ (٤) ، قَنَوَاءَ (٥) ،
شَمَاءَ (٦) ، بَرَجَاءَ (٧) ، زَجَاءَ (٨) ، أَسِيلَةَ (٩) الخَدِّ ، شَمِيَّةَ القُبْصِلِ ، جَمَلَةَ (١٠) الشعرِ ،
عظيمة الهامة ، بميدة مهوى القرط ، عَيْطَاءَ (١١) ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ،
ضَخْمَةَ مُشَاشٍ (١٢) النَّكِبِ والعَضِدِ ، حسنة المِصْمِ ، لطيفة الكف ، سَبْطَةَ
البِتَّانِ ، ضَامِرَةَ البَطْنِ ، نَحِيصَةَ الخَصْرِ ، غَرْنِي (١٣) الوشاح ، رَدَاحَ (١٤) الأقبال ،

(١) الوطفاء : فرزة الأهداب وشعر الحاجبين (٢) الدمع : شدة سواد العين وشدة
ياضها (٣) الحور : اسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولا يكون في بي آدم إلا على الاستعارة
(٤) العين : سمة العين (٥) الفنا : ارتفاع في أعلى الأنف ، واحديباب في وسطه ، وسبوغ
في أعلاه (٦) النسم في الأنف : ارتفاع القصة (٧) البرجاء : الجميلة الحسنة (٨) البرجاء :
دقيقة الحاجبين في طول (٩) الحد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس (١٠) الجتل من
الشعر : للكثيف الأسود (١١) البيطاء : الطويلة المنق (١٢) اللشاشة : رأس العظم
الممكن المضغ (١٣) غرنى الوشاح : دقيقة الخصر (١٤) الوداح : العجزاء الغليظة الأوراك
التامة الخلق . والأقبال : ما استبقت من مصرف .

راية الكفل ، لَفَاءً (١) الفَخْدَيْنِ ، رَبَا الرُّوَادِفِ ، ضَخْمَةً الْمَأْكِمَتَيْنِ (٢) ،
مُفَمِّمَةً (٣) السَّاقِ ، مُشَبِّمَةً (٤) الْخَائِخَالَ ، لَطِيفَةً الْكَعْبِ وَالْقَدَمِ ، قَطُونٌ (٥) الْمَثَى ،
مِكَسَالٌ الضُّحَا (٦) ، بَغْضَةً (٧) التَّجْرُدِ ، سَمُوْعًا لِّلسَيْدِ ، لَيْسَتْ بِمُحَنِّسَاءَ (٨) وَلَا سَفْمَاءَ (٩) ،
رَقِيقَةً الْأَنْفِ ، عَزِيزَةً النَّفْرِ ، لَمْ تُفَدَّ فِي بُوْسٍ ، حَيِيَّةٌ رَزِيْنَةٌ ، حَلِيْمَةٌ رَكِيْنَةٌ ،
كَرِيْمَةٌ الْخَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتَسْتَفْنِي بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جِمَاحِ
قَبِيلَتِهَا ، قَدْ أَحْكَمْتَهَا الْأُمُورَ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلَ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ
الْحَاجَةِ ، صَوَاعَ الْكَفَّيْنِ ، فَطِيْعَةً (١٠) اللِّسَانِ ، رَهْوَةٌ (١١) الصَّوْتِ سَاكِنَتُهُ ،
تَرِيْنٌ الْوَلِيِّ ، وَتَشِيْنٌ الْعَدُوِّ (١٢) .

ولما قرأ زيد هذه الصفة على النعمان شق عليه ، وقال لزيد ، والرسول يسمعُ :
أَمَا فِي مَهَا السَّوَادِ وَعَيْنَ فَارِسَ مَا يَبْلُغُ بِهِ كِسْرَى حَاجَتَهُ ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ لَزَيْدٍ
بِالْفَارْسِيَّةِ : مَا الْمَاهِ وَالْعَيْنِ ؟ فَقَالَ لَهُ بِالْفَارْسِيَّةِ : « كَاوَانُ » أَيِ الْبَقَرِ ؟ فَأَمْسَكَ الرَّسُولُ ،
وَقَالَ زَيْدٌ لِلنَّعْمَانِ : إِنَّمَا أَرَادَ الْمَلِكُ كِرَامَتَكَ ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ لَمْ
يَكْتُبْ إِلَيْكَ بِهِ . فَأَتَزَلَمَاهُ يَوْمَئِذٍ عِنْدَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى : إِنَّ الَّذِي طَلَبَ الْمَلِكُ
لَيْسَ عِنْدِي ، وَقَالَ لَزَيْدٍ : اعْذِرْنِي عِنْدَ الْمَلِكِ .

فَعَادَا إِلَى كِسْرَى ، فَقَالَ زَيْدٌ لِلرَّسُولِ الَّذِي قَدِمَ مَعَهُ : أَصْبَدَقِ الْمَلِكَ عَمَّا سَمِعْتَ ،
فَإِنِّي سَأَحْدِثُهُ بِمِثْلِ حَدِيثِكَ ، وَلَا أَخَالَفُكَ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى كِسْرَى قَالَ زَيْدٌ :

(١) لَفَاءً : ضَخْمَةُ الْفَخْدَيْنِ مَكْتَنَزَةٌ (٢) الْمَأْكِمَتَانِ : اللَّحْمَتَانِ اللَّتَانِ عَلَى رِءُوسِ الْوَرَكَيْنِ
(٣) مُفَمِّمَةً السَّاقِ : مِمْتَلِئَةً (٤) كُنْيَاةٌ عَنِ السُّسِ (٥) وَصْفٌ مِنَ الْقَطَافِ ، وَهُوَ تَقَارُبُ
الْخَطَرِ (٦) الْمِكْسَالُ : الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا نِكَاحَ تَبْرَحُ مَجْلِسَهَا ، وَهُوَ مَدْحٌ عِنْدَهُمْ (٧) الْبَغْضَةُ :
النَّامَةُ (٨) الْخَنَسُ : قَرِيبٌ مِنَ الْقَطْسِ (٩) السَّفْعُ : السَّوَادُ (١٠) لَيْسَتْ سَلِيْطَةً
(١١) رَهْوَةٌ : رَقِيْقَةٌ (١٢) حَذَفَتْ بَعْضُ الْبَارَاتِ السَّهْجَةَ .

هذا كتاب النعمان إليك ، فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذى كنت
 خبرتني به ؟ قال : كنتُ خبرتُكَ بضئيتهم بنسائهم على غيرهم ، وإنَّ ذلك من
 شقائهم واختيارهم الجوعَ والعُرَى على الشَّيعِ والرياش ، وإيثارهم السَّوم والرياح
 على طيبِ أرضِكَ هذه ، حتى إنهم ليسمونها السَّجن ، فسل هذا الرَّسول الذى كان
 معي عمَّا قال ، فإني أُكْرِمُ الملكَ عن مُشافهته بما قال ، وأجاب به . فقال للرسول :
 وما قال ؟ فقال الرسول : أيها الملك ؛ إنه قال : أما في بقرِ السَّواد وفارسَ ما يكفيه
 حتى يطلبَ ما عندنا ؟ فَعُرِفَ الغضبُ في وجهه ، ووقعَ في قلبه ما وَقَعَ ، ولكنه
 لم يزد على أن قال : رَبِّ عَيْدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ، ثم صار أمرُه
 إلى التَّيباب .

وشاع هذا الكلامُ حتى بَلَغَ النُّعمان ، وسكتَ كِسْرَى أشهراً على ذلك ،
 وجعل النعمانُ يستمدُّ ويتوقَّع ، حتى أتاه كتابُ كِسْرَى : أن أقبل ، فإن للملك
 حاجةٌ إليك ، فانطلق حين أتاه كتابُه ، فحمل سلاحه ، وما قَوَى عليه ، ثم لحق
 بجبلى طيبي ، وكان متزوجاً إليهم^(١) ، فأراد النعمانُ طيماً على أن يَدْخُلوه الجبَّانِ
 ويمنَّوه ، فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، وقالوا له : لولا صهرُك لقتلناكَ ، فإنه
 لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ، ولا طاقة لنا به .

٤

فأقبل يطوفُ على قبائل العرب ليس أحداً منهم يقبله ، غيرَ أن بنى رَوَاحَةَ

(١) كانت عنده فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وكذلك كانت عنده زينب بنت أوس
 ابن حارثة .

ابن قُطَيْمَةَ بن عَبْس قالوا : إن شئت قاتلنا ممك - لِنَفَةٍ كانت له عندهم . قال :
ما أَحِبُّ أن أَهْلِكَم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى .

ثم أقبل حتى نزل في ذى قَار في بني شَيْبَانَ^(١) سرّاً ، فَلَقي هَانِي بن مَسْعُود^(٢)
الشيباني ، وكان سيِّدًا مَنِيماً - فاستجار به فأجازه ، وقال له : قد لَزِمَنِي ذِمَامُكَ ، وأنا
مانمك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ، ما بقي من عشيرتي الأذنين رجلٌ ، وإن
ذلك غيرُ نَافِعِك ، لأنه مُهْلِكِي ومُهْلِكِكَ ، وعندى رأى لك ، لست أُشيرُ به عليك
لأدْفَمَكَ عمّاً تريدُه من مجاورتي ، ولكنَّه الصواب . فقال : هَاتِيه ، فقال : إن كل
أمرٍ يَجْمَلُ بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد المَلِكِ سُوقَةً ، والموت نازلٌ
بكل أحد ، ولأن تموتَ كريمةً خيرٌ من أن تتجرَّعَ الذُّلَّ أو تبقَى سُوقَةً بعد المَلِكِ ،
هذا إن بَقِيَتْ ؟ فامض إلى صاحبك ، واخْمِلْ إليه هدايا ومالاً ، وألقِ بنفسك بين
يديه ، فإما أن صَفَّحَ عنك فمُدَّتْ ملكاً عزيزاً ، وإما أن أصابك فالوتُ خيرٌ من
أن يتلعب بك صَعَالِيكُ العرب ويتخطَّفَكَ ذئابها ، وتأكل مالكَ وتعيشَ فقيراً
مُجاوراً أو تُقْتَلَ مقهوراً . فقال : كيف مجرِّمِي ؟ قال : هنَّ في ذِمَّتِي لا يُخْلَصُ
إليهنَّ حتى يُخْلَصَ إلى بناتي . فقال : هذا وأبيك الرأي الصحيح ولن أجأوزهُ .

ثم اختار النعمان خيلاً وحللاً من عَصَبِ^(٣) اليمين ، وجوهرأ وطرفاً كانت عنده ،
ووجه بها إلى كسرى ، وكتب إليه يعتذر ، ويُفْلِمُهُ أَنَّهُ صائر إليه ، ووجه بها

(١) شيبان : بطن في بكر بن وائل (٢) وفي رواية : إن هاني بن مسعود لم يدرك هنا
الأمر ، وإنما هو هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود (٣) العصب : نوع من برود اليمين يعصب
غزله ، أي يشد ويجمم ثم يصبغ وينسج .

مع رسوله ، فقبلها كسرى ، وأمره بالقدوم عليه ، فماد إليه الرسول فأخبره بذلك ، وأنه لم ير له عند كسرى سوءاً .

فضى إليه بعد أن استودع هاني بن مسعود حلقته وأهله وولده وألف شيعة^(١) ، حتى إذا وصل إلى المدائن^(٢) لقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط^(٣) ، فقال له : انجُ نعيم إن استعلت النجاء . فقال له : أفصلتها يا زيد ؟ أما والله لئن عشت لك لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربي قط ؛ ولألحقنك بأبيك . فقال له زيد : امض لشأنك نعيم ، فقد أخيت لك أخية^(٤) لا يقطعها المهر الأرن^(٥) .

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده وبعث به إلى سجن^(٦) كان له . فلم يزل به حتى وقع الطاعون هناك ، فات فيه^(٧) .

(١) الشيعة : السلاح (٢) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بني نفسه مدينة إلى جنب التي قبلها ، وسماها باسمه ، فسببت المدائن (٣) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبروز (٤) الأخيصة : عروة تربط إلى وتد مشقوق وتشد فيها النابة (٥) الأرن النشط (٦) وفي رواية لابن الكلبي : ألقاه تحت أرجل القبيلة فوطئته حتى مات (٧) ولما نسي إلى النابغة وحدث بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالب الملوك ، ثم تمثّل :

من يطلب الدهر تتركه مغالبه	والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى نجد ومكرمة	إلا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبدي على محمد سراهم	بالتافئات من النبل المصاييب
لنى وجدت سهام الموت معرضة	بكل حتف من الأجال مكتوب

ورثاه زهير بن أم سلمى قال :

ألم تر للنمان كان بنجسة	من الفر لو أن أمراً كان باقياً
فلم أر مغذولاً له مثل ملكه	أقل صديقاً أو خبيلاً موافياً
خلا أن حيا من رواحة حافظوا	وكانوا أناساً يقنون الخافيا
قال لهم خيراً وأثنى عليهم	وودعهم توديع ألا تلاقيا

فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان ، وبعث إليه : أن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه . فبعث إياس إلى هاني بن مسعود يأمره بأن يرسل له ما استودعه النعمان من الدروع وغيرها ، وقاله : لا تكلفني أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة ، وتسبي الذرية . فبعث إليه هاني يقول : إن الذي بلفك باطل ، وما عندي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمر كما قيل ، فأنا أجد رجلين : إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردها على من أودعه إياها ، ولن يسلم الحر أمانة . أو رجل مكذوب عليه ، فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدو أو حاسد .

فلما منمها هاني غضب كسرى ؛ ثم أخذت بكر بن وائل تغير في السواد^(١) ، فوفد قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين على كسرى ، فسأله أن يجعل له أكلاً وطعمة على أن يضمن له بكر بن وائل ألا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه ، فأقطعه الأبله^(٢) وما والآها ، وقال : هي تكفيك وتكفي أعراب قومك ، فكانت له حجرة^(٣) فيها مائة من الإبل للأضياف إذا نجرت ناقة أقيدت أخرى .

فكان يأتيه من أناه من بكر فيعطيه جلة^(٤) تمر وكراسة^(٥) ، حتى إذا قدم الحارث بن وعله والمكسر بن حنظلة أعطاها جلتى تمر وكراستين ، ففضبا وأبيا أن يقبلا ذلك منه ، وخرجا واستنويا ناساً من بكر بن وائل ، ثم أغارا على السواد .

(١) السواد : ما حوال القصب من القرى (٢) الأبله : يهد على شاطئ دجلة البصرة

(٣) الحجرة : حظيرة للإبل (٤) الجلة : وعاء من خوص يكز فيه التمر (٥) الكراسة :

ثوب من فطن .

فلما بلغ ذلك كسرى اشتدَّ حَنَقُهُ عليهم، وأرسل إلى قيس بن مسعود وهو بالأبلة وقال له : لقد غررتني من قومك ، وزعمت أنك تكفينهم ، وأمر به فحُجِبِس في سباط .

ثم أرسل إلى إياس بن قبيصة ، واستشاره في الفأرة على بَكْرٍ فقال له : ماذا ترى ؟ وكم ترى أن نُفزيهم من الناس ؟ فقال له إياس : إن الملك لا يصلح أن يمسبه أحدٌ من رعيته ، وإن تُطمئني لم تُعلم أحداً لأتى شيء عَبرَت وقطعت الفرات ، فيروا أن شيئاً من العرب قد كَرَبَكَ ، ولكن ترجع وتضرب عنهم ، وتبث عليهم العيون حتى ترى غِرَّةً منهم ، ثم ترسل حَلْبَةَ^(١) من العجم فيها بعضُ القبائل التي تلبهم ، فيؤقمون بهم وقعة الدهر ، ويأتونك بطلبتك .

فقال له كسرى : أنت رجلٌ من العرب ، وبكر بن وائل أخوالك ؛ فانت متمصَّبٌ لهم ، ولا تألوهم نُصْحًا . فقال إياس : رأى الملك أفضل .

فقام إليه عمرو بن عدى بن زيد العبادى - وكان كاتبه وترجمانه بالمريسة وفي أمور العرب - فقال له : أقم أيها الملك ، وابث إليهم بالجنود يكفوك .

وكان عنده النعمان بن زرعة التنجى - وهو يجب هلاك بَكْرٍ ؛ فقال لكسرى : يا خيرَ الملوك، أذلك على عدوِّ بطلهم، وعلى غِرَّةِ بكر ؟ قال : نعم . قال : أمهلنا حتى نقيظ ، فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء ، يقال له ذوقار تساقط الفراش في النار؛ فأخذتهم كيف شئت، وأنا عندك إلى أن أكفيكمهم ، ومع ذلك فإن مُطالبتهم في ذلك الوقت كثير ، وذلك مما يؤمن كيدهم ويكون أيسر على الملك هلاكهم .

(١) الحلبة : الدفعة من الخيل تجعب للسباق أو الفأرة .

فواقفه كسرى وأقرهم، حتى إذا قاطوا جاءت بكر بن وائل فنزلت بالحنو^(١)
جنو ذى قار.

٦

ولما بلغ كسرى، نزولهم عقد للنعمان بن زُرْعَةَ على تغلب والنمر، وعقد لخالد بن
يزيد البهراني على قُصَاعَةَ وإياد، وعقد لإياس بن قبيصة على العرب، ومعه كتيبتاه
الشهباء والدوسر^(٢). فكانت العرب ثلاثة آلاف، وعقد للهامرز^(٣) على ألف من
الأساورة، وعقد لخنازير على ألف، وبعث معهم باللطيمة. وقد كانت تخرج من
العراق فيها البرّ والمعطر والألنطاف توصل إلى بأذان عامل كسرى باليمن - وأمر عمرو
ابن عدى أن يسير بها، وكانت العرب تخفرهم وتُجبرهم حتى تبلغ اللطيمة
اليمن، وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر ودنوا منها أن يبعثوا النعمان بن
زُرْعَةَ يُخَيِّرهم بين ثلاث خصال: إما أن يمطوا بأيديهم فيحكّم فيهم الملك بما شاء،
وإما أن يمرّوا الديار، وإما أن يادّنوا بحرب.

وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك بيني تميم يوم الصفة^(٤)، فالعرب وجلة خائفة
منه، وكانت هند بنت النعمان في بني سنان، فلما علمت بمسير جُمُوع كسرى قالت
تندّر العرب:

ألا أبلغ بنى بكر رسولا فقد جدّ النفير بمنفقير^(٥)
فليت الجيش كلهم فداكم ونفسي والسرير وذا السرير

(١) هو من ذى قار على مسيرة ليلة (٢) الشهباء ودوسر: كتيبتان حربيتان، كان قد
جملهما يزدجرد ملك الفرس تحت تصرف النعمان بن المنذر ومن بعده، وكان رجال الشهباء من
الفرس؛ ورجال دوسر من عرب تنوخ (٣) كان الهامرز على سلحة كسرى بالسواد
(٤) انظر يوم الصفة ص ٢ (٥) العنقير: الدامية.

كَأَنِّي حِينَ جَدَّ بِهِمْ إِلَيْكُمْ مَمْلَقَةٌ الدَّوَابِّ بِالْعَبُورِ (١)
فَلَوْ أَنِّي أَطَقْتُ لَذَاكَ دَفْعًا إِذَا لَدَفَعْتُهُ بَدَيْمِي وَزِيرِي (٢)

فلما بلغ الخبر بَكْر بن وائل سَار هَانِيُ بن مسمود حتى انتهى إلى ذِي قَار، فنزل به ، وأَقْبَلَ النعمان بن زُرْعَةَ حتى نزل على ابن أُخْتِهِ مَرَّةَ بن عمرو ، فحمد الله النعمان وأثنى عليه ثم قال : إنكم أحوالى وأحد طرفي ، وإن الرائد لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وقد أنا كم ما لا قِبَلَ لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب ، والسكيتان : الشهباء والدَّوَسَر ؛ وإن في الشرِّ خياراً ، ولأنَّ يَفْتَدِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعْطَلُمُوا (٣) ؟ انظروا هذه الحَلْفَةَ فادفعوها ! وادفعوا رَهْنًا مِنْ أبنائكم بما أُحْدِثَ سفهاؤُكم . فقال له القوم : ننظر في أمرنا .

٧

ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ بَكْر . وَبَرَزُوا يَبْطَحَاءَ ذِي قَار بَيْنَ الْجَلْهَمَتَيْنِ (٤) :
وَأَحْدُوا يَرَقِيُونَ (٥) مِنْ يَأْتِي مِنْ قِبَائِلِ بَكْر ؛ لَا تَرْفَعُ جَمَاعَةٌ إِلَّا قَالُوا سَيِّدِنَا فِي

(١) العبور : نجم في السماء بل الجوزاء . (٢) الزير : ما استحكتم فذله من الأوتار .
(٣) تعطلموا : نتأصلوا وتبدوا . (٤) جلبة الوادي : مقدمه وما استقبلك منه
وانسم له . (٥) روى في الأغاني : أن مرداساً السلمي كان مجاوراً في بكر يومئذ ، فلما رأى
الجيوش قد أقبلت إليهم حمل عياله وخرج عنهم وأنشأ يحرضهم :

بلغ مرارة بني بكر مفلتلة
لأن أخاف عليكم سرية الواري
السرية : الجماعة يتيرون . والواري : المطلب .

لأن أرى الملك الهامرز منصلاً
يرجى جياداً وركباً غير أعيار
المنصلت : المسرع ، والأعيار . جمع عبر وهو الحمار .

لانلفظ البعر الحولى نسوتهم
للجائزين على أعطان ذى قار
الأعطان : مبارك الإبل .

فإن أيتم فإني رافع ظمفي
والقوب : هم النوب ، وهم جيل في السودان .
ومنشب في جبال اللوب أظفاري

وجاعل بيننا ورداً غواربه
ترى إذا مارنا الوادي بتيار
ربا : ارتفع ، و « ورداً غواربه » أراد البحر .

هذه ؛ فرُفِعت لهم جماعة، فقالوا: سيدنا في هذه ، فلما دَنَوْا إذا هم بعبد عمرو بن بشر ابن مَرثد ، فقالوا : لا . ثم رُفِعت لهم أخرى، فقالوا: سيدنا في هذه ، فإذا هو جبلة ابن باعث بن صريم اليَشْكُرى ، فقالوا : لا . فرُفِعت أخرى، فقالوا : في هذه سيدنا ، فإذا هو الحارث بن وعله بن المجالد الذَّهلي ، فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أخرى، فقالوا: في هذه سيدنا ؛ فإذا فيها الحارثُ بن ربيعة بن عثمان التيمي في تيم الله ، فقالوا : لا ، ثم رفعت لهم أخرى أكبرُ مما كان يجيُّ فقالوا : لقد جاء سيدنا ، وإذا رجل أصمَّع الشَّعر ، عظيمُ البطن ، مُشربٌ حمرة ، هو حنظلة بن ثلمبة بن سيار المِجَلبي ؛ فقالوا : يا أبا مَعْدَانَ قد طال انتِظارنا ، وقد كرهنا أن نقطع أمراً دونك ، وهذا ابنُ أختك قد جاءنا ، والرَّائد لا يَكْذِبُ أهله ، وهذا هانيُّ بن قبيصة يهيمُ بركوب الفلَّاة ، ويقول لنا : لا طاقةَ لكم بمجموع الملك^(١) . قال حنظلة : فما الذي أجمع عليه رأيكم واتفق عليه مَلؤكم^(٢) ؟ قالوا : إنَّ اللخى^(٣) أهون من الوهي ؛ وإن في الشرِّ خياراً ، ولأنَّ يفتدي بعضنا بعضاً خيراً من أن نصطلم جميعاً .

فقال حنظلة : قبح الله هذا رأياً ! لا تجرَّ أحرارُ فارس أرجلها ببطحاء ذي قار وأنا أسمعُ هذا الصَّوتَ ، ثم أمر بلبثته فُضربت بوادي ذي قار ، ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به . ثم قال : لا أرى غيرَ القتال ؛ فإنَّا إن ركبنا الفلَّاة مِننا عطشاً ، وإن أعطينا بأيدينا تقتل مقاتلتنا وتُسبِّي ذراريها . ثم قال لهانيُّ بن مسعود : يا أبا أمامة ؛ إن دمتكم دِمَّتْنا عامه ، وإنه لن يُوصَلَ إليك حتى تَفْسِي أرواحنا ، فأخرج هذه الحلقة ففرَّقها بين قومك ؛ فإن تظفر فتدُّ عليك ، وإن تهلك فأهونُ مَفْقود .

(١) قال في العقد الفريد : لم تر من هانيُّ سقطة قبلها (٢) الملاء : جماعة القوم

(٣) اللخى : إعطاء المال ، يريدون أن فقد المال خيراً من الهلاك

فأمر بها هاني^١ فأخرجت وفرقت في القوم . ثم التفت حنظلة إلى النعمان وقال : لولا أنك رسول لما أتت إلى قومك سالماً ، فرجع النعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما رده عليه القوم ، فباتوا ليلتهم مستعدين للقتال ، وبكر يتأهبون للحرب^(١) .

فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم^٢ نحوهم يسرون على تميمية^(٢) ، ومعهم الجنود والأفيال عليها الأساورة ؛ وكان نازلا في بني شيبان ربيعة بن غزالة السكوني ثم التميمي هو وقومه ، فقال : يا بني شيبان ؛ أما إني لو كنت منكم لأشرت عليكم برأيي مثل عروة العيلم^(٣) ، فقالوا : أنت والله من أوسطنا فأشر علينا ؛ فقال : لا تسهّدوا لهذه الأعاجم ، فهلكم بنشابها^(٤) ؛ ولكن تكردّسوا كراديس^(٥) ، فإذا أقبلوا على كردّوس شدّ الآخر ، فقالوا : قد رأيت رأيا .

٨

ولما تقارب الزحّان قام حنظلة بن ثعلبة فقال : إن النشاب الذي مع الأعاجم يُفرّقكم ، فإذا أرسلوه لم يخطئكم ؛ فما جلوم اللقاء ، وابدؤهم بالشدّة ، ثم قام إلى وضيّن^(٦) راحلة أمرأته فقطعه ، ثم تتبع الظمن يقطع وضيّن^(٧) ، فسقطن على الأرض ، فقال : ليقاتل كل رجل منكم عن حليته . ثم ضرب قبة على نفسه ببطحاء ذي قار ، وآلى لا يفرّ حتى تفرّ القبة . وقطع سبعائة رجل من شيبان أيدي أقبيتهم من مناكبها لتخفّ أيديهم لضرب السيوف . وقام هاني^(٨) بن مسعود فقال : « يا قوم مهلك مقدور خير من نجاء معرور^(٩) وإن الحذر لا يدفعُ القدر ، وإن

(١) شهدت بكر جميعا هذه الحرب عدا حنيفة (٢) عبي الجيش تميمية : أصلحه وهياه (٣) أي العلم الذي يوثق به ، وهو يريد ، الرأي السديد (٤) النشاب : النبل (٥) الكردوس : قطعة من الخيل (٦) الوضيّن : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر ، وقيل لا يكون إلا من الجلد (٧) سمى حنظلة بعد ذلك مقطع الوضيّن (٨) في الأمالي : هي هاني بن قبيصة الشيباني ، ورواية الأمالي فيها اختلاف عما هنا (٩) معرور : معاب .

الصَّبْرُ من أسباب الظفر ، النِّيَّةُ ولا الدنْيَةُ ، واستقبال الموت خَيْرٌ من استِدْبَارِهِ ،
والظمن في الثغر ، أكرمُ من الظمن في الدبر ، ياقوم جدُّوا فما من الموت بدَّ ، فَتَحُّ
لو كان له رجال ، أسمع صوتًا ولا أرى قوماً ، ويا آل بكر شدُّوا واستمِدُّوا ، وإلا
تَشِدُّوا تُرُدُّوا .

وقام شريك بن عمرو بن سراحيل فقال : ياقوم ، إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند
الحفاظ أكثر منكم ، وكذلك أنتم في أعينهم ؛ فمليكم بالصبر ، فإن الأسنَّة تُردى
الأعِنَّة ، يا آل بكر ، قُدِّما (١) قُدِّما !

وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ؛ فقالت امرأة من عجل (٢) :

إِنْ تَهَزُّمُوا نَسَانِقَ وَتَفَرِّشُوا النَّمَارِقَ (٣)

أَوْ تُهَزِّمُوا نَفَارِقَ فِرَاقَ غَيْرِ وَاثِقَ

وقال حنظلة بن ثعلبة :

قَدْ جَدَّ أَسْيَاعُكُمْ فِجْدُوا مَا عَلَّيْ وَأَنَا مُؤَدِّ (٤) جَلْدُ

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرُّ عُرْدٍ (٥) مِثْلَ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

قَدْ جَعَلْتُمْ أَجْبَارُ قَوْمِي تَبْدُوا إِنْ النَّايَا لَيْسَ مِنْهَا بُدُّ

هَذَا عُمَيْرٌ حَيْهَ أَلْدُّ يَاقِدُهُ لَيْسَ لَهُ مَرْدُّ

حَتَّى يَمُودَ كَالْكُمَيْتِ الْوَرْدُ خَلُّوا بَنِي شَيْبَانَ فَاسْتَبَدُّوا

نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدُّ

وقال يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

(١) أي تدموا (٢) مجل : بطن في شيبان (٣) الثمارق : جمع تمرقة ، والتمرقة الوسادة
المضرة ، أو الميثة ، أو الطنفة فوق الرجل (٤) مؤد : ذو أداة من السلاح تامة ، أي
لا هنر لي (٥) عرد : شديد .

من فر منكم فر عن حريمه وجاره وفر عن نديمه
أما ابن سيار على شكيمه إن الشراك قد من أديمه (١)
وكأهم يمجرى على قديمه من قارح الهجئة أو صميمه (٢)

وقال عمرو بن جبلة البشكري :

يا قوم لا تفرركم هذى ايلرق ولا وميض البيض في الشمس يرق
من لم يقاتل منكم هذا المنق (٣) فجنبوه الراح واسقوه المرق
ووقف الجيشان متقاً بلتين ، فكانت بنو عجل في الميمنة بإزاء خنازين وعليهم
حنظلة بن ثعلبة ، وبنو شيان في الميسرة بإزاء كتيبة الهامز ، وعليهم بكر بن يزيد
ابن مسهر ، وأفناء بكر في القلب وعليهم هاني بن مسمود ، فخرج أسوار من الأاجم
في أذنيه درتان من كتيبة الهامز يتحدى الناس لليراز ، فنادى في بني شيان فلم
يبرز إليه أحد ، حتى إذا دنا من بني يشكر برز له يزيد بن حرثة ، فشد عليه بالرُمح
فماظنه ودق صلته ، وأخذ حليته وسلاحه (٤) .

وخرج الهامز يذهب إلى البراز فخرج إليه الحوفزان (٥) فقتله . وفي ذلك الحين
أرسلت إباد - وكانت في جيوش كسرى - مرأ إلى بكر ، وقال رسولهم : أي الأمرين

(١) الصراك : سبر النعل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ (٢) القارح : الحصان ،
والهجين : عربي ولد من غير عربي (٣) المنق : الجماعة وهو مذكر (٤) وذلك قول سويد بن
أبي كاهل يفتخر :

ومنا يزيد إذ تحرى جوعكم فلم تهزبه الرزبات المعهر
تحرى : تازع الطلبة
وبارزه منا غلام بصارم
الضريبة : ما ضربته بالسيف
(٥) اسمه الحارث بن شريك .

أعجب إليكم ؛ أن فطيرت تحت ليلتنا فنذهب ، أو تقيم ونفر حين تلاقون القوم
قالوا : بل تقيمون ؛ فإذا التقى الناس انهزمتم بهم .

وقال يزيد بن حمار السكوني - وكان حليفاً لشيبان - أطيعوني واكتموا لهم
كميناً ، ففعلوا ، وجعلوا يزيد رأسهم ، وكمنوا في مكان يقال له الخبيء واجتلدوا ،
وحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد
ابن مسهر على ميسرة الجيش ، وخرج عليهم الكمين من الخبيء وعليهم يزيد بن
حمار ، فشدوا على قلب الجيش ، وولت إياهم منزهة كما وعدتهم ؛ وانهزمت الفرس ،
وتبعهم بكر .

ولحق مرثد بن الحارث النعمان بن زُرعة فأهوى له طعناً ، فسبقه النعمان بصدر
فرسه فأقلته^(١) ، ولكن أسود بن بجير المعجلي وضع يده في يده ، ثم جزأ ناصيته ،
وخلى سبيله .

ثم اتبعت بكر الفرس وأخلافهم من العرب يقتلونهم بقية يومهم وليتهم حتى
أصبحوها من الند وقد شارفوا السواد ، ودخلوه في طلب القوم .

أما إياس بن قبيصة فكان أول من انصرف إلى كسرى بالهزيمة ، وكان لا يأتيه
أحدٌ بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه ؛ فلما أتاه إياس سأل عن الخبر فقال : هزمتنا
بكر بن وائل ، فأتيناك بنسائهم ، فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة . ثم استأذنه
إياس فقال : إن أخي قيس بن قبيصة مريض بعين التمر فأردت أن آتيه^(٢) ، فأذن له

(١) وذلك قول مرثد :

وخيل تبارى لطمان شهدتها فأغرقت ليها الرمح والجمع محجم
وأقلنتي النعمان فوت رماحنا وفوق فطاة المهر أزرق لمنم
القطاة : موضع الدرف من العابة ، والهدم : كل شيء من سنان أو سيف طامع .
(٢) قال ذلك ليتحمى عنه .

م - ٤

كسرى، فركب فرسه الحمامة^(١) ولحق بأخيه . ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخوردنق فسأل : هل دخل على الملك أحد؟ فقيل : نعم، إياس، فقال: نكلت إياساً أمه ، وظن أنه قد حدثته الخبر ، فدخل عليه وحدثته بهزيمة القوم وقتلهم ، فأمر به فترعت كتفاه .

* * *

١ — وفي ذلك اليوم^(٢) يقول أعشى قيس مُفتخراً :

أما تميمٌ فقد ذاقنا عداوتنا وقيسُ عيلانُ مسَّ الخزيُّ والأسف
 وجندُ كسرى غداة الحنو صبَّحهم منا عطاريفُ ترجو الموت وانصرفوا
 لقوا مملامة^(٣) شهباءَ يقدمها للموت لا عاجزٌ فيها ولا خرف^(٤)
 فرع نمته فروغٌ غيرُ ناقصةٍ موفقٌ حازمٌ في أمره أنف^(٥)
 فيها فوارسُ محمودٌ تقاؤمُ مثل الأسننة لا ميلٌ ولا كُشف^(٦)
 يبيضُ الوجوه غداة الرُّوع تحسبهم جنانٌ عين عليها البيضُ والزغف^(٧)

(١) لهذه الفرس خبر ذكره صاحب الأغانى ؛ وهو أن هذه الفرس كانت لا يياس ثم أودعها عند رجل من تيم الله يقال له أبو ثور ، ولما أراد إياس أن يفزو قومه أرسل إليه أبو ثور بها ، فنهاه أصحابه أن يفعل ، فقال : والله ما في فرس إياس ما يعز رجلاً أو يذله ، وما كنت لأقطع رحمة فيها ، فقال إياس :

غزاها أبو ثور فلما رأيتها دخيس دواء لا أضيع غزاها
 دخيس : صينة ، والدواء : تسمين الفرس

فأعدتها كفتا لكل كرية إذا أقبلت بكر تهرج شاها

(٢) رأينا أن نعرض هنا بعض ما قيل في هذا اليوم من الشعر (٣) كتيبة معلومة ومللمة : مجتمعة مضموم بعضها لى بعض (٤) خرف الرجل : فسده عقله من الكبر ، فهو خرف ، والأنتى خرفة (٥) الجمل الأنف الذلول المؤانى الذى يأنف من الزجر ومن الضرب ويعطى من السير عنقاً سهلاً ، قال فى اللسان : وكذلك المؤمن لا يحتاج إلى زجر ولا عتاب وما لزمه من حق صبر عليه وقام به (٦) الكشف : جمع أ كشف وهو الذى لا ترس معه ، كأنه متكشف هير مستور (٧) جنان جمع جان ، وهو من الجن ، والزغف : الدروع .

لما رأونا كشفنا عن جاجنا ليملوا أننا بكرٌ فينصرفوا
قالوا: البقية^(١)، والهنديُّ يَحْصُدُهُم ولا بقية إلا السيف فانكشفوا
لو أن كلَّ ممدٍ كان شاركنا في يوم ذى قار ما أخطأهمُ الشرفُ
لما أتونا كأنَّ الليلَ يقدمهم مُطَبِّقُ الأرضِ تَفْشَاهَا^(٢) بهم سُدْفُ
بطارق وبنو ملكِ مَرَاذِيه من الأعاجمِ في آذانها النطفُ^(٣)
من كلِّ مَرَجَانَةٍ في البحرِ أحرزها تيارُها ووقاها طينها الصدفُ
وظعننا خلفنا تَجْرِي مَدَامِعُهَا أ كِبَادُهَا وَجَلَّأَمَا تَرَى تَجْفُ^(٤)
كأنما الآلُ في حافاتِ جَمِيمِهِم والبيضُ بَرَقَ بَدَا في عَارِضِ يَكِفُ
يَحْسِرُنَ عن أوجهِ قد عاينتُ عِيراً ولاحها عِزْبَةٌ ألوانها كِسْفُ^(٥)
ما في الخدودِ صدورٌ عن وجوههم ولا عن الطمنِ في اللبَّاتِ مُنْحَرَفُ
لما أمالوا إلى النُشَابِ أَيْدِيهِم مِلْنَا بِيضِ فَظَلَّ الهامُ يُقْتَطِفُ^(٦)
وخيلُ بكرٍ فساتنك تَطْحَنُهُم حتى تولوا وكاد اليومُ يَنْتَصِفُ^(٧)

٢ — وقال يمدح بني شيبان :

فَدَى لَبْنِي ذُهْلَ بِنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وراكبها يوم اللقاء وَقَاتِ
كَفُّوا إِذْ أَتَى الْهَامِرُزُ تَحْفَقُ^(٧) فَوْقَهُ كظللُ العقابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَّتِ
أَذَاقَهُمْ كَأَسَا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَدَّخَتْ^(٨) فِرْسَانَهُمْ وَأَذَّتِ

(١) العرب تقول للمدو إذا غلب : البقية : أى اجوا علينا ولا تستأصلونا ، وفي اللسان : قالوا
البقية والخطى يأخذهم (٢) في الديوان : تشاها لهم (٣) النطف : الأفرط وفي رواية : العنف
(٤) تجف : تضرب (٥) قطعاً ، أى أن ألوانها مختلفة (٦) رواية العبد : ملنا ببيض لمل
الهام تحتطف (٧) في الديوان : تحنف ، والحنف : الميل (٨) بدخ : تناول وتكبر ،
وفخر ، وعلا ، وبدخ : البعير : اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء .

فصَبَّحَهُم بِالْحِنُوِّ حِنُوِّ قُرَاقِرٍ وَذَى قَارَهَا مِنْهَا الْجَنُودُ فَقَلَّتْ (١)
 عَلَى كُلِّ مَحْبُوكٍ (٢) السَّرَاةِ كَأَنَّهُ عَقَابٌ سَرَّتْ مِنْ مَرَقَبٍ إِذْ تَدَلَّتْ (٣)
 فَجَاءَتْ عَلَى الْهَامَرِزِ وَسَطَ بِيُونَهُمْ شَأْيِبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ فَاسْتَهَاتْ
 تَنَاهَتْ بَنُو الْأَحْزَابِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ فَوَارِسُ مِنْ شَيْبَانَ غُلِبَ فَوَلَّتْ

* * *

٣ — وقال أبو عبيدة : سئل أبو عمرو بن الملاء ، وقد تنافر إليه مجلى ويشكرى ؛
 فزعم المجلى أنه لم يشهد يوم ذى قار غير شيبانى ومجلى ، وقال يشكرى : بل
 شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم ، فقال أبو عمر : قد فصلَ بينكما التفلى حيث يقول :
 ولقد رأيت أذاك عمراً مرة يَفْضَى وَضَيْبِيهِ بِذَاتِ الْمُجْرِمِ (٤)
 فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي غَمْرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرَ تَعَمُّمُ
 وَكَأَنَّمَا أقدامُهُمْ وَأَكْفَهُمْ سَرَبٌ (٥) تَسَاقَطَ فِي خَلِيجٍ مُفْعَمٍ
 لِمَا سَمِعْتَ دَعَاءَ مُرَّةٍ قَدْ عَلَا وَآثَى رَيْبَةَ فِي الْعَجَاجِ الْأَقْتَمِ
 وَعَلَّمُ يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِمُ وَالسُّوتُ تَحْتَ لَوَاءِ آلِ عِلْمٍ
 لَا يُبْصِرُونَ عَنِ الْوَعْيِ بِوُجُوهِهِمْ فِي كُلِّ سَابِنَةٍ كَلُونَ الْعِظْمِ (٦)

(١) روى هذا البيت في اللسان :

وم ضربوا بالحنو حنو قرار مقلعة الهامرز حتى توت

قال : وصواب انشاده : م ضربوا ، وهذه هي رواية الديوان ؛ ورواية النفاض أيضاً .

(٢) في الديوان : مجبول ، والتصحيح عن اللسان (٣) في اللسان : عقاب سرت من مراب
 وتمت (٤) يقاب وضمت عند فلان وضبة ، وفي التهذيب وضيا ، أى استودعته وديعة ،
 ويقال للوديعة وضيع . والمجرمة شجرة من الضاة غليظة عظيمة لها عقد كعقد الكمام تتخذ
 منها القسي ، والجمع هجرم يضم العين والراء وكسرهما ، قال العجاج يصف المطايا :

* نواحلا مثل قسي المجرم *

(٥) السرب بالحريك : الماء السائل (٦) العظم : عصاره شجر لونه كالنيل أخضر للالكندرة ،
 والعظم أيضاً : صبغ أحمر .

ودعت بنو أمّ الرقاع فأقبلوا عند اللّقاء بكلّ شاكٍ مُعَلِّمٍ
وسمعت يشكّرُ تُدعى بِحُبَيْبٍ (١) تحت العجاجة وهي تقطر بالدم
يمشون في حلق الحديد كما مشت أسدُ العرين بيوم نحسٍ مُظلم
والجمعُ من ذهل كأن زهاءم (٢) جُرب الجمال بقودها ابناً قَسَمَ
والخيلُ من تحت العجاج عوابساً وعلى مناسجها (٣) سعائبُ من دم

٤ - وقال العديّل بن الفرج المجلي :

ما أوقدَ الناسُ من نارٍ لكرمةٍ إلا اصطَلينا وكُنّا مُوقدي النار
وما يمدّون من يوم سمعتُ به للناس أفضلَ من يوم بنى قار
جننا بأسلابهم والخيّلُ عابسةٌ لما استلبنا لِكِسرى كل إسوار (٤)

٥ - وقال أبو كلبة التيمي :

لولا فوارسُ لأميلٌ ولا عُزْلٌ (٥) من اللهازم (٦) ما فِظّم (٧) بندي قار
إن الفوارسَ من عجل هم أنفوا من أن يُخاؤا لِكِسرى عرصة (٨) الدار

(١) الحبيب : الصاحب ، والحباب : الشيطان ، ويصح أن يكون تصغيراً لواحد منهما

(٢) زهاء الشيء : شخصه ، واحده كجمه ، وأشد ابن الأعرابي :

* دهماً كأن الليل في زهاها *

زهاؤها : شخصها ، يصف نخلًا يعني أن اجتماعها يرى شخصها سواداً كالليل

(٣) المنسج بكسر الميم بمنزلة الكاهل من الإنسان (٤) الاسوار بكسر الهمزة وضمها :
أشد القرس ، وقيل : هو الجيد الرمي بالسهم ، وقيل : هو الجيد اثبات على ظهر القرس ، والجمع
أساور وأساور (٥) الأميل : الذي لا سيف معه ، وقيل الذي لا رمح معه ، وقيل هو الذي
لا ترس معه ، وقيل هو الجبان ، أو هو الذي لا يثبت على ظهور الخيل ، وجمعه ميل . والعزل :
التي لا سلاح معه (٦) الهازم : بنو تميم الله بن ثعلبة (٧) في بعض الروايات : فظّم ، وفاظ
الرجل : مات ، وفي مهذب الأغاني : فظّم (٨) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها
بناء ، والجمع الراس والعرصات .

لأَقْوَا فَوَارِسٍ مِنْ عَجَلٍ بِشَكَّتِهَا (١) لِيَسُوا إِذَا قَلَّصْتَ حَرْبٌ بِأَغْمَارٍ (٢)
 قَدْ أَحْسَنْتَ ذُهْلَ بَنِ شَيْبَانَ وَمَاعِدَكَ فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ فَرَسَانَ ابْنَ سَيَّارٍ
 هُمُ الَّذِينَ أَتَوْهُمْ عَنِ شَمَالِهِمْ كَمَا تَلْبَسُ وَرَادَ بِصُدَّارٍ (٣)

٦ - وَقَالَ الْأَعْمَشِيُّ بِحِيه (٤) :

أَبْلَغُ أَبَا كَلْبَةَ التَّمِيمِيُّ مَأَلَكَةٌ فَأَنْتَ مِنْ مَعْشَرِ وَاللَّهِ أَشْرَارِ
 شَيْبَانَ تَدْفَعُ عَنْكَ الْحَرْبَ آوَنَةً وَأَنْتَ تَنْبِجُ نَبْحَ الْكَلْبِ فِي الْغَارِ

٧ - وَقَالَ الْأَعْمَشِيُّ يَوْمَ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ :

أَقَيْسُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَإِئْتِلُ
 أَطُورِينَ فِي عَامِ غَزَاةٍ وَرَحْلَةٍ أَلَا لَيْتَ قَيْسًا عَرَفْتَهُ الْقَوَائِلَ
 لَقَدْ كَانَ فِي شَيْبَانَ - لَوْ كُنْتُ عَلَا - قَبَابٌ وَفِيهِمْ رَحْلَةٌ وَقَبَائِلُ
 رَحَلْتُ وَلَمْ تَنْظُرْ وَأَنْتَ عَمِيدُهُمْ فَلَا يَبْلُغُنِي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
 فَمَرَّيْتُ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ كَمَا عَرَيْتُ مِمَّا تُعْمِرُ الْمَغَازِلَ
 لَمَلِكِ يَوْمِ الْجَنُودِ إِذْ صَبَّحْتَهُمْ كِتَابُ مَوْتٍ لَمَّا تَمِطُّكَ الْمَوَازِلَ

(١) الشكّة : السلاح (٢) رجل غمر : لا تجربة له بحرب ولا أمر ، ولم تحسكه التجارب ،
 وجهه أشمار (٣) رواية النقائض :

نحن أنينا من عند أشلمهم كما تلبس وراذ بصدار

(٤) وفي النقائض : فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة قال : صدق ، ثم قال مستنرفاً :

مق تفرن أصم بجبل أعمى
 فلست بجصر ما قد يراه
 يتيها في الضلال وفي الحسار
 وليس بسمع أبداً حوارى

٨ - وكتب لقيط الأيادي إلى بني شيبان في يوم ذي قار شعراً يقول فيه :
 قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا ، قد ينال الأمن من فزعا
 وقلدوا أسركم ، لله دركم ا رَحَبَ الدراع بأمرِ الحرب مُضْطَلِماً
 لا مُتْرَفَاً إن رَحَاهُ العيش ساعده ولا إذا عَضَ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَماً
 مازال يحلبُ هذا الدهرَ أشطَرَه (١) يكونُ متبماً طورا ومُتَبِّماً
 حتى استمرَّ على نزر مريرته مستحكماً الرأى لافحماً (٢) ولا ضراً

٩ - وقال بُكَيْرُ أَسَمُ بنِ الحارثِ بنِ عبادِ يمدحُ شيبانَ :

إن كنت ساقية الدامة أهلها فاستقي على كرمِ بني همام
 وأبا ربيعة كلها ومحلماً سبقاً بفاية أمجد الأيام (٣)
 ضربوا بني الأحرار يوم لقوهم بالمشرقِ على مَقِيلِ الهام
 شدَّ ابن قيسٍ شدَّةً ذهبت لها ذكراً له في مُتْرَقِ (٤) وشام
 عمرو وما عمرو بفحهم (٥) ذالف (٦) فيها ولا غمير ولا بُفلام

(١) حلب فلان الدهر أشطره : أي خبر ضروبه ، يعني أنه مر به خيره وشره وشدته ورخاؤه تشبيهاً بحلب جميع أخلاف الناقة ، ما كان منها حفلاً وغير حفل وداراً وغير دار (٢) القعم : الكبير من الإبل ، قال في اللسان : ولو شبه به الرجل كان حائراً (٣) في مهذب الأغاني : بفاية أفضل الأقسام (٤) في رواية : مغرب (٥) القعم : الكبير من الإبل ، ولو شبه به الرجل كان جائزاً ، وقال الجوهري : شيخ قعم : أي م كبير (٦) في الكامل : ولا داله .

٢- أيام القحطانيين فيما بينهم

وتشتمل على ما يأتي:

١- يوم البَدَادَانِ

٢- الكلاب الأول

٣- عَيْن أَبَاغٍ

٤- حَلِيمَةَ

٥- اليحاميِّمِ

٦- حروب الأوس والخزرج

١ "حَرْبُ سَمِيرٍ"

٢ "كَعْبٍ"

٣ "حَاطِبٍ"

٤ "يَوْمِ بَعَاثٍ"

٧ "سَجْبَلٍ"

المشاع
عفا الله عنه

١- يوم البرادان

كان حُجْرٌ^(١) بن عمرو بن معاوية السكندی قد أغار في كِنْدَةَ وريبعة على البَحْرَينِ فبلغ زياد بن الهُبُولَةَ^(٢) خبرهم ، فسار إلى كِنْدَةَ وريبعة وأمواهم ، وهم خُوفٌ^(٣) ، ورجالهم في غزاتهم المذكورة ، فأخذ الحریم والأموال ، وسبى منهم هند بنت ظالم زوج حُجْرٍ ؛ وسمع حجر بنارة زياد فطلبه ، وصحبه من أشرف ربيعة : عَوْفُ بن عَمَلْم بن ذهل بن شَيْبَانَ ، وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شَيْبَانَ وغيرهما ، فأدركوا عمراً بالبرادان ، وقد أمِنَ الطَّلَبُ .

فنزل حُجْرٌ في سَفْحِ جَبَلٍ ، ونزلت بكر وتغلب وكِنْدَةَ مع حُجْرٍ دون الجبل . فتمجَّل عوف بن عَمَلْم وعمرو بن أبي ربيعة وقالوا لحُجْرٍ : إنا مُتَمَجِّلَانِ إلى زياد لملنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا ؛ فسارا إليه ، وكان بينه وبين عَوْفٍ إِخَاءٌ فدخل عليه وقال له : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ^(٤) : ارْدُدْ عَلَيَّ امرأتى أمانة ، فردّها عليه ، وهي حامل^(٥) . ثم إن عمراً بن أبي ربيعة قال لزياد : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ ؛ ارْدُدْ عَلَيَّ ما أخذت من

* لحجر آكل المرار (من كندة) : على زياد بن الهبولة (من قضاة) ، والبردان : علم على مواضع كثيرة ذكرها ياقوت في معجم البلدان ، ولم يبين الموضع الذي وقع فيه ذلك اليوم .

ابن الأثير ص ٣٠١ ج ١ ، والأغانى ص ٨٢ ج ١٥

(١) حجر بن عمرو : يعرف بأكل المرار ، وهو جد امرئ القيس ، استعمله تبع ملك اليمن ، ولم يزل ملكاً حتى خرف (٢) كان زياد بن الهبولة ملكاً على الشام ، وكان من قضاة (٣) الخوف : الذين ذهبوا من الحى . ويقال أيضاً لمن حضر منهم ، وهو من الأضداد ، والمراد الأول (٤) تلك كانت تحية ملوك الشام عند العرب (٥) ولدت له بنتاً ، فأراد عوف أن يهدا فاستوهبها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال : لعلها تلد اناساً ، فتزوجها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، فولدت عمراً ، فصرف بابن أم اناس .

إلى فردّهما عليه ، وفيها فَحَلَّهَا ، فَنَازَعَهُ الْفَحْلُ إِلَى الْإِبِلِ فَصَرَاعَهُ عَمْرُو ، قَالَ لَهُ زِيَادُ : يَا عَمْرُو ؛ لَوْ صَرَغْتُمْ يَا بَنِي شَيْبَانَ الرَّجَالَ كَمَا تَصْرَعُونَ الْإِبِلَ لَكُنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ . قَالَ لَهُ عَمْرُو : لَقَدْ أُعْطِيتَ قَلِيلًا ، وَسَمَّيْتَ جَلِيلًا ، وَجَرَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَيَلًا طَوِيلًا ، وَلَتَجِدَنَّ مِنْهُ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ حَتَّى أُرْوِيَ سِنَانِي مِنْ دَمِكَ ، ثُمَّ رَكِضَ فَرَسَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ .

فَأَقْبَلَ حَجْرًا فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يُمْكِنُ يَقَالُ لَهُ الْخَفِيرُ ، أَرْسَلَ سَدُوسُ بْنُ شَيْبَانَ وَصَلِيحُ بْنُ عَبْدِ غَنَمٍ يَتَجَسَّسَانِ لَهُ الْخَبْرَ ، وَيَمْلَسَانِ عِلْمَ الْمَسْكَرِ ؛ فَخَرَجَا حَتَّى هَجَمَا عَلَى عَسْكَرِهِ لَيْلًا ، وَقَدْ قَسَمَ النَّعِيمَةَ ، وَأَطْعَمَ النَّاسَ تَمْرًا وَسَمْنًا ، فَلَمَّا أَكَلَ نَادَى : مَنْ جَاءَ بِمِزْمَةٍ حَطَبَ فَلَهُ فِدْرَةٌ (١) تَمْرٌ ؛ فَجَاءَ سَدُوسُ وَصَلِيحُ بِمِطْبَبٍ ، فَنَاولَهُمَا تَمْرًا ، وَجَلَسَا قَرِيبًا مِنْ قُبَيْتِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ صَلِيحُ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ بِمَسْكَرِ زِيَادٍ ، وَأَرَاهُ التَّمْرَ .

وَأَمَّا سَدُوسٌ فَقَالَ : لَا أَبْرَحُ حَتَّى آتِيَهُ بِأَمْرٍ جَلِيٍّ ، وَجَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ بِنَسَمْعٍ مَا يَقُولُونَ . وَهَذَا امْرَأَةٌ حُجْرٌ خَلْفَ زِيَادٍ ؛ فَقَالَتْ لُزْيَادُ : إِنْ هَذَا التَّمْرُ أَهْدَى إِلَى حُجْرٍ مِنْ هَجْرٍ ، وَالسَّمْنُ مِنْ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ .

ثُمَّ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ زِيَادٍ عَنْهُ ، فَضَرَبَ سَدُوسُ يَدَهُ إِلَى جَلِيسٍ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ خِيفَةَ أَنْ يَسْتَنْكِرَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَدَنَا سَدُوسُ مِنْ قُبَيْتِ زِيَادٍ بِحَيْثُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، وَدَنَا زِيَادُ مِنْ هَذَا امْرَأَةِ حَجْرٍ فَقَالَ لَهَا : مَا ظَنُّكَ الْآنَ بِحَجْرٍ ؟ فَقَالَتْ : مَا هُوَ ظَنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَقِينُ ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَنْ يَدْعَ طَلَبَكَ حَتَّى يُطَالِعَ الْقُصُورَ الْخُمْرَ - تَعْنِي قُصُورَ الشَّامِ - وَكَأَنِّي بِهِ فِي فُؤَادِي مِنْ بَنِي شَيْبَانَ

(١) فِدْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ : فِدْرٌ مِنْ تَمْرٍ . وَكَانَ ابْنُ الْمُبَوَّلَةِ قَدْ أَصَابَ فِي عَسْكَرِ حَجْرٍ مَا لَا كَثِيرًا .

يذمرهم^(١) ويذمرونه ، وهو شديدُ الكَلْبِ تُزبدُ شفتاه ، وكأنه بِسِيرِ آكلِ
مَرَارٍ^(٢) ؛ فَالْتَجَاءُ النَّجَاءُ ؛ فَإِنْ وراءَكَ طَالِبًا حَيْثَا ، وَجَمْعًا كَثِيفًا ، وَكَيْدًا مَتِينًا ،
وَرَأْيَا صَلِيحًا .

فَرَفَعَ يَدَهُ فَلَطَمَهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَا قَلْتِ هَذَا إِلَّا مِنْ عَجْبِكَ بِهِ ، وَحُبِّكَ لَهُ .
فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَبْفَضْتُ ذَا نَسَمَةٍ قَطُّ يُفْضِي لَهُ ، وَلَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْزَمَ مِنْهُ نَائِمًا
وَمُسْتَيْقِظًا ، إِنْ كَانَ لِتَنَامُ عَيْنَاهُ فَبِمَضْنِ أَعْضَائِهِ مُسْتَيْقِظٌ ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ النَّوْمَ
أَمْرِي أَنْ أَجْمَلَ عِنْدَهُ عُسًا^(٣) مِنْ لَيْلٍ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ وَأَنَا قَرِيبٌ^(٤) مِنْهُ
أَنْظَرْتُ إِلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَ أَسْوَدُ سَالِحٍ^(٥) إِلَى رَأْسِهِ فَنَحَى رَأْسَهُ ، فَقَالَ إِلَى يَدِهِ فَقَبَضَهَا ، فَقَالَ
إِلَى رِجْلِهِ فَقَبَضَهَا ، فَقَالَ إِلَى الْمَسِّ فَشَرِبَهُ ثُمَّ مَجَّهَ . فَقَالَتْ : يَسْتَيْقِظُ فَيَشْرِبُهُ فَيَمُوتُ
فَأَسْتَرِيحُ مِنْهُ ، فَانْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ ، فَقَالَ : عَلِيٌّ بِالْإِنَاءِ . فَأَتَيْتَهُ بِهِ ؛ فَشَمَّهُ ثُمَّ أَقْفَاهُ
فَهَرِيقٍ^(٦) ، فَقَالَ : أَيْنَ ذَهَبَ الْأَسْوَدُ ؟ فَقَالَتْ : مَارَأَيْتُهُ . فَقَالَ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ ؛ وَذَلِكَ
كَلِمَةُ بَأْذُنِ سَدُوسٍ ، فَلَمَّا نَامَتِ الْأَحْرَاسُ خَرَجَ يَسْرِي لَيْلَتَهُ حَتَّى صَبَحَ حَجْرًا ، فَقَالَ :
أَتَاكَ الْمُرْجُفُونَ بِرَجْمٍ^(٧) غَيْبٍ عَلَى دَهَشٍ وَجِشْتِكَ بِالْيَقِينِ

(١) ذممه : لومه وحضه وحنه (٢) المرار : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عنه مشايرها
قيل : سمى حجر آكل المرار من يومئذ . وقد وردت هذه العبارة في اللسان : إن ابنة كانت له
سباها ملك من ملوك سليح يقال له ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبي قد جاء كأنه جل
آكل المرار - يعني كاشراً من أنيابه ، نسى بذلك . ثم أورد سبياً آخر لهذه التسمية (لسان -
مادة مهد) (٣) المس : إناء كبير (٤) هنا اللفظ يستوي فيه الواحد والثني والجمع ، وفي
المصباح : القريب في اللغة معنيان أحدهما قريب قرب ، فيستوي فيه المذكر والمؤنث ، يقال زيد قريب
منك ، وهند قريب منك ، لأنه من قرب السكان والمسافة فكانه قيل هند موضعها قريب ، ومنه
لأن رحمة الله قريب من المحسنين . والثاني قريب فراءة فيطابق ، ويقال هند قرية ، وهما قريبتان
(المصباح واللسان - مادة قرب) (٥) أسود صالح : الشديد السواد من الحيات ؛ ويقال له : صالح
لأنه يسلخ جلده كل عام (٦) هريق : أريق (٧) المرجفون : الذين يولدون الأخبار الكاذبة ،
والرجم : التكلم بالظن .

فَن يَك قَدْ أَتَاكَ بِأَمْرٍ لَبِيسٍ قَدْ آتَى بِأَمْرٍ مُسْتَبِينٍ
ثم قص عليه ما سمع به ، فأسيف ونادى بالرحيل ، فساروا حتى انتهوا إلى عسكر
ابن الهبولة فافتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحابُ ابنِ الهبولة ، وقُتِلوا قَتْلًا ذَرِيماً ،
واستنفذت بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي ، وعرف سدوس زياداً
فحمل عليه فاعتنقه وصرعه ، وأخذهُ أسيراً ، فلما رآه عمرو بن أبي ربيعة حنَّه
فطمَن زياداً فقتله ، فغضب سدوس وقال : قتلَ أسيرى ، وديته ديةُ ملك ، فتحاكأ
إلى حُجر ، فحكَّم على عمرو وقومه لسدوس يديةَ ملك ، وأعطاهم من ماله ، وأخذ حُجر
زوجته هنداً فرَبَطها في فرسين ، ثم ركضهما حتى قطعاهما ، وقال فيها :

إِنْ مَنُ غَرَّهَ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَّغْرُودٌ
حُلُوةَ التَّمِينِ وَالْحَدِيثِ وَمَرَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ أَجَنٌّ مِّنْهَا الضَّمِيرُ
كُلُّ أُنْثَى - وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحَبِّ - حُبِّهَا خَيْتَمُورٌ (١)

(١) خينمور : كل شيء يتلون ، ولا يدوم على حال .

* قال ابن الأثير بعد إيرادِه لهذا اليوم : ليس زياد بن هبولة ملكاً على الشام ، لأن ملوك سليج
كانوا بأطراف الشام مما على البر من قسطنطين إلى قنسرين والبلاد للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه
البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً للوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالاً للوك القرس ، ولم تكن سليج ولا
غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرّد والاستقلال . وزياد بن هبولة السليجي
ملك مشارف الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل ، لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو
ابن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بال عراق أيام قباذ أنوشروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة
وثلاثين سنة ، وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليج ستائة سنة ، وقيل خمائة ، وأهل
ما سمعت فيه ثلاثمائة وست عشرة سنة ، وكانوا بعد سليج ، ولم يكن زياد آخر ملوك سليج فتريد
للدقة زيادة أخرى ، وحيث أطبقت رواية العرب على هذه الفزاة فلا بد من توجيهها ، وأصلح
ما قيل فيه : إن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام
حتى يستقيم هنا القول . على أن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر أن ابن هبولة من سليج بل
قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان

٢- يوم الكلاب الأول

كان الحارثُ بن عمرو المقصور^(١) بن حُجْرٍ آكل الرار قد ملك الحيرة في أيام قباد بن فيروز ملك الفرس لدخوله في دين الزدكية^(٢) الذي دعا إليه ، بعد أن نفي المنذر بن ماء السماء^(٣) عنها . واشتغل بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، ففاسدت^(٤) القبائل من زرار ؛ فاتاه أشرافهم ، وشكّوا إليه ما حلّ بهم من غلبة السفهاء ، وحُكْم الأقبواء ، وطلبوا إليه أن يملك أبناءه عليهم . فلما ك ابنه حُجْرٌ آ على بنى أسد و غطفان ، وابنه سُرخيلا على بكر بن وائل بأسرِها وعلى بنى حنظلة ، وملك ابنه معد يكرب على بنى تغلب والنمير بن قاسط وسمد بن زيد ، وملك ابنه سلّمة على قيس عيلان .

ثم إن الحارث خرج يتصيد فرأى جماعة من حمر الوحش فشده عليها ، وانفرد منها حمارٌ فتتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كَيْده ، فطلبتة الخيلُ ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتى به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوى على النار وأطعم من كَيْده وهي حارة ، فمات .

* لعلمة بن الحارث بن عمرو المقصور آكل الرار على أخيه شرحبيل . والكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة .

الأغانى ص ٦٠ ج ١١ ، معجم البلدان (كلاب) . ابن الأثير ص ٣٣١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٥٣ ج ٣ ، شرح ديوان امرئ القيس ١٨٩

(١) سمى المقصور ؛ لأنه قصر على ملك أبيه حجر بعد موته (٢) الزدكية : أتباع مزدك ، وهو فيلسوف إباحي ظهر في فارس على عهد قباد ، ودعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم ، وأيده قباد وصانف رواجاً عند الكثيرين من الفرس (٣) وكان سبب نفي المنذر عن الحيرة أن قباد دعا له أن يدخل في دين الزدكية ، فأبى حمية وأنفة ؛ ففاه وقرب الحارث وملكه بعد أن أجاب دعوته إلى الذبح الزدكي (٤) تفاسدت القبائل : قطعت الأرحام .

ولما هلك الحارثُ تشتت أمرُ أولاده وتفرقت كلمتهم ، ومشى بينهم الرجال ، وتقامم أمرهم حتى جمع كلُّ واحد منهم لصاحبه الجموع ، وزحف إليه بالجيوش .
 وبلغت العداوة أشدها بين شُرْحَبِيل وسَلَمَةَ ، يَفْضُلُ المنذر الذي عاد إلى الحيرة بعد هلاك قُبَاذ ، وأخذ يُفَرِّق بين الأخوين .

وسار شرحبيل ومن معه حتى نزلوا « الكُلاب^(١) » وأقبل سَلَمَةَ فيمن معه ، وكان نُصحاء شُرْحَبِيل وسَلَمَةَ نَهَوْهُما عن الفساد والتحاسد ، وحذروهما عتراتِ الحرب ، وسوء منبئتها ، فلم يقبلا ولم يبرحَا ، وأقاما على التنايع^(٢) واللجاجة في أمرهما ، واقتتل القوم قتالا شديداً ، وثبت بعضهم لبعض . فلما كان آخر النهار نادى منادى شُرْحَبِيل : مَنْ أَنَاي برأس سَلَمَةَ فله مائةٌ من الإبل ؛ ونادى منادى سَلَمَةَ : مَنْ أَنَاي برأس شُرْحَبِيل فله مائة من الإبل .

واشتدَّ القتال حينئذ ، كلُّ يطلب أن يظفرَ لملهُ إلى قتل أحد الرجلين ليأخذَ مائةً من الإبل ؛ وكانت الغلبةُ لسَلَمَةَ وأتباعه ، ومضى شُرْحَبِيل منهزماً ، فقبمه من بني تغلب ذو السُنَيْنَةِ^(٣) ، فالتفت إليه شرحبيل ، وضربه على ركبته فأطن^(٤) رجله .

وكان لدى السُنَيْنَةِ أخٌ لأمه اسمه عصيم بن مالك الجُشمي ، ويكنى أبا حنشل فقال له إذ رآه : قتلى الرجل ، ثم هلك ، فقال أبو حنشل لشُرْحَبِيل : قتلى الله إن لم أقتلك ، وحمل عليه حتى أدركه . فقال : يَا أَبَا حَنْشِل ؛ اللَّيْنُ اللَّيْنُ^(٥) ! فقال : قد هَرَقْتَ لَبَنًا كَثِيرًا .

(١) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبلة وشعام على سبع ليل من اليمامة (ياقوت) (٢) التنايع : يقال يتنايع في الأمور أي يرى بنفسه فيها من غير تثبت .
 (٣) اسمه حبيب بن عتيبة من جهم بن بكر ، وكانت له سن زائدة (٤) أطن رجله : قطبها .
 (٥) يريد الدية .

قال شرحبيل: يا أبا حنن، أملكنا بسوفة، فقال: إن أخي كان ملكي، ثم طمأنه وألقاه من فرسه، ونزل إليه، فأخذ رأسه^(١)، وبث به إلى سلمة مع ابن عم له اسمه أبو أجا بن كعب، فأتاه وألقى الرأس بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقىته إلقاء رفيقاً! فقال: ما صنع بي وهو حي شر من هذا. فقال سلمة: وقد دمت عيناه! أنت قتلتها؟ فقال: لا؛ ولكن قتله أبو حنن. وعرف أبو أجا الندامة في وجه سلمة، وظهر عليه الجزع لموت أخيه، فهرب وهرب أبو حنن، ثم نظر سلمة إلى رأس أخيه وبكى وقال^(٢):

ألا أبلغ أبا حنن رسولا فما لك لا تجي إلى الثواب
تلمم^(٣) أن خير الناس طراً قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جماسيس^(٤) الرباب^(٥)
قتيل ما قتيلك بائن سلمى^(٦) تضر به صدقك أو تحابي

وبلغت الأبيات أبا حنن فقال مجيباً:

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو حباء أهلك يوم صنبيعات^(٧)

(١) وقول امرؤ القيس في مقتل شرحبيل وهلاك آياته:

وقد طوفت في الآفاق حتى ورضيت من الفتيمة بالآباب
أبعد الحارث الملك ابن عمرو وبعد الحبر حجردى القباب
واعلم أنني محمداً نليس سأنتب في شبا ظفر وناب
كما لاقى أبي حجر وجدى ولا أنسى قبلاً بالكلاب

(٢) قيل إن هذا الشعر لم يذكره بكر أخى شرحبيل، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن حربهما
(٣) تلمم: أعلم (٤) الجماسيس: جمع جمسوس، وهو القصير الدم (٥) الرباب: أحباء
ضبة، وقد كانت هي وجشم بن بكر مع شرحبيل (٦) سلمى: أم أبي حنن، وهي بنت عدى
ابن ربيعة، بنت أخى كليب (٧) صنبيعات: موضع ذكره ياقوت، وارجع أيضاً إلى التفاض
ومجم الأمثال، ففيها: قوله يوم صنبيعات: إن ابناً للحارث كان مسترضاً بين حين من العرب تميم
وبكر، فأت بهما لدغته حية فأخذ خمسين رجلاً من بكر قتلهم بذلك.

فكانت قَدْرَة شغاء تهفو قلّدا أوبك إلى الملت (١)
 وسمع بقتل شُرْحَيْبِل أخوه معد يكرّب - وكان صاحب سلامة ، معزّلاً عن جميع
 الحروب - فقال يرثيه :

إِن جَنَّبِي عَنِ الْفَرَّاشِ لِنَابِ كَتَجَاقِ الْأَسْرِ فَوْقَ الظَّرَابِ (٢)
 مِنْ حَدِيثِ نَمَا إِلَى فَمَا تَرَى قَا عَيْنِي وَلَا أُسْبِغُ شَرَابِي
 مَرَّةً كَالذُّعَافِ أَا كَتُمَهَا النَّاسُ سَ عَلَى حَرٍّ مَلَّةً (٣) كَالشَّهَابِ
 مِنْ شُرْحَيْبِلَ إِذْ تَمَاوَزَهُ الْأَرْضُ مَاحَ فِي حَالِ لَذَّةٍ (٤) وَشَبَابِ
 يَا بَنَ أُمِّي وَلَوْ شَهِدْتِكَ إِذْ تَدَّ عُو تَيْمًا وَأَنْتَ عَيْرٌ مُجَبَّبِ
 يَوْمَ ثَارَتْ بَنُو تَيْمِمْ وَوَلَّتْ خَيْلُهُمْ بَيْتَيْنِ بِالْأَذْنَابِ
 وَيُحْكَمُ يَا بَنِي أَسَيْدِ إِنِّي وَيُحْكَمُ رَبِّكُمْ وَرَبُّ الرِّبَابِ
 أَيْنَ مَعْطِيكُمْ الْجَزِيلَ وَحَاسِيَكُمْ عَلَى الْفَقْرِ بِالْمِئِينَ اللَّبَابِ (٥)
 فَارِسُ يَطْمُنُ السَّكَاةَ جَرِيٌّ تَحْتَهُ قَارِحٌ (٦) كَلَوْنُ الظَّرَابِ

ولمّا قُتِلَ شُرْحَيْبِلُ قام عوف بن شَجْنَةَ في قومه من بني سمد دون عياله فممنوم ،
 وحلوا بين الناس وبينهم ، ودفنوا عنهم حتى ألحقوم بقومهم ومأمنهم ، وبلغ امرأ القيس
 ابن أخي شُرْحَيْبِلِ أمرهم مع عمه فقال يمدحهم ؛ ويمرض بيني حنظلة الذين خذلوه :

(١) قال مطلق الأغانى (ص ٦٢ ج ١١ ساسي) قال هشام : قلت لأبي : أي شيء كان جباه
 أيه يوم صنيمات ؟ قال : كان للحارث بن عمرو غلام مسترضع في بني تميم ويكر ، وكانوا يقيمون
 في صنيمات ، فهبت حية الغلام ، فاتهم به الحيين جيماً ، فجاءوا يمتدنون إليه ، بأنهم لم يقتلوه ،
 فقال : ائتموني بأمان حتى أسأل عن ابني وما حاله ، فأثاه من هؤلاء وهؤلاء ثم قتلهم جيماً .
 (٢) يقال بغير أسر : إذا كان في سرته داء فيتجافى إذا يرك ، والظراب : جمع ظرب ، وهو
 ما تأ من الحيلولة (٣) للسلة : الجمر (٤) في الفسان : في حال صبوة (٥) الباب : خيار
 الإبل (٦) القارح : القرس .

أَحْتَضَلَّ لَوْ حَامَيْتُمْ وَصَبَرْتُمْ لَأَتَيْتُ خَيْرًا صَالِحًا وَلَا رِضَانِي
 أَلَا إِنْ قَوْمًا كُنْتُمْ أَمْسَ دُونَهُمْ هُمْ مَتَمَّوْا جَارًا لَكُمْ أَلْغُدْرَانُ (١)
 ثِيَابَ بَنِي عَوْفٍ طَهَارِي تَقِيَّةً وَأَوَجَّهُمْ عِنْدَ الشَّاهِدِ غُرَّانُ (٢)
 عُوَيْرٌ (٣) وَمِنْ مِثْلِ الْعُوَيْرِ وَرَهْطُهُ وَأَسْمَدٌ (٤) فِي لَيْلِ الْبَلَابِلِ صَفْوَانُ
 هُمْ أَبْلَغُوا حَى الْمَضَلِّ أَهْلَهُمْ وَسَارُوا بِهِمْ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانَ
 فَقَدْ أَصْبَحُوا - وَاللَّهُ أَصْفَاهُمْ بِهِ - أَيْرٌ بِمِثَاقٍ وَأَوْفَى بِجِدَارِ

(١) قال الوزير أبو بكر شارح ديوان امرئ القيس : يقول : ألا إن قوماً نزلت عليهم وتحمرت بهم هم متموا جاراً لكم بالأمس دونهم ، أي كنت بالأمس جاراً لكم دونهم ، فأردتم أن تلمدوا بي وأضمرت ذلك ، فأتم أهل غدر (٢) قال في اللسان : رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه من قوم غر وغران ، ثم أئسد هذا البيت . وفيه إقواء (٣) عوير : هو عوف بن شحنة ، وصفوان من سادات بني سعد ، والمضلل : يريد شرحبيل ، وقال شارح الديوان : المضلل : المخير الذي لا يدري أين يتوجه ، ولا حيث يأخذ ، يريد أن قبائل العرب كانت تتحاماه ولا تجهده ، خوفاً من الملك الذي كان يطلبه (٤) أسعد : أعان ، في ليل البلابل : في الهجوم والانسكاح كأنه خفف بعضها .

٣. يَوْمَ عَيْنِ أَبَاغٍ

سار المنذر^(١) بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة في ممدّ كلّمها حتى نزل بعين أبّاغٍ ، فأرسل إلى الحارث^(٢) الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام وقال له : إما أن تعطيني الغدية فأصرفَ عنك بجنودى ، وإما أن تأذنَ بحرب .

فأرسل إليه الحارث : أنظرنا ننظر في أمرنا ، فجمع عساكره ، وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له : إنا شيخان ، فلا تُهلك جنودى وجنودك ، ولكن يخرجُ رجل من ولى ، ويخرج رجل من ولدك فمن قُتل خرج عِوضه آخر ، وإذا فِئى أولادنا خرجت أنا إليك ، فن قتل صاحبه ذهب بالملك ، وتماهدا على ذلك .

فعمد المنذر إلى رجل من شُجَمان أصحابه ، وأمره أن يخرج فيقف بين الصّمين ، ويُظهر أنه ابنُ المنذر ، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كِرب ، فلما رآه رجع إلى أبيه وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، إنما هو عبده ، أو بعض شجمان أصحابه .

* الحارث الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام على المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة . وعين أبّاغٍ . واد وراء الأنبار على طريق القررات إلى الشام .

ابن الأثير من ٣٢٦ ج ١ ، القدر القريد من ٣٧٤ جزء ٣ ، ديوان الحماسة من ٣٤٦ ج ٢ ، شواعر العرب من ٥٦ ، لسان العرب من ٢٩٨ ج ١٠ ، معجم البلدان من ٦٨ ج ١ ، تاريخ العرب القديم (للشيخ محمد فخر الدين) من ٣٨ ، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجى زيدان) .

(١) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وفتحاً ، عاصر من ملوك الفرس قباذ وابنه آوشروان ، ومن قياصرة الروم الامبراطور جستيان ، ومن الفساسنة الحارث الأكبر المذكور . في هذا اليوم ، وفي بعض الروايات إنه صاحب يوى النيم والبؤس (٢) الحارث بن جبلة : أشهر ملوك غسان وأعلام همه وأبعدم صوتاً ، وهو القى سهل لامرئ القيس طريق الوصول إلى قيصر توفي سنة ٤٥٦ م .

قال : يا بني ، أجزعت من الموت ؟ ما كان الشيخُ ليَندِر ! فناد إليه وقاله ،
 قتلته الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر وطد ؛ فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله ،
 والطلب بثار أخيه ، فخرج إليه ، فلما واقفه رجع إلى أبيه ، وقال : يا أبت ؛ هنا
 والله عبدُ المنذر ، فقال : يا بني ؛ ما كان الشيخُ ليَندِر ! فناد إليه ، وشدّ عليه
 الرجل وقتله .

فلما رأى ذلك شير بن عمرو الحنفي ، وكان مع المنذر - وكانت أمه غسانية -
 قال له : أيها الملك ؛ إن النذر ليس من شيم الملوكة ولا الكرام ، وقد غدرت يا بني
 عمك دفتين .

فغضب المنذرُ وأمر بإخراجه ، فلحق بمسك الحارث وأخبره ، فقال له : سل
 حاجتك ، فقال له : حُلَّتْكَ وخُلَّتْكَ^(١) . فلما كان الند حرض الحارث أصحابه -
 وكان في أرباب ألقا - واصطفوا للقتال ، فانتصروا قتالاً شديداً ، فقتل المنذر ،
 وهزمت جيوشه .

فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحُمِلَا على بعير بمنزلة المدلين^(٢) ، وجعل
 المنذر فوقهما فرداً ، وقال : بالدلاوة بين المدلين ، وسار إلى الحيرة فنهبا وأحرقها ،
 ودفن ابنيه بها ، وبني النريين^(٣) عليهما .

وفي ذلك يقول ابن الرعلاء الضبابي :

كم تركنا بالمسين عين أباغ من ملوك وسوقة أكفاء

(١) الخلة : الصداقة (٢) المدل : التل ، ويقال : طاله في الحمل ركب معه (٣) النريان :
 بناءان بالكوفة ، وفي بعض الروايات : إن الذي بنى النريين هو النعمان بن المنذر على قبري
 ندييه .

أمطرهم سحبُ اللوتِ تَرَى إن في اللوتِ راحةَ الأشقياءِ
 ليس من مات فاستراح يَمِيتُ إنما لليتِ ميت الأحياءِ
 وفي ذلك اليوم قُتِلَ فِرْوَةٌ وقيس ابنا مسعود بن عامر ، قالت ابنة فِرْوَةَ^(١)
 ترى أباهما :

بَسِينُ أَبَاغٍ فَاصْحَمْنَا لِلنَّابَا فكان قسيبها خيرا القسيم^(٢)
 وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذالك الرمحُ يكلفُ بالكرم^(٣)

(١) في لسان العرب : إن ثلاثة هذه الآيات إنما هي ابنة للتندر في أبيها (٢) للتي : إن التاي لما فاصمنا أخذت خير قسم ، وما للريان (٣) ماجدا انصب على أنه فعول مقدم والمعنى ؛ تدعوا : ماجداً منكم قتلنا . فأجيبوا : الرمح يمتق الكرم ويولج بهم مثل ذلك . ورواية اللسان بضم الياء الثاني على الأول ، وروى البيت الثاني :

وقالوا لمرسا منكم قتلنا قتلنا الرمح يكلف بالكرم



٤. يَوْمَ حَلِيمَةَ

لا تولى المنذرُ بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة^(١) ، واستقرَّ في ملكه سار إلى الحارث النسائي^(٢) طالباً بثأر أبيه عنده ، وبعث إليه : إني قد أعددت لك الكُمُول على الفُحول^(٣) ، فأجابه الحارث : قد أعددت لك الرُّد على الجُرْد^(٤) . وسار المنذر حتى نزل بِمَج حليمة ، وسار إليه الحارث أيضاً ، ثم اشتبكوا في القتال ، ومكثت الحربُ أياماً ينتصف بعضهم من بعض .

فلما رأى ذلك الحارث قعد في قصره ، ودعا ابنته حليمة ، وكانت من أجل النساء ، فأعطاهها طيباً وأمرها أن تطيب من مرَّ بها من جُنده ، فجملوا بمرّون بها وتطيّبهم^(٥) ، ثم نادى : يا فتیان غسان ؛ من قتل ملك الحيرة زوّجته ابنتي . فقال لبيد بن عمرو النسائي^(٦) لأبيه : بأبت؛ أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة ،

* للحارث الأعرج بن جبلة ، ملك العرب بالثمام على المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، ملك العرب بالحيرة ، وحليمة هي بنت الحارث ، وفي هذا اليوم ضرب المثل : ما يوم حليمة بسر .

ابن الأثير ص ٣٢٨ ج ١ ، الفضليات ص ١٨٧ ، معجم البلدان ص ٣٣٠ ج ٣ ، خزائن الأدب ص ٣٠٣ ج ٣ ، نهار القلوب ص ٢٤٨ ، رغبة الأمل من شرح السكامل (للمرصني) ص ٣٣ ج ١ مجمع الأمثال ص ٢٠٢ ج ٢ ، تاريخ العرب القدامى (لشيوخ محمد فخر الدين) ص ٤٤ ، تاريخ العرب قبل الإسلام (لبورجي زيطان) ص ١٩٣

(١) كان يلقب بالأسود ، ولم يمكث في الملك طويلاً مات سنة ٥٨٢ م (٢) في ابن الأثير: إن الحارث هنا هو صاحب يوم عين إبّاغ ، ويرى جورجى زيطان ، أنه غيره ، (ص ١٩٣) من تاريخ العرب قبل الإسلام (٣) الفحول : الذكور من كل حيوان ، والسكحول : جمع كهل وهو من كانت سنه بين الرابعة والثلاثين والحادية والخمسين (٤) الرد جمع أجرد وهو الشاب طر شاره ولم تنبت لحينه ، والجرد : جمع أجرد وهو القرس السباق (٥) وفي خزائن الأدب : إنها أخرجت لهم مركناً من طيب وتطيّبهم (٦) قال الحارث بن أبي شمر عنه لابنته : هو أرحام عندي ذكاه فؤاد .

ولدت أرضى فرسى فأعطينى فرسك ، فأعطاه فرسه ، فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة
شد لييد على المنذر فصر به ضربة ، ثم ألقاه عن فرسه ، وانهزم أصحاب المنذر من كل
وجه ، ونزل لييد فاحتز رأسه ؛ وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره بنظر إليهم ،
فألقى الرأس بين يديه ، فقال له الحارث : شأنك يا بنت عمك ^(١) ، فقد زوجتكها .
فقال : بل أنصرف فأوأسى أصحابي بنفسى ، فإذا انصرف الناس انصرفت .

ورجع فصادف أبا المنذر قد رجع إليه الناس وهو يُقاتل ، وقد اشتدت نكايته ،
فتقدم لييد فقاتل حتى قُتل ، ولكن لخمًا انهزمت ثانية ، وقتلوا في كل وجه .
وانصرفت غسان بأحسن الظفر ، بعد أن أسروا كثيرًا من كانوا مع المنذر
من العرب .

وكان من أبرهم الحارث مائة من بني تميم ، فيهم شأس بن عبدة ، ولما سمع أخوه
علقمة ^(٢) وفد إليه مُستشفعًا وأنشده هذه القصيدة :

طَحَابِكْ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَحَانَ مَشِيبُ ^(٣)
بُكَلْفِي لَيْلِي . وَقَدْ شَطَّ وَلِيهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ ^(٤)
مُنَاعِمَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تَزَارَ رَقِيبُ ^(٥)
إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تَقْشِرْ سَرَّهُ وَتُرْضَى إِيَابَ الْبَعْلِ حِينَ يَتُوبُ
فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَمَّرٍ سَقَمْتُكَ زَوَابَا الزُّنِّ حَيْثُ تَصُوبُ ^(٦)

(١) يريد حليمة (٢) هو علقمة بن عبدة العجل ، ولقب بالفضل لأنه غلب امرأة القيس - وكان
معاصرة له - في الشعر ، وتزوج أمه ، وله ديوان مطبوع توفي سنة ٦٥١ م (٣) طحا : ذهب
في مذهب بيد ، وطروب : كثير الطرب ، وحان : قرب (٤) شط : بعد ، وليها : قربها ،
والوادي : حوادث الأيام (٥) اللامعة : المرأة الحسنة الفناء كالنمسة ، وروى في المفضليات : نمسة
(٦) المنسر : التي لم يجرب ، والروايا : الإبل التي تحمل الماء ، شبه سحائب الزن بها .

سَقَاكَ يَمَانٍ ذُو حَيْمَةٍ وَعَارِضٌ ۚ تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ النَّوَى جُنُوبٌ (١)
وَمَا أَنْتَ؟ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَيْبِيَّةٌ يُنْخَطُّ لَهَا مِنْ تَرْمَدَاهُ قَلْبٌ (٢)
فَأَنْتَ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَأَنْتَى خَيْرٌ (٣) بِأَدْوَاءِ النَّسَاءِ طَلِيبٌ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الرَّءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدْهِنِ نَعِيبٍ
يُرْدُنُ تَرَاءَ السَّالِ حَيْثُ عَلِمْتَهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عَسَدُنُ عَجِيبٌ
فَدَعَهَا وَسَلَّ الْمَمَّ عَنْكَ بِجِسْرَةٍ كَهَمِّكَ فِيهَا بِالرَّدَاكِ خَيْبٌ (٤)
وَتَاجِيَةٌ أَفْنَى رَكِيبٍ ضَلُوعَهَا وَحَارِكَهَا نَهْجَرٌ فَدُهُوبٌ (٥)
تَتَّبِعُ أَقْيَاءَ الظَّلَالِ عَشِيَّةٌ عَلَى طَرَقِ كَأَنَّهَا سُبُوبٌ (٦)
بِهَا حَيْفُ الْحَسْرَى فَأَمَا عِظَامَهَا فَيَفِضُ وَأَمَا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ (٧)
فَأوردُهَا مَا كَانَ جِمَامَهُ مِنَ الْأَجْنِ حِنَاءً مِمَّا وَصِيْبٌ (٨)
تُرَادَى عَلَى دِمْنِ الحِيَاضِ ظَنْ تَفَّ ظَنْ لِلنَّدَى رِحْلَةٌ فَرُكُوبٌ (٩)

(١) المي: الحطب (٢) أم: حرف رد به الاستهزاء به، وذكرها: تذكرها ورؤية: منسوبة للربيعة، ويخط فيها من الخط وهو الحفر. وترمداه: موضع معروف بالحصب. والقلب: البئر. يقول: ما شئتك نيسلت حلك من صحو لك سكرة، أم ما قد كرك ليلي وهي ربيعة ذات غنى وسعة. ورواه في اللسان: أما ذكرها ربيعة (٣) في التفضيلات: بصير (٤) الجسرة: الناقة للخصية، وكهمك: كزمتك، والرداف: جمع رديف وهو من يركب خنك، والمخيبي نوع من البير (٥) التاجية: الناقة تجوز ركابها، والركيب: ملوك على الضلوع من النعم، والملاوك عظم مشرف من جانبي الكاهل هو التهجير: البير في المجازة هو الدهوب: للبالغة في البير (٦) يريد بالسبوب: ما تنسجه بالهاريذ الرياح الحلوة (٧) الحسرى من الإبل التي كانت وتمت، والصليب: الصديد (A) جملة: مياهه الكثيرة، والأجن: اختلاط الماء بغيره، والصيب: الدم، وصف الماء بالخير ليد الهد (٩) ترادى: ترلود، والدمن: بجة الماء في الحوض، والتدية: أن تورد الإبل فتشرب قليلا، ثم ترعى، ثم ترد إلى الماء.

مَوْلَمَةٌ تَخْشَى الْقَنْيَصَ شَبُوبٌ ^(١)	وَتُصْبِحُ عَنْ غِيبِ الشَّرَى وَكَأَنَّهَا
رِجَالٌ فَبَدَّتْ نَبْلَهُمْ وَكَلِيبٌ ^(٢)	تَعَفَّقُ بِالْأَرْطَى لَهَا وَأَرَادَهَا
لَكَكَلِكَلَهَا وَالْقَصْرَيْنِ وَجِيبٌ ^(٣)	إِلَى الْحَرْثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقِي
فَقَدَّرْتُ بَنِيَّ مِنْ نَدَاكَ قَرُوبٌ ^(٤)	لِتُبَلِّغَنِي حَارَ امْرِئٍ كَانَ نَائِيًا
بِمُسْتَبَهَاتٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيبٌ ^(٥)	إِلَيْكَ أَيْتَ اللَّحْنِ كَانَ وَجِيفُهَا
لَهُ فَوْقَ أَصْوَاءِ اللِّتَانِ عُلُوبٌ ^(٦)	هَدَانِي إِلَيْكَ الْفَرَقْدَانُ وَلَا حِبُّ
وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِعْتُ رُبوبٌ ^(٧)	وَأَنْتِ امْرُؤٌ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَاتِي
وَعُودِرٌ فِي بَعْضِ الْجَنُودِ رَيْبٌ ^(٨)	فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَيْبَهَا
لَأَبِوَا خَزَايَا وَالْإِيَابِ حَيْبٌ ^(٩)	فَوَالِقِدِ لَوْلَا فَارِسُ الْجَوْنِ مِنْهُمْ
وَأَنْتِ لِيَبِضِ الدَّارَعَيْنِ ضَرُوبٌ ^(١٠)	تَهْدُمُهُ حَتَّى تَمِيبَ حُجُولُهُ
عَقِيلًا سِيُوفٍ مِخْدَمٌ وَرَسُوبٌ ^(١١)	مُظَاهِرٌ سِرْبَالِي حَسِيدٍ عَلَيْهِمَا

(١) غيب كل شيء : آخره ، والمولمة : البقرة الوحشية ، والقنيس : الصائد ، والشبوب : النابتة من البقر (٢) تعفقت : لاذت ، والضمير للمائد ، والأرطى : شجر ، وبنت : سبت ، والكليب : جماعة الكلاب : يحميه نائته في شدة عدوها عقب سيرها ليلابقرة وحشية تحذر قتيلاً تولد في شجر الأرطى ليختلها ، وقد أعد لها نبلاً وكلاياً فرماها بهما فسبقتهما ولم يدركهما

(٣) أمعمل الناقة : ساقها ، والكلكل : الصدر ، والقصرين : ضلعان ، والوجيب : الحفظان

(٤) القروب : اسم الناقة (٥) الوجيف : نوع من سير الأيل ، وللمستبهات : الطرق النامضة ، ومهيب : يهاب الناس اقتحامه (٦) اللاحب : الطريق الواضح ، وأصواء اللتان : ما فلفظ على متن الأرض ، واللوب : الآثار ؛ يصف وضوح الطريق بآثار السيلة (٧) أفضت : انتهت ، وأماتي : طاعتي ، والربوب كالأرياب (٨) ريبها : هو التنذر (٩) فارس الجون : هو الحارث النسيء ، والجون فرسه ، وضمير منهم راجع إلى انسانين ، يقول لولا لثلبت كتاب التنذر جنود الشام (١٠) تهدمه : الضمير راجع إلى القرس (الجون) (١١) ظاهرين درعين ، أي ليس لهما فوق الأخرى ، والسربال : المهرج ، وعقيل كل شيء : أكرمه ، ومخدم ورسوب : سيفان .

فجالدَنَّهُمْ حَتَّى اتَّقَوْكَ بِكَيْدِهِمْ وَقَاتَلَ مِنْ غَسَّانِ أَهْلِ حِفَاظِهَا
 وَهَنْبٌ وَفَأَسْ جَالَدَتْ وَشَيْبٌ (١) تُخَشِّخِشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ
 كَاخْشَخَشَتْ يُبْسُ الْحِصَادِ جُنُوبٌ (٢) تَجْمُودُ بَنْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا
 وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ الْإِقَاءِ خَصِيبٌ (٣) كَأَنَّ رِجَالَ الْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ
 وَمَا جَمَعَتْ جُلٌّ مَعًا وَعَتِيبٌ (٤) رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فِدَاخِضٌ
 بِشِكْنِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبٌ (٥) كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ
 صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ رَيْبٌ (٦) فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةً يَلْجَأُهَا
 وَإِلَّا كَمَى ذُو حِفَاظٍ كَأَنَّهُ وَإِلَّا كَمَى ذُو حِفَاظٍ كَأَنَّهُ
 بِمَا ابْتَلَى مِنْ حَدِّ الطُّبَاةِ خَضِيبٌ (٨) وَأَنْتَ الَّذِي آتَاهُ فِي عَدُوِّهِ
 مِنَ الْبُؤْسِ وَالنَّمَمِ لَهْنٌ نُدُوبٌ (٩) وَفِي كُلِّ حَىٍّ قَدْ خَبِطَتْ بِنَمْمَةٍ
 فَحَقُّ لَشَأْسٍ مِنْ نَدَاكِ ذُنُوبٌ (١٠) فَلَا مَحْرَمِي نَائِلًا مِنْ جِنَابَةٍ
 فَأَتَى أَمْرًا وَسَطَ الْقِيَابِ غَرِيبٌ (١١)

(١) هنب وفأس وشيب: أحياء في العرب (٢) الحشخشة: صوت الثوب الجديد إذا تحرك ،
 والأبدان: الدروع ، والجبوب: ريع (٣) خصيب: كريم لا يضمن بنفسه (٤) لبانه: أي
 لبان فرسه ، والأوس وجل وعتيب: قبائل (٥) رغا فوقهم سقب السماء: يعني أنهم قد استوصلوا
 وهلكوا كما هلكت نمود حين هقروا الناقة فرغا سقبا ، والسف ولد الناقة ، والداخض الذي يحرك
 رجله عند الموت ، والشكة جملة السلاح ، كأن القتلى أكبر من أن يحاط بهم فنهزم من سلب ومنهم
 من لم يسلب (٦) صابت: من الصوب وهو نزول المطر ، والصواعق: النار التي تسقط من السماء
 مع الرعد ، ولطيرهن: يريد لها تطاير منها (٧) الشطبة: القرس السبطة اللحم ، والطمير:
 القرس المستعد للوئب ، والنجيب: الكرم من الخيل (٨) خضيب: مخضوب بحمرة
 (٩) الندوب: آثار الجرح (١٠) الذنوب: النصيب (١١) يربد بالنائل: إطلاق لشأس ،
 والجنابة: البعد والغربة ، ومناه: لا تحرمي بعد غربة وبعد عن ديارى .

ولما بلغ إلى قوله : « فحقّ لشأس من نذاك ذنُوب » قال الملك : أى والله وأذنبه ، ثم أطلق شأسا وقال له : إن شئت الحياء ، وإن شئت أسراء قومك . وقال لجلسائه : إن اختار الحياء على قومه فلا خيرَ فيه ، فقال : أيها الملك ، ما كنت لأختارَ على قومى شيئاً ، فأطلق له الأسرى من نعيم وكساء وجبّاه ، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزوّدهم زاداً كثيراً ، فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا له : أنت كنتَ السبب فى إطلاقنا ، فاستمِنَ بهنا على دهرِك ، فحصل له كثير من إبل وكسوة وغير ذلك .

٥. يوم اليحاميّ

كان المارثُ بن جَبَلَةَ النَّسَائِيّ قد أصلح بين قبائل طيِّ، فلما حاك ملحت إلى حربها، فالتقت جَدِيْلَةُ والنَّوْثُ بموضع في حرب، فقتل قائدُ بني جَدِيْلَةَ وهو أَسْبَحُ ابن عمرو بن لأم، وأخذ رجلٌ من سِنِّيْسٍ أُذنيه فخصفَ بهما نَمْلِيه. وفي ذلك قال أبو سروة السَّنِيْسِيّ :

فَخَصِفَ بِالْأَذْنَانِ مِنْكُمْ نَمْلَانَا وَتَشْرَبُ كُرْهًا مِنْكُمْ فِي الْجَاهِمِ
وتناقل الحيّان في ذلك أشملاً كثيرة .

وعظم ما صنعت النَّوْثُ على أوس بن خالد بن لأم، وهزم على لقاء الحرب بنفسه، وكان لم يشهد الحروب للتقدمة، هو ولا أحد من رؤساء طيِّ، كحاتم بن عبد الله، وزيد الخليل، وغيرهم من الرؤساء؛ فلما تجهز أوس للحرب، وأخذ في جمع جديده ولقها قال أبو جابر:

أَقِيمُوا عَلَيْنَا الْقَصْدَ يَا آلَ طِيٍّ وَإِلَّا فَنَنْزِلُ الْهَمَّ عِنْدَ التَّحَايِبِ
فَنَمِثْلُنَا يَوْمًا إِنْهَا الْحَرْبُ شَمَرَتْ وَمِنْ مِثْلُنَا يَوْمًا إِنْهَا لَمْ تَحَايِبْ
ولم يخ النَّوْثُ جمعُ أوس لها، وأوقعت النار على ذروة أجباً^(١) - وذلك أول يوم توفد عليه النار - فأقبلت قبائل النَّوْثُ، كل قبيلة وعليها رئيسها؛ ومنهم زيد الخليل، وحاتم .

* نوث طي جديلة (كلاماً من طي) ويرى أيضاً بخرات حوق . واليعليم ماء طي طريف مكة .

ابن الأثير من ٢٨٨ ج ١ ، مهذب الأغان صفة ٧٨ ج ١
(١) أجباً رسلَى : جيلان لطي .

وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم ، وحلف أوس ألا يرجع من
طبي حتى ينزل معها جليلها أجا وسلمى ، وتُجبي له أهلها ، وتراحفوا ، فاقبلوا
قالا شديداً .

قال عدى بن حاتم : إني لو ائف يوم اليعاميم والناس يفتتلون إذ نظرت إلى
زيد الخليل قد أحضر ابنيه مكنفا وحُرِيًا في شنب لا منفذ له وهو يقول : أي بني ؛
أخيا على قومك ، فإن اليوم يوم التفتاني ، فإن يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال ؛
قلت : كأنك قد كرمت قال أخوالك ؛ فاحمرت عيناه غضباً ، وتناول إلي ، حتى
نظرتُ إلى ما تحته من سرجه فحفته ؛ فضربتُ فرسي ، وتنتحيت عنه ، واشتغل
بنظره إلى عن ابنيه ، فخرجوا كالصقورين ، ثم انهزمت جديلة عند ذلك ، وقُتل فيها
قتلٌ فديع .

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بمد يوم اليعاميم ، فدخلوا بلاد كلب ، فحالفوهم
وأقاموا معهم .

٦ - ٦ - حروب الأوس والخزرج مرج*

«١» حَرْبُ سَمِير

لما كان سيل العرم خرجت الأزد^(١) من اليمن مع رؤسائهم إلى تهامة ، ثم هاجروا إلى النواحي الشمالية منها ، ونزل الأوس والخزرج بضواحي المدينة ، ولم يكونوا حين نزلوا أهل نَمَمَ وشَاءَ وَخَيْلٍ وَأَمْوَالٍ ، وإنما كان ذلك كله لليهود ، فماشوا بين اليهود بالضواحي والقرى في شَطَفَ من العيش ، وهوان وإذلال من اليهود ؛ إذ حَكَمُوهم وَتَحَكَّمُوا فِيهِمْ ، وألزموهم أداء الخراج . وظلوا على هذه الحال مدة حتى وفد وفد منهم ؛ هو مالك بن المجلان الخزرجي إلى الفسانيين بالشام ، ونزل على أحد أشرفهم واسمه أبو جبيلة ، واستجاره على اليهود ؛ فأجاره ، وجاء إلى المدينة ، وقتل عطاء اليهود ، ثم عاد إلى الشام بمد أن مَكَّنَ للأوس والخزرج بالمدينة .

* الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو مزينا بن طمر ماء السماء بن حارثة النظيف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . ولقد كتبت بينهم تلك الحروب في الجاهلية ؛ وهذه أشهرها :

(١) حرب سمير : للأوس على الخزرج .

(٢) حرب كعب : للخزرج على الأوس .

(٣) حرب حاطب : للخزرج على الأوس .

(٤) يوم بسات : للأوس على الخزرج .

ابن الأثير ص ٤٠٢ ج ١ ، تاريخ العرب القدامى ص ٢٥٠ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٥٠ ، الأغانى ص ١٨ ج ٣ (طبعة البار) ، ص ١١٨ ج ١٣ طبعة الساسي ، جبهة أشعار العرب ص ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، مهذب الأغانى ص ١٢٢ ج ١ ، للفضليات ص ١٣٥ ، رغبة الأمل من كتاب الكامل ص ٢١٢ جزء ٢ .
(١) الأزد : شعب من كهلان .

وظل الحيان على اتفاق ووثام، حتى وفد على المدينة وافد من ذبيان اسمه كعب التملبي، ونزل على مالك بن المجلان الخزرجي وحالفه وأقام معه، ثم خرج كعب يوماً إلى سوق بني قينقاع^(١)، فرأى رجلاً من غطفان معه فرس وهو يقول: لِيَأْخُذْ هذا الفرس أعزُّ أهلِ يَثْرِبِ^(٢)، فقال رجل: فلان، وقال رجل آخر: أحيحة بن الجلاح الأوسي، وقال غيرها: فلان ابن فلان اليهودي أفضل أهلها.

وقال كعب التملبي: مالك بن مجلان أعزُّ أهل يثرب، وكثر الكلام، ثم قبل الرسول قول كعب التملبي، ودفع الفرس إلى مالك بن المجلان الخزرجي. فقال كعب: ألم أقل لكم إن حليفي مالكا أفضلكم! فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف بقال له: مُسَمِّرُ بْنُ يَزِيدٍ، وشتمه واقتربا، وتيق كعب ما شاء الله.

ثم قصد سوقاً لهم بقباء، فقصدته مُسَمِّرُ بْنُ يَزِيدٍ، ولازمه حتى قتله، وأخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلت منا قتيلاً، فأرسلوا إلينا بقاتله، فمجاهم رسول مالك ترأموا به: فقال بنو زيد: إنما قتلته بنو جحجبي وقالت بنو جحجبي: إنما قتله بنو زيد^(٣)؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِلَ فيها صاحبكم ناس كثير، ولا يُدرى أيهم قتله.

ولما تأكد عند مالك أن مسميراً هو الذي قتله أرسل إلى قومه بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال: إنما قتله مسمير، فأرسلوا به إلى أقتله، فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل مسميراً من غير يئنة. وكثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه مسميراً أو يابون أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو كرهوا أن يُنْشَبُوا بينهم وبين مالك حرباً،

(١) بنو قينقاع: شعب من اليهود (٢) قيل: إن الذي بعته هو عبد يابيل الثقفي

(٣) بنو جحجبي وبنو زيد: بطنان في الأوس.

فأرسلوا إليه : إن صاحبكم حليف ، وليس لكم فيه إلا نصفُ الدية . فنضب مالك وأبي إلا أن يأخذ الدية كاملة أو يقتل مُسميراً ، فأبت بنو عمرو بن عوف أن يبطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية ، فمهدوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس^(١) ، أحد بني الحارث بن الخزرج ، فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج ، ففضى على مالك بن المجلان أنه ليس له في حليفه إلا دية الحليف ، وأبي مالك أن يرضى بذلك ، وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصر قبائل الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين رد قضاء عمرو بن امرئ القيس ، فقال مالك يذكر خذلان بن الحارث ، وحدث بن عمرو على مُسمير ، وبجرّض بن النجار على نصرته :

إن مُسميراً أرى عشيرته قد حدّبوا دونه وقد أنقوا
 إن يكن الظن صادقاً بيني النجار لا يطعموا الذي علّفوا^(٢)
 لا يُسلمرنا لمضر أبداً مادام منا يبطنها شرف^(٣)
 لكن موالى قد بدا لهم رأى سوى ما لدى أو ضمفوا
 بين بني جحججى وبين بني زيد فأنى لجارى التلف
 يمشون في البيض والدروع كما تمشى جمال مصاعب قطف^(٤)
 كما تمشى الأسود في رهمج^(٥) السموت إليه وكلهم لهف

(١) جد عبد الله بن رواحة الأنصاري (٢) قال صاحب الأغاني: يقال علّفوا الضم إذا أقر وابه
 أى ظنى بهم أنهم لا يقبلون الضم (٣) الشرف: الشريف (٤) البيض: جمع بيضة، وهي ما يلبس على الرأس من حديد كالحوذة للوقاية في الحرب، والمصعب: جمع مصعب، وهو القمل الذي لم يركب ولم يمسه جبل حتى صار صعباً، والتطف: البطيئة الخطو (٥) الرهمج: النهر.

وقال درهم بن زيد أخو سمير في ذلك :

يا قوم لا تقتلوا سميراً فإنَّ القتل فيه البوارُ والأسفُ
إن تقتلوه تَرِنُ نوتكم على كرم ويفزع السلفُ (١)
إني لَمَمْرُ الذي يمحج له الناس ومن دون بيته سرف
يمينُ برِّ بالله مجتهد يحلف إن كان ينفع الحلف
لا نرفعُ العبدَ فوق سنته ما دام منا يطبها شرفُ
إنك لاقٍ غدا غواة بني عمي فانظر ما أنت مُزدهف (٢)
فأبدر سيماكَ يترفوكَ كما يُبدون سبهم فتمترِف (٣)

ثم أرسل مالك إلى بني عمرو يؤذنههم بالحرب ، ويمدِّهم يوماً يلتقون فيه ، وأمر
قومه فتهيئوا للحرب ، وتماشد الحيان ، وجمع بعضهم لبعض ، ثم زحف مالك بمن
معه من الخزرج ، وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة والنضير ، والتقوا
بفضاء قريب من قُبَاء ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانصرفوا وهم منتصفون جميعاً ، ثم
التقوا مرةً أخرى عند أطم بني قَيْنَع ، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفر
للاوس على الخزرج ، وفي ذلك قال أبو قيس بن الأست :

لقد رأيت بني عمرو فاهنوا عند اللقاء وما هموا بتكذيب
ألا فدى لهم أمي وما ولدتُ غداة يمشون إرقالَ المصاعيب (٤)

(١) ترن نوتكم : يرفض أصواتهن بالبكاء (٢) مزدهف : مقتحم (٣) قال صاحب
الأغانى : معنى قوله : فأبدر سيماك : أن مالك كان إذا شهد الحرب يتبر لباسه ويتنكر لئلا يعرف
فيفصد (٤) الإرقال : الإسراع في السير .

بكل سَهْبَةٍ كَالأَيْمِ ماضِيَةٍ وكل أَيْضٍ ماضِي الحدِّ مَغشوبٍ (١)
ولبثت الأوس والخزرج متحارِبِينَ عشرين سنة في أمرٍ مُمَيِّرٍ يتعاودون القتال في
تلك السنين ، وكثرت أيامهم ومواطنهم .

ولما رأيت الأوس طول الشر ، وأن مالكا لا يَزِعُ (٢) ، قال لهم سويد بن صامت
الأوسى (٣) : يا قوم ، أرضوا هذا الرجل من حليفه ، ولا تقيموا على حرب إخوتكم ؛
فيقتل بعضكم بعضاً ، ويطمع فيكم غيركم ، وإن حملتم على أنفسكم بعضَ الحمل .

فأرسلت الأوس إلى مالك يدعونه إلى أن يحكم بينهم وبينه ثابت (٤) بن المنذر بن
حرام ، فأجابهم إلى ذلك ، وخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر ، فقالوا : إنا حكمناك
بيننا ؛ فقال : لا حاجة لي في ذلك ، قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردوا حكمي كما
وعدتم حكم عمرو بن امرئ القيس فقالوا : فإنا لا نردُ حكمك ، فاحكم بيننا ، قال : لا أحكم
بينكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً لترضون بحكمي وما قضيتُ به ، ولتسلمن له .
فأعطوه على ذلك عهودهم وموائيقهم ، فحكم بأن يُودَى حليفُ مالك ديةَ الصريح ،
ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على دية والحليف على دية ،
وأن تمدد القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ، ثم يكون بعض يمض ،
ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضل في القتل من الفريقين .

فرضى بذلك مالك ، وسلمت الأوس ، وتفرقوا ، على أن يكون على بني النجار
نصف دية جار مالك معونةً لإخوتهم ، وعلى بني عمرو بن عوف نصفها . فرأت بنو عمرو

(١) السهبة : الطويلة من الخيل ، والأيم : الحية ، والمغشوب : اللصقول (٢) يزع : يكف
(٣) كان يقال له في الجاهلية الكامل ، وكان الرجل ضد الثرب إذا كان شاعراً كاتباً رامياً
صموه الكامل (٤) أبو حسان بن ثابت .

أنهم لم يُخرجوا إلا الذي كان عليهم ، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب ، ووَدِيَ جَارُهُ دِيَةَ الصَّرِيحِ .

وفي تلك الحرب قال قيس^(١) بن الخطيم الأوسى ، ولم يدرك هذه الحرب، ولكنه قال ذلك بعدها بزمان :

رَدَّ اخْلِيَطُ الْجَمَالَ فَاَنْصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا^(٢)
 لَوْ عَرَّجُوا سَاعَةَ نُسَائِلِهِمْ رَيْثُ يُضْحَى جَمَالَهُ السَّلْفِ^(٣)
 فِيهِمْ لَمَوْبُ الْعِشَاءِ آنَسَةُ السَّدَلِ عَرُوبٌ يَسُوءُهَا الْخُلْفُ^(٤)
 يَبِينُ شُكُولِ النِّسَاءِ خَلِقَتَهَا قَصْدٌ فَلَا جَبِيلَةٌ وَلَا قَصْفُ^(٥)
 تَقَامُ عَنْ كُبْرٍ شَانَهَا فَإِذَا قَامَتْ رَوِيداً تَكَادُ تَنْفَرِفُ^(٦)
 تَتَفَرَّقُ الطَّرْفُ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَنَّهَا شَفَّ وَجْهَهَا نَزْفُ^(٧)
 حَوْرَاهُ جَيْدَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا كَأَنَّهَا خُوطُ بَانَةِ قَصِيفُ^(٨)
 قَصَى اللَّهُ لَهَا حِينَ صَوَّرَهَا لَمْ يَخْلُقْ أَلَا يُكِنُّهَا سَدْفُ^(٩)

(١) قيس بن الخطيم : شاعر جاهلي أوسى ، جيد الشعر ، حسن الدباجة ، أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام ، وتلا عليه شيئاً من القرآن ، فقال : إني لأسمع كلاماً عجيباً ، فدعنى أنظر في أمرى هذه السنة ، ثم أعود إليك ، فأتى قبل الحول سنة ٦١٢ م (٢) أى ردوا جالهم من الرعى ليرتحلوا (٣) الريث : مقدار المهلة من الزمان ، ويضحي : من الضحاء وهو أن يرعى الأيل ضحى ، والسلف : القوم الذين يتقدمون الظنن في السير (٤) لموب العشاء : تسرع مع السمار وتلهو ، والعروب : الحسنة التحبية إلى زوجها (٥) شكول : أنواع ، والجبيلة : الفليضة ، والقصف : القليلة اللحم (٦) تنفر : تنقص من دقة خصرها (٧) يريد : من نظر إليها فرقت طرفه وبصره وشغفته عن النظر إلى غيرها وهي لاهية غير محتفلة وقال أبو منصور : أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دماها منزوف (٨) الحوراء : الواسمة العين ، والجبياء : الطويلة الجيد ، والحوط : الفصن ، والقصف : الناعم الثنى (٩) السدف : الظلمة ؛ أى أنها مضيئة لا تسترها ظلمة

خَوْذُ يَفِثُ الْحَدِيثُ مَا صَمَّتْ وهو يفيا ذو لذة طَرَفٌ^(١)
تَخَزْنُهُ وَهُوَ مُشْتَهَى حَسَنٌ وهو إذا ما تكلمت أُنْفٌ^(٢)
أَبْلَغُ بَنِي جَجَجِي وَإِخْوَتِهِمْ زَيْدًا بَانًا وَرَاهِمَ أُنْفٌ^(٣)
إِنَّا وَإِنْ قَلَّ نَصْرُنَا لَهُمْ أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُّ^(٤)
لَا بَدَنٌ نَحْوَنَا جِبَاهُهُمْ حَنَّتْ إِلَيْنَا الْأَرْحَامُ وَالصُّحُفُ^(٥)
نَقَلَى بِمَجْدٍ الصَّفِيحِ هَامِمٍ وَفَايِنَا هَامِمٍ بِهَا جِنْفٌ^(٦)
يَتَّبِعُ آثَارَهَا إِذَا أُخْتَلِجَتْ سُوخُنٌ عَيْبِطٌ عُرُوقُهُ نَكِيفٌ^(٧)
إِنْ بَنِي عَمْنَا طَفَّوْا وَبَقَوْا وَلَجَّ مِنْهُمْ فِي قَوْمِهِمْ سَرَفٌ^(٨)
فرد عليه حسان بن ثابت النجاري الخزرجي^(٩) ، ولم يدرك هذه الحرب أيضاً :
مَا وَالْ عَيْنِيكَ دَمْعًا يَكِيفُ مِنْ ذِكْرِ خَوْذِ شَطْتُ بِهَا قَدَفٌ^(١٠)
بَانَتْ بِهَا غَرَبَةٌ تَوْمٌ بِهَا أَرْضًا سَوَانًا وَالشَّكْلُ مُخْتَلِفٌ^(١١)
مَا كُنْتُ أَدْرِي بَوَاشِكُ بَيْنَهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْحُدُوجَ تَنْقَدِفُ^(١٢)
يَعُ ذَا وَعْدَةِ الْقَرِيضِ فِي نَفِيرٍ بَرَجُونَ مَدْحَى وَمَدْحَى الشَّرْفِ^(١٣)
إِنْ تَدْعُ قَوْمِي لِلْمَجْدِ تُلْفَهُمْ أَهْلَ فَعَالٍ يَبْدُو إِذَا وَصِفُوا^(١٤)
إِنْ سَمِيرًا عَبْدٌ طَفَى سَفَهَا سَاعِدُهُ أَغْبَدَ لَهُمْ نَطَفٌ^(١٥)

(١) الخوذ : الشابة الناعمة ، والطرف : المستطرف المحبوب (٢) الأنف : المتأنف الجديد
(٣) أنف : ذو أنفة ، ندفع الضيم عنهم وتصرم (٤) الصحف : اليهود (٥) يقال فلاه
بالسيف ؛ إذا علاه ، والصفيح : جمع صفيحة ، وهي السيف الرخيص . والجنف : انحراف وميل
عما توجهه القربى والرحم . قال شارح ديوانه : يريد أنت قتلنا لإمام عنف منا ؛ لأنهم قومنا وبنو
عمننا (٦) اختلجت : انتزعت . وسخن عيبط : دم طرى ساخن (٧) حسان بن ثابت : فعل
من غول الشعراء ، وأحد الممرين المحضرمين ، كان شاعر الأندلس في الجاهلية ، وشاعر النبي
صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر الجين في الإسلام ، توفي سنة ٥٤ هـ (٨) فنف : بيعة
(٩) النطف : القرط .

«٢» حَرْبُ كَعْبٍ

تَزَوَّجَ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمَازِي الْخَزْرَجِيُّ امْرَأَةً مِنْ نَبِيِّ سَالِمٍ^(١)، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا، فَقَمَدَ لَهُ رَهْطًا مِنْ بَنِي جَعْفَرِيِّ مِنَ الْأَوْسِ بِمَرَّصِدٍ، فَضَرَبُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ أَوْ كَادُوا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَخَاهُ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ خَرَجٍ وَخَرَجَ مَعَهُ بَنُو النَّجَّارِ^(٢) وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي جَعْفَرِيِّ يُؤَذِّنُهُمْ بِحَرْبٍ، فَتَلَقَوْا بِالرُّحَابَةِ^(٣)، وَاقْتَتَلُوا اقْتِتَالًا شَدِيدًا، وَانْهَزَمَتْ بَنُو جَعْفَرِيِّ، وَكَانَ مَعَهُمْ أُحَيْحَةَ بْنُ الْجُلَّاحِ الْأَوْسِيُّ، فَطَلَبَهُ عَاصِمٌ فَأَذْرَكَهُ وَقَدْ دَخَلَ حِصْنَهُ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي بَابِ الْحِصْنِ، وَرَجَعَ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ، وَمَكَّنُوا أَيَّامًا. ثُمَّ إِنْ عَاصِمًا طَلَبَ أُحَيْحَةَ لَيْلًا لِيَقْتُلَهُ فِي دَارِهِ، وَبَلَغَ أُحَيْحَةَ ذَلِكَ فَقَالَ:

نَبَيْتُ أَنَّكَ جِئْتَ تَنْسِرِي بَيْنَ دَارِي وَالْقُبَابَةِ^(٤)
 فَلَقَدْ وَجَدْتِ بِجَانِبِ الضَّخْيَانِ^(٥) شَبَانًا مُهَابَهُ
 فِتْيَانِ حَرْبٍ فِي الْحَدِيدِ وَشَامِرِينَ كَأَسَدٍ غَابَهُ
 هُمْ نَكْبُوكَ عَنِ الطَّرِيقِ فَبِتَّ تَرْكِبُ كُلِّ لَابَةٍ^(٦)
 أَعْصِمِ لَا تَجْزِعِ فَإِنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ بِاللُّدْءِ عَابَهُ
 فَأَنَا الَّذِي صَبَّحْتُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ دَخَلُوا الرُّحَابَةَ
 وَقَتَلْتُ كَعْبًا قَبْلَهَا وَعَلَوْتُ بِالسَّيْفِ الدُّوَابَةَ

(١) بنو سالم : قبيلة في الخزرج (٢) بنو النجار : قبيلة في الخزرج (الأنصار) (٣) الرحابة : حصن بالمدينة (٤) القباية : حصن بالمدينة (٥) الضحيان : حصن بناه أحيحة في أرض القباية (٦) اللابة : الحرة من الأرض .

وبلغ عاصم قوله فأجابه :

أَبْلِغْ أُحِيحَةَ إِنَّ عَرْضَتْ بداره عَنِّي جوابه
وأنا الذي أَعْجَأْتُهُ عن مقمَدِ أَلْهِى كِلَابَهُ
ورميتُهُ سَهْمًا فَأَخْطَاهُ وَأَغْلَقَ قَمَمٌ بِأَبَاهِ

وكان أُحِيحَةُ إِذَا أَمْسَى جَلَسَ بِمِجْدَاءِ حِصْنِهِ الصَّحْيَانِ ، ثم أرسل كلاباً له تنبح
دونه على من يَأْتِيهِ ممن لا يعرف ، حذراً من أن يَأْتِيَهُ عدو يصيب منه غِرَّةً ، فأقبل
عاصم بن عمرو يريده في مجلسه ذلك ليقتله بأخيه ، وقد أخذ معه تمرآ ، فلما نبحت
الكلابُ حن دَنَامَهُ أَلْتِي لَهَا التَّمْرُ فوقفت ؛ فلما رآها أُحِيحَةُ قد سكنت حَذِرَ ،
فقام فدخَلَ حِصْنَهُ ، ورماه عاصم بسهم فأحرزَهُ^(١) البابُ ؛ فوقع السهمُ بالباب ،
فلما سمع أُحِيحَةُ وَقَعَ السهم صرخ في قومه ، فجرى عاصم وأعجزهم حتى
أتى قومه .

نَمَّ إِنَّ أُحِيحَةَ جَمَعَ لِبَنِي النَّجَّارِ وَأَرَادَ أَنْ يَفْتَرَّهُمْ ، فواعدهُ قَوْمُهُ لذلك -
وكانت عند أُحِيحَةَ سَلْمَى^(٢) بنت عمرو إحدى نساء بني النَّجَّارِ - وكان له منها ابنه
عمرو بن أُحِيحَةَ ، وهو يومئذ فطيم أودون الفطيم ، فلما رأت عزم أُحِيحَةَ على غَزْوِ
قومها عمدت إلى ابنها فربطته بخيط حتى إذا أوجعت الصبي تركته فبات يبكي وهي
تحمله ، وبات أُحِيحَةَ معها ساهراً يقول : ويحك ! ما لابني ؟ فتقول : والله ما أدري
ماله ، حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبي فنام . ولما هدا الصبي قالت :

(١) أحرزه المكان : ألجأه (٢) هي أم عبد المطلب بن هاشم ، خلف عليها هشام بعد أن
طلقها أُحِيحَةَ ، وكانت امرأة شريفة لا تزوج الرجال إلا وأمرها بيدها ، إذا كرهت من رجل
شيئاً تركته .

وارأساه ! فقال أحيحة : هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة ، وبات يمصب لها
رأسها ويقول : ليس بك بأس ، حتى إذا لم يبق من الليل الا أقله قالت له : قم فإني
أجدني صالحة ، وقد ذهب عني ما كنت أجده - وإنما فملت ذلك ليثقل رأسه ،
وليشتد نومه على طول السهر - فلما نام قامت وأخذت حبلاً^(١) وأوثقت برأس الحصن
ثم تدلت منه ، وانطلقت إلى قومها فأندرتهم ، وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه
من ذلك ؛ فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا ؛ فأقبل أحيحة فوجد القوم على حذر
قد استمدوا ، فلم يكن بينهم كبير فقال ، ثم رجع أحيحة وقد فقد زوجته ، ففطن
لحذر القوم ، وعلم أن سلمى قد خدعته .

(١) سميت المتدلية لذلك .

« ٣ » حَرْبُ حَاطِبٍ

كان حاطبُ بن قيس الأوسى رجلاً شريفاً سيّداً ، فاتاه رجل من ذُبْيَان ، ونزل عليه . ثم إنَّ الضيفَ غدا يوماً إلى سوقِ بني قَيْنُقَاعَ ، فرآه رجل من بني الحارث ابن الخزرج اسمه يزيد ، فقال لرجل يهودى : لك ردأى إن كَسَمْتُ (١) هذا الذُّبْيَانِي . فأخذ رداءه وكَسَمَهُ كَسَمَةً سَمِعَهَا مَنْ بِالسوقِ ؛ فنَادَى الذُّبْيَانِي : يَا حَاطِبِ ؛ كَسِيعِ ضَيْفُكَ وَفُضِّحِ !

وأخبرَ حاطبٌ بذلك فجاء إليه ، فسأله مَنْ كَسَمَهُ ؟ فأشار إلى اليهودى ؛ فعدَا إليه وضربه بالسيفِ ضربةً فلقَ بها هامته ، وأخبر يزيد بذلك ، فأمرعَ خَلْفَ حاطبٍ وأدركه وقد دخل بيوتَ أهله ، فأدرك رجلاً من الأوسِ فقتله .

ونارت الحربُ بين الأوسِ والخزرجِ ، واحتشدوا واجتمعوا على جسرِ بني الحارث ابن الخزرج ، وعلى الخزرجِ عمرو بن النعمان البيّاضى ، وعلى الأوسِ حُضَيْرِ بن سَمَاكِ الأثملى . وعلم عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وخيار بن مالك الفزَارِيَّانِ بالأمرِ فقدا المدينة ، وتحدّثا مع الأوسِ والخزرجِ فى الصلحِ ، وضمنا أن يتحملا كلَّ ما يدعى بمضمهم على بعض فأبوا .

ووقعت الحرب عند الجسر وكانت الدائرةُ على الأوسِ .

(١) كَسَمَهُ : ضربه برجله فى دبره .

«٤» حَرْبُ يَوْمِ بَعَاث

كانت الأوسُ قد استعانت ببني قُرَيْظَةَ والنَضِيرِ^(١) في حروبهم التي كانت بينهم ، وبلغ ذلك الخَزْرَجَ ، فبعثت إليهم : إن الأوسَ فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ، ولن يُمِجَزَنَا أَنْ نَسْتَمِينَ بِأَعْدَادِكُمْ وَأَكْثَرَ مِنْكُمْ مِنَ الْعَرَبِ ؛ فَإِنْ ظَفَرْنَا بِكُمْ فَذَلِكَ مَا تَكْرَهُونَ ، وَإِنْ ظَفَرْتُمْ لَمْ نَتَمَّ عَنْ الطَّلَبِ أَبَدًا ، فَتَصْبِرُوا إِلَى مَا تَكْرَهُونَ ، وَيَسْتَلِكُمْ مِنْ شَأْنِنَا مَا أَنْتُمْ الْآنَ مِنْهُ خَالُونَ ، وَأَسْلَمُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَدْعَوْنَا وَتَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا .

فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق ؛ فأرسلوا إلى الخَزْرَجِ : إنه قد كان الذي بلغكم واتهمت الأوسُ نصرنا ، وما كنا لننصُرهم عليكم أبدًا ؛ فقالت لهم الخَزْرَجُ : فإن كان ذلك كذلك فابعثوا إلينا برهائنَ تكون في أيدينا ؛ فبعثوا إليهم بأربعين غلاماً منهم ؛ ففرقهم الخَزْرَجُ في دُورهم ، ومكثوا بذلك مدة .

ثم إن عمرو بن النعمان البَيَّاضِيَّ قال لقومه بَيَّاضَةَ^(٢) : إن أباكم أنزلكم منزل سوء بين سَبَخَةَ^(٣) وَمَقَارَةَ^(٤) ، وإنه والله لا يمسُّ رَأْسِي غِسلٍ حتى أنزلكم منازل بني قُرَيْظَةَ والنَضِيرِ على عَذْبِ الْمَاءِ وَكَرِيمِ النَّخْلِ ؛ ثم راسلهم إما أن تحلوا بيننا وبين دياركم نسكنها ، وإما أن نقتل رُهْنَكُمْ ؛ فهموا أن يخرجوا من ديارهم ، فقال لهم كعب ابن أسد القُرَظِيُّ : يا قوم ؛ امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرُهْنُ ، والله ما هي إلا ليلة يُصِيبُ فيها أحدُكم امرأته حتى يُؤَدِّله غلام مثل أحد الرُهْنِ ؛ فاجتمع رأيهم على ذلك ؛

(١) قُرَيْظَةَ والنَضِيرِ : حبان في اليهود (٢) قبيلة في الخَزْرَجِ (٣) السبخة : أرض ذات تر وطلع (٤) المقارة : القلاة لا ماء بها .

فأرسلوا إلى عمرو بالآ نَسَامَ لَكُمْ دُورَنَا ، وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رُهْنِنَا قَوْمُوا لَنَا بِهِ ؛ فعدّا عمرو بن النعمان البياضى على رُهْمِهِمْ هو ومن أطاعه من الخزرج قتلواهم ، وأبى عبد الله بن أبي - وكان سيِّدًا حَلِيمًا - وقال : هذا عقوق ومآثم وبئى ، فلست مُمِينًا عليه ، ولا أحد من قومي ^(١) أطاعنى ، وخالى عمن عنده من الرُهْن .

فناوشت الأوس الخزرج يوم قتل الرُهْن شيئًا من قتال غير كبير ، واجتمعت قُرَيْظَةَ والنَّضِير إلى كعب بن أسد القرظى ، ثم تأمروا أن يُعِينُوا الأوس على الخزرج ، فبعت إلى الأوس بذلك ، ثم أجمعوا عليه ، على أن ينزل كلُّ أهل بيت من النبيت ^(٢) على بيت من بنى قُرَيْظَةَ ؛ فنزلوا معهم في دورهم . ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك .

فاجتمع اللائ منهم ، واستحکم أمرهم ، وجدّوا في حربهم ؛ فلما سمعت الخزرج اجتمعوا حتى جاءوا عبد الله بن أبي ، وقالوا له : قد كان الذى بكتك من أمر الأوس وأمر قُرَيْظَةَ والنَّضِير واجتماعهم على حربنا ، ولإنا نرى أن قاتلتهم ، فإن هزمنام لم يُحْرِزْ أحدٌ منهم مَعْقِلَهُ ولا مَلْجَأَهُ حتى لا يبقى منهم أحد .

فلما فرغوا من مقاتلتهم قال لهم عبد الله : إن هذا بنى منكم على قومكم وعقوق ، والله ما أحبُّ أن رجلاً ^(٣) من جراد ألقيناهم ، وقد بلغنى أنهم يقولون هؤلاء قومنا ممنونا الحياة أقيمتمونا الموت ؟ والله إنى أرى قوماً لا ينتهون أو يهلكوا عامتهم ، وإنى لأخاف إن قاتلوكم أن يُنصروا عليكم لتبئيكم عليهم ، فقاتلوا قومكم كما كنتم

(١) م بنو سالم الحبلى (٢) النبيت: حى فى الأوس ، أطلق عليهم لقب أيهم ، واسمه عمرو ابن مالك بن الأوس (٣) الرجل : جماعة الجراد .

تقاتلونهم ، فإذا ولّوا فخلّوا عنهم ، فإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلّوا عنكم . فقال له عمرو بن النعمان البياضي : انتفخ والله سحرُك^(١) يا أبا الحارث حين بلناك حلف الأوس وقریظة والنضير . فقال عبد الله : والله لاحضرتكم أبدأ ، ولا أحد أطاعني أبدأ ، ولكأني أنظر إليك قتيلاً نَحْمِلُكَ أربمةً في عباءة^(٢) .

وتابع عبد الله رجال من الخزرج ، واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي ، وولّوه أمر حربهم ، ولبث الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنمون^(٣) للحرب ، ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب ، فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع ، وأرسلت الأوس إلى مزينة ، وذهب حضير الكتاب الأشملي إلى أبي قيس الأسلت^(٤) ، فأمره أن يجمع له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حضير ، فاعتمد على قوسه ، وعليه نَمِرَة^(٥) تشفّ عن عورته ، فحرتهم ، وأمرهم بالجِدِّ في حربهم ، وذَكَر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج التبيت ، وإذلال من تخلف من سائر الأوس في كلام كثير ؛ وجمل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج يستشيط ويحى ، فأجابته أوس الله بالذي يُحِبُّ من النصرة والمؤازرة والجِدِّ في الحرب .

ثم اجتمعت الأوس مرة أخرى ، فأجالوا الرأي ؛ فقالوا : إن ظفّرنا بالخروج لم نُبْق منهم أحداً ، ولم تقاتلهم كما كنّا تقاتلهم . فقال حضير : يا معشر الأوس ؛ ما مُمَيِّمُ الأوس إلا لأنكم تُؤسُون^(٦) الأمور الواسعة !

(١) أصل السحر : ما التزق باللقوم والمرى ، ويقال للجبان : انتفخ سحره ، أي ملاً الخوف قبله (٢) العباء : كساء (٣) يتصنمون : يتجهزون ويتأهبون (٤) حضير وأبو الأسلت : كلاهما من الأوس (٥) النمرة : بردة من صوف تلبسها الأعراب (٦) أي تعالجون الأمور .

يا قوم قد أصبحتم دوارا لَمَسَرِّ قَد قَتَلُوا الْخِيَارَا

يوشِكُ أَنْ يَسْتَأْصِلُوا اللَّهَ يَارَا

ثم طرحوا بين أيديهم تمراً ، وجعلوا يأكلون وحُضِيرَ الكَتَابِ جالسٌ عليه
رُودَةً له قد اشتمل بها الصَّمَاءُ (١) ، وما يأكل معهم ولا يدنو إلى التمر غَصْبًا
وحنقًا ، فقال : يا قوم ؛ اعقدوا لأبي قيس بن الأَسَلْتِ ، فقال لهم أبو قيس : لا أقبلُ
ذلك ، فإنِّي لم أرُ أس على قوم في حرب قطَّ إلا هُزِمُوا وتشاءموا برياستي .

ثم جاءتهم أوس مناة ، وقَدِمَت مُزِينة ، فانطلق حُضِيرُ وأبو عامر الرَّاهِبِ إلى
أبي قيس ، فقالوا : قد جاءتنا مُزِينة واجتمع إلينا من أهل يثرب مالا قبيل للخزرج
يه ، فما الرأي إن نحنُ ظَهَرْنَا عليهم : الإِيجَازُ أم البَقِيَّةُ ؟ فقال أبو قيس : اقتلوهم
حتى يقولوا : بزأب (٢) . ثم اختلفوا في ذلك ؛ فأقسم حُضِيرُ ألا يشرب الخمر ، أو يظهر
ويهدم مُزَاحِمًا : أطم عبد الله بن أبي . ثم لبثوا شهرين يمدُّون ويستعدون .

وكان اللقاء بُبُعَاثَ ، وحشد الحَيَّانِ فلم يتخلف عنهم إلا من لا ذِكْرَ (٣) له ،
ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التَّقْوَا فيه . فلما رأت الأوس الخزرج أعظموهم
وقالوا لحضير : يا أبا أسيد ؛ لو حاجزت القوم ، وبمشت إلى من تخلف من حلفائك من
مزينة ؟ فطرح قوسًا كانت في يده ثم قال : أنتظر مزينة وقد نظر إلى القوم ونظرت
إليهم ! الموت قبل ذلك . واقتتلوا قتالًا شديدًا ، فانهزمت الأوس حين وجدوا مس-

(١) اشتال الصماء : أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعلى عاتقه الأيسر ، ثم يرده
ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فينطيمها جميعاً (٢) بزأب : كلمة كانوا يقولونها إذا
غلبوا (٣) تخلف عن الأوس بنو حلثة ، فبشوا لى الخزرج : إنا والله ما نريد قتالكم ،
فبشوا إليهم أن ابشوا إلينا برهائن منكم يكونون في أيدينا ، فبشوا إليهم اثني عشر رجلاً .

السلاح ، فوآوا مصعدين في حرّة قَوْرَى^(١) ، فنزل حُضير ، وصاحت بهم الخزرج :
 أين الفرار ، فلما سمع حضير طمن بستان رُمجِه فَنَحْذِه ، ونزل وصاح وَعَقْرَاهُ^(٢) ،
 والله لأرِيم حتى أقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسَلِّموني فافعلوا ؛ فتمطفت
 عليه الأوس ، وقام وعلى رأسه غلامان ، من بني عبد الأشهل ، وهما يومئذ مُعْرِسَانِ^(٣)
 ذوا بَطْش ، فجملا يرتجزان ويقولان :

أى غلامى ملك ترانا في الحرب إذ دَارَتْ بنا رَحَانَا
 وعدد الناس لنا مكاناً

فقانلا حتى قُتِلَا ، وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان البِيضَى رأس
 الخزرج فقتله ، لا يدري من رَمَى^(٤) به . ثم انهزمت الخزرج ، ووضعت الأوس فيهم
 السلاح ، وصاح صائح : يا معشر الأوس ؛ أَسْجِحُوا^(٥) ولا تُهْلِكُوا إخوانكم ؛
 فتناهت الأوس ، وكفت عن سلبهم بعد إِيْتِخَانِ فيهم^(٦) ، وسلبتهم قُرَيْظَةَ والنضير ،

(١) موضع في نواحي المدينة (٢) المقر : قطع قوائم البعير بالسيف لينحر (٣) قال :
 أعرس فلان إذا اتخذ عرساً (٤) رووا : أنه بينما كان عبد الله بن أبي يزيد على بظلة له قريباً من
 بسات ، يتجسس أخبار القوم ؛ إذ طلع عليه بعمرو بن النعمان ميتاً في عباء مجمله أربعة إلى داره ،
 فلما رآه قال : من هذا ؟ قالوا : عمرو بن النعمان فقال : ذق وبال العقوق (٥) أسجحوا :
 أحسنوا العفو (٦) روى في الأغاني أن يهودياً أعمى من بني قريظة كان يومئذ في أطم من أطامهم
 فقال لابنة له : أشرفي على الأطم فانظري ما فعل القوم ، فأشرفت فقالت : أسمع الصوت قد ارتفع
 في أعلى قورى وأسمع قائل يقول : اضربوا يأ آل الخزرج ، فقال : الدولة إذا على الأوس ، لا خير
 في البقاء . ثم قال : ما ذا تسمين ؟ فقالت : أسمع رجالاً يقولون : يا آل الأوس ، ورجلاً يقولون :
 يا آل الخزرج ، فقال : الآن همى القتال . ثم لبث ساعة ، وقال : أشرفي فاسمى ، فأشرفت فقالت :
 أسمع قوماً يقولون : « نحن بنو صخرة أصحاب الرعل » . قال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت
 والله الأوس ، ثم جرى فرحاً نحو باب الأطم ، وضرب رأسه بالباب ، وكان من حجارة ، فسقط
 ومات .

وحملت الأوس حضيراً من الجراح التي به ، وهم يرتجزون حوله ويقولون :

ككتيبة زيتها مولاها لا كهلها هداً ولا فتاها

وجملت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها . ثم خرج سعد بن معاذ الأشهلي^(١) ، حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم وأموالهم جزاء لهم يوم الرعل^(٢) .

وأقسم كعب بن أسد القرظي^(٣) ليدلن عبد الله بن أبي ، وليحلقن رأسه تحت حصنه مزاحم . فناداه كعب : انزل يا عدو الله ، فقال عبد الله : أنشدك الله ! ما خذلت^(٤) عنكم . فسأل عمّا قال ، فوجده حقاً ، فرجع عنه .

وخرج حضير الكتاب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا القيس بن الأسلت بعد المزيمة ، فقال له حضير : يا أبا قيس ؛ إن رأيت أن تأتي الخزرج قصرأ قصرأ ، ودارأ دارأ ، تقتل ونهدم حتى لا يبق منهم أحد ! فقال أبو قيس : والله لا نفعل ذلك . فغضب حضير وقال : ما سميت الأوس إلا لأنكم تؤسسون الأمر أوساً ؛ ولو ظفرت الخزرج بمثلها ما أقالونا . ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم .
وتقل على حضير الجرح ، فذهب به كليب بن عبد الأشهل إلى منزله ، فلبث عنده أياماً ، ثم مات . فقال خفاف بن نذبة^(٥) يرثيه :

(١) من بني عبد الأشهل ، وم قبيلة في الأوس (٢) الرعل : مال لعبد الأشهل ، وبنو سلمة قبيلة في الخزرج ، وكانوا يوم الرعل أغاروا على مال لبني عبد الأشهل وقاتلوم ، فخرج سعد بن معاذ الأشهلي جراحة شديدة ، فاحتمله بنو - سلمة لم عمرو بن الجوح الخزرجي فأجاره وأخاه وأجار الرعل من الحريق وقطع الأشجار ، فلما كان يوم بعثت حازاه سعد (ابن الأثير ص ٤١٥ جزء ١) (٣) من بني قريظة حلفاء الأوس (٤) أى ما تركت نصرتمكم ، وهو يشير إلى ما كان بينه وبين قومه من الخزرج ، من امتناعه عن محاربة بني قريظة والنضير (٥) كان خفاف نديمه وصديقه .

أَتَانِي حَدِيثُ فَكَنَّا بَتَهُ وَقِيلَ خُلَيْكَ فِي الرَّمَسِ (١)
 فَيَاعِينُ بَكِّي حُضَيْرَ النَّدَى حُضَيْرَ الْكُتَابِ وَالْمَجْلِسِ
 وَيَوْمَ شَدِيدِ أَوَارِ الْحَدِيدِ تَقَطَّعُ مِنْهُ عُرْسَى الْأَنْفَسِ
 صَلَيْتُ بِهِ وَعَلَيْكَ الْحَدِيدِ دُ مَا يَبِينُ سَلَعٌ (٢) إِلَى الْأَعْرَسِ
 فَأَوْدَى بِنَفْسِكَ يَوْمَ الْوَعَى وَتَقَى ثِيَابَكَ لَمْ تَدْنَسْ

وفي ذلك اليوم قال قيس بن الخطيم الأوسى (٣) :

أُنْعِرْ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لِعَمْرَةٍ وَحِشَاغِبِ مَوْقِفِ رَاكِبِ (٤)
 دِيَارَ الَّتِي كَانَتْ وَنَحْنُ عَلَى مَنَى نَحَلَّ بِهَا لَوْلَا نَجْمَاءُ النَّجَابِ (٥)
 تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَأَ حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتْ بِمَاجِبِ
 وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مَنَى وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءَ ذَاتِ ذَوَائِبِ
 وَمِثْلِكَ قَدْ أُصْبِيتُ لَيْسَتْ بِكِنَّةٍ وَلَا جَارَةٍ وَلَا حَلِيلَةَ سَاحِبِ

(١) يريد القبر (٢) موضع قرب المدينة (٣) في الأغانى : جلس النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ، ثم استشهدم قصيدة قيس بن الخطيم :
 أُنْعِرْ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لِعَمْرَةٍ وَحِشَاغِبِ مَوْقِفِ رَاكِبِ
 فَأَنفَسَهُ بَضْمُهُمْ لِيَاهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

أَجَادِمُ يَوْمَ الْمَدِينَةِ حَاسِرًا كَأَنَّ بَدَى بِالْبِفِ مَخْرَاقَ لَاعِبِ

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان كما ذكر » ؟ فشهد له ثابت بن قيس وقال له : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه ، عليه غلالة وملحفة مورسة ، فجاءنا كما ذكر . هنا وقد أورد صاحب الجهرة هذه القصيدة ، وعدها من المذاهب (٤) الأطراد : التابع . المذاهب : جلود كانت تذهب واحدها مذهب (ضم الميم) : يحصل فيها خطوط مذهبة بعضها في إثر بعض . ووحشاً : قرأ ، وغير موقف راكب : لا يصلح للذبول . وقد روى في الفضليات : كالطراز المذهب (٥) النجاء : السرعة ، والنجاب : الأبل الكريمة ، وفي مهذب الأغانى : لولا نجماء الركائب

دعوتُ بني عوفٍ لحِقِنِ دِمَائِهِمْ فلما أبوا ساءت في حربٍ حاطبٍ (١)
 وكنتُ امرأً لا أبى الحربَ ظالماً فلما أبوا أشعلتُ كلَّ جانبٍ
 أربتُ بدفعِ الحربِ لآ رأيتها عن الدِّفعِ لا تزدادُ غيرَ تقاربٍ (٢)
 إذا لم يكنْ عن غايَةِ الموتِ مدْفَعٌ فأهلاً بها إذ لم تزل في المراحِبِ
 فلما رأيتُ الحربَ حرباً مجرِّدتُ لبيستُ مع البرُدينِ ثوبَ المُحاربِ
 مُضَاعَفَةً يَفْشَى الأناملَ فضلها كأنَّ قَتِيرِهَا عيونُ الجَنَادِبِ (٣)
 وسامح فيها ملكاهنين ومالكٌ وتعلمةُ الأخيَّارِ رهطُ ابنِ غالبِ (٤)
 رجالٌ متى يُدْعَوُ إلى الموتِ يُرْقِلُوا إليه كما رُقِيَ الجِمالُ المصاعِبِ (٥)
 ترى قَصَدَ المرِّ أن تهوى كأنَّها تذرُّعُ خِرْصَانٍ بأيدي الشَّواطِبِ (٦)
 صبَّحنا بها الآطامَ حولِ مُزاحمِ قَوَانِسُ أُولَى بَيْضِنَا كَالسُّكُوكِ (٧)
 لو أنكِ تُلْقِي حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا تَدْحَرُجُ عَن ذِي سَامِهِ المُتَقَارِبِ (٨)
 إذا ما فرَرْنَا كانَ أسوَا فِرَارِنَا صُدُودُ الخُدُودِ وَأَزْوِرَارُ النَّايِبِ
 صُدُودُ الخُدُودِ وَالقَنَا مُتَشَارِجُهُ وَلَا تَبْرَحُ الأَقْدَامُ عِنْدَ التَّضَارِبِ

- (١) ساءت : نابت . حاطب : حليف لهم قتل فكانت بينهم حرب في قتله (٢) كانت لي لربة : أي حاجة، وفي رواية ابن الأثير : أذنت، وفي مهذب الأغانى : حق رأيتها (٣) المضاعفة : الدرع التي ضوعف حلقها ، والتعبير رءوس السامير (٤) قال صاحب مهذب الأغانى : ملكاهنين : قريظة والنضير ، ورواية الجمهرة : الكاهنان في الجمهرة . رهط القباب ، قال : القباب : الشجمان وجماعات السكرية (٥) يقال : أرقل القوم إلى الحرب أسرعوا ؛ قال النابغة : إذا استنزلوا للطن عنهن أرقلوا إلى الموت لمرقال الجبال المصاعب (٦) القصد : القطع ، والمران : الرماح . والتذرع : قال صاحب اللسان عن الأسي : تذرع فلان الجريد إذا وضعه في ذراعه فتنطبه ، ومنه قول قيس : ترى قول قيس . . الخ ، والخِرصان : الضبان ، والشواطب : النساء يشققن الضبان (اللسان - مادة ذرع) (٧) مزاحم : حصن بلدينة ، وقونس اليضة من السلاح : أعلاها (٨) السام : عروق الذهب ، وأراد به خطوط ذهب على البيض تنوع بها .

إِذَا قَصَّرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصَلُهَا خُطَّانَا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالتَّقَارِبِ
 أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَنَّ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ مَخْرَاقَ لَاعِبٍ (١)
 وَيَوْمَ بُمَاتَ أَسْلَمَتْنَا سَيُوفُنَا إِلَى حَسْبٍ فِي جَدْمِ غَسَّانِ ثَاقِبٍ (٢)
 يُعْرَيْنَ بِيضًا حِينَ نَلْقَى عَدُوَّنَا وَيُفْعِدُنَ هَمْرًا نَاحِلَاتِ الْمَضَارِبِ (٣)
 أَطَاعَتْ بَنُو هَوْفٍ أَمِيرًا نَهَاهُمْ عَنِ السَّلْمِ حَتَّى كَانَ أَوَّلُ وَاجِبٍ (٤)
 رَضِيْتُ لِمَعُوفٍ أَنْ يَقُولَ نَسَاؤُهُمْ - وَيَهْزَأَنَّ مِنْهُمْ - لَيْتِنَا لَمْ نُحَارِبْ
 صَبْحَنَا كُمُ بِيضَاءِ بَبْرُقٍ بِيضُهَا تُبَيِّنُ خَلَائِلَ النِّسَاءِ الْهَوَارِبِ (٥)
 أَصَابَ صَرِيحَ الْقَوْمِ غَرْبُ سَيُوفِنَا وَغُودِرَ أَوْلَادِ الْإِمَاءِ الْحَوَاطِبِ (٦)
 وَمَنَا (٧) الَّذِي آلَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً عَنِ الْخَمْرِ حَتَّى زَارَكُمُ بِالْكِتَابِ
 رَضِيْتُ لَهُمْ إِذْ لَا يَرِيحُونَ قَعْرَهَا إِلَى عَازِبِ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِصَاحِبِ
 فَلَوْلَا ذَرَا الْأَطَامِ قَدْ تَمْلُونَهُ وَتَرَكُوا الْقَضَا شُورَكُمْ فِي الْكَوَاعِبِ (٨)
 فَلَمْ تَمْنَعُوا مِنَّا مَكَانًا نَزِيدُهُ لَكُمْ مُحَرِّزًا إِلَّا ظَهُورَ الْمَشَارِبِ (٩)

(١) الحديقة : قرية من أعراض المدينة ، والمخرق : خرقه مفتولة يلعب بها الصبيان ، وفي الجمهرة :
 يوم الخنادق (٢) يريد أنهم حققوا نغر انتسابهم إلى غسان . وهذه رواية صاحب الجمهرة ،
 ورواية اللسان : إلى لشب في حزم غسان ثاقب (٣) روى صاحب الجمهرة البيت
 كما يأتي :

يجر دن ييضاً كل يوم كريمة ويضدن همراً خاضبات المضارب
 (٤) واجب : ميت (٥) صبحنكم : أى دهنناكم صباحاً ؛ ويريد بالبيضاء الحرب غلب عليها
 لون السيوف ، والهورب : النساء المهاريات من الذعر (٦) الصريح من القوم : السيد فيهم ،
 وغرب السيوف : حده ، والإيماء : الجوارى ، وأبناء الحواطب : أبناء حملات الحطب من النساء
 (٧) أبو قيس بن الأسلت (٨) يريد : إنكم لولا أنكم هربتم في أمالي المضارب لكنتم في
 عداد السبايا (٩) المشارب : الفرف .

فَهَلَا لَدَى الْحَرْبِ الْعَوَافِ صَبْرُكُمْ لَوْ قَمْتَنَا وَالْيَأْسُ صَبَبَ الرَّاكِبِ
ظَأْرَاكُمْ بِالْبَيْضِ حَتَّى لِأَنْتُمْ أَذَلُّ مِنَ السُّقْبَانَ بَيْنَ الْحَلَاثِبِ^(١)
وَلَمَّا هَبَطْنَا الْحَرْثَ قَالَ أَمِيرُنَا حَرَامٌ عَلَيْنَا الْخَمْرُ مَا لَمْ نُضَارَبْ
فَمَا سَمِعَهُ مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٌ فَمَا بَرَحُوا حَتَّى أُحِلَّتْ لِشَارِبِ
فَلَبِثَ سَوِيدًا رَأَى مِنْ جَرٍّ مِنْكُمْ وَمَنْ فَرَّ إِذْ يَجِدُونَهُمْ كَالْحَلَاثِبِ
فَأَبْنَا إِلَى أَيْبَانِنَا وَنَسَائِنَا وَمَا مَن تَرَكْنَا فِي بُعَاثَ بَأْتَبِ
وَعَبِثْتُ عَنْ يَوْمِ كَنَنْتَنِي عَشِيرَتِي وَيَوْمِ بُعَاثَ كَانَ يَوْمَ التَّنَالِبِ
وعاد أبو قيس بن الأسلت^(٢) إلى امرأته ، بعد أن مكث في الحرب أشهراً آثرها
على كل شيء ، حتى شحبت لونه وتغير ، فدق الباب ففتحت له ، فأهوى إليها يئسده
فدفعته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت ،
فقال^(٣) :

قالت - ولم تقصدي لقليل الخنا - مهلا فقد أبلت أسمى^(٤)
أنكرته حين توسمته - والحرب غول^(٥) ذات أوجاع
من يذق الحرب يجحد طعمها مرًا وتجبسه بجمجم^(٦)
قد حصت البيضة رأسي فما أطمم^(٧) نومًا غير تهجاج^(٧)

(١) ظأرناكم : عطفناكم على ما نريد . السف : الذكر من أولاد الإبل (٢) قال صاحب :
الأغاني : لم يقع لى اسمه ، والأسلت لقب أبيه ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوس
قد أسندت إليه حربها يوم بعاث ، وجعلته رئيساً عليها ، فكفى وساد ، وأسلم ابنه عتبة ، واستشهد
يوم القادسية (٣) وقد ررى هذه القصيدة صاحب الجهرة ، وصاحب الفضليات ، والمرسني في
رغبة الأمل (٤) الخنا : العار ، والمعنى آلمني خبرك حتى لا أريد سماعه (٥) غول : مقاتلة .
(٦) الجمجم : المكان الذليظ (٧) حصت : أذهبت شعره ، والبيضة : ما تلبس في الرأس
عند الحرب ، يريد أنه من طول لبسها أذهبت شعر رأسه ، والتهجاج : التومة الحنيفة .

أسمى على جُلٍّ^(١) بنى مالك كلُّ امرئٍ في شأنه سَاع
أعدتْ للأعداءِ مَوْضُونََةً فَضْفَاضَةً كالنَّهْيِ^(٢) بالقاع
أَحْفِزُهَا عني بذي رَوْتِقٍ مَهْتَدٍ كالمَلْحِ^(٣) قطاع
صَدَقِي حُسامٍ وادِقٍ حَدُهُ وَمُجَنِّمٍ أَسْمَرَ قِرَاعٍ^(٤)
بِزٍّ امرئٍ مستبسلٍ حاذِرٍ للدهرِ جلدٍ غيرِ جِجْرَاعٍ^(٥)
الحزم والقوة خير من الـ إِدْهَانِ وَالْفَكَّةِ وَالْمَاعِ^(٦)
ليس قَطَاً مثل قُطَىٍ ولا الـ مرعى في الأَقْوَامِ كالرَاعِي^(٧)
لا نَأْمُ القتلِ ونَجْزِي به الأعداءِ كَيْلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ^(٨)
نَدُوهُمْ عَنَّا بِمُسْتَنَّةٍ ذاتِ عَرَابِينَ وودَّعٍ^(٩)
كأننا أسدٌ لدى أَشْبَلٍ يَنْهَتَنُ في غَيْلٍ وَأَجْرَاعٍ^(١٠)
حتى تَجَلَّتْ ولنا غَايَةٌ من بين جَمْعٍ غيرِ مُجَاعٍ^(١١)

(١) الجُلُّ : ما يوضع على الدابة (٢) الموضونة : الدرع المنسوجة ، بعض حلقها مداخل في
بعض ، والنهى : الفدير ، والقاع : المكان المستوي ؛ شبه نسجها بما تنسجه الريح فوق سطح الماء
بذلك القاع (٣) الحفز في الأصل : دفك الشيء من خلقه ؛ يريد أذفع ثقلها بغمد سيف ذي روتق
والروتق : ماء السيف وصفائه . وشبه السيف بالملح لصفائه (٤) صدق : صادق الضربة ؛
وادق حذره : ماض في ضربته ؛ والمجنأ : الترس سمي به لانحنائه ، وقراع : صلب ؛ سمي به
لصبره على القراع (٥) البز : السلاح ، والحاذر : التائب التارك السلاح (٦) الإدهان :
اللين ، والفكة : ضعف الرأي ، والماع : سوء الحرس مع الضعف (٧) ورد هذا البيت مورد المثل ،
وليس قطا مثل قطى : ليس الأمر الكبير كالصغير ؛ وليس المرعى كالراعى : ليس السائس كالمسوس
(٨) يريد أنه لا يفوتنا أحد بوتر ، ولا ينقص من حقنا (٩) المستنة : الكنيبة تستن في عددها
من استن الفرس ؛ مضى على وجهه ، والعرايين : جمع عرين وهو الأنف ، وأراد به رؤساءهم ،
والدفاع : جمع دافع ؛ وهم الذين يذفون الأعداء (١٠) النهيت : صوت الأسد ، والغيل : الأجمة
والأجزاء : الرديان المنقطعة (١١) الغاية : الراية ، والجماع : أخلاط الناس ؛ يريد لم نستعن
بأحد من غيرنا .

هلا سألت الخيل إذ قلصت ما كانت إبطان وإسراي^(١)
 هل أبذل المال على حُبِّه فيهم وآبي دعوة الداعي
 وأضرب القونس يوم الوغى بالسيف لم يَقْصُرْ به باعي^(٢)
 وأقطع الخرق يُخاف الرد فيه على أدماء هِلْوَاع^(٣)
 ذات أساهيجَ مُجَالِيَّة حششتها كورى وأنساع^(٤)
 تمطى على الأين وتنجو من الضَّ رب أمونٍ غيرِ مِظْلَاع^(٥)
 كأن أطراف وِلْيَاتِهَا فى شمال حصاء زَعْرَاع^(٦)
 أزيّنُ الرَّحْلَ بِمَقْوَمَةٍ حارية أو ذات أقطاع^(٧)
 أقضي بها الحاجات إن الفتى رهن بذي لَوْنِيهِ خَدَاع^(٨)

هذا ، وقد وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة اقتصرنا منها على ما تقدم منها يوم السراة ، ويوم الربيع ، ويوم فارح ، ويوم البقيع ، ويوم معيس ومضرس ، وغيرها ، فارجع إلى ما أشرنا من مراجع إن أردت الزيادة .

(١) قلصت : شمرت ؟ من قلصت الإبل في سيرها ؛ إذا استمرت في مضيتها (٧) القونس : مقدم بيضة السلاح أو أعلاها (٣) الخرق : القفر ، ويريد بالأدماء الناقه ، من الأدمهوى في الإبل البيضاء الواضح ، والهلواع مثل الهلوةاع : الناقه الشبهه التي تخاف من السوط . وهذه رواية صاحب الفضليات والمرصني في رغبة الأمل ، ورواية صاحب الجهرة :

فلك أفضال وقد أقطع الخرق على أدماء هلواع

(٤) الأساهيج : فنون في السير مختلفة ، لا واحد لها ، وجمالية : تشبه الجمل في خلقته ، وحششتها : يريد أعطيتها ، والكور : الرجل ، والأنساع : جبال من جلد مضفورة تشد عليها الرحال (٥) تمطى على الأين : يريد تمطى سيراً سريعاً ، والأمون : المأمونة الطار ، وغير مِظْلَاع : من الطلع ، وهو المريج والقمز في المعى (٦) الوليات : جمع ولية ، وهى الكساء يوضع تحت الرحل ، جعل كل جزء ولية فجمع ، وحصاء : شديدة الهبوب ، وزعراع : ترزعع كل ما نمر به ؛ يريد كأن أطراف ذلك الكساء على ربح الشمال من شدة سرعتها في السير (٧) المقومة : المشية ، وحارية منسوبة إلى الحيرة : على غير قياس ، والأقطاع : الطنافس المشاة توضع تحت الرحل على كتف البعير (٨) أى بدهر ذى خير وشر .

٧ - حَرْبُ يَوْمِ سَجِيلٍ

كان جعفر^(١) بن عُلبَةَ يزور نساء من بني عَقِيلِ^(٢) بن كَعْبِ ، وكانوا متجاوزين هم وبنو الحارث^(٣) بن كعب، فأخذته بنو عقيل ، وكشفوا عَوْرَتَهُ ، وربطوه إلى جُنْتِهِ ، وضربوه بالسَّيَاطِ وكَتَّفُوهُ ، ثم أقبلوا به وأدْبَرُوا ، على النَّسْوَةِ اللّاتِي كان يتحدّث إليهن على تلك الحال ليميطوهن ، وَيَفْضَحُوهُ عِنْدَهُن ، فقال لهم : يا قوم ؛ لا تَفْعَلُوا ؛ فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ مُثَلَّةٌ ، وَأَنَا أَحْلَفُ لَكُمْ بِمَا يُثْلِجُ صَدْرَكُمْ ؛ أَلَّا أَزُودَ بِيُوتِكُمْ أَبَدًا وَلَا أُجِيبَهَا . فلم يقبلوا منه . قال : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ فَحَسْبُكُمْ مَا قَدْ مَضَى ، وَمُنَا عَلَى الْكَفِّ عَنِي ؛ فَإِنِّي أَعِدُّهُ نِعْمَةً لَكُمْ ، وبيدًا لَأُكْفِرُهَا أَبَدًا ؛ أَوْ فَاقْتُلُونِي وَأَرِيحُونِي فَأَكُونَ رَجُلًا آذَى قَوْمًا فِي دَارِهِمْ فَقْتُلُوهُ .

فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عَوْرَتَهُ بين أبدى النساءِ ويضربونه ، ويفرُّون به سفهاءُهم ، حتى شَفَوْا أَنفُسَهُمْ مِنْهُ ، ثم خَلَّوْا سَبِيلَهُ .

وبلغ ذلك إِيَّاسَ بْنَ زَيْدٍ ، فقال يتوجَّعَ لْجَعْفَرِ :

* لبني الحارث بن كعب (بطن في كهلان) على بني عقيل بن كعب (بطن في قيس) وسجبل موضع في ديار بني الحارث بن كعب . وهذا اليوم ، وإن اتصل بالإسلام ، إلا أننا وضمانه هنا ؛ لأنه لا يمت إلى الوقائع والحروب الإسلامية بصلة ، ولذلك وضع في جمع الأمثال في الأيام الجاهلية . معجم البلدان ص ٤٣ ج ٥ ، الأغاني ص ١٤١ ج ١١ ، معاهد التنصيص ص ٤٣ ج ١ ، شرح الحماسة للبربري ص ٥٦ ج ١

(١) جعفر بن علبه بن ربيعة من بني الحارث بن كعب ، ينتهي نسبه إلى عبيد يثوث الشاعر ، أسير يوم الكلاب الثاني ، كنيته أبو عارم ، وعارم ابنه . وهو من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، شاعر غزل فارس مذكور في قومه (٢) بنو عقيل : بطن من قيس (٣) بنو الحارث بن كعب : من كهلان .

أبا عامرٍ كيف اغتَرَرْتَ ولم تَكُنْ تُفَرِّ إذا ما كان أمرٌ تُحَاذِرُهُ (١)
فلا سُلِّحَ حتى يَخْفِقَ السيفُ خَفَقَةً بَكَفٍ فَيَجْرَتَ عَلَيْهِ جَرَاثِرُهُ
ثم مضت أيام ، وأخذ جَعْفَرُ أربعة رجال من قومه ، وَرَصَدَ المَقِيلِينَ حتى ظَفَرَ
بِرَجُلٍ ممن كان يصنع به ذلك ، فقبضوا عليه ، وفعلوا به شراً مما فعل بجعفر ، ثم
أطلقوه ، فرجع إلى الحى ، فأندرهم ، فتيممهم سبعة عشر فارساً من بنى عقيل حتى
لحقوا بهم بوادى سَحْبَلٍ ، فقاتلهم جَعْفَرُ ، وقتل فيهم حتى لم يبق من العقيليين إلا
ثلاثة نفر ، وعمد إلى القتلى فشدَّهم على الجمال وأنفذهم مع الثلاثة إلى قومهم . وقال
جَعْفَرُ فى ذلك :

وسائتِ عينا بنيبٍ وسائلٍ بمصدَقنا فى الحرب كيف تُقَالُ
ألهفى بقرى سَحْبَلٍ حين أحلَبتِ علينا الولايا والمدو المباسل (٢)
قالوا لنا نِنتانٍ لا مُبدٍ منهما : صدور رماح أُشْرِعتْ أو سلاسل (٣)
فقلنا لهم : تِلْكم إذا بَعْدَ كَرَّةٍ تُفادِرُ صرعى نوهها متخاذل (٤)
ولم ندر إن جِضنا من الموت جِيسَةً كم المرء باقٍ واللدى مُتطاول (٥)
إذا ما ابتدرنا مأزِقاً فرَجَّتْ لنا بأيماننا بيضُ جَلَّتْها الصياقل (٦)

(١) اغتَرَرْتَ: أتيت على غفلة (٢) الهفى : أصله ألهفى ، والتلف: التوجع ، وقرى : موضع
بوادى سحبل ، وأحلبت : أغانت ، والولايا يريد بها العشاير والقبائل ، والمباسلة : المصاولة فى
الحرب (٣) يقول : إنهم قالوا لنا : إما أن تصبروا على القتال فنلقاكم بالرماح ، وإما أن تستأسروا
فأخذكم فى السلاسل (٤) الإشارة إلى التخيير ، والكرة : المرة من الكر ، وتفادير : تترك
والمعول محذوف تقديره تفادركم ، والنوء التهوض ، يقول : فأجبنام بأن ذلك الحبار بين هاتين
لا يكون إلا جد كرة عليكم تترككم مصروعين عاجزين عن التهوض (٥) . يقال : جاض أى
انحرف وعدل (٦) المأزق : مضيق الحرب ، يقول : إذا استبقنا للمضيق فى الحرب وسنته
لنا سيوف مصولة بأيماننا .

لهم صدرُ سيفي يوم بطحاء سَحْبِلِ ولى منه ما ضُمَّتْ عليه الأنايل^(١)
 واستمدتْ بنو عُقَيْلِ عليهم السرى بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر
 النصور ، فأرسل إلى عُلبَةَ بن ربيعة ، والد جعفر ، وأخذنه بهم ثم حبسه ، حتى
 دفعهم وسائرَ من كان معهم إليه .

وكان ممن حبس مع جعفر في بني عُقَيْلِ علي بن جُنْدَب - وكان صديقه - والنضر
 ابن مضارب ؛ أما علي فإنه أفلتَ من الحبس وهرب ، أما النضر فإنه استُقيِدَ منه
 بِجِراحَةٍ ، ولكن بقي جعفر في حبسه يقول الشعر ، وكان مما قال :

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدُ جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوتِقٌ^(٢)
 عَجِبْتُ لَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصْتُ إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مُفْتَقٌ
 أَلَمْتُ^(٣) فَحَيْتُ ثُمَّ قَامْتُ فَوَدَّعْتُ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ
 فَلَا تَخَسِّي أَنِّي تَخَشَّمْتُ^(٤) بِمَدْمِكُمْ لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
 وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيهَا وَعَيْدُهُمْ وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ^(٥)
 وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكَ صَبَابَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ
 ثم إن جعفرا أخبر بأنه مقتول ؛ فقال :

أَلَا لَا أَبَالِي بِمَدِّ يَوْمٍ بِسَحْبِلِ إِذَا لَمْ أَعْذَبْ أَنْ يَجِيءَ حَامِيَا
 تَرَكْتُ بِأَعْلَى سَحْبِلِ وَمَضِيْقِهِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

(١) يريد : أن للأعداء صدر سيفه يعمل فيهم ، وفي يده مقبضه ، ورواية اللسان : يوم صحراء
 سحبل . قال : وصحراء سحبل : موضع (٢) هواي : مهوى ، والركب : ركبان الإبل خاصة ،
 واليمانون : جمع يمان ، وهو النسوب إلى اليمن ، والمصعد : البعد من الإصعاد وهو الإبعاد ،
 وجنيب بمعنى مجنوب : مستبغ ، والجثمان : البدن (٣) ألت من الإلمام بمعنى الزيارة
 (٤) تخشمت : تكلفت الحشوع (٥) يزدهيها : يستغفها . والأخرق : القليل الرقيق بالقيء .

شفيتُ به غَيْظِي وحرب مواطني وكان شفاءَ آخِرِ الدهرِ باقيا
أرادوا لِيَثْنُونِي فقلت تَجَنَّبُوا طريق فسألى حاجة من وَرَائِيا
فدى لبني عمِّ أَجابوا لدَعْوَتِي شَفَوْا من بني القُدْماءِ عمي وخاليا
كَانَ العَقِيلَيْنِ يومَ لَقِيَهُم فِرَاحُ قَطَا لاقَيْنِ صَقْرًا يمانيا
تَرَكَناهُمُ صَرَعِي كَأَنَّ ضَجِيحَهُم ضَجِيحُ دُبَارِي النَّيبِ لاقَت مُدَاوِيا
أقول - وقد أَجَلت من القومِ عرْكَةً - لييك العَقِيلَيْنِ من كان با كِيا
فإِن يَقْرَى سَحْبِلَ لِأَمارة ونصح دماءِ منهم ومَحَايَا^(١)
ولم أَتْرِك لِي رِيبةً غيرَ أَنِّي وددت معاذًا كان فيمن أَنَا نِيَا^(٢)
شفيت، غلِيلِي من خَشِينَةَ بعدما كسوت الهدبيلَ المشرقِ اليَمَانِيا^(٣)
أحقًا عبادَ الله أَن لستُ ناظرًا صحارى نَجْدِ والرياحِ الدَّوَارِيا
ولا زائِرًا شمِ العَرانِينِ تنمى إلى بامرٍ يَحْلِنُ رَمَلًا مُعَالِيا
إِذا ما أَتَيْتَ الحارِثِياتِ فأنمى لهنَّ وخبرهنَّ "أَنَّ لَا تَلَقِيا
وقودَ قَلْوصِي يَنْهِنَنَّ فأنها ستبردُ أَكبادًا وتُبكي بَوَاكِيا
أوصيكم إن متَّ يومًا بِعَارِمٍ^(٤) ليغني شيئًا أو يكون مَكَانِيا

ولما أخرج جعفر للقوق قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد ؛
فقال له : اسكت ؛ لا أم لك ؛ إني إذا ليهيأف^(٥) ، وانقطع شسع نعله ، فوقف
فأصاحه ، فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

(١) الحجاب : آثار جبهوم من الضعف (٢) أي وددت أن معاذًا كان أتاني معهم فأقتله
(٣) خشينة والهدبيل : اثنان من بني عقيل قتلها جعفر (٤) عارم : ابنه (٥) رجل هيوف
ومهياف : لا يصبر على العطش .

أشدَّ قَبال نَملي أنب براني عَدُوِي للحوادث مستكيننا
ثم ضُرِبَتْ عنه .

ولما قُتِلَ قام نساء الحى يبكين عليه ، وقام أبوه^(١) إلى كل ناقة وشاة فنحروا
أولادها ، وألقاها بين يديها ، وقال : ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق تنفث ،
والنساء يصيحن ويبكين ؛ وهو يبكى ممهنّ فإرئى يوم كان أوجع ، ولا مائماً
أكثر حزناً فى العرب من يومئذ^(٢) .

* * *

وهناك رواية أخرى أوردتها التبريزى فى شرح الحماسة هنا نصها :
كانت بنو عقيل بن كعب وبنو الحارث بن كعب حالين بصيِّد^(٣) ، وفى عشية
جاء فتيانهم يلعبون ، وبرزت لهم فتيات ينظرن إليهم . فبصر رجل من بنى الحارث
برجل من بنى عقيل يُومِضُ بامرأة من قومه ؛ فأخذ رُمحاً وطمن به العقيلي فى
فيه ، فدقّ نابه ، وشقّ لنته ، وحسب أن الرُمح قد بلغ منه فولّى . واستثار رجل
من العقيلين أخوا العقيلي - واسمه عباس - ولكنه وثب وولّى هارباً^(٤) . ووثب رجل
من بنى عقيل فرمى الحارثى بسهم ؛ فجذم^(٥) صُلْبَهُ ومات .

(١) كان مما قاله أبوه فى حبس ابنه :

لمرك إن الليل يأم خالد
أحاذر أنباء من القوم قد دنت
لمرك إن ابنى هداة تهوده
على وإن علتنى لطويل
وأوبة أغانى لمن دليل
عقيل لئالى التاصرين ذليل

(٢) هذه الرواية مأخوذة عن الأغاني ، ومعجم البلدان ، ومعاهد التنصيص (٣) صيِّد : فلاة
لا يقال ماؤها ، وموضع بين اليمن وحضرموت (٤) وفى هربه تقول امرأة من بنى الحارث :
أشهد أن وعد الله حق
وأشهد أن عباساً جبان

(٥) جذم : قطر .

وعَقَل^(١) بنو عقيل لبني الحارث ، وبرىء العقيلي من طَعْنَتِهِ ، وَمَفَى زَمَانٍ ،
ونسى الناس ذلك .

ثم نشأ نَسْءٌ في بني الحارث عُبروا بما فعلت بهم بنو عقيل ، وفي بني الحارث شابان
مُتَرَفَّانِ متخالآن : علي بن جُنْدُب ، وجمفر بن عُلبَة . ثم لقي بنو الحارث نفراً من بني
عقيل ، فقتل جمفر وعلي رجلاً من بني عقيل اسمه خشينة ، وضرباً عُرْقُوبِي آخر ،
وضرباً ثالثاً بين الشارب والأنف .

ولما فعل ذلك أتيا عُلبَة أبا جمفر ، فأخبراه الخبر ، وقالاه : ما ترى لنا ؟
أتهرب ؟ فقالا : لا تهربا ، ولكن اتيا صهرى محمد بن هشام ، وأنا لكما جار من أن
يَضِيرَ كما من هذا شيء .

وأُبرِد^(٢) إلى ابن هشام بالكتاب أن علي بن جندب وجمفر بن عُلبَة قد أهدنا
هدى ما ؟ فما رأيك ؟ فكتب إليه : إني لهما جار فليأتياي .

وحذر بنو عقيل ابن هشام ، فاستمدوا الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب لهم
إلى أمير نجران : أن خذ الحارثيين وإن قام بنو عقيل بينك ، فأقدهما ممن قتلاه ،
وخذ لهم بمحقتهم .

فلما لتوا التتقى قال : لقد لحقا بصهرهما ابن هشام بمكة ، ولا أقدر عليهما ، وقد
لحقا بن هو علي ؟ فرجموا حتى أتوا هشاما ، فقالوا : حال محمد بن هشام بيننا وبين
حقنا أن نأخذ من القوم وهم أشهره ، فكتب هشام إلى محمد بن هشام : أن أعط
القوم حقهم ، وأتق الله .

(١) عفل القتل : وداه ، وعنه أدى جنايته ، وله دم فلان : ترك القود للدية (٢) أُبرده :
أرسله يريدأ .

فلما جاء العقيليون طُلابُ الدم أخذ ابنُ هشام جعفرًا وعليًا وقيدَهما ، وقال للمعيليين : اثبتوني بالبيئة ، فقالوا : قسامة^(١) ! كيف نأتى بالبيئة؟ وكيف نقيم من يشهد لنا ، وقد استودى^(٢) بدمائنا ، وتغنى بها واعترف ؟ فقال : أما قتلًا فليست قاتلاً ، ولكنني عاقلٌ لكم وموفٍ نذر دمائكم وخيلكم .

فراجع القومُ الثلاثة هشاما ، فكتب إليه : ألا تطيلُ دماء القوم ، وقد نطقت الأشمار واعترفوا على أنفسهم .

فكتب ابنُ هشام إلى هشام : أن ردهم إليّ إذا أتوك ، فإن بنى الحارث أسهماي أفضلُ دماء منهم ؛ وإني أحببهم ، أرجو أن يأخذوا العقل^(٣) .

فرجع العقيليون الرابطة حتى أتوا هشاما ، فلما أراد ردهم إليه قالوا : ليس ينصفنا ابن هشام ، ولا نجاوزك أبداً ، فخذ لنا أئماً ربنا^(٤) ؛ فقال لهم هشام : اكتب إليه بمطيتكم العقل ؛ ورضيتكم فقد تهرز به صهره ، فقال المعيليون : لا ، إلا أن يبرز لنا جعفر بن علبه فيرى الناس أننا قدرنا على حقنا ، وأنتا ترك عن قدرة ؛ ثم نأخذ حينئذ منه العقل .

فكتب لهم إلى ابن هشام بذلك ، وأخذ عليهم العهد أنكم تفون بذا ، وإني أعطيتكم العهد ، ففعل .

وقال المعيليون لرجل منهم لم يكن يعرف ، يقال له رَحْمَة : سِر قريباً منا ، وادخل إذا دخلنا ، ولا تنزل حيث تنزل ، ولا تنسب عقيلياً ، فإذا ما برز الرجل فاضرب عُنقه ، وانخس^(٥) بين الناس .

(١) القسامة : الجماعة يسمون على النسيء . ويأخذونه ، أو يشهدون (٢) استودى : أقر واعترف (٣) العقل : الدية (٤) جمع نأر (٥) انخس : تأخر .

وأبرز ابن هشام جعفر بن عُبَيْة، عليه حُلَّتْه أحسن الناس، وقد وضع على العقيليين
حَرَسًا أن تَبْدُر منهم بادرة، وخاف غَدْرَهُم .

فلما برز أهدى إليه رَحْمَةً فقتله . فأخذه ابن هشام فحبسه وأبَسَهُ (١) وعذَّبه ،
وحبس العقيليين وقال : لأعِظَنَكُم، وكان يمدُّ بَرَحَةً ولا يُطِمِّمُهُ . فأت يوم الجمعة ؛
ولم تأت الجمعة أخرى حتى مات هشام بن عبد الملك، وقام الوليد بن يزيد ؛ فبعث يوسف
ابن عمر الثقفي ؛ فأخذ ابني هشام ؛ وعذَّبَهُمَا حتى ماتا في عذابهِ وَسِجِنِهِ .

(١) أبس الرجل : حقره وصغره به .

٣ - أيام القحطانيين والعدنانيين

- ١ - يوم طخفة
- ٢ - يوم أواره الأول
- ٣ - = = الثاني
- ٤ - = السلان
- ٥ - = خزاز
- ٦ - = حجد
- ٧ - = الكلاب الثاني
- ٨ - = فيف الرياح
- ٩ - = ظهر الدهناء

١ - يَوْمِ طَخْفَةَ

كانت الرِّدَافَةُ بمنزلة الوزارة ، وكان الرِّدِيفُ يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويردِّفُهُ وراءه إذا ركب ، وإذا نزل جلس عن يمينه فتصرفُ إليه كأس الملك إذا شرب ، وله رُبْعٌ غنيمة الملك من كل غزوة يفتز ، وله إتاوة على كل مَنْ في طاعة الملك .

وكانت رِدَافَةُ ملوك الحيرة في بني يربوع^(١) ، وفي عهد الملك المنذر^(٢) بن ماء السماء كانت الرِّدَافَةُ لعتَّاب بن هَرَمِي بن زَبَّاح بن يربوع ، ولما مات نشأ له ابنٌ يقال له عَوْف بن عتَّاب ، فقال حاجبُ بنُ زُرارة^(٣) للمنذر : إن الرِّدَافَةَ لا تصلحُ لهذا الغلام لحدائمه سنَّة ، فأجعلها لرجل كهول ، قال : ومن هو ؟ قال : الحارث بن بَيْبَةَ المُجَاشِمي .

فدعا الملك بن يربوع ، وقال لهم : إن الرِّدَافَةَ كانت لعتَّاب وقد هلك ، وابنه هذا لم يبلغ ؛ فأعقبوا إخوتكم من بني مجاشع^(٤) ؛ وإني أريد أن أجعلها للحارث بن بَيْبَةَ . فقالت بنو يربوع : إنه لا حاجة لإخوتنا فيها ؛ ولكن حسدونا مكاننا من الملك ؛ وعوف بن عتَّاب -

* لبي يربوع على المنذر بن ماء السماء . وطخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

معجم البلدان ص ٣٢ ج ٦ ، العقد الفريد ص ٣٥٩ ج ٣ ، النقاظ ص ٤٤٨ ، ٩٢٤ ، ٢٨٥

٦٦ ، الأغاني ص ١٧٦ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٦ ج ١

(١) يربوع : بطن في تميم ، وقيل : إن بني يربوع كانوا أكثر العرب إغارة على ملوك الحيرة ، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الرِّدَافَةَ ، ويكنوا الفارة عن أهل العراق (٢) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وفتحاً ، عاصر من ملوك الفرس قباد وابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم الإمبراطور جستنيان ، ومن الفساسنة الحارث الأكبر المذكور في هذا اليوم ، وفي بعض الروايات هو صاحب يوم النعم والبؤس ، مات سنة ٦٣ هـ (٣) حاجب بن زُرارة بن عبد الله بن دارم التميمي ، أحد الذين أوفدم النعمان على كسرى ، وهو الذي دهن قوسه عند كسرى ووفى برهنه ، وبها ضرب المثل ، وسارت الأشعار (٤) مجاشع : بطن في تميم .

على حدّ آتة سنّه - أخرى بالدافّة من الحارث بن يبيّة ، ولن نفعل ولن ندعها . قال :
فإن لم تدعوها فأذنوا بحرب ؛ قالوا : دعنا ندرّ عنك ثلاثاً ، ثم آذنا بحرب
وسارت بنو يربوع ذاهبةً عن الملك ، ومعها برّجة من البراجم^(١) حتى نزلوا
شعباً بطخفة ؛ ودخلوا فيه هم وعيالهم ؛ فجملوا العيال في أعلاه ؛ والمال في أسفله ،
وهو شيبُ حصين له مدخل كالباب ؛ ولما مضى ثلاث أرسل الملك قابوس ابنه وحسانا
أخاه ، في جيش كثير من أفناء^(٢) الناس ، واحتبس عنده شهاب بن عبد قيس
اليربوعي وحاجب بن زرارة ، فلما مضى للجيش ثلاث دعاها الملك - وكانت الملوك
تمطى الربّ على حُسن ظنّونهم ، والكلام الحسن تستقبل به الملوك - فقال لحاجب :
ياحاجب ؛ قد سهرت الليلة فأرسلتُ إليك لتحدثني أنت وشهاب ، ثم قال له : ماظنك
بالجيش يا حاجب ؛ فقال حاجب : ظني أنك قد أرسلت جيشاً لا طاقةً لبني يربوع به ،
وسياتونك بهم وبأموالهم ظافرين .

ثم التفت المنذر إلى شهاب وقال : وماظنك أنت يا شهاب ؛ فقال : أرسلت جيشاً مختلف
الأهواء - وإن كثروا - إلى قوم عند نسايمهم وأموالهم ، يدُهم واحدة ، وهوام واحد ،
يقاتلون فيصدقون ، وظنّي أن سوف يظفرون بجيشك ، وبأسرون ابنك وأخاك ؛
فقال حاجب : كذبت ؛ أنت قد أهرت^(٣) . فقال شهاب : أنت أكذب ،
ثم تراهن هو وحاجب على مائةٍ لمائة من الإبل ، وكان لشهاب ربي^(٤) من الجن ،
فقام مغضباً وأتى مضجعه ، وانتبه من الليل وهو يقول :

(١) البراجم : خمسة رجال من بني تميم اجتمعوا وقالوا نحن براجم الكف ، فلب عليهم ، وهم
قيس وعمرو وغالب وكلفة والظلم بنو حنظلة بن مالك (٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، والواحد
فؤ (٣) أهرت : خرف (٤) الرئي : الجنى في زعم الرب .

أنا بشير نفسيه نَفَرْتُ حَاجِبًا مِيه^(١)

وَرَدَّهَا مِرَارًا ، فَسَمِعَهَا الْمَلِكُ فَقَالَ لِحَاجِبٍ : مَا يَقُولُ هَذَا ؟ قَالَ : يُهْجِرُ^(٢) ،
قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَهْجَرَ ، وَلَكِنْ جَيْشِكَ قَدْ هُزِمَ ، وَأَسْرَ ابْنُكَ وَأَخُوكَ ، وَآيَةُ ذَلِكَ
أَنْ يُصَبِّحَكَ رَاكِبٌ بِعِيرٍ ، جَاعِلًا أَعْلَى رِجْمِهِ أَسْفَلَ يَخْبِرُكَ بِذَلِكَ .

أَمَّا جَيْشُ قَابُوسٍ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى الشَّعْبَ فَدَخَلَ الْجَيْشَ فِيهِ ، حَتَّى
إِذَا كَانُوا فِي مَضَائِقِهِ حَمَلَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو يَرْبُوعِ النَّعْمِ ، وَخَرَجَتِ الْفَرَسَانُ مِنْ شِعَابِهِ ،
فَقَمَقَمُوا بِالسَّلَاحِ لِلنَّعْمِ فَدَعَرَهَا ذَلِكَ ، وَحَمَلَ عَلَى الْجَيْشِ فَرَدُّوا وَجُوهَهُمْ ، وَأَتْبَعْتَهُمْ خَيْلُ
بَنِي يَرْبُوعٍ تَقْتُلُ وَتَطْعَنُ . ثُمَّ انْهَزَمَ قَابُوسٌ وَمَنْ مَعَهُ ، وَضَرَبَ طَارِقُ بْنُ دَيْسُقٍ فَرَسَ
قَابُوسٍ فَمَقَرَهُ وَأَسْرَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَمْجِزَ نَاصِيَتَهُ ، فَقَالَ : إِنْ اللُّوْكَ لَا تُجَزَّ نَوَاصِيَهَا ،
فَأَرْسَلَهُ ؛ وَأَمَّا حَسَّانُ فَأَسْرَهُ عَمْرُو بْنُ جُوَيْنٍ ، وَهُزِمَ الْجَيْشُ ، وَأَخَذَتِ الْأَنْهَابُ .

ثُمَّ صَبَّحَ الْمَلِكُ - تِلْكَ الْغَدَاةَ الَّتِي قَالَ فِي لَيْلَتِهَا شُهَابٌ مَا قَالَ - رَجُلًا انْهَزَمَ مِنْ
أَوَّلِ الْجَيْشِ عَلَى بَعِيرٍ ، فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ شُهَابٌ لَهُ لَمْ يَخْرِمَ مِنْهُ شَيْئًا .

فَدَعَا الْمُنْدَرَ شُهَابًا فَقَالَ لَهُ : يَا شُهَابُ ؛ أَذْرِكُ ابْنِي وَأَخِي ، فَإِنْ أَذْرَكْتَهُمَا حَيِّينَ فَلَبَنِي
يَرْبُوعٍ حَكَمَهُمْ ، وَأَرُدُّ عَلَيْهِمْ رِدَائِهِمْ ، وَأُهْدِرُ عَنْهُمْ مَا قَتَلُوا ، وَأَهْنُتُهُمْ مَا غَنَمُوا ،
وَأَحْمِلُ^(٣) لِمَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ فَأَعْطِيَهُمْ بِهَا أَلْفَى بَعِيرٍ .

فَخَرَجَ شُهَابٌ فَوَجَدَ الرَّجُلَيْنِ حَيِّينَ ، فَضَمَّنَ لَهُمْ مَا قَالَ الْمُنْدَرُ فَرَضُوا ، وَعَادَتِ
الرِّدَاةُ إِلَى ابْنِ عَتَابٍ ، وَلَمْ تَزَلْ لَهُمْ حَتَّى مَاتَ الْمُنْدَرُ .

* * *

(١) يريد أنه قد استحق المائة من الإبل التي تراهنا عليها (٢) أهجر في منطقه : أتى بالتيح
من الكلام (٣) احتمل الدية .

وفي تلك الموقعة قال شريح بن حارث البريعي :

وكنت إذا ما بابُ ملك قرعته قرعت بآباه أولي شرفٍ ضخم
بأبناء يربوع وكان أبوم إلى الشرف الأعلى بآبائه ينبي
هم ملكوا أملاك آل مُحَرِّق وزادوا أبا قابوسَ رغماً على رغم
وقادوا بكَرِهٍ من شهابٍ وحاجبٍ رموسَ مَمَدٍ بالأزمنةِ والحطم
عَلَا جَدُّهم جدَّ الملوك فاطلقوا بِطِخْفَةِ أبناء الملوك على الحُكْم
وكننا إذا قوم رميْنَا صَفَاتَهُمْ تركنا صدوعاً بالصَّفَاةِ التي نرعى
وزعى حنى الأقوام غير محرم علينا ولا يرعى حمانا الذي نخمي

وقال متمم بن نويرة :

ويحن عقرنًا مُهرَ قابوس بعد ما رأى القوم منه الموت والخيل تلحب^(١)
عليه دِلاص^(٢) ذات نَسَجٍ وسيفه جُرَّاز^(٣) من الهندي^(٤) أبيض مقضب

وقال عمرو بن حوط بن سلمى بن هرمى بن رباح :

قسطننا يوم طِخْفَةِ غيرِ شك على قابوس إذ كرهَ الصباح
معرُ أيبك والأنباه تنمى لنعم الحى في الجلى رباح
أبوا دينَ الملوك فهم لقاح^(٥) إذا هيجوا إلى حربٍ أشاحوا
فا قوم كقومى حين يعلو شهاب الحرب تسمره الرماح

(١) تلحب : تلتهت (٢) الدلاص : من الدروع : البنية (٣) الجراز من السيوف :

الماضى النافذ (٤) فى القنائض : الجنى ، والجنى : بالكسر والضم : من أجود الحديد

(٥) يقال : قوم لقاح وحى لقاح ؛ وهم الذين لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجمالية ساء .

فما قوم كقوى حين يُجتنى على الخلود الخدرة الفصاح
 أذب عن الحفائظ في معدة إذا ما جدّ بالقوم النطاح^(١)
 كأنهم لو فزع البيض بزل^(٢) تفض الطرف واردة قجاج^(٣)
 صبرنا نكسر الأسلات^(٤) فيهم فرحنا قاهرين لهم وراحوا
 ورحنا ننفق الزايات فينا وأبنا والملوك لهم أحاح^(٥)

(١) المراد الحرب (٢) بزل البعير : انشق ثابه فهو بازل ذكرأ كان أو أتى وذلك في السنة
 التاسعة ، وربما في السنة الثامنة . والبزل أيضاً : العنز (٣) القامح من الإبل : الذي اشتد عطشه
 حتى قترتلك خوراً شديداً (٤) الأسله : طرف السنان ، وأسله التصل : مستدقه ، أو هي الرماح
 كهد جمع الفرزدق الأسل (الرماح) أسلات فقال :
 قدمات في أسلاتنا أو عضه غضب بروقه الملوك يمتل
 أي في رماحنا (٥) في صدره أحاح وأحيعة من الضغن والنيظ .

٢- يوم أواراة الأول *

أخرجت تغلب سلمة بن الحارث^(١) من بينها بعد يوم السكلاب الأول ، فالتجأ إلى بكر بن وائل ، ولحقت تغلب بالنذر بن ماء السماء ، فلما صار سلمة عند بكر أذعنت له وحشدت عليه ، وقالوا : لا يملكنا غيرك ؛ فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسيرن^٢ إليهم ، فإن ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أواراة . حتى يبلغ الدّم الحضيض .

وسار إليهم في جموعه ، فالتقوا بأواراة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهمزت بكر ، وأسير يزيد بن شرحبيل الكندي ، فأمر المنذر به قتل ، وقتل في المعركة بشراً كثير .

وأسر المنذر من بكر أنرى كثيرة ، فأمر بهم فذبحوا على جبل أواراة . فجعل الدم يجمد ؛ فقيل له : آيت اللمن ! لو ذبحت كل بكرى على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض^(٢) ، ولكن لو صببت عليه الماء ! ففعل فسال الدم إلى الحضيض ، وأمر بالنساء أن يُحرقن بالنار . وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر ، فسكّاه في سبي بكر بن وائل ، فأطلقهن^٣ المنذر ؛ فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسى إلى المنذر في بكر :

ومنا الذي أعطاه بالجمع ربه على فاقةٍ وللملوك هباتها
سبأيا بني شيبان يوم أواراة على النار إذ تجلى به فتيانها

* للمنذر بن ماء السماء على بكر . وأواراة : اسم جبل لبني تميم .

ابن الأثير ج ١ ص ٣٣٤ ، العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان ص ٢٠٦

(١) هوسلة بن الحارث بن عمرو ، وكان أبوه الحارث ملكاً من ملوك كندة ، ملك أربعين سنة ، ولما مات فرق بينه في قبائل معد ، فكان سلمة وهو أصغرهم على بني تغلب والنمر بن قاسط وبني سمد ابن زيد مناة بن تميم (٢) الحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل : هو في أسفله .

٣- يومِ أواره الثاني

- ١ -

كان عمرو بن المنذر^(١) قد عاهد طيباً ألا ينازعوا ولا يَغزوا ولا يفاخروا، ثم غزا عمرو اليمامة، فرجع مُنْفِضاً؛ فرَّ بطيبي، فقال له زُرارة بن عُدُس: أبيت اللعن، أصب من هذا الحى شيئاً. قال: وبلك! إن لهم عقداً. قال: وإن كان؛ فإنك لم تكتب العقداً لهم كلهم. فلم يزل به حتى أصاب نسوةً وأذواداً. فقال في ذلك قيس بن جريرة الطائي:

ألا حىَّ قبلَ البينِ من أنتِ عاشِقُهُ ومن أنتِ مُشْتاقٍ إليه وشاتِقُهُ
ومن لا تُؤاتي داره غيرَ فينةٍ^(٢) ومن أنتِ تبكى كلَّ يومٍ تُفَارِقُهُ
وتمدُّو بصحراءِ الثويبةِ^(٣) ناقي كمدُّو النحوصِ قدأُخِمتِ نواهِقُهُ^(٤)
إلى الملكِ الخيرِ ابنِ هندٍ تزوره وليس من القوتِ الذي هو سابقُهُ^(٥)
وإن نساءَ غيرِ ما قال قائلُهُ غنيمَةُ سَوِّهٍ بينهنَّ مَهَارِقُهُ^(٦)

• لعمرو بن هند على بني تميم. وأواره: اسم جبل لبني تميم. مجمع البلدان ص ٣٦٤ ج ١، ابن الأثير ص ٣٣٤ ج ١، النقاظ ص ٦٥٢، ١٠٨١، أمثال الميداني ص ٢٦٦ ج ١
(١) عمرو بن هند: هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس، ويعرف باسم أمه هند بنت عمه امرئ القيس الشاعر، وكان شديد البأس وافر البطش عظيم الكبرياء، مات مقتولاً بسيف عمرو ابن كلثوم سنة ٥٧٨ م (٢) أي لا تأتي داره إلا ساعة (٣) الثوية: موضع قريب من الكوفة (٤) النحوص: الأتان الوحشية، وأخِمت: صارت لها مخ، والنواهيق: عظمان في الساق والمراد أنها صينة (٥) أي ليس هذا عند ابن هند مما يفوت عارقاً وبسبه (٦) المهارق: الصحائف، وهو حرير يسق صنفاً، ويصقل ثم يكتب فيه.

ولو زِيلَ فِي عَهْدِ لِنَا لِحْمِ أَرْنَبِ رَكَدْنَا وَهَذَا الْمَهْدُ أَنْتَ مُعَا لِقَهُ (١)
فَهَبَكَ ابْنَ هِنْدٍ لَمْ تَعْقَكَ مَلَامَةٌ وَمَا الرُّهُ الْا عَهْدُ وَمَوَارِثُهُ
وَكَنَّا أَنْسَا خَافِضِينَ بِنَمَّةٍ يَسِيلُ بِنَا تَلْعُ اللَّأَ وَأَبَارِقُهُ (٢)
فَأَقْسَمْتُ لَا أَحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ حَرَامٌ عَلَيْنَا رَمْلُهُ وَشِقَاقُهُ (٣)
أَكَلْتُ خَيْسٍ أَخْطَأُ النَّمَّ مَرَّةً وَصَادَفَ حَيًّا دَائِنًا فَهُوَ سَائِقُهُ (٤)
فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِيَّ وَمَا خَبٌّ فِي بَطْحَائِينَ دَرَادِقُهُ (٥)
لَنْ لَمْ تُغَيِّرَ بَعْضَ مَا قَدْ فَعَلْتُمْ لِأَنْتَجِينَ الْعَظْمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ (٦)

فبلغ عمرو بن هند هذا الشمر ، فقال له زُرارة بن عدس : أيت اللن ! إنه
بتوعدك . فقال عمرو بن شعات الطائي : أيهجوني ابن عمك (٧) ويتوعدني ؟ قال :
لا ، والله ما هجاك ، ولكنه قال :

والله لو كان ابنُ جَفْنَةَ جارِكُم ما انْ كَمَا كَمُ غُصَّةً وَهَوَانًا
وسلاسلاً يَبْرُقُنْ فِي أَعْنَاقِكُم وَإِذَا لَقِطْعُ تَلِكُمُ الْأَقْرَانَا (٨)
ولكان عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرَبِطًا رَادِعًا (٩) وَجِفَانًا

وإنما أراد أن تذهب سَخِيمَتُهُ ، فقال : والله لأقتلنه ؛ فبلغ ذلك عارفا فقال :

(١) معالقه : متعلق به (٢) التلع : جمع تلة ، وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض (من
الأستداد) ، والأبارق : جمع أبرق وهي أرض مختلطة بحجارة ورمل (٣) صهوة كل شيء : أعلاه ،
والنقائق : قطع غلاظ بين جبال الرمل واحدها شقيقة (٤) دائنا : مطبعا ، والخبس : الجيش
(٥) الدراديق : سفار الإبل ، ومعنى : موضع بمكة (٦) ذو بمعنى الذي وهي لغة طيء ، وعرق
العظم : انزع منه اللحم ، ومعنى الشاعر عارفا لهذا البيت (٧) هو ابن عم قيس بن جروة
(٨) الأقران : الجبال (٩) يقال قيس رادع إذا كان مصبوغا بالزعفران .

من مُبلِّغٌ عمرو بن هندٍ رسالةً إذا استحقَّبتها العيسُ تَنفَضِي من البُعدِ (١)
أبو عِدُنِي والرملُ بيني وبينه تأملُ رويداً ما أمانة من هند
ومن أجابِ حولي رِعاتٌ كأنها قنابلُ خيلٍ من كُمَيْتٍ ومن وَرْدٍ (٢)
غدرتَ بأمرٍ كنتَ أنتَ دعوتهَا إليه ، وبئسَ الشيعةُ الغَدْرُ بالعهدِ (٣)
فبلغ عمرو شمره ، ففزا طيئناً ، وأمر من بني عدي (٤) سبعين رجلاً ، وفيهم قيس بن
جحدر ابن خالة حاتم الطائي ، وحاتمٌ يومئذ بالحيرة ، فلما قدم جمعت المرأة تأتيه
بالصبي ، فتقول : يا حاتمُ أير أبو هذا ؟ فلم يلبثُ إلا ليلة حتى سار إلى عمرو بن
هند - وكذلك كان يصنع - فوهبهم له إلا قيس بن جحدر ؛ لأنه كان من رهط
عارقٍ ؛ فقال حاتم :

فككت عدياً كلها من إسارها فأنمٍ وشفعني بقيس بن جحدر
أبوه أبي ، والأمهات أمهاتنا فأنمٍ فدتك اليوم نفسي وممشري
فقال : هولك يا حاتم .

- ٢ -

وقد كان المنذر بن ماء السماء - أبو عمرو بن هند - وضع ابناً (٥) له يقال له مالك عند
زرارة بن عدس - وكان أصغر بني المنذر - فبلغ حتى صار رجلاً ؛ وإنه خرج ذات يوم
بتصيد ، فأخفق فرّاً بإبلٍ لسويد بن ربيعة الدارمي - وهو زوج بنت زرارة قد ولدت
له سبعة غلّمة ، فأمر مالك بيكرةٍ منها ففجرها ، ثم اشتوى ، وسويد ناظم ،

(١) أي إذا حملها الإبل هزلت لبعده المسافة (٢) الرعان : جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل
والقنابل : الجماعات من الخيل ، وأجأ : جبل طيء (٣) يروي : كنت احتديتنا ، واحتدي من
الحدو وهو السوق (٤) رهط حاتم الطائي (٥) في رواية : أخأ له .

فلما انتبه سُويِدَ شدَّ على مالك بمصاً - ولم يعرفه فأتمه^(١) ومات ؛ فخرج سُويِدُ هارباً حتى لحق بمكة، وعلم أنه لا يأمنُ ، فحالف بني نوفل بن عبد مناف ، واختطَّ بمكة^(٢) .
ثم ملك عمرو بن هند - وعلم بذلك - ففزاهم ، وكانت طيبي تطلب عترات زُرارة وبنى أبيه ، حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك^(٣) ، فأنشأ عمرو بن ملقط الطائي بقول :

من مبلغٌ عمراً بأن المرء لم يُخنقُ صَبَارَةً^(٤)
وحوادثُ الأيام لا يَبْقَى لها إلا الحجارة
ها إن عَجْزَةَ أُمِّهِ بالسَّفْحِ أسْفَلَ من أوارِهِ^(٥)
تَسْفِي الرِّيحُ خِلَالَ كَسْفِهِ وقد سَلَبُوا إزارَهُ
فاقتُلْ زُرارة لا أرى في القوم أَوْفَى من زُرارة^(٦)

فلما بلغ عمرو بن هند هذا الشعر بي وفاضت عيناه ؛ وبلغ زُرارة الخبر ، فهرب ، وركب عمرو في طلبه ، فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته ، وهي حُبَلَى - فقال : أذكرك في بطنك أم أنتي ؟ قالت : لا علم لي بذلك ، قال : ما فعل زُرارة النادرُ الفاجر ؟ قالت : إن كان ما عمت لطيبُ المَرَقِ ، سمين المَرَقِ ، لا ينام ليلة يخاف ، ولا يشبع ليلة يُضَاف ؛ فبقر بطنها وانصرف .

فقال قومُ زُرارة له : والله ما أنت قتلت أخاه ، فأنت الملك فاصدقه ، فإن الصدق ينفعُ عنده ؛ فأناه زُرارة فأخبره الخبر ، فقال : فجنني بسويد . قال : قد لحق بمكة . قال : فعلى ببنيه . فأقني ببنيه السبعة من ابنة زُرارة ، وهم غُلَمَةٌ بعضهم فوق بعض ،

(١) أمه : قصده (٢) اختط بمكة : استملك فيها (٣) سبق أن ذكر أنه ابنه

(٤) الصبارة : الحجارة الملسى ، كأنه يقول : ليس الإنسان بحجر فيصبر على مثل هذا

(٥) أول ولد المرأة يقال له زكوة ، والآخر عجزة (٦) الأبيات في لسان العرب مادة صبر .

فَأَصْرًا بَقْتَلَهُمْ، فَتَنَالُوا أَحَدَهُمْ وَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَتَمَلَّقَ الْآخَرُونَ بَزْرَارَةَ، فَقَالَ زَرَارَةُ:
يَا بَعْضِي سَرَّحْ بَعْضًا^(١)، ثُمَّ قَتَلُوا، وَآلَى عَمْرُو بِأَلْيَسَةَ لِيُحْرِقَنَّ مِنْ بَنِي دَارِمٍ^(٢)
مِائَةَ رَجُلٍ.

وَخَرَجَ يَرِيدُهُمْ، وَبَعَثَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ عَمْرُو بْنُ مِلْقَطِ الطَّائِي، فَوَجَدَ الْقَوْمَ قَدْ
نَدَرُوا بِهِ، فَأَخَذَ ثَمَانِيَةَ وَتَسْمِينَ مِنْهُمْ بِأَسْفَلِ أُورَارَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ. وَلَحِقَهُ عَمْرُو
ابْنُ هِنْدٍ فِي النَّاسِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى أُورَارَةَ؛ فَضَرَبَ بِهِ قُبَّتَهُ، وَأَصْرَ لَهُمْ بِأَخْدُودٍ،
فَخُدَّ لَهُمْ، ثُمَّ أَصْرَمَ نَارًا؛ فَلَمَّا نَلَّظَتْ وَاحْتَدَمَتْ قَذَفَ بِهِمْ فِيهَا فَاحْتَرَقُوا^(٣).

وَأَقْبَلَ رَاكِبٌ عِنْدَ الْمَسَاءِ مِنْ بَنِي كَلْفَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ مِنَ الْبَرَاجِمِ^(٤)، لَا يَعْلَمُ
بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ، يُوضِعُ^(٥) بِمَيْرَةَ، فَأَنَاحَ، وَأَقْبَلَ يَمْدُؤُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: مَا جَاءَ بِكَ؟
قَالَ: حُبُّ الطَّعَامِ؛ قَدْ أَقْوَيْتُ^(٦) ثَلَاثًا، لَمْ أَذُقْ طَعَامًا؛ فَلَمَّا سَطَعَ الدَّخَانُ ظَنَنْتُ
أَنَّهُ دَخَانُ طَعَامٍ. فَقَالَ عَمْرُو: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنَ الْبَرَاجِمِ، فَقَالَ عَمْرُو: إِنْ
الشَّقِ وَأَفْدُ الْبَرَاجِمِ^(٧)، وَرَمَى بِهِ فِي النَّارِ^(٨).

(١) ذهب مثلا (٢) دارم: بطن في تميم (٣) ومن هذا سمت العرب عمرو بن هند محرقات
(٤) البراجم: خمسة رجال من بني تميم: قيس وعمرو وغالب وكلفة وظليم بنو حنظلة بن مالك
ابن زيد مناة بن تميم. اجتمعوا وقالوا: نحن كبراجم الكف فغلب عليهم، والبراجم: رهوس
السلاميات من ظهر الكف إذا قبض الشخص كفه برزت وارتفعت؛ الواحدة: برجة
(٥) أوضع المرء بميرة: إذا جملة يسرع في سيره (٦) أقوى الرجل: شد طعامه
(٧) ذهبت مثلا (٨) هجت العرب بذلك تيميا فقال ابن الصق:

أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بَابَةٌ مَا يَعْجُونَ الطَّعَامَا

وقال أبو مهوش الفهمي:

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يبئس فجيء بزاد
بجئز أو بلحم؛ أو بشر أو الشيء الملقف في الجباد
تراه ينقب الآفاق حولا لبأكل رأس لقمان بن عاد

وأقام عمرو ولا يرى أحداً ، ف قيل له : أبيت اللعن ! لو تحللتَ بامرأةٍ منهم ،
 فقد أحرقتَ تسعة وتسعين ؛ فدعا بامرأةٍ من بنى نهشل بن دارم ، قال : من أنتِ ؟
 قالت : أنا الحمراء بنت ضمرّة بن جابر . قال : إني لأظنك أجمية . قالت : ما أنا
 بأجمية ، ولا ولدني الأعاجم :

إني لبنتُ ضمرّة بن جابرٍ ساد معداً كبيراً عن كبيرٍ
 إني لأختُ ضمرّة بن ضمرّة إذا البلادُ لقتُ بجمرة .

قال : فمن زوجك ؟ قالت : هوذة بن جروول . قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين
 مكانه ؟ قالت : هذه كلمةٌ أحمق ، لو كنتُ أعرفُ مكانه حال بينك وبينى . قال :
 وأيّ رجل هو ؟ قالت : هذه أحمق من الأولى ! أعن هوذة يسأل ! قال عمرو :
 أما والله لو لا مخافةُ أن تَلدِي مثلكَ لصرفتُ النارَ عنك ، قالت : والذي أسألهُ أن
 يضعَ وسادَكَ ، ويخفِضَ عمادَكَ ، ويصغرَ حصانَكَ ، ويسلبَ بلادَكَ ، ما قتلتُ إلا
 نُسباً^(١) أعلاها تُدِي ، وأسفلها حُلِي . والله ما أدركتُ ناراً ولا محوتُ عاراً ، وليس
 من فعلت هذا به بئافل عنك .

قال : اقدِفوا بها في النار ، فالتفتت فقالت : ألا فتى مكان العجوز^(٢) ! فلما
 أبطلوا عليها قالت : كأن الفتیان حمماً^(٣) ، وقد قُدِفَ بها في النار فاحترقت ،
 فقال لقيط بن زُرارة يُميرُ بنى مالك بن حنظلة بإحراق عمرو وإيهم :

أمن دمنّة أقرتُ بالجنبِ إلى السّفعِ بين المَلّا فالهضابِ^(٤)
 بكيت لمرّفانِ آياتِها وهاج لك الشوقُ نعبُ النُرابِ

(١) تفسير لسوة : نسية أو هي بالفتح وهو الذي لا يمد في القوم لأنه منسى (٢) في أمثال
 البدائي : مكان عجوز ، فذهبت مثلاً (٣) يروي : هيات صارت الفتیان حمماً ، وقد ذهبت مثلاً
 (٤) الجنب والملا والهضاب : مواضع .

فَأَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي مَالِكٍ مُنَافِلَةٌ^(١) وَسِرَاةَ الرَّبَابِ
فَإِنْ أَمْرًا أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَخْفُونَ قُبَيْتَهُ بِالْقِيَابِ
يُهَيِّبُ مَرَاتِكُمْ عَائِدًا وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
فَلَوْ كُنْتُمْ إِبْلًا أَمَلَحْتَ^(٢) لَقَدْ نَزَعْتَ لِلْيَاهِ الْمِذَابِ
وَلَكِنَّكُمْ غَمٌّ نُصْطَفَى وَيُتْرَكُ سَائِرُهَا لِلذَّنَابِ
لَعَمْرُ أَيْكَ أَبِي الْخَيْرِ مَا أُرِدْتَ بِقَتْلِهِمْ مِنْ صَوَابِ
وَلَا نِعْمَةٌ إِنْ خَيْرَ الْمَوِ لِكِ أَفْضَلِهِمْ نِعْمَةٌ فِي الرَّقَابِ^(٣)

ولما ظهرت براءة زُرارة عند ابن المنذر، وجن عليه الليل اجلوز^(٤)، فلحق بقومه، ثم لم يلبث أن مريض.

ولما حضرته الوفاة قال: يا حاجب؛ إليك غلمتي في بني تهشل، ويا عمرو بن عمرو؛ إليك عمرو بن ملقط الطائي؛ فإنه حرّض عليّ الملك. فقال عمرو: لقد أسندت إليّ يا عمّاه أبعدهما شقةً وأشدّها شوكةً.

فلما ماتت زُرارة تهياً عمرو بن عمرو في جمع، ثم غزا طيئاً^(٥) فأصاب الطريقتين طريف بن مالك، وطريف بن عمرو، وأفلته الملاقط، فقال علقمة بن عبدة في ذلك: ونحن جلبنا من ضرية خيلنا نجنبها حد الإكام قطاطاً^(٦)
أصنّ الطريف والطريف بن مالك وكان شفاء لو أصبغ الملاقطاً
إذّا علموا ما قدّموا لنفوسهم من الشر، وإن الشرمرور أراهطاً

(١) المعنطة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد (٢) أملحت: وردت ماء ملحاً (٣) وإنما أراد بذلك بني مالك بن حنظلة لأنهم كانوا يخدمون عمرو بن هند والملوك (٤) اجلوز: أسرع (٥) هنا هويوم طيء، راجع النقائض ص ٤٥ (٦) في اللسان: تكلفها حد الإكام. قال أبو عمرو: أي تكلفها أن تقطع حد الإكام فتقطعها بموافرها، قال: ووحد القطاط قطوط. وقال غيره: قطاطاً: رعلا وجماعات في تفرقة.

٤ - يوم السلان

كان بنو عامر بن صعصعة قوماً مُحَسَّباً^(١) لِقَاجًا^(٢) ، فلما ملك النعمان^(٣) بن المنذر كان يجهز كل عام لطيمة^(٤) لتباع بعكاظ ، فتمرض لها بنو عامر يوماً ؛ فغضب لذلك النعمان ، وبث إلى وبرة السكبي ، أخيه لأمه ، وبث إلى صنائه^(٥) ورضائه^(٦) ، وأرسل إلى بني ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتيم ، فأجابوه ، وأناه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس ، ومعه جيش بن دلف - وكان فارساً شجاعاً - واجتمعوا في جيش عظيم ، وجهز النعمان معهم عيراً ، وأمرهم بتسييرها ، وقال لهم : إذا فرغتم من عكاظ ، وانسلخت الأشهر الحرم^(٧) ، فاقصدوا بني عامر؛ فإنهم قريب بينواحي السلان .

فخرجوا وكنتموا أمرهم ، وقالوا : خرجنا لثلاث يعرض أحد للطيمة الملك . فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بمجالهم ، فأرسل عبد الله^(٨) بن جُدعان

* لبي عامر على النعمان بن المنذر ، والسلان في الأصل بطون من الأرض فامضة ذات شجر ، ثم سميت بها بعض المواطن .

ابن الأثير ص ٣٩١ ج ١ تاريخ العرب القدامى ص ٤٦ ، معجم البلدان ص ١٠٤ ج ٥
 (١) المحسب : المتشددون في دينهم التحمسون (٢) اللقاح : الذين لا يدينون للولوك
 (٣) هو النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ، كان شهياً شجاعاً ميلاً إلى المهارة سريعاً كريماً . قصده الثمراء من بلاد بريدة فبالغ في إكرامهم ، وبلغت الحيرة في عهده درجة عظيمة من الرقي . مات في سجن كسرى لإبرويز بخاقين (٤) اللطيمة : غير تحمل المسك (٥) الصنائع : جماعة كانوا ينتخبون من بني ثعلبة خاصة كالحرس لا يرحون باب الملك (٦) الوضائع : ألف رجل من القرس كانوا يستخدمون في نصرة العرب ، ويستبدلون بمثلهم كل سنة (٧) الأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب (٨) عبد الله بن جدعان التيمي ، كان من مشاهير الأجواد وكان يسمى بحمسي الذهب لأنه كان يشرب في إناء من الذهب ، وهو ابن عم عائشة زوج الرسول وأخباره في السكرم كثيرة .

فأصداً إلى بني عامر يُعلمهم الخبر ، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم ، فحذروا وهيموا للحرب ، وتحركوا ووضعوا العيون ، وجاءوا ، عليهم عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، وأقبل الجيش فالتقوا بالسلاّن ، واقتتلوا قتالا شديداً ، وبيناهم يقتتلون إذ نظر يزيد ابن عمرو بن خويلد^(١) الصمق إلى وبرة الكلبي أخي النعمان ، فأعجبته هيئته ، فحمل عليه وأسرّه ، فلما صار في أيديهم همّ الجيش بالهزيمة ، فنهاهم ضرار بن عمرو الضبي ، وقام بأمر الناس ، فقاتل هو وبنوه قتالا شديداً ؛ فلما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه - وكان أبو براء رجلاً شديداً الساعد - فلما حمل على ضرار اقتل ؛ فسقط ضرار إلى الأرض ، وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب ، وكان شيخاً ، فلما ركب قال : من سرّه بنوه ساءتة نفسه^(٢) .

ثم جعل أبو براء يلحّ على ضرار طمعاً في فدائه ، وجعل بنوه يحمونه ، فلما رأى ذلك أبو براء قال له : لتموتنّ أو لأموتنّ دونك ، فأحلى على رجل له فداء ، فأوما ضرار إلى حبيش بن دلف - وكان سيّداً - فحمل عليه أبو براء فأسرّه ، وكان حبيش أسود نحيفاً ديباً ، فلما رآه كذلك ظنه عبداً ، وأن ضراراً خدعه ، فقال : إنا لله ، ألا في الشؤم وقعت ! فلما سمها حبيش منه خاف أن يقتله ، فقال : أيها الرجل ، إن كنت تريد اللين^(٣) فقد أصبتّه ، وافتدى نفسه بأربعمائة بغير . وهزم جيش النعمان ، ولما رجع الفل^(٤) إليه أخبروه بأسر أخيه وبقيام ضرار بأمر الناس ، وما جرى له مع أبي براء ، وافتدى وبرة الكلبي نفسه بألف بغير وفرس من يزيد بن الصمق فاستغنى يزيد ، وكان قبله خفيف الحال .

(١) يزيد بن عمرو بن خويلد ، وخويلد يقال له الصمق ، قال ابن الكلبي : سمى بهذا الاسم ، لأنه حمل طعاماً لقومه بكماط ، فجاءت ربح بشار فسيها ولغنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته
(٢) ذهب مثل (٣) اللين : الإيل (٤) الفل : القوم التهمون .

٥- يَوْمَ خَزَازٍ

كان من حديثه أن مَلِكًا من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مُضَرٍ وربيعة وقُضَاعَةَ ، فوفد عليه وفد من وجوه بني معدة ؛ ومنهم سدوس بن شيبان ، وعوف ابن محلم ، وعوف بن عمرو ، وجشم بن ذهل ، فاحتبس الملكُ عنده بعضَ الوفد رهينة ، وقال للباقيين : ائتوني برؤساء قومكم لآخذَ عليهم الموائيق بالطاعة لي ؛ وإلا قتلُ أصحابكم .

فرجموا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فاجتمعت معدة على كليب وائل ، وسار بهم - وعلى مقدمته سلمة بن خالد المعروف بالسفاح التلبي - وأمرهم أن يوقدوا على خَزَازٍ ناراً ليهتدوا بها ، فبلغ مذحجاً اجتماع ربيعة ومسيرها ، فأقبلوا بجمعهم ، واستنفرُوا مَنْ يليهم من قبائل اليمن ، وساروا إليهم ، فلما سمع أهلُ تهامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة ، ووصلت مذحج إلى خَزَازٍ ليلاً ، وكان كليب قال لسلمة : إن غشيتك العدو فأوقد نارين ؛ فلما رأى جموعَ مذحج أوقد نارين ، فأقبل كليب بالجموع ، وصبح مذحجاً بخزَاز ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، أكَثروا فيه القتل ، وانهزمت مذحج .



هذه رواية ابن الأثير ، وفي معجم البلدان^(١) رواية أخرى هذا نصها :

اجتمعت مضر وربيعة على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضى بينهم ، فكلُّ أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من ربيعة ملك ، ومن مضر ملك ، ثم أراد كل

* لمد على مذحج ، وخزَاز جبل ما بين البصرة إلى مكة ، وكان هذا اليوم من أعظم أيام العرب في الجاهلية ، وكانت معد لا تستنصف من اليمن ، ولم تزل اليمن قاهرة لها حتى كان هذا اليوم فانتصرت معد ، ولم تزل لها المنعة حتى جاء الإسلام .

ابن الأثير ص ٣١٠ ج ١ ، المقد الفريد ص ٣٦٤ ج ٣

(١) ص ٤٢٨ ج ٣

بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا على أن يتخذوا ملكا من اليمن ، فطلبوا ذلك إلى بني آكل المرار من كندة ، فسلكت بنو عامر شراحيل بن الحارث من بني آكل المرار ، وملك بنو تميم وضبة مُحَرَّق بن الحارث ، وملك وائل شرجيل بن الحارث ، وملك تغلب وبكر سلمة بن الحارث ، وملك بقية قيس معديكرب بن الحارث ، وملك بنو أسد وكنانة حُجْر بن الحارث ، أبا امرئ القيس ، فقتلت بنو أسد حُجْرًا ، ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتلوه ، وقتلت بنو تميم مُحَرَّقًا ، وقتلت وائل شرجيل ، فكان حديث يوم الكلاب ، ولم يبق من بني آكل المرار غير سلمة ، فجمع جموع اليمن ، وسار ليقتل نزارًا ، وبلغ ذلك نزارًا ، فاجتمع منهم بنو عامر بن صعصعة ، وبنو وائل ، تغلب وبكر ؛ وبلغ الخبر كليب وائل ، فجمع ربيعة وقدم على مقدمته السفاح التغلبي ، وأمره أن يملو خزازًا ، فيوقد بها لهتدي الجيش بناره ، وقال : **إِنْ غَشِيكَ المدوُّ فأوقد نارين .**

و**بلغ سلمة اجتمع ربيعة ومسيرها ، فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وكلا مرة بقيلة استنقرها ، وهجمت مذحج على خزاز فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع ربيعة إليهم فصبحهم ، والتقوا بخزاز ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهمزت جموع اليمن .**



وفي ذلك اليوم قال السفاح التغلبي :

وليل بت أوقد في خزازي^(١) هديت كتاباً متحرات
 ضللتن من السهاد وكن لولا سهادُ القوم أحسبُ هاديات
 فكن مع الصباح على جذام ولخم بالسيوف مشهرات

(١) خزازي : لغة في خزاز .



وقال ابن الخائف :

كانت لنا بجزّازى وقمة عجب لما التقينا وحادى الموت يحميها
ملنا على وائل فى وسط بلدتها وذو الفخار كليبُ المرز يحميها
قد فوضوه وساروا تحت رايته سارت إليه معدّ من أقاصيها
وحير قومنا سارت مقاولها ومدحج الفرّ سارت فى تعانها



كان الحارث^(١) بن عمرو وملكاً على الحيرة ، ثم تفاسدت القبائل من نزار ، فأناه
أشرفهم فقالوا : إنا في دينك ، ونخاف أن نتغاني فيما يحدث بيننا ، فوجه منا
بنيك يترلون فينا ، فيكفون بمضنا عن بعض .

ففرق ولده في قبائل العرب ، فللك ابنه حُجْرُ على بنى أسد وغطفان ، وملك
ابنه سُرحبيل على بكر بأسرها وبني حنظلة بن مالك ، والرَّباب . وملك ابنه
معدبكر بن علي بن تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناه ، وطوائف من بنى دارم
والصنائع^(٢) ، وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه سلمة على قيس ،

* لبني أسد على حبر . وحجر ملك من ملوك كندة .

الأغانى ص ٨١ ج ٩ ، ابن الأثير ص ٣٠٤ ج ١

(١) الحارث بن عمرو : أعظم ملوك كندة ، حكم الحيرة على عهد الملك قباذ ملك الفرس ، وعلا
صيته زماناً ، ولكنه لم يلبث أن ولى ملك الفرس كسرى آوشروان ، فولى على الحيرة المنذر بن
ماء السماء ، فهرب الحارث وتبعه المنذر في حرب الحيرة ولكنه نجح وأقام بأرض كلب حتى مات
سنة ٥٤١ م ، وأخذ المنذر ثمانية وأربعين نساءً من بنى آكل المرار ، قومه ، وفيهم عمرو وملك
ابن الحارث ، وأمر بضرب رقابهم في ديار بنى مرينا ، وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوك من بنى حبر بن عمرو يساقونا المشية يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بنى مرينا
ولم تغسل جاجهم بغسل ولكن في الدماء مرملينا

الفصل : ما ينسل به الرأس

تظل الطير عاكفة عليهم وتتنزخ الحواحب واليسونا

(٢) السنائع : قوم من شذاذ العرب ، يصحبون الملوك .

وكانت لحجر على بنى أسد إناوة في كل سنة مؤقنة ، وغبر^(١) على ذلك دهرأ ، ثم أرسل جأيه الذي كان يجيبهم ، فعموه ذلك - وحُجِرَ يومئذٍ بهامة - وضربوا رُسُلَهُ وضَرَجُوهم^(٢) ضَرْجاً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حُجراً ، فسار إليهم بجُنْدٍ من ربيعة ، وجنْدٍ من جند أخيه من قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سرائرهم ؛ وجعل يقتلهم بالمصا^(٣) ، وأباح الأموال ، وصبرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبدأ ، وحبس جماعة من أشرافهم .

ثم سارت إليه بنو أسد ثلاثاً ، ودخلوا إليه يستعطفونه ، وفيهم عبيد بن الأبرص ققام وقال : أيها الملك ؛ اسمع مقالتي :

يا عينُ فابكي ما بنى أسدٍ فهم أهلُ الندامة
أهلَ القِيَابِ الحِرِّ والنَّ مِمْ المُوْبِلِ^(٤) والمُدَامِ
وذوي الجِيَادِ الجُرْدِ وَالِ اسَلِ المُتَقَعَةِ المُقَامِ
حِلًّا أُبَيْتَ اللَمْنَ حِلًّا إِنْ فِيمَا قَلتَ آمَهُ^(٥)
فِي كُلِّ وَاوِيٍّ بَيْنَ بَثْرِبَ فَاَلْقُصُورِ إِلَى الِيَمَامَةِ
تَطْرِبُ عَانِ أَوْ صِيَا حُحْرَقِي أَوْ صَوْتُ هَامِ
وَمَنْعَتَهُمْ نَجْدًا فَقَدْ حَلُّوا عَلَى وَجَلِ تَهَامَةِ
بَرِمَتْ بَنُو أُسْدٍ كَمَا بَرِمَتْ بِيضَتِيهَا الحَامِ
جَعَلتْ لَهَا عُودِيْنَ مِنْ نَشَمٍ وَأَخْرَ مِنْ تُمَامَةِ^(٦)

(١) ضرب : لبث (٢) ضربه : أدامه (٣) لذلك سموا : عبيد المصا
(٤) المُوْبِلِ : اللقنى (٥) حلا : أي تحلل من عينك ، والآمة السيب (٦) النعم : شجر
جبل تتخذ منه القسي ، والثامة : نبت بالبادية .

إِذَا تَرَكْتَ تَرَكَتَ عَفْوًا أَوْ قَتَلْتَ فَلَا مَلَامَةَ
 أَنْتَ الْمَلِيكُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْمَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ
 ذَاوَا لَسَوَاطِكَ مِثْلَهَا ذَلَّ الْأَشْيَقِرُّ ذُو الْحِزَامَةِ (١)

فرقاً لهم جُحْرٌ حين سمع قواَه ، وأرسل مَنْ يرُدُّهم .

ثم إن حجراً وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسدٍ ، وكان يُقَدِّمُ بِمَضُ قَتَلَهُ (٢) أمامه ، ويُهَيِّأُ نَزْلَهُ ثم يجيئُ وقد هسي له من ذلك ما يُعْجِبُهُ فينزل ، ويُقَدِّمُ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَنَازِلِ فَيُضْرَبُ لَهُ فِي الْمَنَزَلَةِ الْأُخْرَى ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنْ بَنِي أُسَدٍ - وَقَدْ بَلَغَهُمْ مَوْتُ أَبِيهِ - طَمِعُوا فِيهِ ، فَلَمَّا أَظْلَمَهُمْ، وَضُرِبَتْ رِقَابُهُ اجْتَمَعَتْ بَنُو أُسَدٍ إِلَى نُوْفَلِ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالَ : يَا بَنِي أُسَدٍ ؛ مَنْ يَتَلَقَى هَذَا الرَّجُلَ مِنْكُمْ فَيَقْتَطِعَهُ ؟ فَإِنِّي قَدْ أَجَمْتُ عَلَى الْفَتَاكِ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : مَا لِذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرِكَ . فَخَرَجَ نُوْفَلٌ فِي حَيْلِهِ حَتَّى أَغَارَ عَلَى الثَّقَلِ ، فَقَتَلَ مِنْ وَجَدَ فِيهِ ، وَسَاقَ الثَّقَلَ ، وَأَصَابَ جَارِبَتَيْنِ قَيْمَتَيْنِ لِحَجَرٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى قَوْمَهُ .

وَبَلَغَ حَجْرًا أَمْرَهُمْ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُمْ . فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَاهِضُوهُ الْقِتَالَ ، وَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ هَزَمُوا أَصْحَابَ حَجَرٍ وَأَمْرُوهُ فُجِسُوهُ .

وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِي قَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ كَاهِنٌ مِنْ كَهَنَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ حَبَسُوهُ لَيَرَوْا فِيهِ رَأْيَهُمْ : أَيُّ قَوْمٍ لَا تَمَجَّلُوا بِقَتْلِ الرَّجُلِ حَتَّى أَزْجُرَ لَكُمْ ؛ وَانصَرَفَ عَنِ الْقَوْمِ لِيَنْظُرَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ .

(١) الأشيقر : تصغير الأشقر ، وهو الأحمر من الدواب . والحزامة : حلقة من شعر تجعل في وترة أنف العير يشد بها (٢) الثقل : متاع المسافر .

فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله ، فدعا غلاماً من بني كاهل (١) - وكان حُجر قتلَ أباه - وقال له : يا بني ؛ أعنيك خيرٌ فتشأَرُ بأبيك ، وتنالَ شرف الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك ؟ ولم يزل بالغلام حتى حرَّبه (٢) ، ودفع إليه حديدَةً قد شحذها وقال : ادخُلْ عليه مع قومك ، ثم اطعمنه في مَقْتله . فعمد الغلام إلى الحديدية فخبأها ، ثم دخل على حجر في قُبَّته التي حُبِسَ فيها . فلما رأى الغلامُ منه غفلةً طعمنه طعمنةً أصابت مقتلاً .

ولما علم حجر أنه ميّت أوصى ودفع كتابه إلى رجل ، وقال له : انطلق إلى ابني نافع - وكان أكبرَ ولده - فإن بكى وجزع فإلهُ عنه ، وأستقرهم واحداً واحداً ، حتى تأتي امرأ القيس - وكان أصغرهم - فأتيهم لم يجزع ، فادفع إليه سلاحي وخطي وقدوري ووصيتي . وكان قد بين في وصيته من قتله ، وكيف كان خبره . ولم يلبث حُجر أن مات ، فوثب القوم على الغلام قاتله ، فقال الغلام : إنما نارتُ بأبي ، فخلّوا عنه . وأقبل كاهنهم المزدجر ، فقال : أي قوم ! قتلتموه ! مُلكَ شهر ، وذلَّ دهر . أما والله لا تحظون عند الملوك بعهه أبداً .

- ٢ -

وانطلق الرجلُ بوصيةَ حجر إلى نافع ابنه ، وأخبره ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، ثم استقرهم واحداً واحداً ، فكلمهم فعمل ذلك . وكان حجرٌ في حياته قد طرد ابنه امرأ القيس ، وآلى الأباقيم معه أنفةً من قوله الشعر - وكانت الملوك تأنف من ذلك - فكان يسيرُ في أحياء العرب ، ومعه

(١) بنو كاهل : بطن في بني أسد (٢) حرَّبه : حرشه .

أَخْلَاطٌ مِنْ شَذَازِ طَيْبٍ وَكَلْبٍ وَبَكْرٍ ، فَإِذَا صَادَ غَدِيرًا أَوْ رَوْضَةً أَوْ مَوْضِعَ صَيْدٍ أَقَامَ فَذَبَّحَ لِنَمِّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَخَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ فَتَصِيدُهُ ، ثُمَّ عَادَ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا مَعَهُ ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ وَسَقَامَ ، وَغَنَمَهُمْ قِيَانُهُ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْفَدَ مَا فِي ذَلِكَ الْغَدِيرِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .

ثُمَّ جَاءَ الرَّسُولُ فَوَجَدَهُ مَعَ نَدِيمٍ لَهُ يُشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَيَلَاعِبُهُ بِالرَّدِّ ، فَقَالَ لَهُ : قُتِلَ حَجْرٌ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَمْسَكَ نَدِيمُهُ ، فَقَالَ لَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ : اضْرِبْ ، فَضْرَبَ حَتَّى إِذَا فَرَّخَ ، قَالَ لَهُ : مَا كُنْتُ لِأُفْسِدَ عَلَيْكَ دَسْتَكَ . ثُمَّ سَأَلَ الرَّسُولَ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ كُلِّهِ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : ضَيَعَنِي صَغِيرًا ، وَحَمَلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا ، لَا صَحْوَةَ الْيَوْمِ ، وَلَا سُكْرَ غَدَاً ، الْيَوْمَ خَمْرٌ ، وَغَدَاً أَمْرٌ .

ثُمَّ شَرِبَ سَبْعًا ، فَلَمَّا صَحَا آلَى آتًا بِأَكْلِ لَحْمًا ، وَلَا يُشْرَبُ خَمْرًا ، وَلَا يَدْهِنُ بَدْهْنًا ، وَلَا يَصِيبُ امْرَأَةً ، وَلَا يَفْسِلُ رَأْسَهُ مِنْ جَنَابَةِ ، حَتَّى يُدْرِكَ ثَأْرَهُ .
وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :

أَرِقْتُ لِبَرَقِ بَلِيلِ أَهْلِ يُضِي سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَنَا حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمِيرٍ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقَلَلُ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٌ (١)
فَأَيْنَ رَيْبَةٌ عَنْ رَبِّهَا وَأَيْنَ نَيْمٌ وَأَيْنَ الْخَلْوَلُ
أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِي كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا أُكَلُّ

ثُمَّ ارْتَمَلَ حَتَّى نَزَلَ بِكَرًا وَتَغَلَبَ ، وَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ ، وَلَمَّا عَلِمَ بَنُو أَسَدٍ

(١) جلال : حخير ، وهو من الأضداد .

بما عَزَمَ عليه امرؤ القيس قدم عليه رجال منهم ، فيهم كهول وشبان ، وفيهم قبيلة ابن نعيم ، وكان في بني أسدٍ مقبياً ، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ورداً وصدرًا ، ولما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم ، وتقدّم بإكرامهم ، والإيفاض عليهم واحتجب عنهم ثلاثاً . فسألوا مَنْ حضر من رجال كندة ، فقالوا : هو في شغل بإخراج ما في خزائن حُجْر من السلاح والمدّة . فقالوا : اللهم غفراً ، إنا قدّمنا في أمر نَفَناسي به ذِكر ما سلف ، ونستدرك به ما فرط ، فليبلغ ذلك عنا .

فخرج عليهم في قباء وخُفٍ وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تعتم بالسوداء إلا في التّرات . فلما نظرُوا إليه قاموا له ، وبدَرَ إليه قبيصة وقال : « إنك في المحلِّ والقَدْرِ والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدّثه أيامه ، وتنتقل به أحواله ؛ بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكّر كربة مجرب . ولك من سُودِدَ مَنْصبك وشرّف أعرافك ، وكرم أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ مُحْتَمَلٌ ما مُحْمَلٌ عليه من إقالة التّرة ورجوع عن الهفوة . ولا تتجاوز المهم إلى غاية إلا رجعت إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأى ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصّفح ، في الذي كان من الخطب الجليل ، الذي عمّت رزقيته زاراً واليمن . ولم تُخصّصْ به كندة دوننا ، للشرف البارِع . كلن للحجر التاج والعمّة فوق الجبين الكريم ، وإغاها الحمد ، وطيب الشّيم ؛ ولو كان يُفدَى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده ، لما بَخِلتْ كرامتنا على مثله ببذل ذلك ، ولقد بناه منه ؛ ولكن مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أولاهُ على أخراه ، ولا يُلحِقُ أقصاهُ أدناه . فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال : إما أن اخترت من بني أسدٍ أشرَفها بيتاً ، وأعلاها في بناء الكرمات صوتاً ، فقد نأه إليك بنسمة^(١)

(١) النسمة : سير مضمور يجعل زماماً للبعير .

نذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ قَصْرَتَهُ^(١) ، فيقول : رجل أمتحن بهلك عزيز ، فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداء بما يروح من بني أسدٍ من نعمها ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداء رجعت به القضب إلى أجانها ، لم يرُدُّه تسليط الإحن على البرءاء ؛ وإما أن توادعنا ، حتى تضع الحوامل فتسدل الأزر ونمقد الخمر فوق الرّيات .

فبكي امرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال : « لقد علمت العرب أنه لا كُف ، لحجر في دم ، وإني لن أعتاض به جملاً أو ناقة ، فاكتسب بذلك سبة الأبد ، وقت العصد . وأما النظرة^(٢) فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لظنها سبياً ، وستعرفون طلائع كندة بعد ذلك ، تحمل في القلوب حنقا ، وفوق الأسنان علقا^(٣) :

إذا جالت الخليل في مأزق تصافح فيه المنايا النفوسا

أقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار بمكروه وأذية ، وحرب وبلية ، ثم نهضوا عنه ، وقيصة يقول متمثلا :

لعلك أن تستوخم الموت إن غدت كتابنا في مأزق الموت تمطر

فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستورخه ، فريداً ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير ، ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي ؛ إذ كنت نازلاً برّبي ؛ ولكنك قلت فأجبت . فقال قبيصة : ما تتوقع فوق قدر الماتية والإعتاب . قال امرؤ القيس : فهو ذلك .

(١) الفصرة : المتى (٢) النظرة : الإمهال (٣) العلق : الدم .

وعزم امرؤ القيس على أخذ الثأر ، وسار يقصد بني أسد فنذروا به ، ولجثوا إلى بني كنانة^(١) ، فلما كان الليل قال علباء بن الحارث لبني أسد : والله إن عيون امرئ القيس قد أتتكم ، ورجعت إليه بخبركم ، فاحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة . ففعلوا ؛ وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة - وهو يحسبهم بني أسد - ووضع السلاح فيهم وقال : يا ثارات الملك ! يا ثارات الهمام ! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت : أيت اللعن ! لسنا لك بثأر ، نحن من كنانة ، فدونك ثأرك فاطلبهم ؛ فإن القوم قد ساروا بالأمس ، وتبع بني أسد ولكنهم فاتوه ليلتهم ، فقال فيهم :

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمْ كَانُوا الشَّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
وَقَامَ جَدُّهُمْ بَيْنِي أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٢)
وَأَفْلَتْنِي عِلْبَاءُ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَفِيرُ الْوِطَابِ^(٣)

ثم أدركهم ظهراً وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد جامون^(٤) على الماء ، فتهدد إليهم وقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم .
وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم

(١) كنانة وأسد ابنا خزيمية : أخوان (٢) جدوم : حظم ، والأشقين : جمع أشقى ، أى وقى بني أسد حظمهم ، إذ وقع العقاب بكنانة بني أبيهم (٣) علباء : قاتل حجر ، والضبير في أفلتن الخيل ، وجريضا ، أى جد جهد ، والمراد : أنهم لو أدركوا علباء لقتلوه فيكون جسده صفرأ من دمه كما يصر الوطاب من اللبن (٤) جامون : مجتمعون .

وقالوا له : قد أصبتَ نأرك . قال : والله ما فعلتُ ولا أصبتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسدٍ أحدًا . فقالوا : بلى ؛ ولكنك رجل مشثوم ، وكريهوا قتال بني أسدٍ وانصرفوا عنه .

ومضى لوجهه هاربًا حتى لحق باليمن ، واستنصر أزدَ شنوءة ، فأبوا أن ينصروه ، وقالوا : إخواننا وجيراننا . فاستنصر مرثد الخير بن ذى جَدَنَ الحَيْرِي - وكانت بينهما قرابة - فأمدّه بمخمسة رجل من حمير . ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالملك بعده رجل يُقال له قرمَل بن الحميم ، فأنفذ له الجيش ، وتبعه سُذَّاذ من العرب ، واستأجر غيرهم ، وسار إلى بني أسد .

ومرّ في طريقه ببَيْالَةَ^(١) ، وبها صنم^(٢) تمظمه العرب ، فاستقسم^(٣) عنده بقِدَاحه ، وهي الأمر والنهي والترص ، فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج التاهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، فجمعها وكسرها وضرب بها وَجَةَ الصنم ، وسبّه وقال له : لو أبوك قتل ما عُقَّتني ، ثم خرج فظفر ببني أسد .

وعلم بمكانه المنذرُ بن ماء السماء ملك الحيرة ، فوجه الجيوشَ في طلبه ، فتفرقت عنه عُصبة حمير ، ونجا في جماعة من بني آكل المرار ، حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حَنْظَلَةَ ، ومعه أذراعُه الخمسة :

الفصفاضة ، والصفافية ، والمحصنة ، والخربق ، وأم الديول ؛ كُنَّ لبني مرار

(١) تبالة : موضع بين مكة واليمن (٢) اسمه ذو الخلصة : قالوا إنه كان مروة يضاء منقوش عليها كهيئة الناج ، وكان سدنتها من بني أمية من ياهلة ، وكانت تمظمها وتهدى لها خنم وبجيلة وأزد السراة ، ومن قاربهم من بطون العرب ، ويقال : إنه ما استقسم عند ذى الخلصة بعد امرئ القيس بحدح حتى جاء الإسلام ، وهدمه جرير من عبد الله البجلي (٣) الاستقسام : طلب معرفة ما قسم للمرء .

بَتَوَارِثُهَا مِلْكَاً عَنْ مَلِكٍ ، فَقَلَّمَا لَيْثُوا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَمَثَ إِلَيْهِ الْمُنْدَرِ
مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ بَنِي آكَلَ الْمَرَارَ فَأَسَلَّمَهُمْ ، وَنَجَا
أَمْرُو الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ (١) وَبِنْتَهُ هِنْدُ ، وَالْأَدْرَعُ وَالسَّلَاحُ ،
وَمَالٌ كَانَ بَقِيَ عِنْدَهُ ، وَمَضَى إِلَى أَرْضِ طَيْيٍّ ، وَنَزَلَ عِنْدَ الْمَعْلَى بْنِ تَيْمٍ (٢) ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ،
وَاتَّخَذَ إِبْلًا ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ خَرَجَ فَنَزَلَ بِمَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ ، وَاتَّخَذَ عِنْدَهُ إِبْلًا ، ثُمَّ هَمَّ عَامِرٌ أَنْ يَغْلِبَ
أَمْرًا الْقَيْسِ عَلَى مَالِهِ وَأَهْلِهِ ، فَفَطِنَ أَمْرُو الْقَيْسِ لِمَا أَرَادَ ، وَخَافَ مِنْهُ ، وَاتَّقَلَ إِلَى رَجُلٍ
مِنْ بَنِي ثَمَلٍ (٣) ، وَاسْتَجَارَ بِهِ ، فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَامِرٍ وَبَنِي ثَمَلٍ مِنْ أَجْلِهِ ؛ فَخَرَجَ مِنْ
عِنْدِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجَوَارِ حَتَّى يَرَى ذَاتَ عَيْبَةٍ (٤) ،
فَقَالَ لَهُ الْفَزَارِيُّ : يَا بَنَ حُجْرٍ ؛ إِنْى أَرَاكَ فِي خَلَلٍ مِنْ قَوْمِكَ ، وَأَنَا أَنْفَسُ (٥) بِمَثَلِكَ
مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ ، وَقَدْ كِدَدْتَ بِالْأَمْسِ تَوْكَلُ فِي دَارِ طَيْيٍّ ، وَأَهْلُ الْبَادِيَةِ أَهْلُ بَرٍّ
لَا أَهْلَ حُصُونٍ تَمْتَنُهُمْ ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ أَهْلِ الْيَمَنِ ذُؤَبَانٌ مِنْ قَيْسٍ ، أَفَلَا أَدَلَّكَ عَلَى
بِلَدٍ ! فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ ، وَجِئْتُ النَّمَانَ ، فَلَمْ أَرِ لَضَيْفٍ نَازِلٍ وَلَا لِمَجْتَدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ
صَاحِبِهِ .

فَقَالَ : مَنْ هُوَ ؟ وَأَيْنَ مَنَزَلُهُ ؟ فَقَالَ : السَّمُوعِلُ بَيْتِمْاءَ ، وَسَوْفَ أُضْرَبُ لَكَ مِثْلَهُ ؛
هُوَ يَمْنَعُ ضَمْعَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ عَيْبِكَ ، وَهُوَ فِي حِصْنِ حَصِينٍ ، وَحَسَبٌ كَبِيرٌ .

(١) ابن عمه (٢) مدحه امرؤ القيس قال :

كأنى إذ تركت على المصل نزلت على البواذخ من قمام

قمام : اسم جبل

فما ملك أتراق على المعلى بمقتدر ولا ملك التام

أفرحنى امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصايح الظلام

(٣) ثمل : من طي اشتروا بالرماية (٤) يريد ينظر في أمره ويصلح من شأنه

(٥) أنس : أضن .

فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ فقال : أوصلك إلى من يُوصلك إليه
فصاحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضَميع الفزاريّ ممن يأتي السموءل فيحمله
ويعطيه ؛ فلما صار إليه قال له الفزاريّ : إن السموءل يعجبه الشعر ، فتمال تتناشدُ
له أشماراً ؛ ثم مضوا حتى قدموا على السموءل ، وأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ؛
وأنزل المرأة في قبة آدم ، وأنزل القوم في مجلس خاص ، فكان عنده ما شاء الله .
ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر النساني بالشام ، ليوصله
إلى قيصر ، فاستنجد له رجلاً ، واستودع عنده المرأة والأدراع والمال ، وأقام معها
يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمه ، ومضى حتى انتهى إلى قيصر ، فقبله وأكرمه ،
وكانت له عنده منزلة .

ثم اندس رجل من بني أسد - يقال له الطمّاح - وكان امرؤ القيس قد قتل
أخاه من بني أسد ، حتى أتى بلاد الروم ، فأقام مُستخفياً - وبعد مدة ضمّ
قيصرُ إليه جيشاً كثيفاً ، وفيهم جماعة من أبناء الملوك . فلما فصل قال الطمّاح
لقيصر : إن امرأ القيس غويّ عاير ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه
كان يرأسل ابنتك ويواصلها ، وأنه يقول فيها أشماراً يشهرها بها في العرب فيفضحها
ويفضحك .

فبعث إليه بحلّة وثي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : إنني أرسلت إليك
بجملتي التي كنت ألبسها تكريماً لك ، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة ،
واكتب إليّ بخبرك من منزلي منزل .
فلما وصلت إليه ، لبسها واشتدّ سروره بها ؛ فأسرع إليه السم وسقط جلده ،
فقطن لما أريد به وقال :

لقد طمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلبَسَنِي مَا يلبَسُ أَبُو سَا
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسَا
وَمَا صَارَ إِلَى أَنْقَرَةَ اخْتَضِرَ بِهَا ، وَرَأَى قَبْرَ امْرَأَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مَاتَتْ هُنَاكَ ،
فَدُفِنَتْ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ عَيْبِيبُ ، فَسَأَلَ عَنْهَا فَأَخْبَرَ بِقِصَّتِهَا ، فَقَالَ :
أَجَارَتْنَا إِنْ الْمَزَارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَيْبِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ هُنَاكَ .

٧- يوم الكلاب الثاني

لما أوقع كسرى بيني تميم يوم الصَّفقة^(١) أداروا أمرهم، وقال ذؤوب الحِجَاب منهم: إنكم قد أغضبتُم الملك، وقد أوقع بِكُمْ حتى وهنم، وتسامعت بما لقيتم القبائل، فلا تأمنون دوران العرب

ثم اجتمعوا إلى سبعة منهم وشاوروهم في أمرهم: أكنم بن صيفي الأسدي، والأعير بن يزيد المازني، وقيس بن عاصم المنقري، وأبير بن عصمة التيمي، والنعمان ابن الحسحاس التيمي، وأبين بن عمرو السعدي، والزبرقان بن بدر السعدي؛ وقالوا لهم: ماذا ترون؟ فقال أكنم: «إن الناس قد بلغهم ما قد لقينا، ونحن نخاف أن يطمعوا فينا». ثم مسح يده على قلبه وقال: «إني قد نيفتُ على التسعين، وإنما قلبي بضعة^(٢) من جسми، وقد تحل كما نحل جسми، وإني أخاف ألا يدرك ذهني الرأي لكم، وأنتم قوم قد شاع في الناس أمرُكم، وإنما كان قوامكم أسيفاً وعسيفاً^(٣)، وصرتم اليوم إنما ترعى لكم بناتكم. فليعرض على كل رجل منكم رأيه وما يحضره، فإني متى أسمع الحزم أعرفه».

فقال كل رجل منهم ما رأى، وأكنم ساكت لا يتكلم، حتى قام النعمان ابن الحسحاس فقال: «يا قوم؛ انظروا ماء يجممكم، ولا يعلم الناس بأى ماء أنتم

(*) تميم على مذبح، والكلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة.

المقد العريد من ٣٥٤ ج ٣، ابن الأثير من ٣٧٩ ج ١، النفاض من ١٣٧ ج ١ (طبع مصر)، خزانة الأدب من ٣٧٠ ج ١، من ١٧٠ ج ٢، شواعر العرب من ٩٥ شعراء النصرانية من ٧٥ ج ١، الأغاني من ٧٢ ج ١٥، مهذب الأغاني من ٥٠ ج ١، ذيل الأمالي صفحة ١٣٢

(١) سبق يوم الصَّفقة من ٢ (٢) البضعة في الأصل (وتكسر): القطعة من اللحم.

(٣) الأسيف: العبد، والعسيف: الأجير.

حتى يقوى ظهرُكم ، ويشتدَّ أزرُكم ، وقد حممتُ^(١) وصلحت أحوالكم ، وانجبرَ كسيرُكم ، وقوى ضميفُكم ، ولا أعلم ماءً يجمعكم إلا قِدة^(٢) .

فلما سمِعَ أكرم بن صيفي كلامَ النعمان قال : هذا هو الرأي . وارتحلوا حتى نزلوا الكلاب ، ونزلت الرِّباب^(٣) وسعد بأعلى الوادي ، ونزلت حنظلة بأسفله^(٤)

وكانوا لا يخافون أن يُنزوا في القيظ ، ولا يستطيع أحدٌ أن يقطع تلك الصحارى لُبُعدِ مساقمتها ، وشدة حرِّها ، وأقاموا بقيةَ القيظ لا يعلم أحدٌ بمكانهم ، حتى إذا تهوّر^(٥) القيظ ، مرَّ بهم رجل من أهل مدينة هجر ، فرأى ما عندهم من النعم ، فانطلق إلى مدحج وقال : هل لكم في جارية عذراء ، ومهرة شوهاء^(٦) ، وبكرة^(٧) حراء ؟ فقالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال : تلكم تميم ألقاه^(٨) مطروحون بقِدة . فقالوا : إي والله !

ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتنموا من بني تميم ، وبمشوا الرُّسل في قبائل اليمن وأجلافها من قضاة ، واستشاروا كاهنهم المأمور^(٩) الحارثي ، فأشار عليهم بالكف .

ولكنهم عصَوْه . وخرجوا لغزو تميم ، وجعلوا عليهم أربمةً رؤساء كلِّ منهم اسمه يزيد : يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحرَّم ، ويزيد بن اليكَّم ،

(١) التحميم : التعة ، وفي اللسان كان مسلمة بن عبد الملك عربياً ، وكان يقول في خطبته : لاذ أقل الناس في الدنيا هم أقلهم حمأ ، أي مالا ومتاعاً ، وهو من التحميم : التعة (٢) ماء بالكلاب (٣) الرباب : للنسبين أقوال كثيرة في تفسير الرباب ، ويقول صاحب القاموس : لانهم أحياء ضبة ، لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا (٤) سعد وحنظلة : من تميم (٥) تهوّر : ذهب (٦) المهرة : الفرس ، والشوهاء من الخيل : الطويلة الرائحة (٧) البكرة : الفتيحة (٨) ألقاه : جمع لقي ، وهو ما طرح على الأرض (٩) جمع بين القروسية والكهانة ، وكانت مدحج في أمره تتقدم وتتأخر .

وزيد بن هوير ، ومعه عبد يفيث بن صلاء الحارثي ، وكان مع كل واحد منهم ألفان ، فاجتمع لهم ثمانية آلاف (١) .

ولما بلغ تيماء أن مذحجاً وأحلافهم عازمون على غزوهم فزعوا إلى أكنم بن صيفي - وله يومئذ مائة وتسعون سنة - فقالوا له : حقق لنا هذا الأمر ، فإننا قد رضيناك رئيساً . فقال لهم : « لا حاجة لي في الرياسة ، ولكني أشير عليكم : لتنزل حنظلة بالدهناء ، ولتنزل سعد والرباب بالكلاب ، فأى الطريقين أخذ القوم كفى أحدهما صاحبه . ثم قال لهم : « احفظوا وصيتي ؛ أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصباح من الغسل ، والمرة يمجز لا محالة ؛ يا قوم تثبتوا فإن أحمز الفريقين الركين (٢) ، ورب عجلة تهب ريثاً ، وأنزروا للحرب ، وأدعوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف عليه ، وإذا عز أخوك فهن ، البسوا جلود النمر ، والنبات أفضل من القوة ، وأهنا الظفر كثرة الأمرى ، وخير النعمة المال ، ولا ترهبوا الموت عند الحرب ؛ فإن الموت من ورائكم ، وحب الحياة لدى الحرب زلل ، ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن جساس »

قبلوا مشورته ، ونزلت حنظلة الدهناء وسعد والرباب الكلاب .

ولما وردت مذحج وأحلافها رآهم رجل كان يرعى الإبل ، فذهب إلى سعد وأندرهم ، فجاء وإذا مذحج قد انتهت النعم وراجزهم يقول :

في كل عام نعم ننتأبه على الكلاب غيب أصحابه

فسمه غلام من سعد فأجابه :

(١) قالوا : إنه لا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه ومن جيش كسرى يوم ذي قار ومن يوم شب جيلة (٢) الركين : الرزين .

في كل عام نَمَّ بِمَحْوُونَهُ (١) يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَيَنْتَجُونَهُ (٢)
 أَرَبَابَهُ نَوَكِي فَلَا يَحْمُونَهُ (٣) وَلَا يَلْقَوْنَ طَمَانًا دُونَهُ
 أَنْعَمَ الْأَبْنَاءُ (٤) تَحْسِبُونَهُ هِيَاهُ هِيَاهُ لِمَا تَرَجُونَهُ

ولما اقترب جَمَعُهُمَا قال ضمرة بن لبيد الحماسي لقومه من مَذْحِج : « انظروا ،
 إنكم سنستاقون النعم ، فإن أمت الخيل عُصَبًا عُصَبًا ، وثبتت الأولى للأخرى حتى
 تلحق بها فإن أمرَ القوم هين ، وإن لحق بكم القوم فلم ينظروا إليكم حتى يردوا
 النعم ، ولا ينتظر بعضهم بمضاً فإن أمرَ القوم شديد » .

وتقدمت سعد والرباب ، فالتقوا في أوائل الناس ، ولم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا
 النعم من قبل وجوهه ، وأخذوا يصرفونه بأرماحهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ،
 حتى إذا كان آخر النهار قُتِلَ النعمان بن جساس (٥) ، وظنَّ أهلُ اليمن أن بني عيم

(١) « في كل عام نَمَّ بمحْوُونَهُ » استشهد به صاحب الكافية على أنه بتقدير (حواية نَم)
 ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان ، واستشهد به سيويه على أن جملة محْوُونَهُ صفة لنعم ،
 واستشهد به صاحب الكشاف على جواز تذكير الأنعام (٢) يقال : أُلْقِحَ الفحل الناقة إذا
 أحبلها ، وتنج النساة أهلها إذا استولدوها . وهو يريد : يحملون الفحولة على النوق فإذا حلت
 أغرمت أتم عليها فأخذتموها وهي حوامل فتلد عندهم (٣) نوكي : جمع أنوك وهو الأحمق الضعيف
 التديير والعمل (٤) الأبناء كل بني سعد بن مزيد لا بني كعب بن سعد (٥) رماه رجل من
 أهل اليمن ، كانت أمه من بني حنظلة ، فقال حين رمى : خذها وأنا ابن الحنظلية ، فقال النعمان :
 شكلك أمك ! رب حنظلية قد غاظتني (فذهبت مثلاً) .

وفي قتل النعمان قالت صفية بنت الحرع (ولعلها زوجه) :

قد غاب عنه فلم تشهد فوارسه ولم يكونوا غداة الروح يحذونه
 يقال : أشهد إذا قتل ، ويحذونه : يحذون حذوه فيموتون مثله

فطاه هندوانى وجنته فضفاضة كأضائة التهي موضونه

الطلاق : منقطة السيف ، والجنة الضفاضة : الدرع السابقة ، والأضائة والنهي : الغدير ، وتشبه
 بهما الدرع في الصفاء ، والموضونة : الدرع المنسوجة المتقاربة الحلقات

فقد قلنا شفاء النفس لو قمت وما قلنا به إلا امرأ دونه

ترديد بذلك قتل عبد ينفوت سيد بني الحارث - من شعاع العرب ص ٩٥

سيهزمهم قتلُ النمان ، ولكن ذلك لم يزددهم إلا جِراءَةً عليهم ، وما زالوا على قِتالهم حتى حَجَزَ بينهم الليلُ ، وبات يحرس بمضئهم بعضاً .

ولما أَصْبَحُوا تَوَلَّى قيس بن عاصم المِنْقَرِي إمْرَةً بنى تميم ، وحملوا على أَهْلِ اليمن حَمَلَةً صادقة ، فانهزموا ، وكان أول من انهزم منهم وَعَلَةُ بن عبد الله الجرهمي صاحب اللواء ، ثم تتابعت عليهم الهزائم ، وقيس بن عاصم ينادى : يَا تَمِيم ! لا تقتلوا إلا فارساً ، فإن الرِّجَالَةَ (١) لكم ، ثم يقول :

لما تَوَلَّوْا عُصْبًا شَوَازِبًا (٢) أَقْسَمْتُ لا أُطْمِنُ إِلا رَاكِبًا

إني وجدت الطمئنَ فيهم صائباً

وما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون (٣) حتى أسير عبد ينفوث (٤) بن صلالة سيدُ بني الحارث ، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس ، وانطلق به إلى أهله ، وكان العَبْشِيُّ أَهْوَجَ ، فقالت له أمه - ورأت عبد ينفوث عظيماً جميلاً - من أنت ؟ قال : أنا سيدُ القوم ، فضحكت وقالت : فَبَحَّك اللهُ من سيد قومٍ حين أسرك هذا الأهُوجُ (٥) !

ثم قال لها : أيتها الحرّة ؛ هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطى ابنتك مائة من الإبل ، وينطلق بي إلى الأهم (٦) ، فإني أخاف أن تتزعنى سعد والرباب منه ،

(١) جمع راجل ، وهو ما ليس له ظهر يركبه (٢) شواذب : ضواصر (٣) قالوا : كان قيس إذا أخذ أسيراً سأله : من أنت ؟ فيقول : من بني رعبل (وم أنزال) يريدون بذلك رخس القداء ، فيعمل إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بني تميم ويقول : أمسك حتى أصطاد لك رعبلة أخرى (فذهبت مثلاً) (٤) كان عبد ينفوث شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب (٥) ولهذا قال :

وتضحك مني شبيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيراً يمانياً

(٦) هو عمرو بن سنان والأهم لقبه ، كان من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام .

ثم ضمّين لها مائة من الإبل ، وأرسل إلى بنى الحارث^(١) فوجّهوا بها إليه ، وقبضها
المبشمي وانطلق به إلى الأهم ، وأنشأ عبد يفيث يقول :

أأهم ياخير البرية والداً ورهطاً إذا ما الناس عدّوا المساعيا
تدارك أسيراً عانياً في بلادكم ولا تنقسنى التيم ألقى الدواهيا

فشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب : يا بني سعد ؛ قتل فارسنا ، ولم يقتل
لكم فارس مذكور ، فدفعه الأهم إليهم ، فأخذه عصمة بن أبير التيمي ، وانطلق
به إلى منزله ، فقال عبد يفيث : يا بني نيم ؛ اقلوني قتلة كريمة ، فقال له عصمة :
وما تلك القتلة ؟ فقال : اسقوني خمرأ ، ودعوني أنح على نفسي ، فقال عصمة : نعم ،
وسقاه الخمر ، ثم قطع له عرقاً يقال له الأكلحل ، وتركه يترف ، ومضى عنه عصمة
وترك معه ابنين : فقال له : جمعت أهل اليمن ، وجئت تصطلمنا ، فكيف رأيت
صنع الله بك ؟ فقال عبد يفيث :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما يياً فالكماني اللوم خير ولا يياً^(٢)
ألم تعلم أن اللامة نفمها قليل ، وما لومي أخي من شماليا^(٣)
فياراكبا إما عرضت فبلغن ندأماي من نجران آلا تلاقيا^(٤)
أبا كريب والأهميين كليهما وقيساً بأعلى حضر موت^(٥) البانينا

(١) يريد بنى الحارث قومه (٢) الخطاب لاثنين حفيقة ، واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل
مؤخر ، أمي كفي ما أنا فيه فلا تحتاجان إلى لومي مع ما تريان من إسارى وجهدى
(٣) اللامة : الخلق ، وهو يأتي جمأ ومفرداً ، وهنا جمع (٤) الراكب : راكب
الإبل ، ولا تسمى العرب راكباً على الإطلاق إلا الراكب البعير والساقة . ومرضت أى أنبت
المرض وهى مكة والمدينة . والتداس : جمع ندمان ، وهو الثراب . ونجران مدينة بالحجاز
(٥) أبو كريب . والأهمان : الأسود بن عقبة وعبد المسبح بن الأبيض وليس بن معدي كريب
هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكرهم عند موته وحن إليهم . يروى أن قيساً لما بلغه هذا البيت
قال : « ليك وإن كنت قد أخرجني » .

جزى الله قومي بالكُلابِ ملامَةً
لو شئتُ نجّيتني من الخيلِ نَهْدَةً
ولكنني أهي ذِمَارَ أَيِّكُمْ (٢)
أقول وقد شدّوا لساني بنِسْمَةٍ (٤) :
أمشَرَ نَيْمٍ قَدَمَلِكُمْ فَأَسْجِحُوا (٥)
فإن تقتلونني تقتلوا بي سَيِّدًا
أحقًا عباد الله أن لستُ سامعًا
وتضحك مني شيخَةٌ عَبْشِيمِيَّةٌ
وظلّ نساء الحى حولى رُكْدًا
وقد مَلَمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةً أَنِي
وقد كنت نَحَارَ الْجَزُورِ وَمَعْمَلًا

صرّحهمُ والآخِرِينَ المواليا (١)
تَرَى خَلْفَهَا الحُوَّ الجياد (٢) تواليا
وكان الرّماحُ بِمُخْتِطِفِنَ المُحَامِيا
أَمْشَرَ نَيْمٍ أَطْلِقُوا لِي لِسَانِيَا
فإنّ أَخَاكُمْ لم يكن من بَوَائِيَا
وإن تُطَلِّقُونِي تَحْرُبُونِي (٦) باليا
نَشِيدَ الرّعاء (٧) المُزِينِ التّالِيَا
كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا (٨) يمانيا
يُرَاوِدُنِ مِنِّي ما تَرِيدُ نِسَائِيَا
أنا اللَّيْتُ مَعْدِيًا عَلَيْهِ وَعَادِيَا
مَطَى وَأَمْضَى حَيْثُ لا حَى ماضيا

(١) الصريح : الخالص ، والمواليا : الحقاء المنضين إليهم ، والكلاب : اسم موضع الوقفة
(٢) النهدة : للرّهضة ، والحو من الخيل : التي تضرب للى خضرة ، وهي أصبر الخيل . وتواليا :
جمع تالية ، أى تاجعة ؛ والمعنى : إن فرسى لحقتنا تسبق الحو ؟ فهى تلو فرسى (٣) القمار :
ما يجب على الرجل حفظه (٤) النسمة : سير منسوج ، وفي شرح هذا البيت قولان : الأول
أن هذا مثل وذهب إليه القائل وابن الأنباري ؛ لأنّ اللسان لا يشد بنسمة ، وإنما أراد : اقلوا بي
خيرًا لبطلق لساني بشكركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلساني مشدود ، لا أقدر على مدحك ، والساني
أهم شدوه بنسمة حقيقة ، وإليه ذهب الجاحظ في البيان والتبيين والأسفهازي في الأغاني ؛ قبل لهم
ربطوه بنسمة مخافة أن يهجوم ، وكانوا سموه يشد شعرا ، قال : أطلقوا لي عن لساني أذم أصحابي
وأنوح على نسي ، قالوا : إنك شاعر ، ونخذ أن تهجوننا ، فاهدم ألا يهجوم ، فأطلقوا له عن
لسانه (٥) أسججوا : سهلوا ويسروا ، والبواء : السواء ؛ أى لم يكن أخوكم نظيرا لي
فأكون بواء له ، ويريد به النهان (٦) تحربوني : تسلبوني وتطلبوني (٧) الرعاء :
جمع راع ، والمزبب : المنحى بإيبله ، والتالي : التي تتج بعضها ويق بسن ؛ جمع مثلية
(٨) قوله : كأن لم ترى ، رجوع للى من الإخبار للى الخطاب ، وكان مخففة واسمها مضرب ليا
وروى في ذيل الأمالى : لم ترن باللهن ، وارجع للى ذيل الأمالى والمعنى في مبعث (لم) .

وَأَمَحْرُ لِلشَّرْبِ الكِرَامِ مَطِيئِي
 وَصَدَعُ بَيْنَ التَّمِينَتَيْنِ (١) رِدَائِيَا
 وَكَنتَ إِذَا مَا الخَيْلُ شَمَصَهَا القَنَا
 لِبِقَاً بِتَصْرِيفِ القِنْسَاءِ (٢) بَنَائِيَا
 وَعَادِيَةِ سَوَمِ الجِرَادِ وَزَعْمَهَا
 بَكْفَى وَقَدْ آمَحَوْا إِلَى المَوَالِيَا (٣)
 كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقْلُ
 لَخَيْلِي كُرْمَى نَفْسِي (٤) عَنِ رِجَالِيَا
 وَلَمْ أَسْبِأِ الرُّقَّ الرُّوِيَّ وَلَمْ أَقْلُ
 لِأَيْسَارِ صَدْقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا (٥)
 وَلَمْ يَلْبَثْ عَبْدٌ يَفُوثُ أَنْ مَاتَ (٦) .

- (١) الشرب : جمع : شارب ، وأصدع : أشق ، والتينة : الأمة مغبة كانت - كما هنا - أم لا
 (٢) شمصها : نخصها لتحرك ، ويروي شمسها بالسين ، والبيق من الباقية .
 (٣) العادية : القوم يمدون من العدو وهو الركض ، وسوم الجراد أي كسومه وهو انتشاره .
 وزعتها : كنفقتها ، والوازع : الكاف والمائع ، وأمحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها من النحو
 وهو القصد ، والعالية من الزمخ : أعلاه (٤) . نفسى : وسعى (٥) السباء : اشتراء
 الخمر للشرب لا للبيع ، والأيسار : الذين يضربون القداح : جمع ياسر (٦) قال الجاحظ في
 البيان والتبيين : ليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يفوث ؛ فإن قتنا جودة أشعارها
 في وقت إحاطة الموت بهما فلم تسكن دون سائر أشعارها في حال الأمن والرفاهية .

٨ - يوم فيف الرياح

كانت بنو عامر^(١) تطلبُ بنى الحارث بن كعب بأوثانهم كثيرة ، فجمع لهم الحسين بن يزيد الحارثي - وكان يغزو بمن تبعه من قبائل مذحج - وأقبل في بنى الحارث وجمعني ، وزُبيد ، وقبائل سمد المشيرة ، ومرادٍ وصُدَاءَ ونَهْدٍ ، واستمانوا بقبائل خثعم^(٢)؛ فخرج شَهْرَانِ ونَاهِسٍ وأَكْلَبُ عليهم أنسُ بن مُدْرِكٍ ، وأقبلوا يريدون بنى عامر ، وهم مُنتَجِمُونَ مكاناً يقال له «فَيْفُ الرِّيحِ» ، ومع مذحج النساء والذَّرَارِي ، حتى لا يفرُّوا ؛ إما ظفروا وإما ماتوا جميعاً .

فاجتمعت بنو عامر كلها إلى عامر^(٣) بن الطفيل ، فقال لهم عامر - حين بلغه مجيئهم : أغيروا بنا عليهم ، فإنِّي أرجو أن نأخذَ غنائمهم ، ونسبي نساءهم ، ولا تدعواهم يدخلون عليكم داركم .

فتابوه على ذلك ، وقد جعلتْ مذحجٌ ولُفْها^(٤) رُقَبَاءَ ، فلما دنتْ بنو عامر من القومِ صاح رُقَبَاءُ بهم : أنا كم الجبشُ ؛ فلم يكن بأسرع من أن جاءتهم مسألهم^(٥)

(*) لمذحج على عامر ، وفيف الرياح: موضع بأعلى نجد

التفائش ٤٦٩ ، ذيل الأمل ١٤٦ ، المقد الفريد ص ٣٥٩ ج ٣ ، أمثال الميداني ص ٣٠٨ ج ٢ ،

ابن الأثير ص ٣٨٧ ج ١ ، الأغاني ص ٢١ ج ٥ ، معجم البلدان ص ٤١٣ ج ٦

(١) بنو عامر في قيس عيلان ، وفيهم بطون كثيرة (٢) بنو الحارث وسمد المشيرة وجمعني وزيد في مذحج ، ومراد بطن في كهلان . وصداه ونهد بطنان في قضاة وخثعم بطن في كهلان (٣) كان عامر بن الطفيل فارس قيس وسيدم ، وكان شاعراً جيد الشعر ، ومن شعره :

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها لهم ساحاتها سهلها وحزومها

وقد نال آفاق السموات مجدنا لنا الصحو من آفاقها وغيومها

(٤) لف القوم : من كان فيهم من الحلفاء وغيرهم (٥) للسالح : جمع مسلحة ، وهم القوم ذو سلاح .

تَوَكَّفُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مُدْرِكٍ لِقَوْمِهِ (١) : انصرفوا بنا ،
وَدَعُوا هَؤُلَاءِ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَلَا أَظُنُّ عَامِرًا تَرِيدُنَا ؛ فَقَالَ لَهُمُ
الْحَصِينُ بْنُ زَيْدٍ : افعلوا ما شِئْتُمْ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرَادُ دُونَكُمْ ، وَمَا نَحْنُ بِبَشَرٍ بِلَاءٍ
عِنْدَ الْقَوْمِ ، فَانصرفوا إِن شِئْتُمْ ، فَإِنَّا نَرْجُو آلَا نَمُجِرَ عَنْ بَنِي عَامِرٍ ، فَرُبَّ يَوْمٍ
لَنَا وَلَهُمْ قَدْ غَابَتْ سُمُودُهُ ، وَظَهَرَتْ نَحُوسُهُ .

فَقَالَتْ خَتَمَةُ لِأَنَسِ : إِنَّا كُنَّا وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى مِيَاهٍ وَاحِدَةٍ فِي مِرَاعٍ وَاحِدَةٍ ،
وَهُمْ لَنَا سِلْمٌ وَهَذَا عَدُوٌّ لَنَا وَلَهُمْ ، فَتَرِيدُ أَنْ نَنْصَرِفَ عَنْهُمْ ؛ فَوَاللَّهِ لَئِنْ سَلَمُوا
وَعَنِمُوا لَنَنْدَمَنَّ أَلَّا نَكُونُ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ ظَفَرِيبَهُمْ لَتَقُولَنَّ الْعَرَبُ : خَذَلْتُمْ جِيرَانَكُمْ
فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَقَاتِلُوا مَعَهُمْ .

وَجَمَلَ حُصَيْنٌ خَتَمَةَ ثَلَاثَ الْمِرْيَاحِ (٢) ، وَمَنَّا مِ الْزِيَادَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ
بِثَ إِلَى بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ أَرْبَعِينَ رُمْحًا وَأَرْبَعِينَ سِكِّينًا فَكَسَمَهَا فِي
أَفْعَادِ بَنِي عَامِرٍ .

وَأَلْتَقَى الْقَوْمُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يُفَادُونَ فِيهِمُ الْقِتَالَ بِفَيْفِ (٣) الرِّيحِ ؛
فَأَلْتَقَى الصَّمِيمِيُّ بْنُ الْأَعُورِ (٤) الْكَلَابِي ، وَعَمْرُو بْنُ صُبَيْحِ الْهِنْدِيِّ (٥) ، فَطَلَمَنَهُ عَمْرُو ،
فَدَسَّ بِالصَّمِيمِيِّ بِطَلْمَنَتِهِ مُعَانِقًا فَرَسَهُ ، حَتَّى أَلْقَاهُ فَرَسُهُ إِلَى جَانِبِ الْوَادِي ، فَاعْتَنَقَ
صَخْرَةً وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَرَّ بِهَ رَجُلٌ مِنْ خَتَمِهِ ، فَأَخَذَ دِرْعَهُ وَفَرَسَهُ ؛
وَأَجْهَرَ عَلَيْهِ .

وَشَهِدَتْ بَنُو نَعْمِرٍ يَوْمَئِذٍ مَعَ عَامِرٍ ، فَسَمَوْا حُرَيْبَةَ (٦) الْعَطْمَانَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي عَامِرٍ

(١) أَيُّ قِبَائِلِ خَتَمِ (٢) الْمِرْيَاحُ : مَا يَأْخُذُهُ الرَّيْسُ وَهُوَ رِبْعُ الْفَنِيَةِ (٣) قَالَ أَبُو عَيْدٍ :
كَانَتْ وَقْفَةً فِيهِ الرِّيحُ وَقَدْ بَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا (٤) مِنْ بَنِي كَلَابٍ ، وَمِنْ جُلْدٍ مِنْ
عَامِرٍ (٥) مِنْ نَهْدٍ وَمِنْ أَحْلَافِ بَنِي الْحَارِثِ (٦) أَيُّ اجْتَمَعُوا بِقَبَائِلِهِمْ ، فَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ الْمَرْجَةِ ،
وَهِيَ شَجَرٌ يَجْتَمِعُ ، وَسَمَّوْا ذَلِكَ الْيَوْمَ حُرَيْبَةَ الْعَطْمَانَ .

جالوا جَوْلَةً إلى موضعٍ يقال له العُرْقُوبُ، فالتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نعيم ، فوجدهم قد تخلفوا في قتال القوم ، فرجع عامرٌ يصيح : يا صباحاه ! يا نُمَيْرَاهُ ! ولا نُمَيْرَ لي بعد اليوم، حتى أقحمَ فرسه وسطَ القوم ، فطعن يومئذ بين تُفْرَةَ نحره إلى سرِّته عشرين طَمَنَةً .

وبرزَ يومئذ حُسَيْلُ بن عمرو الكلابي، فبرزَ له صَخْرُ بن أُعْيَى التَّهْدِي ؛ فقال عامر بن الطفيل لحسيل : ويلك يا حُسَيْل ! لا تَبْرُزْ له ، فإن صخرًا صخرة^(١)، وإن أُعْيَى يمينا عليك ، ولكن حسيلا لم يستمع لقوله ، وبرز للقتال؛ فقتله صخر .

وقتل خُلَيْفُ بن عبدالمزى التَّهْدِي كعب الفوارس بن معاوية بن عبادة بن البكاء؛ ففرَّ بعد ذلك خُلَيْفٌ على بني جمدة^(٢) ، ففرقوا بزَّةَ كعبٍ وفرسه ، فشدَّ عليه مالك بن عبد الله بن جمدة فقتله ، وأخذ الفرس والبيزة فردَّهما إلى بني البكاء^(٣) .

وكان عامرُ بن الطفيل يتمهدُ الناسَ فيقول : يا فلان ؛ ما رأيتك فعلتَ شيئاً ! فيقول الرجل الذي قد أبلى : انظرُ إلى سيفي وما فيه ، وإلى رعي وسِنَانِي . فأقبل مُسَهْرُ بن يزيد الحارثي^(٤) في تلك الهبئة - لما رأى عامراً يصنع بقومه الأفاعيل - فقال : يا أبا علي ؛ انظر ما صنعتُ بالقوم ، انظر إلى رعي ! حتى إذا أقبل عليه عامرٌ وجاءه بالرمح في وجنته ، ففلقَ وجنته ، وأصاب عينه ، وخذلَّ الرمحَ فيها ، وضرب فرسه ، فلحق بقومه .

(١) كأنه تطير من اسمه (٢) جمدة : بطن في عامر (٣) هذه رواية النقائض في مقتل كعب الفوارس ، وفي الأغانى : إن كعب الفوارس مر على بني نهد وعليه سلاحه ، فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه ، ثم إن خليفاً بعد ذلك بدهر مر على بني جمدة ، فراه مالك بن عبد الله بن جمدة ، وعليه جبة كعب ، وفيها أثر الطمئة ، وكان محرمًا فلم يقدر على قتله ، فقال : يا هنا ، ألا رقت هذا الحرق التي في جبتك ! وجعل يترصده بعد ذلك ؛ حتى بلغه بعد دهر أنه مر ببني جمدة ، فركب مالك بن عبد الله بن جمدة فرساً له وأدركه فقتله ، ثم قال : يؤبكيب (٤) كان مسهر فارساً شريفاً ، وكان قد جنى جنابة في قومه ، فلحق ببني عامر ، ففهد معهم فيف الرمح .

وفي طعنة عامر يقول مسهر :

وَهَضَّتْ بِمُخْرُصٍ^(١) الرَّمْحِ مُقَلَّةَ عَامِرٍ
وَعَادِرٍ فِينَا رُمُوحَهُ وَسِلَاحَهُ
وَكُنَّا إِذَا قَيْسِيَّةٌ بَرَقَتْ لَنَا
مُخَافَةً مَا لَاقَتْ حَلِيلَةَ^(٢) عَامِرٍ
ويقول عامر :

لعمري ، وما عمري علىَّ بهين
فبئس الفتى إن كنت أعور عاقراً
وقد علموا أني أكرُّ عليهم
فلو كان جمعٌ مثلنا لم نبالمهم
فجاءوا بشهران^(٣) المريضة كآها
وقال في هذا اليوم أبو دؤاد الرؤاسي :

وَنَحْنُ أَهْلُ بَضِيعٍ^(٥) يَوْمَ وَاجَهَنَا
سَاقُوا شُعُوبًا وَعَنْسًا فِي دِيَارِهِمْ
مَنَّاهُمْ مُنِيَّةٌ كَانَتْ لَهُمْ كَذِبًا
وَلَتْ رِجَالُ بَنِي شَهْرَانَ تَتَبِعُهَا
وَالزَّاعِيَّةُ تَكْفِيهِمْ وَقَدْ جَمَلَتْ
جَيْشُ الحَصِينِ طِلَاعَ الخَائِفِ الكَرِيمِ^(٦)
وَرَجُلٍ^(٧) خَتَمَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ عِلْمٍ^(٨)
إِن المَسِيَّ لِنَعْمَا يُوَجِدُنْ كَالْحُلْمِ
خَضْرَاءَ يرمونها بالنبل عن شممٍ
فِيهِمْ نَوَافِدٌ لَا يُرَقَمُنْ بِالدُّسْمِ^(٩)

(١) خرس الرمح : سنامه ، ونحس عينه : أغارها (٢) زعم أنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل
(٣) شهران وناهس وأكلب كان عليهم أنس بن مدرك الخنمي (٤) السنور : لبوس بلبس
في الحرب كالدرع ، أو هو جملة السلاح (٥) بضيع : جبل (٦) الكرم : كرم الرجل :
هاب التقدّم على الشيء (٧) رجل الرجل : فهو راجل ورجل والرجل أيضاً اسم جمع عند
سيبويه وجمع عند غيره (٨) العلم : الجبل (٩) الزاعية : رماح منسوبة إلى زاعب : رجل أو
بلد ، والدسم : ما سدوا به الجراحات .

ظَلَّتْ يُجَاهِرُ تُدْعَى وَسَطَ أَرْحُلِنَا وَالسَّتَمِيتُونَ مِنْ حَاءٍ وَمِنْ حَكَمٍ (١)
 حَتَّى تَوَلَّوْا وَقَدْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُمْ طَعْنًا وَضَرْبًا عَرِيضًا غَيْرَ مُقْتَسَمٍ
 وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ (٢) :

أَتَوْنَا بِشَهْرَاتِ الْعَرِيضَةِ كُلِّهَا وَأَكْلِبَهَا فِي مِثْلِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ
 فَبِتْنَا وَمَنْ يَنْزِلُ بِهِ مِثْلُ ضَيْفِنَا بَيْتٌ عَنْ قِرَى أُضْيَافِهِ غَيْرَ غَافِلٍ
 أَعَاذِلُ لَوْ كَانَ الْبَدَادُ (٣) لَقَوَّيْلُوا وَلَكِنْ أَنَا كُلُّ جَنٍّ وَخَائِلٍ (٤)
 وَخَنَعْمُ حَتَّى يُعَدَّلُونَ بِمُدْحَجٍ وَهَلْ نُحْنُ إِلَّا مِثْلَ إِحْدَى الْقَبَائِلِ
 وَأَسْرَعَ الْقَتْلُ فِي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، فَانْتَرَقُوا ، وَلَمْ يَسْتَقِلَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ
 غَنِيمَةً ، وَكَانَ الصَّبْرُ وَالشَّرْفُ لِابْنِي عَامِرٍ .

(١) يجاهر : مراد . وحاء : بطن من حكم
 جاءت الخيل بداد : متفرقة متبددة ، وقال حسان :
 كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَهْلًا
 لِحَا فثَلَا بِالرِّمَاحِ بَدَادَ
 أي متبددين (٤) الخابل : ضرب من الجن .

٩ - يوم ظهر الدهناء

كان أوس بن حارثة بن لأم الطائي سيِّداً مُطاعاً في قومه ، وجواداً مقدّاماً ، فوفد هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند ، فدعا عمرو أوساً ، فقال له : أنت أفضل أم حاتم ؟ فقال : أبيت اللعن ؛ إن حاتمًا أوحدُها وأنا أحدُها ، ولو ملكني حاتم وولدي ولحمي^(١) لَوَهَبْنَا في غداً واحدة ؛ ثم دعا عمرو حاتمًا ، فقال له : أنت أفضل أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن ! إنما ذكرت أوساً ، ولأحدُ ولده أفضلُ مني . فاستخسَنَ ذلك منهما ، وحبَّاهما ، وأكرَمَهُمَا .

ثم إن وفودَ العرب من كلِّ حمى اجتمعت بعد ذلك عند النعمان بن النذر ، وفيهم أوس ، فدعا بمجَلَّةٍ من حُللِ الملوك ، وقال للوفود : احضروا في غدٍ فإني مُلبِسٌ هذه الحِلَّةَ أكرمكم .

فلما كان الغدُ حضر القومُ جميعاً إلا أوساً ، فقيل له : لِمَ تتخلفُ ؟ فقال : إن كان المرادُ غيري فاجمَلُ الأشياءِ لي ألا أكونَ حاضرًا ، وإن كنتُ المرادُ فسأطلبُ .

فلما جلس النعمان ، ولم ير أوساً ، قال : اذهبوا إلى أوس ، فقولوا له : احضروا معنا بما خفتَ ، فحضر فألبسَ الحِلَّةَ .

فحسده قومٌ من أهله ، فقالوا للحطيئة : اهجه ذلك ثلاثمائة ناقة . فقال : كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أناثاً ولا مالاً إلا منه ؟ ثم قال :

* لطيء على أسد . والدهناء : واد يشتمل على سبعة أجيل ويعر ييلاد بن أسد .

ابن الأثير ص ٣٨٢ ج ١ ، قصص العرب ص ١٦٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٨٣ ج ١
الشعر والشعراء ص ٨٦ ، المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)

(١) لحمه بالنسب بالفتح : الشابك منه ، واللحمة بالضم : القرابة .

كَيْفَ الهجاء وما تنفكُ سالحةٌ من أهل لأمٍ بظَهْرِ النَّيْبِ تَأْتِينِي
 فقال لهم بشر بن أبي خازم (١) : أنا أهجوه لكم ، فأعطوه النوق ، وهجاء
 فأفحشَ في هجائه ، وذكر أمه سُمْدَى ، فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق
 فاكتسَحَهَا ، وطلبه فهرب منه ، والتجأ إلى بني أسد عشيرته ، فتموه منه ورأوا
 تسليمه إليه عاراً .

فجمع أوس قومه من طي (٢) ، وسار بهم إلى أسد (٣) ، فالتقوا بظَهْرِ اللهَاءِ ،
 فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو أسد وقُتِلُوا قَتْلًا ذريعاً ، وهرب بشر ، فجمع
 لا يأتي حياً يطلب جوارهم إلا امتنع من إجارته على أوس .

ثم نزل على جندب بن حصن الكِلَابِيِّ بأعلى الصَّمَانِ (٤) ، فأرسل إليه أوس
 يطلب منه بشراً ، فأرسله إليه ، فلما قدم به على أوس أشار عليه قومه فدخل على أمه
 سمدى وقال : قد أتيتك بالشاعر الذي هجأك ، وقد آليتُ لأقتلنه قِتْلَةً تحمين بها !
 قالت : يا بني ؟ أو خير من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قالت : إنه لم يجد له ناصراً منك ،
 ولا مجيراً عليك ، وإنا قوم لا نرى في اصطناع المروف من بأس ؛ فيحقي عليك
 إلا أطلقتهُ ، ورددت عليه إبله ، وأعطيته من مالك مثل ذلك ، ومن مالى مثله ،
 وأرجمه إلى أهله سالماً ، فإبهم أيسوا منه ؛ فإنه لا يفضلُ هجاءه إلا مدحه .

فقبل ما أشارت به وخرج إليه ، وقال : يا بشر ؛ ما تقول أنى فاعلُ بك ؟

فقال :

إني لأرجو منك يا أوسُ نعمةً وإني لأخري منك يا أوسُ رهابُ
 وإني لأمحو بالذي أنا صادقٌ به كلُّ ما قد قلتُ إذ أنا كاذبٌ

(١) شاعر جاهل من بني أسد (٢) طي : من كهلان (٣) أسد : بطن في كنانة

(٤) الصمان : جبل في بلاد بني تميم .

فهل نأفي في اليوم عندك أننى سأشكر إن أنمت والشكر واجب
 فدى لابن سمدي اليوم كل عشرينى بنى أسد أقصام والأقارب
 تداركنى أوس بن سمدي بينعمة وقد أمكنته من يدى المواقب
 فقال أوس : إن سمدي التى هجوتها قد أشارت بكذا وكذا ، وأمر بحل
 كتافه ، وحمله على فرس جواد ، ورد عليه ما كان أخذ منه ؛ وأعطاه من ماله مائة
 من الإبل ، ورفع بشر يده إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد على آلا أعود إلى
 شعر إلا أن يكون مدحا في أوس بن حارثة^(١) .

(١) هذه رواية ابن الأثير . وفي بلوغ الأرب من ٨٤ ج ١ ما خلاصته : إن بصرأ غزا طيئاً
 ثم بنى نهبان لجرح وأخذ أسيراً في بنى نهبان ، فخبثوه كراهية أن يبلغ أوساً ، وسمع أوس أنه
 عندهم فقال : والله لا يكون بينى وبينهم خير أبداً أو يدفموه ، ثم أعطاهم مائتي بعير وأخذه منهم ،
 فجاء به وأدخله في جلد كبش ثم تركه حتى جف عليه فصار فيه كأنه المصفور ، فبلغ ذلك أمه
 سمدي بنت حصين الطائية فخرجت إلى أوس وقالت : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : أحرق هذا
 الذى شئتنا ، فقالت : قبح الله قوماً يسودونك ، أو يقتبسون من رأيك ! والله لكأنا أخذت به ،
 أما تعلم منزلته في قومه ! خل سبيله وأكرمه ، فإنه لا يضل عنك ما صنع غيره . فحبسه عنده ،
 وداوى جرحه ، وكنسه ما يريد أن يصنع به ، وقال : ابعث لى قومك يمدونك ، فأتى قد
 اشتريتك بمائتي بعير . فأرسل بصر لى قومه ، فخبثوا له القداء ، وبأدره أوس فأحسن كسوته ،
 وحمله على نجييه الذى كان يركبه ، وسار معه حتى إذا بلغ غطفان ، جعل بصر يمدح أوساً بمكان
 كل نصيدة هجاء بها نصيدة ، وكان قد هجاء بنحس .

المشام
عفا الله عنه

٤- أَيَّامِ رَبِيعَةٍ «فِيَا بَيْنَهَا»
١- حَرْبِ لَبْسُوسٍ

حَرْبُ لَبْسُوسَ

- ١ -

لما فَضَّ كُليبٌ^(١) بن ربيعة جوع اليمن في خَزَازِي وهزَمَهُم اجتمعت عليه
معد^(٢) كُلُّهَا ، وجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيته وطاعته ، وَغَبَرَ بِذَلِكَ حِينًا من
دهره ، ثم دخله زَهْوٌ شديد ، وبغى على قومه لا هو فيه من عزة وانقيادٍ مَعَدَّ له ،
حتى بلغ من بغيه ، أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرْمَى حِمَاهُ ، وإذا جلس

• وقمت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل ، وقد مكث أربعين سنة ، وقمت فيها هذه
الأيام :

يوم التهي (والتهي : ماء لبني شيان) لتغلب على بكر .

يوم الدنائب (والدنائب : موضع على طريق البصرة للمكة) لتغلب على بكر

يوم واردات (وواردات : موضع عن يسار طريق مكة للمكة البصرة) لتغلب على بكر

يوم عنيزة (وعنيزة : موضع في اليمامة) تكاكتا .

يوم القصيبات (والقصيبات : موضع في ديار بكر وتغلب) لتغلب على بكر

يوم تملاق السم : (سمى بذلك لأن بني بكر حلقوا فيه جميعاً ره وسمهم) لبكر على تغلب

التفائض ص ٧٧٣ (طبع أوروبا) ، الأغانى ص ٣٢ ج ٥ ، ابن الأثير ص ١٨٣ ج ١ ، مجمع
الأمثال ص ٣٤٢ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٤٨ ج ٣ ، معجم البلدان ص ١٣٩ ج ١ ، شرح
البيون ص ٥٩ ، ٦١ ، ٩٩ ، شعراء النصرانية ص ١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠ ، خزنة
الأدب ص ٤٢٥ ج ١

(١) كليب بن ربيعة : اسمه وائل وكليب لقبه ، ولد سنة ٤٤٠ م ونشأ في حجر أبيه ودرب
على الحرب ، ثم تولى رئاسة الجلبش : بكر وتغلب زمناً حتى قتلته جساس بن مرة سنة ٤٩٤
(شعراء النصرانية) (٢) قال هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة
وهبط من رؤساء العرب ، ومم عاصر بن الظرب يوم اليبداء حين تمدحجت منحج وسارت للم تهامة
وويعة بن الحارث يوم السلان ، وكليب حين قاد جوع معد يوم خزازي .

لا يمر أحدٌ بين يديه إجلالاً له ، ولا يَحْتَسِبُ أحدٌ في مجلسه غيره ، ولا يُنِيرُ إلا بإذنه ، ولا تورِدُ إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا توقدُ نارٌ مع ناره ، ولم يكن بكَرِيٍّ ولا تغلبي يُجبر رجلاً ولا بعيراً أو يحمي حمي إلا بأمره ، وكان يجر على الدهر فلا تُخْفَرُ ذِمَّتُهُ ، وكان يقول : وحشُ أرضِ كذا في جوارى ، فلا يُهاج ! وكان هو الذي يُنزلُ القومَ منازلهم ويرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره ، وقد بلغ من عزِّته وبغْيِهِ أنه اتخذ جرَّ و كلب ، فكان إذا نزل منزلاً به كلاً قَدَفَ ذلك الحِرَّ وَ فيه فيعمو ، فلا يرعى أحدٌ ذلك الكلاً إلا بإذنه ، وكان يفعلُ هذا بمخاض الماء فلا يردُّها أحدٌ إلا بإذنه أو من آذَنَ بحرب ؛ فَضُرِبَ به المثلُ في العزِّ قَئِيلٌ : أعزُّ من كليب وائل ، وكان يحمي الصيد فيقول : صيدُ ناحية كذا وكذا في جوارى فلا يصيدُ أحدٌ منه شيئاً^(١) .

— ٢ —

وتزوَّجَ كليبٌ جليلاً^(٢) بنتَ مُرَّةَ بنِ ذهل بنِ شيبان ، وكان لمرَّةَ عشرة بنين :

(١) قيل : إنه مر يوماً بجرعى فيه قبرة وقد باضت ، فلما رأتها صرصرت وخطفت بمخاضها ، قال : من ردعك؟ أنت في ذمق ، ثم أنشد :

ياك من قبرة بجمري لا ترهمي خوفاً ولا تستكري
معمر : اسم حمى كليب

قد ذهب الصياد عنك فأبفري
ورفع الفخ فإذا تحذري ؟
خلاك الجو فيضى واصفري
وتهرى ماشئت أنت تتفري
فأنت جبرى من صروف الحذر
لل بلوغ يومك المقدر

(٢) كانت جليلاً بنتَ مرَّةَ من فضليات النساء في عصرها ، ولما قتل زوجها كليب بسهم أخيها جساس ، كان خطبها حسيباً ، وحيرتها عطية ، ولما أخرجت من بيت كليب بعد قتله أقامت في نزل أخيها جساس حتى قتل ، ثم تنقلت مع بني شيبان قومها مدة حروبهم وتوفيت سنة ٥٢٨ م

جَسَّاسٌ^(١) أصغرهم ، وكانت بنو جُشم^(٢) وبنو شيبان تقيم في دار واحدةٍ بإرادة الجماعة ومخافة الفرقة .

وحدث أن كليياً دخل على امرأته جلييلة يوماً فقال لها : هل تعلمين على الأرض أمّنع مني ذمة ؟ فسكتت ، ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ، ثم أعاد عليها الثالثة فقالت : نعم ، أخي جَسَّاسٌ وندّمانه^(٣) ابن عمه عمرو المزدلف^(٤) بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان .

فسكتت كُليبٌ ومضت مدة ، وبينما هي تفسل رأسه وتسرحه ذات يوم إذ قال لها : من أعزّ وأئبل ؟ قالت : أخوأي جَسَّاسٌ ومهمّام^(٥) . ففزع رأسه من يدها وخرج . وكانت لجَسَّاسِ خالة اسمها البسوس بنت مُنقذ^(٦) ، جاءت ونزلت على ابن أختها جَسَّاسِ ، فكانت جارةً لبني مرة ، ولها ناقة^(٧) خوّارة^(٨) ، وممها فصّيل لها^(٩) ، فلما خرج كُليبٌ غاضباً من قول زوجته جلييلة رأى فصّيلَ الناقة فرماه بقوسه فقتله . وعلقت بنو مرةً بذلك ، فأغمضوا على ما فيه وسكتوا ؛ ثم لقي كليب ابن البسوس فقال له : ما فصلن فصّيلُ ناقةكم ؟ فقال : قتلته وأخليت لنا لبن أمه ؛ وأغمضت بنو مرة على هذا أيضاً .

(١) كان جَسَّاسٌ بن مرة فارساً شهماً أياً ، وكان يلقب الحامى الجار ، المانع الدمار ، وهو الذي قتل كليياً كما هو مفصل في تلك الحرب ، ولما نشبت الحرب سيره أبوه إلى الشام ، ولما علم به أعداؤه لحقوه في سفره فالتقى بهم في حرب أسفرت عن قتل أبي نورة زعيم القوم الذين لحقوه ، وجرح جَسَّاسِ جرماً مات في إثره سنة ٥٣٤ م (٢) جشم : بطن في تغلب وهم قوم كليب ، وشيبان بطن في بكر وهم قوم جَسَّاسِ (٣) الندمان : الذي يرافك على الصراب وقد يكون جما (٤) لقب بالمزدلف لأنه ألقي برمحه في حرب فقال : ازدلفوا إليه (٥) كان حمام أكبر أخوات أولاد مرة (٦) كانت من بني تميم ، وضرب بها المثل فقالوا : « أشأم من البسوس » (٧) كانت اسمها سراب (٨) ناقة خوّارة : رقيقة حسنة (٩) وفي بعض الروايات أن هذه الناقة كانت لرجل من بني جرم اسمه سعد بن شيمس ، وأنه نزل بناتته على جَسَّاسِ .

ثم إن كليياً أعاد القول على امرأته فقال : مَنْ أعرزُ وائل ؟ فقالت : أخوأي ! فأضمرها في نفسه وأسرّها وسكت، حتى مرّت به إبل جسّاس وفيها ناقة البسوس، فأنكر الناقة، ثم قال : ما هذه الناقة ؟ قالوا: لخالعة جسّاس . فقال : أوبلغ من أمر ابن السعدية^(١) أن يُجبرَ على بغير إذني ؟ أرمِ ضرعها يا غلام ، فأخذ القوس ورمى ضرعَ الناقة، فاختلط دمها بلبنها .

وراحت الرعاة على جسّاس فأخبروه بالأمر ، وواتت الناقة ولها عجيج حتى بركت بفناء البسوس ؛ فلما رأها صاحت: وأذلاء ! فقال لها جسّاس : اسكتي فلك بناقتك ناقةٌ أعظمُ منها ، فأبت أن ترضى حتى صاروا لها إلى عشر ؛ فلما كان الليل أنشأت تقول - مخاطبةً سعداً أختا جسّاس وترفع صوتها تُسمع جسّاساً :

أيا سعدُ لا تفرر بنفسك وارتحل فإني في قوم عن الجار أمواتِ
ودونك أذوادى إليك فإني محاذرةٌ أن يندروا بينيتي
لمرك لو أصبحت في دارٍ مُنقذِ^(٢) لما ضيم سعدٌ وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دارٍ معسرٍ متى يمدُّ فيها الذئبُ يمدُّو على شاتي^(٣)

فلما سمها جسّاس قال لها : اسكتي لا تُراعي : إني سأقتل جملًا أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غللاً^(٤) !

— ٣ —

ثم طعن ابنا وائل بعد ذلك ؛ فمرت بكرٌ على يهسي^(٥) يقال له شبيث، فنغام

(١) يريد جسّاسا (٢) منقذ : أبر البسوس وهو من تميم (٣) تسمى العرب هذه الأبيات الموتيات ، لأن البسوس لما أنشدتها أوغرت الصدور (٤) كان غلال فعل لإبل كليب ، لم ير في زمانه مثله ، وإنما أراد جسّاس بمقاله كليباً ، وفي رواية كان اسمه : عليان ، وفي اللسان : بغير عليان : ضمخ (٥) الهمي : الغدير .

كَلَيْبٍ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرَّوَا عَلَى نَهْشَى آخِرَ بَقَالٍ لَهُ الْأَخْصَى ،
فَنَفَاهِمُ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرَّوَا عَلَى بَطْنِ الْجَرِيْبِ ^(١) فَمَنْهُمْ إِيَّاهُ ،
فَمَضُوا حَتَّى نَزَلُوا الدَّنَائِبَ ^(٢) ، وَاتَّبَعَهُمْ كَلَيْبٌ وَحَيْثُ حَتَّى نَزَلُوا عَلَيْهِ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ جَسَّاسٌ
وَمَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنِ ذُهَلٍ ^(٣) ، وَهُوَ وَقَفُ عَلَى غَدِيرِ الدَّنَائِبِ ، فَقَالَ لَهُ :
طَرَدْتُ أَهْلَنَا عَنِ الْمِيَاءِ حَتَّى كَدَتَ تَقْتَلُهُمْ عَطْشًا ، فَقَالَ كَلَيْبٌ : مَا مَنَعْتَهُمْ مِنْ مَاءٍ إِلَّا
وَنَحْنُ لَهُ شَاغِلُونَ . فَقَالَ لَهُ : هَذَا كَيْفَعَلِكُ بِنَاقَةِ خَالَتِي ، فَقَالَ لَهُ : أَوْقَدِ ذِكْرَهَا ! أَمَا إِنِّي
لَوْ وَجَدْتُهَا فِي غَيْرِ إِبِلٍ مُرَّةً ^(٤) لَأَسْتَحَلَلْتُ تِلْكَ الْإِبِلَ بِهَا ! أَتُرَاكَ مَا نَعَى أَنْ أُذَبُّ
عَنْ حِمَايَ ! فَمَطَفَ عَلَيْهِ جَسَّاسٌ فَرَسَهُ فَطَمَنَهُ بِرُمُحٍ فَأَنْفَذَ حِضْنِيَهُ ^(٥) .

فَلَمَّا تَدَاءَمَهُ ^(٦) الْمَوْتُ قَالَ : يَا جَسَّاسُ ، اسْقِنِي مِنَ الْمَاءِ . فَقَالَ : مَا عَقَلْتُ اسْتِسْقَاءَكَ
الْمَاءَ مِنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ إِلَّا سَاعَتَكَ هَذِهِ . قَالَتْ فِإِلَى عَمْرُوٍ وَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ! أَغْنَى
بِشْرَبَةِ مَاءٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ^(٧) .

وَأَمَّا جَسَّاسٌ يَدَهُ بِالْفَرَسِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَهْلِهِ عَلَى فَرَسِهِ يَرْكُضُهُ ، وَقَدْ بَدَّتْ
رُكْبَتَاهُ ؛ وَلَمَّا رَأَتْهُ أُخْتُهُ قَالَتْ لِأَخِيهَا : إِنْ ذَا لَجَسَّاسٍ أَتَى كَاشِفًا رُكْبَتَاهُ ، فَقَالَ :
وَاللَّهِ مَا خَرَجَتْ رُكْبَتَاهُ إِلَّا لِأَمِيرٍ عَظِيمٍ .

فَلَمَّا جَاءَ جَسَّاسٌ قَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ يَا بُنَيَّ ؟ قَالَ : وَرَأَى أَنِّي قَدْ طَمَنْتُ طَمَّةً
لَتَشْفَلَنَّ بِهَا شَيْوُخٌ وَأَثَلُ زَمَانًا . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ لِأَمِّكَ الْوَيْلُ ! أَقْتَلْتِ كَلْبِيَا ؟ فَقَالَ :
نَعَمْ ! فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : إِذْنِ نُسَلِّمُكَ بِجَرِيرَتِكَ ، وَنَرِيْقُ دَمَكَ فِي صِلَاحِ الْمَشِيرَةِ ! وَاللَّهِ

(١) الجريب : واد عظيم تحمي أعاليه من قبل اليمن (٢) الدنائب : موضع بنجد
(٣) في الأغاني صفحة ٣٧ جزء ٥ : قال أبو برزة : فمطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ريمة فاحتز
رأسه ، وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل هو الذي طمنه فقص صلبه (٤) مرة بن
ذهل : أبو جساس (٥) الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح (٦) تداءم : تراكم عليه
(٧) ضرب بهذا المثل قتيلا :

المتجبر يعمرو عند كركته كالمتجبر من الرمضاء بالثار

لبئس ما فعلت ! فرقتَ جماعتك، وأطلت حربها، وقتلت سيدها في شأرف^(١) من الأبل
 والله لا يجتمع وائل بعدها ، ولا يقوم لها عماد في العرب ، ولقد وددت أنك وإخوتك
 كنتم متم قبل هذا ، ما بي إلا أن تشامم^(٢) بي أبناء وائل ؛ فأقبل قوم^(٣) مرة عليه وقالوا :
 لا تقل هذا ولا تفعل فيخذلوه وإياك ، فأمسك مرة ؛ فقال جساس :

تأهَّبْ مثل أهبة ذى كِفَاحٍ فإنَّ الأمرَ جلَّ عن التَّلَاحِ^(٤)
 وإني قد جنيتُ عليك حربًا تُنصُّ الشَّيخَ بالماءِ القَرَّاحِ
 مذكرة^(٥) متى ما يَصُحُّ منها فتي نَشَبَتْ بآخرِ غيرِ صَاحِ



تمدَّتْ تَنَلْبَ ظُلْمًا علينا بلا جُرْمٍ يَمُدُّ ولا جُنَاحِ
 فلما أن رأينا واستَبْنَا عُقَابَ البنيِ رَافِعَةَ الجَنَاحِ
 صرفت إليه نحسًا يوم سُوهِ له كأسٌ من الموتِ المُتَاحِ
 فلما سمع أبوه قال يمجيه^(٦) :

فإن تكُ قد جنبتَ على حربًا تُنصُّ الشَّيخَ بالماءِ القَرَّاحِ
 جمعتُ بها يديك على كليب فلا وَكِلَ^(٧) ولا رَثُ السَّلاحِ
 ونسكني إلى العَلَاتِ^(٨) أجرى إلى الموتِ المُحِيطِ مع الصَّبَاحِ
 وإني حين تَشْتَجِرُ^(٩) العوَالِي أعيد الرمح في إثرِ الجِرَاحِ
 شديد البأس ليس بندي عيَاء ولكني أبوءُ إلى الفَلاحِ

(١) الشارف من النوق : السنة المرمية (٢) التلاحي : الخاصة والمقاولة (٣) مذكرة :
 شديدة (٤) قيل أخوه فضلة هو الذي قال ذلك (٥) وكل : عاجز (٦) بنو العلات :
 بنو رجل واحد من أمهات شقي (٧) تشتجر : تتداخل ، والموالي : الرماح .

سألبس ثوبها وأذُبُّ عنها بأطرافِ العوَالِ والصَّفَاحِ (١)
 فما يبقُ لِمِزَنِهِ ذَيْلٌ فيمنعه من القَدَرِ المُتَاحِ
 فإني قد طربت وهاجَ شَوْقِي طرادُ الخيلِ عارِضَةَ الرِّمَاحِ
 وأجملُ من حَيَاةِ الدَّلِّ مَوْتُ وبعضُ المَارِ لا يمحوه مَآحِ

— ٤ —

ولما قتل كليب اجتمع نساء الحى للآثم، قفلن لأخت كليب: رحلى جليظة عن
 مآتمك، فإن قيامها فيه شماتةٌ وطار علينا عند العرب، فقالت لها: يا هذه؛ اخرجى عن
 مآتمنا، فأنت أختُ وإِترنا وشقيقةُ قاتلنا، فخرجت وهي بجرأ أعطافها؛ فقالت لها
 أخت كليب: رحلةُ المتدى وِفراقُ الشامت، ويل غدأ لآل مرة، من الكرة بمد
 الكرة؛ فبلغ قولها جليظة فقالت: وكيف تَشمَتُ المرأةُ بهتِكِ سترها، وترقب
 وترها؛ أسعد الله جدَّ أختي، أفلا قالت: نفرةُ الحياءِ وخوفُ الاعتداء؟ ثم
 أنشأت تقول:

يأبنةَ الأقوامِ إن شئتِ فلا تَعَجَلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
 فإذا أنتِ تَبَيَّنْتَ الَّذِي يوجبُ اللّوْمَ فلوْمِي وَاَعْدُي
 إن تكنِ أختِ امرئٍ ليمتِ على شَفَقٍ مِنْهَا عَلَيْهِ فَاغْلِي
 جلٌّ عندي فمسلُ جساسِ فيا حَسْرَتِي عَمَّا انجَلَتْ أَوْ تَنْجَلِي
 فمسلُ جساسِ على وجدي به قاطعُ ظهري ومُدُنِ أَجَلِي
 لو بعينٍ فقتت عيني سوى أَخِيهَا فَاَنْفَعَاتِ لَمْ أُخْلِي

(١) الصفاح: السيف العرض.

تَحْمَلُ الْعَيْنُ قَدَى الْمَيْنِ كَمَا تَحْمَلُ الْأُمُّ أَدَى مَا تَقْتَلِي (١)
 بِاتِّبَاعِ قَوْضِ الدَّهْرِ بِهِ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عِلِّ
 هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ وَانْتَنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
 وَرَمَانِي قَتْلُهُ مِنْ كَثَبِ رَمِيَةِ الصُّمِيِّ (٢) بِهِ الْمَسْأُولِ
 بِنَاسَائِي دُونَكَ الْيَوْمَ قَدْ خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْهِ مُضْطَلِّ
 خَصَّنِي قَتْلُ كَلَيْبِ بِلَطْيِ مِنْ وَرَائِي وَلَطْيِ مُسْتَقْبَلِ
 لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
 يَشْتَفِي الْمَدْرُكَ بِالنَّارِ وَفِي دَرَكِي نَارِي مُسْكَلُ الْمَسْكَلِ (٣)
 لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا بَدَلًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي (٤)
 إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَمَلَّ اللَّهُ أَنْ يَرْتَحَّحَ لِي

ولما ذهبت إلى أبيها مرة قال لها : ما وراءك يا جليسة ؟ فقالت : تُسْكَلُ المَدَدَ ،
 وَحُزْنَ الأَبَدِ ، وَفَقْدُ حَلِيلِ ، وَقَتْلُ أُخْرٍ عَنِ قَلِيلِ ، وَبَيْنَ ذَيْنِ غَرَسِ الأَحْقَادِ ،
 وَقَتَمَتِ الأَكْبَادِ ، فَقَالَ لَهَا : أَوَيْكَفُ ذَلِكَ كَرُمُ الصَّفْعِ وَإِغْلَاةِ الدِّيَاتِ ؟ فَقَالَتْ :
 أُمْنِيَّةٌ مَخْدُوعٌ وَرَبُّ الكَمْبَةِ ! أبا لُبْدُنْ تَدْعُ لَكَ . تَقَلِّبْ دَمَ رَبِّهَا !

- ٥ -

وكان همام بن مرة يُنَادِمُ المَهْلِلَ أَخَا كَلَيْبِ وَعَاقِدَهُ أَلَا يَكْتُمُهُ شَيْئًا . فَلَمَّا ظَنَّ
 مَرَّةً بِأَهْلِهِ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِهِ هَمَامَ فَرَسَهُ مَعَ جَارِيَةٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَظْمَنَ وَيَلْحَقَ بِقَوْمِهِ .
 وَكَانَا جَالِسِينَ ، فَرَسَ جَسَاسٌ يَرْكُضُ بِهِ فَرَسَهُ مُخْرَجًا فَخَذِيهِ ، فَقَالَ هَمَامُ : إِنَّ لَه
 لَأَمْرًا ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ كَاشِفًا فَخَذِيهِ قَطُّ فِي رَاكُضٍ ؛ وَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى انْتَهَتْ

(١) تَقْتَلِي : تَرَبِّي (٢) مِنْ كَثَبِ : مِنْ قَرَبِ ، وَأَسْأَلُهُ : قَتْلُهُ فِي مَكَانِهِ (٣) الْمَسْكَلُ : النَّوْجُ
 لِأَمْرِهِا الْحَزْنَ (٤) الْأَكْحَلُ : عَرَقٌ فِي النَّزَاعِ يَفْصَدُ .

الجارية إليهما ، وهما مُتَزَلان في جانب الحى . فوثب هام إليها ، فسارته أن جساساً قَتَلَ كليباً ، وأن أباه قد ظنن مع قومه؛ فأخذ هام الفرس وربطه إلى خيمته ورجع ، فقال له المهلهل : ما شأنُ الجارية والفرس ؟ وما بألك ؟ فقال : اشرب ودع عنك الباطل ! قال : وما ذلك ؟ فقال : زعمت أن جساساً قَتَلَ كليباً ؛ فضحك المهلهل وقال : همةٌ أخيك أضفُ من ذلك ، فسكت .

ثم أقبل على شراهما ، فجعل مهلهل يشربُ شُرْبَ الآمن ، وهو يقول :

دَعَيْنى فإِى الیوم مَصْحَى لِشاربٍ ولا فى غدٍ ، ما أقرب الیوم من غدٍ
دَعَيْنى ، فَإِى فى سَمادیر^(١) سكرةٍ بها جَلَّ هَمى ، واستبان تجلُدِى
فإِى یطلع الصبحُ النیرُ فَإِنى سأغدو الهویبى غیر وان ، مفرد
وأصبحُ بکراً غارة صیلية^(٢) ینال لظاها کُلَّ شیخ وأمرد

وهما يشرب يشرب الخائف ، ولم تلبث الخمر أن سرعت مهلهلا ، فانسَلَّ هام وأتى قومه من بنى شيبان ، وقد قَوَّضُوا الخيام ، وجموا الخيل والنم ، ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له التهى .

ورجع المهلهل إلى الحى سكران ، فرآهم يَمَقِرُونَ خيولهم ، ويكسرون رحاحهم وسيوفهم ، فقال : ويحك ! ما الذى دهاكم ؟ فلما أخبروه الخبر قال : لقد ذهبتم شرًّا مذهب ، أتمقرون خيولكم حين احتجتم إليها ؟ وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم إليه !

فأنهوا عن ذلك ، ورجع إلى النساء فنهأهن عن البكاء وقال : استبقين للبكاء هيوناً تبكى إلى آخر الأبد .

(١) السادير : شئ يترادى للإنسان من ضعف جرته من السكر ، وغشى الدوار (٢) الصيلية : نسبة إلى الصيلم وهو السيف ، أى فارة شديدة .

ولما أصبح غدا إلى أخيه فدفنه ، وقام على قبره يرثيه ويقول :

أهاجَ قذاةَ عيني الأذكار هُدوءاً فالدموعُ لها انحدارُ^(١)
 وصار الليلُ مشتتلاً علينا كأن الليلَ ليسَ له سَـارُ
 وبثُّ أراقبُ الجوزاءَ حتى تقاربَ من أوائلها انحدارُ^(٢)
 أصرفُ مقلتي في إثر قومٍ تباينت البلادُ بهم ففأروا^(٣)
 وأبكي والنجومُ مطلّعاتُ كأن، لم يحوها عني^(٤) البُخارُ
 على من لو نُعمتُ وكان حياً لقاد الخيلُ يحجبها النبارُ
 دعوتك يا كليبُ فلم تُجبنى وكيف يُجيبني البلدُ القفارُ
 أجبنى يا كليبُ خلاكَ ذمُّ لقد فحمتَ بفارسها نزارُ
 سفاك النيثُ إنك كنتَ غيثاً ويُسراً حين يُلتَمَسُ اليسارُ
 أبتُ عيناى بمدك أن تكفأ كأن غصا القنادِ لها شِفَارُ^(٥)
 وإنك كنتَ تحلمُ عن رجالٍ وتمفو عنهم ، ولك اقتدارُ
 وتمنعُ أن يمسه لسانُ مخافةً من يُجيرُ ولا يُجارُ
 وكنتُ أعدو قُرْبى منك ربحاً إذا ما عدتِ الرّيحَ التجارُ
 فلا تبعُدْ ، فكلُّ سوف يلقى شموّباً يستدير بها المَدَارُ^(٦)
 يعنّس المرء عند بني أبيه ويوشكُ أن يصيرَ بحيثُ صاروا
 أرى طولَ الحياةِ وقد تولّى كما قد يُسلبُ الشيءَ المَـارُ

(١) الأذكار : التذكر ، وهُدوءاً : هدأة من الليل (٢) الجوزاء : من نجوم السماء ، ولا يكون انحداره إلا في آخر الليل (٣) غاروا : غربوا عن العين واخفتوا (٤) في رواية : * كأن لم تحوها عني البحار . * (٥) غصا القناد : شوكة ، والشفار : أصول منبت شعر الأجنان (٦) شموّب : النية ، ومدار الدهر : ما يجري عليه ، وهنا بمعنى الدهر التي يدور بالشموّب .

كَأَنِّي إِذْ نَمَى النَّاعِي كَلِيبًا تَطَايِرَ بَيْنَ جَنبِي الشَّرَارُ
 فَدُرْتُ وَقَدَعَشًا^(١) بَصْرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ^(٢)
 سَأَلْتُ الْحَمِيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ فَقَالُوا لِي بِسْفَحِ الْحَمِيِّ دَارُ
 فِسْرَتْ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَثِيثًا وَطَارَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارُ
 وَحَادَتْ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرِ ثَوَى فِيهِ الْمَكَارِمُ وَالْفَخَّارُ
 لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعٍ^(٣) لَمْ يَشْنَهُ وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ فِي النَّاسِ عَارُ
 أَتَفْدُو يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا جَبَانُ الْقَوْمِ أَنْجَاهُ الْفَرَارُ^(٤)
 أَتَفْدُو يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا حُلُوقُ الْقَوْمِ بِشَحْدِهَا الشَّفَارُ^(٥)
 أَقُولُ لَتَغْلِبَ وَالْمَرْءُ فِيهَا : أَتِيروها ! لَدَلِكُمْ انْتِصَارُ
 تَتَابَعِ إِخْوَتِي وَمَضَوْا لِأَمِيرٍ عَلَيْهِ تَتَابَعِ الْقَوْمُ الْخَلِيسَارُ^(٦)
 خُذِ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عَمْرِي بِنَرِكِي كُلِّ مَا حَوَتْ الدِّيَارُ
 وَهَجْرِي الْفَأْنِيَاتِ وَشُرْبِ كَأْسِ وَلبسِي جَبَّةً لَا تُسْتَمَارُ
 وَاسْتِ بِمَخَالِجِ دِرْعِي وَسِنِي إِلَى أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارُ
 وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ مَرَاةً بَكِيرٍ فَلَا يَبْقَى لَهَا أبدأً أَنَارُ

وما زال المهلهل يبكي أخاه ويندبه ، ويرثيه بالأشعار ، وهو يجتري بالوعيد لبني
 مرة ، حتى يئس قومه ، وقالوا : إنه زير^(٧) نساء ، وسخرت منه بكر ، وهمت
 بنو مرة بالرجوع إلى الحمي ، وبلغ ذلك المهلهل فانتبه للحرب ، وشمر ذراعيه

(١) عشا : من باب رضى ودعا (٢) العقار : الحجر (٣) الأروع : الشجاع القوي
 (٤) أي في الحرب (٥) الشفار : جمع شفرة وهي السكين والنصل (٦) في رواية
 الحار ، والحاسر : من لا مفقر له ولا درغ ولا جنة (٧) زير نساء : يجب محادثة النساء
 أو مجالسهن بغير شر أو به .

وجمع أطراف قومه ، ثم جزَّ شعره ، وقصَّر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يهتم بلهؤ ، ولا يشتم طيباً ، ولا يشرب خمرأ ، ولا يدَّهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلا من بني بكر بن وائل .

— ٦ —

وحتّ بنى تغلب على الأخذ بالكأر ؛ فقال له أكابر قومه : إنا نرى ألا تمجّل بالحرب حتى تُعذّر إلى إخواننا ، فبالله ما يجدعُ بحرب قومك إلا أنفك ، ولا تقطع إلا كفك ! فقال : جدعه الله أنفأ ، وقطعها كفأ ، والله لا تمحدث نساء تغلب أنى أكلتُ لكليب ثمناً ، ولا أخذتُ له ديةً ، فقالوا : لا بد أن تفضّ طرفك وتخفض جناحك لنا ولهم ؛ فكره المهلهل أن يخالفهم فينفضوا من حوله ، فقال : دونكم ما أردتم .

وانطلق رهطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مرةً بن ذهل فعظّموا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : إنكم أتيتُم أمراً عظيماً بقتلكم كليباً بنأب من الإبل ، وقطعتم الرّحم ، ونحن نكره العجّة عليكم دون الإغذار ، وإنا نمرض عليكم إحدى ثلاث ، لكم فيها مخرج ولنا مرّضة :

إما أن تدفعوا إلينا جساساً فنقتله بصاحبنا ؛ فلم يظلم من قتل قاتله ؛ وإما أن تدفعوا إلينا هاماً فإنه ندي لكليب ، وإما أن نقيدنا من نفسك يامرة ، فإن فيك رضا القوم .

فسكت - وقد حضرتهُ وجوه بني بكر بن وائل - فقالوا : تكلم غير مغذول ، فقال : أما جساس ففلامٌ حديث السن ركب رأسه ، فهرب حين خاف ، فوالله ما أدرى أئى البلاد انطوت عليه . وأما هام فأبو عشرة وأخو عشرة ، ولو دفعته إليكم لصيح^(١) بدؤه في وجهي وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره . وأما أنا

(١) صيح الرجل : بالغ في الصياح .

فلا أتمجّل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل! ولكن هل لكم في غير ذلك؟ هؤلاء بنى فدو نكم أحدهم فاقملوه، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمّنها لكم بكر بن وائل.

ففضبوا وقالوا: إنا لم نأتيك لترذل^(١) لنا بنيك، ولا لتسومنا الأبن. ورجعوا فأخبروا المهلهل، فقال: والله ما كان كليب يجزورنا كل له ثمنا

واعترلت قبائل من بكر الحرب، وكرهوا مساعدة بني شيبان ومجامعتهم على قتال إخوانهم، وأعظموا قتل جساس كليباً بناب من الإبل، فطعمت عجل عنهم، وكفّت يشكر عن نصرتهم، ودعت تغلب النمر^(٢) بين قاسط فانضمت إليها، وصاروا يداً معهم على بكر، ولحقت بهم عقيل بنت قاسط.

وكان الحارث^(٣) بن عباد بن ضبيعة من قيس بن ثعلبة من حكام بكر وفرسانها المدودين، فما علم بمقتل كليب أعظمه، واعتزل بأهله وولدي إخوانه وأقاربه، وحل وتر قوسه، وزرع سنان رُمحه، فقال سعد^(٤) بن مالك يمرّض به:

يأبؤس للحرب التي وضعت أراهم فاستراحوا^(٥)
والحرب لا يبقى لها حما التخييل والمراح^(٦)
إلا الفتى الصبار في الله جدات والفرس الوقاح^(٧)

(١) ترذل: تعطينا رذال بنيك (٢) النمر من قاسط: بطن في ربيعة (٣) انتهت لبرة بني ضبيعة إلى الحارث وهو شاب ومات نحو سنة ٥٠ هـ (٤) هو سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل، كان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها وله شعر جيد سائر (٥) وضمت: حطت وأسقطت، وأراهم: جمع أراهم وهو جمع رهم، والرهم عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة (٦) جامها: مثيرها، والتخييل: التكبير، والمراح: النشاط، أي أن الحرب تكف حدة البطر النشط، وهو تعريض بالحارث (٧) الصبار: مبالغة صابر، والتجدة: الشدة، والوقاح: الفرس الذي حافره صلب شديد.

بئس الخلائف بمدنا أولاد يشكر^(١) واللقاح^(٢)
من صدّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح^(٣)
الموت غابتنا فلا قصر^(٤) ولا عنه جراح^(٥)
وكأنما وِرْدُ النّية عندنا ماء وراح^(٦)

— V —

ووقعت الحرب بين الحيين ، وكانت وقّمت مُراحفات يتخلّلها مُقاورات^(٧) ،
وكان الرجلُ يلقى الرجلَ والرجلان الرجلين وهكذا ، وأوّلُ وقعة كانت على ماء لهم
يُقالُ له التّهى^(٨) كان بنو شيبان نازلين عليه ، ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان
الحارث بن مرّة فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة في شيبان ، واستحرة^(٩)
القتال فيهم ، إلا أنه لم يقتل في ذلك اليوم أحد من بني مرّة .

ثم التقوا بالذائب فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مقتلة عظيمة ، ثم التقوا بواردات
فظفرت بنو تغلب ، وكان جساس بن مرة وغيره طلائع قومهم وأبو نويرة التّغلي
طلائع قومهم أيضاً ، فالتقوا بمض الليالي فقال له أبو نويرة : اختر إما الصراع أو
الطمان ، أو المسايفة^(١٠) ، فاختر جساس الصراع فاصطّرعا ، وأبطأ كلُّ واحد منهما
على أصحاب حية ، وطلبوها فأصابوها وهما يصطرعان ، وقد كاد جساس يصرعه ،
ففرّقا بينهما .

(١) أي إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة ، فبئس الخلائف هم منا ، لا يحسون حرمنا ، ولا يأبون
ضيا ، وكانت بنو حنيفة تغلب باللقاح ؛ لأنهم لم يدينوا ملك ، وهو يقيم الحيين ما
(٢) لا براح : لا ريب (٣) القصر : الحبس (٤) الجراح : الحرب (٥) يقال
قاور النوم إذا أثار بعضهم على بعض (٦) في ترتيب هذه الأيام خلاف بين المؤرخين فاخترنا
رواية نرجعها (٧) استمر القتال : اشتد (٨) تسايّفا : تضاربوا بالسيف .

ثم التقوا بُمُنِيرَةَ فسكافاً الحَيَانَ ، ثم التقوا بالقُصَبِيَّاتِ وكانت الدائِرَةُ على بكر
وُقِتِلَ في ذلك اليوم هَمَّامُ بنِ مَرَّةٍ أَخُو جَسَّاسٍ ، فَرَّ بِهِ مُهْلَهْلٌ مَقْتُولًا فقال له :
والله ما قُتِلَ بَعْدَ كَلِيبٍ قَتِيلٍ أَعَزُّ عَلَى فَقْدَا مَنْكَ (١)

٨ -

ثم كانت بينهم مُعَاوَدَةٌ ووقائع كثيرة . كل ذلك كانت الدائِرَةُ فيها لبني تغلب ،
وفي ذلك يقول المهلهل - يصفُ الأيامَ وينماها على بكر :

أَلَيْتَنَا بَدَى حُسْمٌ أَنْبَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا نَحُورِي (٢)
فَإِنْ يَكُ بِاللَّهِ نَائِبٌ طَال لَيْلِي فَقَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ (٣)
وَأَنْقَذَنِي بِيَاضُ الصَّبْحِ مِنْهَا لَقَدْ أَنْقَذْتُ مِنْ شَرِّهِ كَبِيرِ
كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْجُوزَاءِ عُوذُ مُعَطَّفَةٌ عَلَى رُبْعِ كَبِيرِ (٤)
كَأَنَّ الْجَدْيَ فِي مَثْنَاءِ رَبِيقِ أَسِيرٌ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسِيرِ (٥)
كَأَنَّ النَّجْمَ إِذْ وَلى سَحِيرًا فَصَالَ جُلْنَ فِي يَوْمِ مَطِيرِ (٦)

(١) قتله ناشرة ، وكان عند همام لفيطا ، فلما شب تبين أنه من بني تغلب ، فلما التقوا بالقصبيات
جعل همام يقاتل ، فإذا عطش رجع إلى قربة فصرّب منها ثم وضع سلاحه ، فوجد ناشرة من
همام غفلة ، فشد عليه فأقصده فقتله ولحق بقومه وفي ذلك يقول باكي همام :

لقد عيّل الأرقام طمئة ناشره أناشر زالت بينك آشره

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر (لسان مادة نصر) (٢) ذو حسم : موضع بالبادية ،
وتحورى : ترجعى (٣) الذنائب : الموضع الذي دفن فيه كليب ، قال أبو علي الفاي في شرح

هذا البيت : يقول : لأن كان طال ليلى بهذا الموضع لقتل أخي ، فقد كنت أستقصّر الليل وهو حي
(٤) العوذ : الحديدات التناج واحدها عائذ ، والربيع : ما تنج في الربيع . يقول : كأن كواكب

الجوزاء نوق حديدات التناج عطف على ربيع . كسور فهي لا تترك (٥) المثناة : الجبل المثني ،
والربيق : الجبل ، والجدي : نجم في السماء ، يقول : كأن الجدي قد شد بجبل مثني فهو أحكم لشده

(٦) شبه النجم بالفصال في يوم مطير لبطنها ، وذلك أن الفصيل يخاف الزرق فلا يسرع .

كواكبها زواحف لاغبات^(١) كأن سماءها يدي مدير^(١)
 فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالدائب أي زير^(٢)
 بيوم الشمعين نقر عينا وكيف إلقاء من تحت القبور^(٣)
 وإني قد تركت بواردات ويجيراً في دم مثل العبير^(٤)
 هتكت به بيوت بني عماد وبعض القتل أشق للصدور
 وهمام بن مرة قد نركنا عليه القشمين من السور^(٥)
 قتيل ما قتيل المرء عمرو وجساس بن مرة ذو ضرير^(٦)
 على أن ليس عدلا من كليب إذا رجف العضاء من البور^(٧)
 على أن ليس عدلا من كليب إذا طرد اليتيم عن الجزور
 على أن ليس عدلا من كليب إذا ما ضيم جبران الجبير
 على أن ليس عدلا من كليب إذا خيف الخوف من الثور
 على أن ليس عدلا من كليب غداة بلابل الأمر الكبير^(٨)
 على أن ليس عدلا من كليب إذا هبت رياح الزمهرير
 على أن ليس عدلا من كليب إذا وثب الثار على المنير.

(١) الزواحف : المبيات ، وكذلك اللاغبات ، يقول : كأن سماءها أثقل من أن يديرها مدير
 (٢) الزير : تبع النساء ، وكذلك كان يعرف المهلب (٣) الشمعان : موضع . وقال بعضهم :
 ما شمتم وبعد شمس قلتما مهلب يوم واردات (٤) بجير هو ابن أخي الحارث ، وهذا يدل
 على أن بجيراً قد قتل قبل ذلك ، وهو رأى صاحب الأغاني (٥) القشع : الهرم من السور
 ويزوي : عليه القشمان من السور ، فن رفع جملة حالا ، كأنه قال : وعليه القشمان من السور
 وجاز حذف الواو لأن الهاء التي في « عليه » تكتفي لربط الكلام بأوله (٦) عمرو : هو الذي عاون
 جساساً على قتل كليب ، وذو ضرير : صاحب مشقة على العدو (٧) رجف : تحرك ،
 والعضاء : كل شجر له شوك (٨) البلابل : الاضطراب.

على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مُخَبَّأَةً أُلْخَدُورِ
على أن ليس عدلا من كليب إذا عَلَنْتِ نَيْجِيَّاتُ الْأُمُورِ
وتسألني بديلة عن أبيها ولم تعلم بديلة ما ضميري
فلا وأبي بديلة ما أَفَانَا من النَّمَمِ الْمُؤَبَّلِ من بَمِيرِ (١)
ولسكنا طمنا القومَ طَمَنًا على الْأَنْبَاجِ مِنْهُمْ وَالنَّحُورِ (٢)
نَسَكِبُ الْقَوْمَ لِلأَذَقَانِ صرعى وناخذ بالترائب والصدور
فدنى لبني شقيقة يوم جاءوا كَأَسَدِ الْقَابِ لَجَّتْ فِي الزَّمِيرِ
تركنا الخيل عاكفة عليهم كَأَنَّ الْخَيْلَ تَدَحَّضُ فِي غَدِيرِ (٣)
كأنا غُدُوَّةٌ وبنى أئينا بجانب عُذَيْرَةٍ رَحِيًّا مُدِيرِ
ولولا الرِّيحُ أَسْمَعُ أَهْلَ حِجْرٍ صليلَ الْبَيْضِ تُقَرِّعُ بِالذَّكُورِ (٤)

— ٩ —

ثم إن تغلب جعلت تطلب جساسا أشدَّ الطلب، فقال له أبوه مُرَّةً : الْحَقُّ
بأخوالك بالشام، فامتنع، فألحَّ عليه أبوه فسيَّره سرًّا في خمسة نفر، وبلغ الخبرُ
مهلهل، فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلاً من شُجَّانِ أَصْحَابِهِ، فساروا مُجِدِّينَ ،
فأدركوا جساسا فقاتلهم، فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبقَ منهم غيرُ رجلين ،
وجرح جساس جرحاً شديداً مات منه، وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضاً،
فعاد كلُّ واحد من السالين إلى أصحابه .

(١) أفانا : رجنا : والنم : الإيل ، والمؤبلة : الكلبة ، وفي رواية : جبلة
(٢) الأنباج : الأوساط (٣) عاكفة : مقيمة ، تدحض : تزلق (٤) حجر :
قصة اليمامة ، وحروبهم كانت بالجزيرة ، والصليل : الصوت . قال أبو علي الغالي : هنا أول كذبة
سمر في الشعر .

فلما سمع مرّةً يقتل ابنه جَسَّاس قال : إنما يحزنُنني أن كان لم يقتل منهم أحداً ،
 فقيل له : إنه قَتَلَ بيده أبا نويرة رئيس القوم ، وقَتَلَ معه خمسة عشر رجلاً ما شَرَكه
 أحداً منّا في قتلهم ، وقتلنا نحن الباقيين ، فقال : ذلك مما يسكن قلبي عن جَسَّاس (١) .
 فلما قُتِل جَسَّاس أرسل أبوه مرّةً إلى مهلهل : إنك قد أدركت ثأرك وقتلت
 جَسَّاساً فاكف عن الحرب ، ودع اللجاج والإسراف ، فهو أصلح للحيين
 وأنكأ لمدوهم ، فلم يُجب إلى ذلك .

ثم إن بني بكر اجتمعوا إلى الحارث بن عبّاد ، وقالوا له : قد قَتَيْت قومك ؛
 فأرسلَ بُجَيْرا ابنَ أخيه إلى مهلهل وقال له : قل له : إني قد اعزلت قومي لأنهم
 ظلموك ، وخليتك وإياهم ، وقد أدركت ثأرك وقتلت قومك . فأناه بجير فهم

(١) وروى صاحب الأغاني وابن الأثير رواية أخرى في قتل جساس : « لما رجعت جليّة
 أقامت عند أخيها جساس ، ثم ولدت غلاماً - من كليب - سته المجرس ، فرباه جساس وكان
 لا يعرف أباه غيره وزوجه ابنته ، فوقع بين المجرس ورجل من بكر كلام ، فقال البكري :
 ما أنت منته حتى نلعنك بأبيك ، فأمسك عنه ودخل إلى أمه حزياً ، ولما أوى إلى فراشه ونام
 إلى جنب امرأته وضع أنفه بين تديها ، فتنفس تنفسه تنفط ما بين تديها من حرارتها ، فقامت
 الجارية فزعة حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة المجرس فقال جساس : ثأر ورب الكعبة!
 وبات جساس فلقاً حتى أصبح ، فأرسل إلى المجرس فأناه فقال له : إنما أنت ولدي ومعنى بالمكان
 الذي علمت ، وقد زوجتك ابنتي ، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا تنفاز ، وقد
 اصططننا وتماجزنا ، وقد رأيت أن تدخل فيها دخل فيه الناس من الصلح ، وأن تتطلق حتى أخذ
 عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا ، فقال المجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا
 بلائته وفرسه ، فخله جساس على فرس ، وأعطاه لأمة ودرعاً ، فخرج حتى أتيا جماعة من قومها
 قص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا الفتى ابن أخي
 قد جاء ليدخل فيما دخلتم ، ويقدم ما عقدتم ، فلما قربوا الدم وقاموا إلى المقعد أخذ المجرس بوسط
 رعته ، ثم قال : وفرسي وأذنيه ، ورحمي ووصلبي وسيني وغرابيه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو
 ينظر إليه ، ثم طعن جساساً فقتله ثم لحق بقومه ، فكان جساس آخر قتيل في بكر بن وائل »

الأغاني ص ٦١ ج ٥ ، ابن الأثير ص ٣٢١ ج ١

المهلل بقتله ، فقال له امرؤ القيس بن أبان - وكان من أشرف بني تَنْلَب وكان على مقدمتهم زَمَنًا : لا تفعل ، فوالله لئن قتلتَه ليقتلنَّ به منكم كبش ، لا يُسأل عن خاله مَنْ هو؟ وإياك أن تحقر البني ، فإن عاقبتَه وخيمه ، وقد اعتزلنا عمه وأبوم وأهل بيته . فأبى مهلهل إلا قتله ، فطمنه بالرمح وقتله وقال له : « بُوُ بِشِيعِ نَمَلِ كَلِيبِ » ! فلما بلغ قتله الحارث - وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأسًا - قال : نعم القتلُ قتلٌ أصلح بين ابني وائل ! فقيل له : إنما قتله بِشِيعِ نَمَلِ كَلِيبِ ، فلم يقبل ذلك .

وأرسل الحارث إلى مهلهل : إن كنت قتلتَ بُجيرا بكليب ، واطمطت الحربُ بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلتُه بِشِيعِ نَمَلِ كَلِيبِ ! فغضب الحارث ودعا بفرسه - وكانت تسمى النمامة - فجزأ ناصيتها وهَلَبَ^(١) ذَنبها ، ثم قال :

كلُّ شيءٍ مصيره للزوال	غيرَ ربي وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعًا	ليس فيهم لداك بمضُ احتيالٍ
قل لأم الأغر تبكى بُجيرا	ما أتى الماءُ من رؤوس الجبال
لَهَفَ نفسى على بُجيرٍ إذا ما	جالت الخيلُ يومَ حربٍ عُضالٍ
وتساق الكمأة ^(٢) سُمًا تقيما	وبدأ البيض من قباب الحجال
وسمت كلُّ حرّة الوجهِ تدعو	يا لبكر! غراء كالتمثال
يا بجير الخيرات لا صلح حتى	نملاً أليد من رؤوس الرجال
وتقرّ الميون بَمَدَ بُكاها	حين تَسقى الدماءُ صدورَ العوال

(١) هلب الفرس : تنف هلبه ، والهلب : الشعر كله ، وقيل في الذنب وحده .

(٢) الكمأة : جم كمي ، وهو الشجاع .

أَصْبَحْتَ وائِلٌ تَمِجٌ مِنَ الْحَرِّ بِ عَجِيجِ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ
لا بيجير أغنى قتيلا ولا رهط كليب تزاوجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها - علم الله وإنى بمرها اليوم صال
قد تجنبت وائلا كي يفيقوا فأبت تغلب على اعزالي
وأشأبوا ذوابي بيجير قتلوه ظلما بنير قتال
قتلوه بشسع نعل كليب إن قتل الكريم بالشسع غال
يا بني تغلب خذوا الحذر إنا قد شربنا بكاس موت زلال
يا بني تغلب قتلتم قتيلا ما سمنا بمثله في الخوالى
قربا مربط النعامة^(١) منى لقمحت حرب وائل عن حبال^(٢)
قربا مربط النعامة منى ليس قولي يراد لكن فعالي
قربا مربط النعامة منى جد يوح النساء بالإعوال
قربا مربط النعامة منى شاب رأسي وأنكرتني العوالى
قربا مربط النعامة منى للسرى والغدو والآصال
قربا مربط النعامة منى طال ليلي عى الليالى الطوال
قربا مربط النعامة منى لاغتناق الأبطال بالأبطال
قربا مربط النعامة منى واعدلا عن مقالة الجمال
قربا مربط النعامة منى ليس قلبي عن القتال بسال
قربا مربط النعامة منى كلاب ريح ذيل الشمال

(١) النعامة : فرس الحارث ، وأصل الفاح : الجمل ، وعن معنى ببد ، وحبال : مصدر حلت الأنتى إذا لم تحمل ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

قَرَّبًا مَرَبُطُ النَّمَامَةِ مَنَى لُبَجِيرٍ مُفَكِّكَ الْأَغْلَالِ
 قَرَّبًا مَرَبُطُ النَّمَامَةِ مَنَى لَكْرِيمٍ مُتَوِّجٍ بِالْجَمَالِ
 قَرَّبًا مَرَبُطُ النَّمَامَةِ مَنَى لَا نَبِيْعُ الرِّجَالِ يَبِيْعُ النَّعَالِ
 قَرَّبًا مَرَبُطُ النَّمَامَةِ مَنَى لُبَجِيرٍ فِدَاهُ سَعْمَى وَخَالِ
 قَرَّبَاهَا لِحَى تَنْظَبُ شُوسًا^(١) لِأَعْتِنَاكَ الْكُمَامَةَ يَوْمَ الْقِتَالِ
 قَرَّبَاهَا وَقَرَّبًا لِأَمْتِي دَرُ عَا دِلَاصًا^(٢) تَرُدُّ حَدَّ النَّبَالِ
 قَرَّبَاهَا بِمُرْهَفَاتِ حَدَادٍ لِقِرَاعِ الْأَبْطَالِ يَوْمَ النَّزَالِ
 سَأَلُوا كِنْدَةَ الْكِرَامِ وَبِكْرًا وَاسْأَلُوا مَذْحِجًا وَحَى هَلَالِ
 لِمَا أَنَا بِمَسْكَرِ ذِي زُهَامٍ^(٣) مَكْفَهْرٍ الْأَذَى شَدِيدِ الْمَصَالِ
 قَرَّبَيْنَاهُ حِينَ رَامَ قِرَانَا كُلَّ مَاضِي الذَّبَابِ^(٤) عَضْبِ الصَّقَالِ

- ١٠ -

ثم ارتحل الحارث مع قومه ، حتى نزل مع جماعة بَكْرِ بْنِ وائِل ، وعليهم يومئذ
 الحارثُ بن هَمَام ، فقال الحارثُ بن عبَّاد له : إن القوم مُسْتَقْبِؤُن قَوْمِكَ ، وذلك
 زَادَهُمْ جُرْأَةً عَلَيْكُمْ ، فَقَاتِلْتَهُمْ بِالنِّسَاءِ ، قَالَ لَهُ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : وَكَيْفَ قِتَالِ
 النِّسَاءِ ؟ فَقَالَ : قَلَّدْتُ كُلَّ امْرَأَةٍ إِدَاوَةَ^(٥) مِنْ مَاءٍ ، وَأَعْطَيْتُهَا مِرَاوَةَ ، وَاجْمَلُ جَمْعُهُنَّ
 مِنْ وَرَائِكُمْ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ يَزِيدُكُمْ اجْتِهَادًا ، وَعَلِمُوا قَوْمَكُمْ بِمَلَامَاتِ يَمْرُغِنَاهَا ، فَإِذَا

(١) الشُّوسُ : جَمْعُ الْأَشُّوسِ وَهُوَ الْجُرِيُّ
 (٢) دِلَاصٌ : بَرَاةٌ مَلْسَاءٌ لَيْنَةٌ بَيْنَةَ الدَّلَاسِ (٣) ذِي زُهَامٍ : ذِي عَدَدٍ كَثِيرٍ (٤) ذَبَابٌ
 السِّيفُ : حَدُّ طَرَفِهِ الَّذِي يَنْ شَفْرَتَيْهِ وَمَا حَوْلَهُ مِنْ حَدِيدِهِ ظَبَاهُ ، وَقِيلَ حَدُّهُ .
 (٥) الْإِدَاوَةُ : إِثَامٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يَتَّخِذُ لِلْمَاءِ .

مرت امرأة على صريع منكم عرفته بلامته فسقته من الماء ونمشته، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالمرأوة فقتلته، وأتت عليه .

فأطاعوه ، وحلفت بنو بكر يومئذ رموسها ، استبسالا للموت ، وجملوا ذلك علامة بينهم وبين نسايم ؛ وقال جحدر بن ضبيمة - وإنما سمي جحدراً لقصره : لا تحلقوا رأسي ؛ فإن رجل قصير ، لا تسيئوني ، ولكن أشتره منكم بأول فارس . يطلع عليكم من القوم ؛ فطلع ابن عناق فشد عليه قتله ، فقال رجل من بكر بن وائل في ذلك :

ومنا الذي فادى من القوم رأسه ^(١) بمسئلم من جهم غير أعز لا
فادى إلينا بيزه ^(٢) وسلاحه ومنفصلا من عنقه قد تزيبلا
وكان جحدر يرتجز ويقول :

ردوا على الخليل إن ألدت إن لم أقاتلهم فجزوا لي
واقتل الفرسان قتالا شديداً ، وانهمزت بنو تغلب ، ولحقت بالظنم بقية يومها وليتها ، واتبعهم سرطان ^(٣) بكر بن وائل ، وتخلّف الحارث بن عباد ، فقال لسعد بن مالك : أتراني ممن وضعت ^(٤) الحرب ؟ فقال : لا ، ولكن لا نجأ ليطر بعد هرّوس ^(٥) .

وأسر الحارث مهلهلاً بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه ، فقال له : دلى على المهلهل . قال : ولى دى ؟ فقال : ولك دمك ، قال : ولى ذمتك وذمة أميك ؟

(١) مستلم : لابس اللأمة. وهي السلاح (٢) البز : نوع من الجباب (٣) سرطان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر (٤) يشير إلى قوله :
يا بؤس للحرب التي وضعت أرايحط فاستراحوا
(٥) معناه : إن لم تنصر قومك الآن فلن تدخر نصرك ؟

قال : نعم ، ذلك لك . قال المهلهل - وكان ذا رأى ومكيدة - فأنا مهلهل !
 خدعتك عن نفسي ، والحربُ خدعة . فقال : كافتني بما صنعتُ لك بعد جرمك ،
 ودلّني على كفاءِ بُجَيْر . فقال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، هَذَا علمه .
 فجَزَّ ناصيته ^(١) وأطلقه ، وقصد قصد امرئ القيس فشدَّ عليه فقتله ، فقال
 الحارث في ذلك :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أَكْتَنِي الْيَدَانِ
 طَلٌّ ^(٢) مِنْ طَلٍّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ أُوْ تَرِ بُجَيْرًا أَبَاتُهُ ^(٣) ابْنِ أَبَانَ
 فَارْسٌ يَضْرِبُ الْكَتِيْبَةَ بِالسَّيْفِ وَتَسْمُوْ أُمَامَةَ الْعَيْنَانَ
 فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأمر إلى أهله حمل النساء والولدان يستخبرونه :
 تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها ، والغلام عن أبيه وأخيه ، فقال :

لَيْسَ مِثْلِي يَجْبُرُ النَّاسَ عَنْ آ بَأْتِهِمْ قَتَلُوا وَيَنْسَى الْقِتَالَ
 لَمْ أَرِم ^(٤) عَرَصَةَ الْكَتِيْبَةِ حَتَّى انْتَمَلَ الْوَرْدُ ^(٥) مِنْ دِمَاءِ نَمَالَا
 هَرَفْتُهُ رِمَاحُ بَكْرٍ فَا يَا خُذْنَ إِلَّا لَبَانَهُ ^(٦) وَالْقَذَالَ
 غَلَبُونَا ، وَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حَالًا فَحَالًا
 ثم إن مهلهلا قال لقومه : قد رأيت أن تُبْقُوا على قومكم ، فإنهم يحبون صلاحكم ،
 وقد أتت على حربكم أربعون سنة ، وما لمتكم على ما كان من طلبكم يوم نركم ،
 فلو مررت هذه السنون في رذامية عيش لكانت تملّ من طولها ، فكيف وقد فني
 الحيان ، وشككت الأمهات ، ويئتم الأولاد ، ورب نائمة لا تزال تصرخ في النواحي ،

(١) الناصية : في مقدم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب إذا أفسوا على الرجل الصريف
 جد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه ، فتكون الناصية عند من جزها (٢) طل دم القتل :
 ذهب هدراً (٣) أباء القاتل بالقتيل : قتله به (٤) لم أرم : لم أبرح (٥) الورد
 من الحبل : بين الكعبين والأشفر (٦) اللبان : الصدر ، ويروى : لبانه .

ودموع لا تَرَفًا ، وأجساد لا تُدْفَن ، وسُيُوف مشهورة ، ورماح مُشْرَعَة ؛
وإن القوم سيرجمون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم ، وتتمطف الأرحام حتى
تتَوَاصُوا ؛ أما أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم ، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل
كليب ، وأخاف أن أمهلكم على الاستئصال ، وأنا سأر عنكم إلى اليمن .

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن ، فخطب إليه أحد م ابنته فأبى أن يفعل ،
فأكرهوه وساقوا إليه أدمًا في صدأها فأنكحها إياه ، فقال في ذلك :

أنكحها فقدُها الأراقِمُ (١) في جَنِبٍ (٢) وكان الحباء (٣) من أدم
لو بأبائين (٤) جاء يخطبها ضُرُجٌ ما أنفُ خاطبٍ يدم
أصبحت لا مُنْفَسًا (٥) أصبتُ ولا أبتُ كريمًا حُرًا من الندم
هانَ على تَغَلِبٍ بما لقيتُ أختُ بني المالكين من جُشم (٦)
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يُفنون من عَيْلَةٍ ولا عدَم

وكان قد بلغ قبائل بكر وتغلب زواج سليمى في مذحج ، وكان بين القومين
منافسة ونفور ؛ ففضبوا ، وأرنفوا وقصدوا بلاد القوم فأخذوا المرأة وأرجموها إلى
أبيها بعد أن أسروا زوجها .

وملّت جموع تغلب الحرب فصالحوا بكرًا ، ورجعوا إلى بلادهم ، وتركوا الفتنة ،
ولم يحضر المهلهل صلحهم ، ثم اشتاق إلى أهله وقومه ولجّت عليه ابنته سُليمى بندير
إلى الديار ، فأجابها إلى ذلك ، ورجع نحو قومه ، حتى قرُب من قبر أخيه كليب ،
وكانت عليه قبة رقيقة ؛ فلما رآه خنقته العيرة ، وكان تحته بقل نجيب ؛ فلما رأى
البقلُ القبرَ في غَلس الصبح نفر منه هاربًا ، فوثب عنه المهلهل ، وضرب عرقوبيه
بالسيف ، وقال (٧) :

(١) الأراقم : أحياء في تغلب (٢) حى باليمن هو الذى كان فيه المهلهل (٣) الحباء : يريد به
المهر (٤) أبائان : جيلان (٥) النفس : المال الكثير الذى له خطر (٦) جهم :
قبيلة في تغلب ، وم قوم المهلهل (٧) أوردنا هنا الشعر - على ما فيه من سهولة تحملنا على
التفكير في صحة نسبة إليه - لطرافته .

رماك الله من بقل	بمشحوذ من النبل
أما تيلغى أهلك	أو تيلغى أهلى
ألا أبلغ بى بكر	رجالا من بى ذهل
بدأتم قومكم بالند	ر ، والمُدوان والقتل
قتلتم سيد الناس	ومن ليس بنى مثل
وقلتم : كفؤه رجل	وليس الرأس كالرجل
وليس الرجل الماجد	مثل الرجل النذل
فى كان كالف من	ذوى الإنعام والفضل
لقد جثم بها دهما	ء كالحية فى الجذل
وقد جثم بها شعوا	أشابت مفرق الطفل
وقد كنت أخا لهو	فأصبحت أخا شغل
ألا يا عدلى ، أقصر	لحاك الله من عدلى
سأجزى رط جساس	كحذو النمل بالنمل

وسار بعد ذلك حتى نزل فى قومه زماناً، وما وكده^(١) إلا الحرب، لا يهيم بصلح، ولا يشرب خمرآ، ولا يلهو بلهو، ولا يحمل لأمنه، ولا يفتسل بماء، حتى كان جلسه يتأذى منه من رائحة صدى الحديد .

فلما كان ذات يوم دخل عليه رجل من تغلب - اسمه ربيعة بن الطفيل، وكان له نديماً، فلما رأى مابه قال :

أقسمت عليك أيها الرجل لتفتسلن^٢ بالماء البارد، ولتبلن^٣ فوائبك بالطيب ! فقال المهلهل : هيات ! هيات ! يا بن الطفيل ؛ هيلتى إذا يمينى ، وصكيف باليمين التى آليت^٤ أكلاً أو أقضى من بكر أربى، ثم تأوه وزفر، وقال :

(١) وكده : قصده .

إن في الصدر من كليب شُجُونَا هاجساتٍ نَكَانَ منه الجِراحَا
 أنكرتني حلياتي مُذْ رَأَتْنِي كاسفَ اللونَ لأَطيقَ المِزاحَا
 يا خليلي" نادِيَا لي كليبَا ثم قولَا له : نعمتَ صباحَا
 يا خليلي" ، نادِيَا لي كليبَا قبل أن تبصرَ العيونَ الصباحَا

وتقض الصلح ، وعادت الحرب ، ثم إن المهلهل أغار غارة على بني بكر فظفر به عمرو بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة ، فأسره وأحسن إيساره ، فرّ عليه تاجر يبيع الحجر - وكان صديقاً للمهلهل - فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر ، فاجتمع شُبَّان من قيس بن ثعلبة ونحروا عنده بكرا ، وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أُفِرِدَ له ، فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بشعرٍ ناح فيه على أخيه :

طَفَلَةٌ^(١) ما ابْنَةُ المَحَلِّ بِيضَا ، لَمُوبٌ لَدِيدَةٌ فِي العِنَاقِ
 فاذهبي ما إليك غيرِ بَمِيدِ لا يُؤَاتِي العِنَاقُ مَنْ فِي الوِثَاقِ
 ضربت نحرَها إلى" وقالت : ياعدِيَا ، لقد وقتك الأواقِ^(٢)
 ما أَرَجِي فِي المَيْسِ بَعْدَ نَدَامَا ي! أَرَاهِمُ سُمُقُوا بِكَاسِ حَلَاقِ^(٣)
 بَعْدَ عَمْرٍو وَطَامِرِ وَحُجَيِّ وَرَبِيعِ الصَّدُوفِ^(٤) وَابْنِ عَنَاقِ
 وَامرئِ القَيْسِ مَيَّتِ يَوْمِ أودَى ثم خَلَى عَلَيَّ ذَاتَ العِرَاقِ^(٥)
 وَكَلِيبِ سُمِّ الفَوَارِسِ إِذْ حَمُّ مَ رَمَاهُ الكِئَافُ بِالإِيفَاقِ^(٦)
 إِنَّ تَحْتَ الأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينَا وَخَصِيمَا أَلَدِّ ذَا مِغْلَاقِ^(٧)
 حِيَّةٌ فِي الوِجَارِ أَرَبْدُ لا تَنْفَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْثَةُ رَاقِ^(٨)

(١) طفلة : رخصة ناعمة (٢) الأواق : جمع واقية (٣) الحلاق : النية ممدولة عن الحالفة ، أي تقتصر (٤) الصدوف : اسم فرس الزبيم المذكور (٥) ذات العراق : الداهية (٦) الإيفاق : وضع السهم للرئى (٧) الملاق : اللسان البلغ (٨) الوجار : البحر ، والأربد : الذي يضرب لونه إلى السواد .

فلما سمع عوف ذلك غاظه وقال : لا جرّم ! إنَّ لله على نذرآ ، إن شرب عندي
 قطرة ماء ولا نخر حتى يورد الخضير^(١) ، فقال له أناس من قومه : بئس ما حلفت !
 فبمشوا الخيول في طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، وكان المهلهل مات
 عطشاً^(٢) .

(١) الخضير : بئر لعوف لا يرد الماء إلا في اليوم السابع . وفي رواية : حتى يرد ربيب الهضاب
 وريب اسم جعل له كانت أقل وروده في الصيف الخمس ، أي مرة كل خمسة أيام (٢) وفي حوت
 المهلهل رواية أخرى أوردتها صاحب الخزانة وقال : لما أسن وخرف كان له عبدان يخدمانه فلاه ،
 وخرج بهما إلى سفر فبينما هما في بطن القلوات عزم على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله :
 من مبلغ الحيين أن مهلهلا لله دركما ودر أيسكما
 ثم قتلاه ورجعا إلى قومه قتالا مات ، ولكن بنته قرأت ما على القتب فقالت : إن مهلهلا لا يقول
 هذا الشعر وإنما هو أراد :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتلا في القلاة مجذلا
 لله دركما ودر أيسكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا
 فضربوا العبدان حتى أقرأ بقتله .

٥- أَيَّام رُبْعِيَّة وَتَمِيم

- ١- يَوْم الْوَقِيْط
- ٢- = شَيْتَل
- ٣- = جَدُوْد
- ٤- = زَرُوْد
- ٥- = ذِي طَلُوْح
- ٦- = الْاِيَّاد
- ٧- = الْغَبِيْط
- ٨- = قَشَاوَة
- ٩- = زَبَا لَة
- ١٠- = مَبَايِض
- ١١- = الزُّوْرِيْن
- ١٢- = عَا قَل
- ١٣- = الشَّيْطِيْن
- ١٤- = الْوَقْبِي
- ١٥- = الشَّبَاك

الْمَسَامِعُ
عفا الله عنهما

١ - يَوْمُ الْوَقَيْطِ

تَجَمَّعَتِ اللَّهَازِمُ ^(١) لِتُنْفِرَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ ، وَهُمْ غَارُثُونَ ^(٢) ، فَرَأَى ذَلِكَ نَاشِبُ بْنُ بَشَّامَةَ الْعَنْبَرِيَّ ^(٣) الْأَعُورَ - وَهُوَ أُسَيْرٌ فِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ نَاشِبٌ : أَعْطُونِي رَجُلًا أُرْسِلُهُ إِلَى أَهْلِ بَنِي الْعَنْبَرِ وَأَوْصِيهِ بِبَعْضِ حَاجَتِي ، فَقَالَتْ لَهُ قَيْسُ بْنُ ثَمَلَبَةَ : تَرْسُلُهُ وَنَحْنُ حُضُورٌ - وَذَلِكَ مَخَافَةً أَنْ يُنذِرَ ^(٤) عَلَيْهِمْ - قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَوْهُ بِسَلَامٍ مُؤَلَّدٍ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ مَوْنِي بِأَحْمَقِ ! قَالَ الْغَلَامُ : وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَحْمَقٍ ، فَقَالَ الْأَعُورُ : إِنِّي أَرَاكَ مَجْنُونًا ! قَالَ : وَاللَّهِ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ . قَالَ : فَالْتَّسِيرَانِ أَكْثَرُ أَمْ السَّكْوَاكِبُ ؟ قَالَ : السَّكْوَاكِبُ ، وَكُلُّ كَثِيرٍ . قَالَ : إِنَّكَ لَغَيِّبٌ أَحْمَقٌ ، وَمَا أَرَاكَ مُبَلِّغًا عَنِّي . قَالَ : بَلَى ، لِعَمْرِي لِأَبْلَغَنَّ عَنْكَ .

فَلَا الْأَعُورُ كَفَّهُ مِنَ الرَّمْلِ ، فَقَالَ لَهُ : كَمْ فِي كَفِّي ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، وَإِنَّهُ لَكَثِيرٌ مَا أَحْصِيهِ ، فَأَوْمَأَ إِلَى الشَّمْسِ بِيَدِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا تَلِكُ ؟ قَالَ : هِيَ الشَّمْسُ . قَالَ : مَا أَرَاكَ إِلَّا عَاقِلًا ظَرِيفًا ؛ أَذْهَبَ إِلَى أَهْلِي ، فَأُبَايِنُهُمْ عَنِّي التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُمْ : لِيُحْسِنُوا إِلَى أُسَيْرِهِمْ وَيَكْرُمُوهُ ، فَإِنِّي عِنْدَ قَوْمٍ يَحْسِنُونَ إِلَيَّ وَيَكْرُمُونِي - وَكَانَ حَنْظَلَةَ بْنُ طَفِيلٍ الْمُرْتَدِّيَّ أُسِيرًا فِي أَيْدِي بَنِي الْعَنْبَرِ - وَقُلْ لَهُمْ : فَلْيَمْرُؤُوا جَمَلِي

* لِبَكْرِ (مِنْ رِيْعَةِ) عَلَى تَمِيمٍ ، وَالْوَقَيْطِ : الْمَكَانُ الصَّلْبُ الَّذِي يَسْتَقْتَعُ فِيهِ الْمَاءُ . أُطْلِقَ عَلَى مَوْضِعٍ .

الْأَمْثَلُ مِنْ ٦ ج ١ ، التَّقَائِضُ مِنْ ٣٠٥ ، ابْنُ الْأَثِيرِ مِنْ ٣٨٥ ج ١ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ مِنْ ٣٣٠ ج ٣ ، بُلُوغُ الْأَرْبِ مِنْ ٣٨٥ ج ١ ، نَهَايَةُ الْأَرْبِ مِنْ ١٥٤ ج ٣ ، قِصَصُ الْعَرَبِ مِنْ ٣٣٧ ج ١ الزَّهْرُ جِزءٌ أَوَّلُ طَبْعَةِ الْحَلْبِيِّ (بَابُ الْمَلَاخِنِ)

(١) اللهازم : م عذرة بن أسد بن ربيعة وعجل بن لبيم ، وتيم الله وقيس ابنا ثعلبة من بكر ابن وائل ، وقد كانوا جميعاً حلفاء (٢) الغار : الغافل (٣) من بني العنبر ، وم بطن من تميم (٤) ينذر : يعلم .

الأحمر، وبرَّكَبُوا نَاقِي المَيْسَاءِ^(١)، بآية ما أكلت منهم حَيْسًا^(٢)، وَلَيَرَعُوا حاجتي في أَيُّبِنِي مالِك^(٣)، وأخبرهم أن المَوْسَجَ^(٤) قد أَوَّرَقَ، وأن النساء قد شَكَت^(٥)، وابْتَصُوا هَمَامَ بنِ بَشَامَةَ فإنه مَشْوُومٌ مَحْدُودٌ^(٦)، وليطيعوا هُذَيْلَ بنِ الأَخْنَسِ، فإنه حَازِمٌ مَيْمُونٌ .

فقال له بنو قيس : من أَيُّبِنُو مالِك ؟ قال : بنو أخى .

فأتاهم الرسول فأخبرهم وأبلغهم ، فلم تَدَّرْ عمرو بن تميم ما الذى أرسل به إليهم الأعور ، وقالوا : ما نعرفُ هذا الكلام ، ولقد جُنَّ الأعور بعدنا ! ما نعرفُ له نَافَةَ يَحْتَصُّهَا ولا جَمَلًا ، وإن إبلَهُ عندنا لَبَاجٌ^(٧) واحد فيما نرى .

فقال هذيل بن الأخنس للرسول : اقتصَّ علىَّ أولَ قِصَّتِهِ ، فقَصَّ عليه أولَ ما كَلَّمَهُ به الأعور ، وما رجعه إليه حتى أتى على آخره ، فقال هذيل : أبلَغَهُ التَّحِيَّةَ إذا أتَيْتَهُ ، وأخبره أَنَا سَنُوصِي بما أَوْصَى به ، فشَخَّصَ الرسول .

ثم نادى هذيل : يا لَمَعْبِرُ! قد بينَ لكم صاحبُكم؛ أما الرمل الذى جمل فى يَدِهِ فإنه يُخْبِرُكم أنه قد أتانا كم عددٌ لا يُحصى ، وأما الشمس التى أوماً إليها، فإنه يقول : إن ذلك أَوْضَحُ من الشمس ، وأما جله الأحمر فالصَّمان^(٨) يأمرُكم أن تُمرُّوه ، يعنى تَرْتَجِلُوا منه، وأما نَاقَتُهُ المَيْسَاءُ فإنها الدَّهْنَاءُ^(٩) بأمركم أن تتحرَّزُوا فيها، وأما أَيُّبِنُو مالِك فإنه يأمرُكم أن تُنْذِرُوهم ما حذركم ، وأن تمسكوا بحلْفِ بينكم وبينهم ، وأما إِبْرَاقِ

(١) الميساء : الناقة يخالط يياضها شقرة (٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط

(٣) يرعوا : يحفظوا ، وأيبني : تصغير بين كما فى اللسان مادة بنى (٤) الموسج : شوك

(٥) شكنت النساء : اتخذت الشكاء ، والشكاء جمع شكوة وهو وعاء من آدم يبرد فيه الماء

(٦) المهدود : المنوع من الخير (٧) بآج واحد - يهمز ولا يهمز : شئ واحد

(٨) الصمان : جبل أحمر فى أرض بنى تميم (٩) الدهناء : سبعة أجيل من الرمل ، وهى

ديار لامة بنى تميم .

الموسج فإن القوم قد اكتسوا سلاحاً ، وأما اشتكاء النساء فيُخبركم أنهن قد عمِلن الشكاء ، يُريد خرزُنَ لهم شكاء يفزُون بها ؛ وقوله : بآية ما أكلتُ معكم حينئذ ، يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم ؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط (١) .

فخذرت بنو عمر (٢) بن تميم ، فركبت الدهناء ، وأندروا بنى مالك بن حنظلة ، فقالوا : ما ندرى ما تقار بنو الجمرأ (٣) ، ولسنا متحوّلين لما قال صاحبهم .

فصبحت اللهازم بنى حنظلة ، ووجدوا بنى عمرو قد أجتت وارتحلت ، وإنما أرادوهم على الوقيط ، وعلى الجينس أبحر بن جابر المجلبي ، فاقنتكوا ، فطمن بشر بن الموراء - من بنى تميم اللات - ضراز بن القمقاع وأخذه ، ثم جزت بنو تميم اللات ناصيته وخلوا سرّبه (٤) تحت الليل .

وبارز عمرو بن قيس - من بنى ربيعة - عنجل بن المأموم - من بنى شيبان - فأسره عمرو ثم من عليه .

(١) وهناك رواية أخرى أوردتها صاحب القاموس وهي : أن ناشب بن بشامة رأى راكباً فقال : أين تريد ؟ فقال : موضع كذا ، فقال لبي سعد بن مالك : إن طريق هذا على أهلي ، فهل أنتم تتركون فأحمله حاجة إليهم ، وأوصيهم بحنظلة ؟ فقالوا : لا ، لا ونحن نسمع ، قال : وأنتم تسمعون ، فتركوه وهو معهم ، فقال للراكب : إذا أتيت أم قدامة قتل لها : لأنكم قد أسأتم لى جلى الأحر ونهكنموه ركوباً فأعفوه ، وعليكم نائق الصهباء فاتصمونها ، فلما أبلغها ما قال ، قالت لابنها : إن الأعرور يأمركم أن تركبوا الدهناء وتمروا الصبان . . . الخ (٢) من تميم (٣) الجمرأ : لقب بنى عمرو وأصله الضبع ، يريدون ما ندرى ما تقول بنو النضر . (٤) سبيله .

وأسر طليسة بن زياد المجلي حنظلة بن الأموم (١) ، وأسر حنظلة بن عماد
جُوَيْرِيَّة بن بدر - من بني عبد الله بن دارم (٢) - وأسر أيضاً نعيم وعوف ابنا القمّاع
وغيرهما من سادات بني تميم ، ثم هرب عوف عن أخويه فقات ، وهرب مالك بن
قيس (٣) .

(١) اشتراه الوراق بن الوراق بمائة بعير ، ثم حبسه معه ، فلم يوفه ، فقدم الكوفة ليغاديه ،
وبها على بن أبي طالب ، فأناه نفر من بني حنظلة الذين كانوا بالكوفة ، فقالوا : أسار في الإسلام؟
فقال : لا ، وبم فانتزعه من الوراق ، ولم يكن الوراق وفي بني عجل فداء حنظلة ، فلما كانت
فتنة ابن الزبير وثب بنو عجل فأخذوا من الوراق مائة بعير ، فقال يزيد بن الجدماء المجلي في الأموم :

وم صبحو أخرى ضراراً ورهطه وم تركوا الأموم وهو أميم
(٢) لم يزل في الوثاق حتى رآهم ذات يوم قد قدموا شرباً ، فأنشأ يفتني رافضاً عقيرته :
وقائلة ما غاله أن يزورنا وقد أدركتني والحوادث جمة
مخالب قوم لاضعاف ولا عزل وزان لدى الباذين في هير ما جهل
الباذون : أصحاب البذاءة

للمهم أت يطروني بنعمة فقد ينمش الله الفقى بسد عثرة
فلما سمعوا ما أطلقوه

(٣) وفي ذلك يقول عمير بن عماره النبسي :

وأفلتنا ابن قفّاع عوف فإن تك يا عوف نجوت منهننا
وكم غادرنا منكم من قيسيل كذاك الله يجزي من تميم
ونجى مالكا منا ابن قيس وصادف عجل من داك مرأ
وغادرنا حكماً في مجال وحكيم بن جذيمة بن الأصيلع

مددنا غلة ما بين فلج وبن لصف نوطها النيارا
فأشعروا بنا حتى رأونا على الرايات ندرع النيارا

ولحن (١) وراز التيمي حُكَيْمًا (٢) النهشلي وهو يرتجز :
 ماوى لن تراعى رحية ذراعى
 بالكر والايزاز

ويقول :

كل امرىء مُصَيِّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
 فشد عليه وراز ققتله (٣) .

ومرت الهازم يومئذ بعد الوقعة على ثلاثة نفر من بني عدي بن جندب بن العنبر .
 لم يكونوا برحوا مع قومهم فلحقوا بالدهناء معهم ولم يشهدوا القتال مع بني دارم ،
 فكانوا يرعون ، فقاتلوا من دون إبلهم حتى طردوها فأحرزوها ، وجمل وراز
 يُقاتلهم ويرتجز ويقول :

محن حَمِينًا يَوْمَ لَا يَحْمِي بَشَرٌ يَوْمَ الْوَقِيظِ وَالنِّسَاءِ أُبْتَقِرَ (٤)
 قَوْمٌ تُنْقَاها مِنَ النَّبْعِ وَزَرَّ تُرْنُ إِنَّ تُنْازِعَ الْكَفَّ الْوَتَرَ
 حَجْرِيَّةٌ (٥) فِيهَا الْمَنَايَا تَسْتَمِرُّ تَحْفِزُهَا الْأَوْتَارُ وَالْأَيْدِي الشُّمْرُ

(١) في معجم البلدان اسمه إراز ، وهو أحد بني تيم الله بن ثعلبة (٢) في معجم البلدان أيضا
 أن اسمه الحكم (٣) رثاه أبو الحارث بن نهيك الأصيلع فقال :

حكيم فدى لك يوم الوقيظ ط إذا حضر الموت خالي وعم
 تعودت خير فعال الرجا ل فك العناة وقتل البيهم
 وما إن أتى من بني دارم نصيك أتمط إلا وجه
 وقتاً عيني تبكاهما وأورث في السمع مني صم
 فما شاء فليفعل الثؤيبا ت والدر بعد فانا حكم

أى حكيم

فتى ما أضلت به أمه من القوم ليلة لا مدعم
 يجوب الظلام ويهدى الخيس ويصبح كالصقر فوق العلم

(٤) ناقة بغير : شق بطنها عن ولدها أى شق ، وقد تبقر وابتقر وابتقر (٥) يعنى قوساً
 منسوبة إلى حجر - قصبة الإمامة أو بكسر الحاء نسبة إلى أرض عمود - الحجر .

٢ - يَوْمُ شَيْتَل

خرج قيس بن عاصم المنقري بمقاعس^(١) وهو رئيس عليها، ومعه سلامة بن ظرب في الأجارب^(٢)، ففزوا بكر بن وائل؛ فوجدوا المهازم^(٣)، وبنى ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم، وعزة^(٤) بن أسد بالنباج وثبتل^(٥)، فتنازع قيس وسلامة في الإغارة، ثم اتفقا على أن يغير قيس على أهل النباج، ويغير سلامة على أهل ثبتل؛ فبعث قيس سنان بن سمى الأهم شيفة^(٦) له، فلقى رجلا من بني بكر بن وائل، فتماقدا على ألا يتسكنا؛ فقال الأهم: من أنت؟ قال: أنا فلان ابن فلان، ونحن بجوف الماء حضور، فن أنت؟ قال الأهم: أنا سنان بن سمى، وهو لا يعرف إلا بالأهم، ففقل نفسه له، فرجع البكري فأخبر قومه عنه، ورجع الأهم فأخبر قيسا الخبر، وقال: يا أبا علي؛ هل بالوادي طرفاء^(٧)؟ فقال قيس: بل به نعم. وعرف أنهم بكر، فكتبهم أصحابه.

فلما أصبح سقى خيله، ثم أطلق أفواه الرّوايا، وقال لأصحابه: قاتلوا فالوت

* لتيم على بكر (من ربيعة). ثبتل: ماء على عشر مراحل من البصرة، ويسمى يوم النباج، وهو موضع قريب من ثبتل

التفاض ١٠٢٣ (طبع أوروبا)، القند الفريد ٣٣٢ ج ٣، ابن الأثير ص ٣٩٧ ج ١، معجم البلدان ص ٢٤٣ ج ٨

(١) مقاعس: بطون في تميم تألف من: صريم ورييح وعبيد بنو الحسارث بن عمرو
(٢) الأجارب: بطون في تميم أيضاً تألف من: جما وريعة ومالك والأعرج بنو كعب بن سعد
(٣) المهازم: لقب تيم الله بن ثعلبة، وم بطن في بكر، وكذلك ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم
(٤) عزة من ربيعة بن تزار (٥) النباج: موضع على عشر مراحل من البصرة، وثبتل قريب منه (٦) الشيفة: الطليمة (٧) الطرفاء: شجر وهو أصناف من الأثل، وهو يكنى بالنعم عن القوم

بين أيديكم ، والفلاة من ورائكم . فلما دنوا من القوم صُبْحًا سمعوا سائياً من بكر
يقول لصاحب له : يا قيس ؛ أورد ؛ فتفألوا به الظفر ، ثم أغاروا على أهل النباج من
بكر قبيل الصبح ، فقاتلهم قتالاً شديداً .

ثم إن بكرًا انهزمت ، وأسر الأهم حمران بن عبد عمرو ، وأسر قد كى بن
أعبد جثامة الدهلي ، وأصابوا غنائم كثيرة ، ثم قال قيس لأصحابه : لا تقبل
دون إخواننا بئيتل .

وعاد مُسرِعاً إلى سلامة ، ومن معه ، فأدركهم ولم يُفرِّ بَعْدُ سَلَامَةً وأصحابه
على من بئيتل ، فأغار قيس عليهم فقاتلهم ، ثم هزمهم ، فأصابوا إبلاً كثيرة ، وجاء
سلامة فقال : أغرتم على ما كان إلى ! فتلاجوا حتى كاد الأمر يقم ، ثم انفقوا على
أن سَلِمُوا السَلَامَةَ غنائم بئيتل . وفي ذلك يقول ربيعة بن طريف بن نعيم حيث
رأى قيساً :

فَإِنَّ لَنَا عِزًّا عَزِيزًا وَمَقِيلًا	فَلَا يُبْعِدُنَاكَ اللَّهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
وَقَدْ عَضَّتْ ^(٢) مِنْهَا النَّبَاجُ وَبَيْتَلُ	وَأَنْتَ الَّذِي حَرَبْتَ ^(١) بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ
كَرَادَيْسٍ ^(٣) يَهْدِيهِمْ وَرَدًّا مُجَجَّلًا	غَدَاةَ دَعَتْ يَا آلَ شَيْبَانَ إِذْ رَأَتْ
وَشَمْتُ النَّوَاصِي لُجْمَهُنَّ تُصَلِّصِلُ	وَوَلَّتْ عُقَابَ الْمَوْتِ تَهْفُو عَلَيْهِمْ
لِفَارْتِهِ إِلَّا رَاكِبٌ مُدَلَّلُ	فَمَا مِنْكُمْ أَفْئَاءَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ

وقال قرة بن قيس بن عاصم :

أنا الذي شق المزداد^(٤) وقد رأى بئيتل أحياء الهامز حُضْرًا

(١) حربته : سلب ماله (٢) عضت الأرض بأهلها إذا ضاقت بهم لكثرتهم
(٣) كراديس : جمع كردوس ؛ الحيل العظيمة ، وقيل القطة من الحيل العظيمة
(٤) جمع مزادة ؛ الراوية .

فصبتهم بالجيش فيسُ بن عاصم فلم يَجِدُوا إِلَّا الْأَشْتَةَ مصدرًا
سقامَ بها الذَّيْفَانُ (١) قيسُ بن عاصم وكان إذا ما أوردَ الأمرَ أُصدِرًا
على الجُرْدِ (٢) يملُكُن الشَّكِيمَ (٣) عوَابِسًا إذا المساءُ من أعطافهنَّ تحدَّرَا
فلم يَرَهَا الرءاؤونَ إِلَّا فجَاءة فلم يَرَهَا الرءاؤونَ إِلَّا فجَاءة
ومُحْرانُ أدته إلبنا رِمَاخُنَا ثَرْنٌ عَجَاجًا بالسَّنَابِكِ أكَدِرَا
وجثامةُ الذهلي قُدْنَاهُ عَنزَةٌ فَنازِعُ غَلًّا في ذِرَاعِيهِ أُسْمِرَا
إلى الحىِّ مَصْفُودَ اليدينِ مَفَكَّرَا

(١) الذئمان ، والذيفان (بفتح الـ ذال وكسرهما) : السم الناقع ، وقيل القاتل (٢) فرس
أجرد قصير الشعر ، وقيل الأجرد : الذى رق شعره وقصر ، وهو مدح (٣) الشكيم فى
اللبام : الحديدية المترضة فى فم القرس التى فيها الفأس .

٣- يَوْمِ جَدُودٍ

كانت بين الحارث بن شريك وبين نبي سليط بن يربوع مُوَادَعَةٌ ، فهم بِالْفَدْرِ بهم ، وجمع بني شيبان وذَهْلًا ، واللّهَازم ، وعليهم مُحْرَانُ بن عبد عَمْرُو ، ثم غزا وهو يَرْجُو أن يُصِيبَ غِرَّةً من بني يربوع ؛ حتى إذا أتى بلادهم نَذَرَ به عُنْتِيَةَ^(١) بن الحارث ابن شهاب ، فنَادَى في بني جعفر بن ثعلبة ، فحَالُوا بين الحارث وبين الماء ، والحارثُ في جماعة من أَفْنَاءِ بكر بن وائل ، فقال الحارث لِعُنْتِيَةَ : إني لا أرى مَمَكٌ إلا بني جعفر ، وأنا في طوائف من بكر بن وائل ، فلئن ظفرتُ بكم قلَّ عددكم ، وطمع فيكم عدوُّكم ، ولئن أنتم ظفرتُم بي ما تقتلون إلا أَقَاصِي عَشِيرَتِي ، والله ما إياكم أردت ، ولا لكم سَمَوْتُ ، وقد عرفتم المُوَادَعَةَ التي بيننا وبين إخوانكم بني سليط ، فهل لكم أن تُسألونا ، وتأخذوا ما معنا من التمر ، وتُخَلُّوا سبيلنا ؟ فوالله لا نرُوعُ يَرْبُوعِيًّا أَبَدًا .

فأخذ عُنْتِيَةَ ما معهم من التمر ، وَخَلَى سبيلهم ، فسار الحارثُ في بكر بن وائل حتى أَغار على بني رُبَيْعِ بن الحارث بِجَدُودٍ ، فأصاب سبياً ونَعَمًا وهم خلوف ، فبمَثَ بنو ربيع صَرِيحِيهِمْ^(٢) إلى بني كَلَيْبِ بن يربوع ، وهم يومئذ جيرانهم فلم يجيبوهم ، فقال قيس بن مقلد الكَلْبِيِّ لصريخ بن رُبَيْعِ :

• ليني منفر (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وجدود اسم موضع في بلاد بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمعت الإمامة فيه الماء الذي يقال له الكلاب ، قال في اللسان : وكانت فيه وقعة مرتين . وقد يسمى بعضهم يوم الكلاب الأول يوم جدود لذلك .

شرح الفضليات ص ٧٤٠ لابن الأباري ، النفاث ص ١٢٤ ، ٣٣٦ ، المقد الفريد ص ٣٤٠ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٢ ج ١
(١) رئيس بني يربوع إذ ذاك (٢) الصريح : المستنيت .

أمنكم علينا مُنذِرٌ لمدونا وداع بنا يوم الهياج مُنذِدٌ
فقلتُ ولم أُمِرْ بِذَآكِ ولم أَسَأُ أسعدُ بن زَيْدٍ؛ كيف هذا التودُدُ

فأتى صَرِيحُ بنِي رُبَيْعِ بنِي مَنقرِ بنِ عَبِيدِ ، فركبوا في الطَّلَبِ ، فلاحقوا بكر بن وائل وهم قائلون ، فما شعر الحارث بن شريك - وهو قائل في ظل شجرة - إلا بالأهَمِ^(١) بنِ مُسَيِّ بنِ سِنَانِ بنِ مَنقرِ ، وهو واقف على رأسه ، فوثب الحارث إلى فرسه فركبَه ، وقال للأهَمِ : من أنت ؟ قال : أنا الأهَمِ ، وهذه منقر قد أتتك ، فقال الحارث : فأنا الحارث بن شريك ، وهذه بنو رُبَيْعِ قد حويتها ، فنادى الأهَمِ بأعلى صوته : يا آلِ سَمَدِ^(٢) ، ونادى الحارث : يا آلِ وائلِ^(٣) ، وشدَّ كل واحد على صاحبه ، ولحق بنو مَنقرَ ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، ونادت نساء بنِي رُبَيْعِ : يا آلِ سَمَدِ ، فاشتد قتال بنِي مَنقرَ لَمَّا نادى النساءُ ؛ فهزمت بكرُ بنِ وائلِ ، وخلوا ما كان في أيديهم من السَّبِيِّ والأموالِ ، ولم تكن لرجل منهم همةٌ إلا أن ينجو بنفسه وتبتمهم مَنقرُ فمن قَتيلٍ وأسير .

وأسر الأهَمِ مُحمَران بن عبد عمرو ، وقال في ذلك :

تعلَّتْ بِمُحمَرَانَ المنيَّةَ بعد ما حشأه سِنَانٌ من شِراعَةٍ أزرَقُ
دعا يالَ قيسِ واعترَيتُ لِمنقِرِ وقد كنتُ إذ لاقيتُ في الخيلِ أُسَدِ

واتبع قيس بن عاصم الحارث بن شريك ، وهو على فرس له يُدعى الزَيْدُ ، وقيس بن عاصم على الزعفران بن الزيد فرس الحوفزان^(٤) ، فإذا استوت بهما الأرض لحقه قيس ، وإذا وقفا هبوط وصمود سبقه الحوفزان بقوة فرسه وسننه ، فلما خشى أن يفوته قال : استأسر يا حارث خيراً سير . فقال الحارث : لا ، بل شر أسير ، ثم جرز فرسه ، فسبق مُهر

(١) في رواية : هو سنان بن سمي النخري (٢) إشارة إلى جدم الأكبر سمع بن زيد مناة
(٣) يشبه إلى جدم الأعلى وائل (٤) الحارث بن شريك .

قيس لقوته، وتخوفه قيس أن يفوته الحوفزان، فحفزه بالرمح في استه، وبهذه الحفزة سمي الحوفزان، ونجما .

ورجع بنو منقر بسبي بني ربيع وبأسارى بكر بن وائل وأسلاهم .

وقال قيس بن عاصم في ذلك اليوم :

جَزَى اللهُ يَرْبوعاً بِأَسْوَأِ سَعْيِهَا إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا
 وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ أَبَاكُمْ وَسَالَمْتُمْ وَالْحَيْلُ تَدْمَى نَحُورُهَا
 سَتَخِطِمُ سَعْدُ وَالرَّبَابُ أَنْوَقَكُمْ كَمَا غَاطَ (١) فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا
 فَأَصْبَحْتُمْ وَاللَّهِ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَهْنُوءٍ (٢) جَرِيَاءِ أُبْرِزَ كُورُهَا
 فَأَصْبَحْتُمْ وَاللَّهِ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَهْمُودَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا زَفِيرُهَا
 أَفْخَرَ عَلَى الْمَوْلَى إِذَا مَا يَطْنُكُمْ (٣) وَلَوْ مَا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَمِيرُهَا
 أَنَانِي وَعَيْدُ الْحَوْفِزَانِ وَدُونَهُ مِنَ الْأَرْضِ صَحْرَاوَاتِ قَلْجٍ وَقُورُهَا
 أَرَمَ بِسَبِيلِ الْحَىِّ إِنْ كُنْتَ سَادِقًا إِذَا حَشَدَتْ سَعْدُ وَجَاشَ نَصِيرُهَا (٤)
 عَصَمْنَا تَمِيًّا فِي الْحُرُوبِ فَأَصْبَحْتُ يَلُودُ بِنَا ذُو وَفْرِهَا (٥) وَفَقِيرُهَا
 وَأَصْبَحْتَ وَغَلًّا (٦) فِي تَمِيمٍ وَأَصْبَحْتُ مَعَادِنُهَا تُجَبِّي سِوَاكَ وَخَيْرُهَا (٧)

وقال سوار بن حيان المنقري :

وَمَنْ حَفَزَنَا الْحَوْفِزَانِ بَطْنَةً سَقَتْهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَالًا (٨)

(١) غاط : دخل ، والقضيب : الناقة التي لم ترض ، والجريير : الحبل (٢) هنأت البعير : إذا طلبته بهناه وهو القطران ، والأبيل مهنوءة (٣) البطنة : امتلاء البطن من الطعام ، وهي الأشتر من كثرة المال أيضاً ، والفعل كفرح (٤) في رواية : إذا غضبت سعد (٥) الوفر : المال (٦) الوغل : الدعي نسباً ليس منه ، والوغل : النذل الضعيف المقصر في الأشياء (٧) الخير : الشرف والأصل ، ويروى : وأصبحت معادنها (بتشديد الدال) ويقال : عادته اللسة : إذا أته لمداد (٨) أحر .

وَمُحْرَمَانَ قَسْرًا أَنْزَلْتَهُ رِيحًا نَحْنًا فَمَالَجُ غُلًّا فِي ذُرَاعِيهِ مُقْفَلًا (١)
 فَسَا لَكَ مِنْ أَيَّامٍ صَدَقَ تَمُدُّهَا كِيَوْمِ جُؤَانِي وَالنَّبَاجِ وَثَبْتَلَا
 قَضَى اللَّهُ أَنَا - يَوْمَ تُقْتَسَمُ الْمَلَا - أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ فَأَعْطَى وَأَجْزَلَا
 فَلَسْتُ بِمُسْطَبِعِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَجِدْ لِعَزِيٍّ بِنَاءَ اللَّهِ فَوْقَكَ سَفَلَا
 وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلِ السَّمْدِيِّ :

فَسَائِلُ بِسَمْدِيٍّ فِي خَنْدَفٍ وَقَيْسٍ وَعِنْدَكَ تَبْيَانُهَا
 وَإِن تَسْأَلِ الْخِيَّ مِنْ وَاثِلٍ تُنْبِتُكَ عَجَلٌ وَشِبْيَانُهَا
 بَوَادِي جَدُودٍ وَقَدْ غُوِدِرَتْ بِضَيْقِ السَّنَابِكِ أَعْطَانُهَا
 بَأْرَعِنَ كَالطُّودِ مِنْ وَاثِلٍ يَوْمَ الثُّغُورِ وَيَمْتَانُهَا (٢)
 تَطَاوَلَهُ الْأَرْضُ مِنْ رِزَّةٍ (٣) إِذَا سَارَ تَرْجَفُ أَرْكَانُهَا (٤)

وَأَلْحَ قَيْسٌ عَلَى الْحَوْفِزَانَ ، وَقَدْ حَمَلَ الزَّرْقَاءَ (٥) ، فَسَأَلَهُ مِنْ هُو ، فَقَالَ : لَانْكَأَمَ
 الْيَوْمَ ! أَنَا الْحَوْفِزَانَ ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا أَبُو عَلِيٍّ ، وَمَضَى .
 وَرَجَعَ الْحَوْفِزَانَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَقَيْتُ رَجُلًا أَزْرُقُ كَأَنَّ لِحْيَتَهُ ضَرِييَّةٌ (٦)
 صُوفٌ ، فَقَالَ : أَنَا أَبُو عَلِيٍّ وَمَضَى ، فَقَالَتْ عَجُوزٌ مِنَ السَّبِيِّ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ! وَمَنْ لَنَا
 يَا أَبَا عَلِيٍّ ! فَقَالَ لَهَا : وَمَنْ أَبُو عَلِيٍّ ؟ قَالَتْ : قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
 النَّجَادُ ! وَأَرْدَفَ الزَّرْقَاءَ خَلْفَهُ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَعَقَدَ شَعْرَهَا إِلَى صَدْرِهِ وَنَجَّأَهَا .

(١) يروى : مقفلا (٢) يمتانها من الريثة وهو عين القوم (٣) الرز : هدير الفحل
 أو صوت الرعد أو الصوت تسمعه من بعيد (٤) ارجع إلى بقية القصيدة ص ١٤٧ من
 النقاظ إن أردت (٥) كان قد سبها من بني ربيعة بن الحارث (٦) قطعة .

٤- يَوْمَ زُرُودَ

أغار حَزِيمَةُ بن طارق التغلبيّ على بني يربوع وهم بَرَزُودَ ، فاستاق إبلهم ، فأنى الصَّريحُ (١) بن يربوع ، فركبوا في إثره ، وهزموه ، واستنقذوا ما كان قد أخذ ، وأسرُوا حَزِيمَةَ بن طارق ، واختصم في أسره اثنان : أنيف بن جبلة الضَّبِّي - وكان قَبِيلاً (٢) في بني يربوع ، وليس معه من قومه أحد - وأسيد بن حِجَاءَ السليطي ؛ فاختمها إلى الحارث (٣) بن قراد فحكم : أن جزَّ ناصيته لأنيف ، وأن لآسيد عنده مائة من الإبل ، فرضيا بذلك ، وقال أنيف :

أخذتك قسراً يا حزيم بن طارق ولاقيت مني الموت يوم زرود

وعاقته والخيل تدمي نحرها فأنزلته بالقاع غير حميد

وكان للكَلْبجة (٤) اليربوعي فرس اسمها « عرادة » ؛ فلما جاء النذير كانت فرسه

* ليربوع (من تميم) : على تغلب (من ربيعة) ، وزرود : رمال بطريق الحجاج من الكوفة

العقد الفريد ص ٣٣٣ ج ٣ ، رغبة الأمل من كتاب الأمل ص ١٧ ج ١ ، خزنة الأدب ص ٣٥٤ ج ١ ، الفضليات ص ٣

(١) الصريح : المستعيب (٢) النقبل : الغريب (٣) من بني رياح بن يربوع (٤) الكَلْبجة اليربوعي : اسمه هبيرة بن عبد مناف ، على ما في المؤلف والمختلف ، فارس شاعر ، ومن شعره يخاطب جاريته كلاًساً :

يا كلاًس وبلك إن غالى خلقى على الساحة صعلوكا وذامال

تخبري ابن راع حافظ برم عبد الرشاء عليك الدهر محمال

ويعن أروع مشمول خلاته مستغرق المال للذات مكسال

فأى ذبك إن نابك نائبة والقوم ليسوا وإن سووا بأمثال

قد سقيت ملء الحوض ماء^(١) ، فلما أُلجها وركب ظلمت فرسه ، فقال يمتدّر :
فإن تنج منها^(٢) يا حَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ فقد تركت ما خلفَ ظهركَ بَلَقَمًا^(٣)
ونادى منادى الحى : أن قد أُتيتم وقد شربت ماء المَزَادَةَ أَجْمَا^(٤)
وقلت لكأس : أُلجِها فإِنَّمَا نَزَلْنَا الكَثِيبَ من زَرُودٍ لَنَفْرَعَا^(٥)
فأدرك إِبْقَاءَ العَرَادَةِ ظَلَمَهَا وقد جعلتني من حَزِيمَةَ إصْبَمَا^(٦)
أمرتكم أمرى بِمُنْعَرَجِ اللّوَى ولا أَمْرَ لِلمَعْصَى إِلَّا مُضِيَمًا
إذا المرء لم يَفْشَ الكَرِيهَةَ أَوْشَكَت جبالُ الرُّؤْيَى بالفتى أن تَقَطَّمَا^(٧)

(١) كانت خيل العرب إذا علمت أنه يبار عليها - وكانت عطاشا - ففنها من يصرّب بعض الشرب ولا يروى ، وبعضها لا يصرّب البتة ؛ لما قد جربت من الشدة التي تلقى إذا شربت وحورب عليها
(٢) من فرسه (٣) البلع : الأرض القفر لا نبات بها ، والعرب كثيراً ما تذكر أن الخيل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يريد فإن نجوت منها فقد خلفت وراءك ما جمعته يدك ؛ وكأن فرسه حينما فاتتها نفسه ، لم تفتها غنائمه
(٤) المَزَادَةُ : القربة التي زيد فيها جلد بين جلدتين ، وضمير شربت للفرس ، وجلة قد شربت حال ؛ كأن الكلجة يمتدّر من انخلات حزيمة ، محتجا بما أصاب الفرس (٥) كأس : جارية الشاعر ، والكثيب : ما اجتمع من الرمل واحد ودب . ونفزا - نفيث ؛ يقول : ما نزلنا هنا الموضع إلا لنفيث من استغاث بنا ، وأورد هنا البيت المبرد في الكامل شاهداً على أن الفزع يكون بمعنى الإغاثة (٦) الإبقاء : ما تبقى الفرس من العدو ؛ إذ من عتاق الخيل مالا تسمى ما عندها من العدو ، بل تبقى منه شيئاً إلى وقت الحاجة ، يقال : فرس مبقية إذا كانت تأتي بجمري عند انقطاع جريها ، والطلع : العرج ؛ يقول شربت الماء قطعها عن إبقائها فاتته حزيمة وما بينهما إلا مقدار أصبع (٧) الشيطان : الإتيان ، والكريهة : الحرب ، وأوشكت : دنت ، والهوينى : الرفق والراحة .

٥- يَوْمَ ذِي طُلُوحٍ

تُرْوَجُ عَمِيرَةَ بن طَارِقِ الْيَرْبُوعِيِّ مُرَبَّةً بنت جَابِرٍ ، وَأَقَامَ مَعَهَا فِي قَوْمِهَا مِنْ بَنِي عَجَلٍ^(١) بن لُجَيْمٍ ، وَكَانَ مَتْرُوجًا قَبْلَهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ تُدْعَى بِنْتِ النَّطْفِ تَرَكَهَا فِي قَوْمِهَا . وَكَانَ لِمُرَبَّةٍ أُخٌ اسْمُهُ أَبِجْرُ بن جَابِرٍ فَأَتَاهَا يَوْمًا يَزُورُهَا ، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمِيرَةَ كَلَامٌ قَالَ بَعْدَهُ لِعَمِيرَةَ : إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أُغْزَوْ قَوْمَكَ وَأَتِيكَ بِابْنَةِ النَّطْفِ ! فَقَالَ لَهَا عَمِيرَةُ : مَا أُرَاكَ تَبْقَى عَلَيَّ حَتَّى تَسَلِّتَنِي أَهْلِي !

وَنَدِمَ أَبِجْرُ عَلَى مَا قَالَ ، وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأُغْزَوْ قَوْمَكَ ، وَلَكِنِّي مُتَيَّاسِرٌ^(٢) فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ تَمِيمٍ ، فَقَالَ لَهَا عَمِيرَةُ : قَدْ عَلِمْتُ مَا كُنْتَ لِتَفْعَلَ .

وَلَكِنْ لَمْ تَمُضْ مَدَّةٌ حَتَّى خَرَجَ أَبِجْرُ بن جَابِرٍ فِيمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْهَازِمِ^(٣) وَالْحَارِثِ ابْنِ شَرِيكٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ وَمَعَهُمْ عَمِيرَةُ بن طَارِقٍ ، وَوَكَّلَ أَبِجْرُ بِعَمِيرَةَ أَخَاهُ حَرْقُصَةَ ابْنَ جَابِرٍ . فَقَالَ حَرْقُصَةُ : هَلْ تَأْذِنُ لِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى أَهْلِي فَأَحْتَمِلَهُمْ ؟ فَقَالَ حَرْقُصَةُ : مَا أَبَالِي أَنْ تَفْعَلَ ، فَكَّرَ عَمِيرَةَ عَلَى نَاقَتِهِ وَمَضَى . وَافْتَقَدَ النَّاسُ عَمِيرَةَ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، وَعَلِمَ أَبِجْرُ بِمَا وَقَعَ ، فَأَتَى أُخْتَهُ مُرَبَّةً فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَتْ : لِأَقَانَا ضُجْحِي فَوَافَقْنَا ، ثُمَّ مَضَى إِلَى دَارِنَا فَلَمْ نَرَهُ بَعْدَ .

وَاسْتَحْيَا حَرْقُصَةُ أَنْ يَذْكَرَ أَمْرَهُ لِأَحَدٍ حَتَّى جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَتَمَحَدَّثَ بِهِ الرِّجَالُ

* لَبْنِي يَرْبُوعٍ (مِنْ تَمِيمٍ) عَلَى بَكْرٍ (مِنْ رَيْمَةَ) ، وَذُو طُلُوحٍ : مَوْضِعٌ فِي حَزْنِ بَنِي يَرْبُوعٍ بَيْنَ السُّكُوفَةِ وَفَيْدٍ ، وَهُوَ يَوْمُ الصِّدِّ ، وَيَوْمُ أَوْدٍ - وَادٍ .

المقد القريد ص ٤٣٣ ج ٣ ، النفاض ص ٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١ ، ابن الأثير ص ٣٨٩ ج ١

(١) عجل بن لقيم : حى من بكر (٢) التياسر : الأخذ في جهة اليسار ، ويربوع قوم عميرة : حى في تميم (٣) الهازم : قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة ، وهنزة بن أسد ، وعجل ابن لقيم .

من قَبِيلِ النَّسَاءِ ، وأقبلوا إلى حُرْقُصَةَ فقالوا : ويلك ! ما صنع الرجل ؟ فقال :
 ما أظنه إلا ذهب ، فقالوا : إن تكن في شك فإننا مستيقنون .
 وسار عميرة يومه وليلته والندحى إذا لقي الصحراء وغربت الشمس قيّد ناقته
 وعَصَبَ يديها ، ثم نام حتى إذا علاه الليلُ قام فلم ير الناقة .

قال عميرة : فسعيتُ يميناً وشمالاً فإذا أنا بسوادٍ من الليل عظيم فحسبته الجيش،
 فبتُّ أرسده أخافُ أن يأخذوني، حتى أضاء الصبح، فإذا خمسون ومائة نعامه، وإذا
 ناقتي تخطر قاعة قريية منى ، فأنا غَضْبَانٌ على نفسي . فأجَدَدتُ السير يومى ذلك
 حتى أَرَدَ سَفَارِ^(١) ، فأجد منازل القوم في نِسْعَةٍ^(٢) ، فسقيتُ راحلتي ، وطيمت
 من تَئِيرٍ كان ممي وشربت ، ثم ركبْتُ مُسَىَ الثالثة ، فأصبحتُ فإذا أنا بناس
 يَمَلُقُونَ^(٣) السِّدْرَ ، فتحرفَّتُ عنهم مخافة أن يأخذوني ، فناداني بعضهم : إنما نحن
 صُدَّارٌ^(٤) البيت فلا تخفْ ، فنفذتُ حتى أُصْبِحَ طَاحٍ^(٥) ، وبها جماعة بنى يربوع ،
 فقلت : قد غزاكم الجيشُ من بكر بن وائل برئيسين وكُرَاعٍ وَعَدَدٍ^(٦) .

فبعث بنو رِيَّاحِ بن يربوع فارسين طليعة ، وبعث بنو ثعلبة^(٧) فارسين رَبَائِمَةً^(٨)
 في وَجْهِ آخِرٍ ، ومكث بنو يربوع يوقدون نارهم على صَمَدٍ^(٩) طَاحٍ ، فكانوا كذلك
 ثلاثاً ؛ ثم إن فارسى بنى ثعلبة جاء ، فقالا : لم نُحْسِسْ شيئاً . قال عميرة :
 ما تمنيتُ الموتَ قط إلا يومئذ ، حين جاء الفارسان لم يحسا شيئاً ، مخافة أن يكونوا
 أرادوا غيرهم ؛ فيكون ما حدثهم باطلا ، وليلة ذهبت ناقتي ، مخافة أن أُوخذ فيقال :
 نام فأخذ .

(١) سفار : ماء لبني تميم (٢) موضع (٣) برعونه (٤) أراد أنهم كانوا حجاجا
 (٥) موضع (٦) الكراع : السلاح ، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح (٧) بنو ثعلبة :
 بطن في يربوع (٨) الربيعة والطليعة : الميمن (٩) الصمد : الموضع الغليظ الصلب .

فلما تَمَّالى النهارُ من اليوم الثالث طلع فارساً بنى رباح ، فقالا: تركنا القومَ حين
زلوا القيسومية .

قال: فتلبَّينا^(١) ، ثم ركبنا ، ثم أخذنا طريقاً مُختلفاً حتى وردنا الينسوعة^(٢)
حين غابت الشمس ، فوجدنا القوم حين استقوا ونثروا التمرَ وتخففوا للغارة ، ثم
أخذوا في السير ، فاتبعناهم حتى وازى أثرهم عنا الليسلُ ، واستقبلوا أسفل
ذى طلوح^(٣) .

قال عميرة : وكانت تحمى فرس ذريعة المنق^(٤) ، فضت بي ، ففقدني عتوة بن
أرقم ، فقال: يا بنى يربوع ! إن عميرة قد مضى لِينذِرِ أخواله ، فقال عتيبة^(٥) بن
الحارث : كذبت ، ما ينفس عميرة علينا الغنمَ والظفر .

قال : فسمعتُ ما قال الرجلان ، فوقفت حتى أدركوني ، وقد خشيت لقطع القوم ،
مخافة أن يُنفروا بأنفسهم ، حتى إذا كنا حيث اطلع الطريق من ذى طلوح وقفنا
وأمسكنا بحكمات^(٦) الخيل ؛ ثم بعثنا طليعةً أخرى ، فأناها فأخبرنا أنهم نزول
بأسفل ذى طلوح ، فكنتنا حتى إذا برق الصبح ركبنا ، وركب القوم واستعدوا
للغارة .

وقد كان أبحر حين مرّوا بسفّارٍ ، قال للحوفزان : تعلم أنى لأطن عميرة قد
دهانا ، وإنى لأعرف هذا الذوى ، قال الحوفزان : ما كان ليَفعل .

قال عميرة : فدفعنا الخيلَ عليهم ، وهم يريدون أن يُغيروا ، فكنت أول فارس
طلع ، فناديتُ : يا أبحر ؛ هلمّ إلى ! قال : من أنت ؟ قلت : عميرة . قال : كذبت !

(١) يقال لذى لبس السلاح وتشر للقتال متلبب (٢) الينسوعة : موضع في طريق البصرة
(٣) ذو طلوح : موضع في حزن بنى يربوع (٤) المنق : ضرب من سير الدابة والإبل ،
وفرس ذريع : سريع ببسد الخطا (٥) كان عتيبة رأس بنى يربوع حينئذ
(٦) الحكّات : جمع حكمة ، وهى ما أحاط بحسكى الفرس من لجامه .

فصَفَرْتُ عَنْ وَجْهِ فَمَرَفَنِي ، فَنَزَلَ عَنِ فَرَسٍ كَانَ مَرْكَبًا عَلَيْهَا^(١) ، وَعَلَى مَلَاءَةٍ لِي
سَمَاءٍ فَطَرَحْتُهَا ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهَا ، وَقَدْ قَالَ لِي قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ : إِنِّي مَرْكَبٌ . قُلْتُ :
فَتَعَالَ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَحْتِي فَرَسِي لِأَبِي مُلَيْلٍ . قَالَ : فَأَقْبَلَ وَمَا يُنْظَرُ إِلَى ذَلِكَ .

قَالَ : وَأَخِذَ الْجَيْشَ كُلَّهُمْ فَلَمْ يُبَلِّغْ مِنْهُمْ أَحَدًا غَيْرَ شَيْخٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، ثُمَّ
أَحَدَ بَنِي سَمْدِ بْنِ هَمَامٍ ؛ نَجَا عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، وَقَدْ كَانَ أَخُوهُ مَعَهُ فَأَخِذَ ، فَلَمَّا آتَى الْحَيَّ
سَأَلَتْهُ بِنْتُ أَخِيهِ عَنْ أَبِيهَا ، فَقَالَ الشَّيْخُ :

تَسَائِلُنِي هُنَيْدَةَ عَنْ أَبِيهَا وَمَا أُدْرِي ، وَمَا عِبَدْتُ تَيْمِ
غَدَاةَ عَهْدِنَهُنَّ مُنْغَلَصَمَاتٍ^(٢) لَهْنَ بِكُلِّ مَحْنِيَةٍ نَحِيمٍ^(٣)
فَمَا أُدْرِي أَجْبِنًا كَانَ طَبِي أَمْ الْكُوسَى^(٤) إِذَاعَدَ الْحَزِيمَ^(٥)

وَأَخَذَ الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكَ يَوْمَئِذٍ ؛ أَخَذَهُ حَنْظَلَةُ بْنُ بَشْرٍ ، وَكَانَ تَقِيلًا^(٦) فِي
بَنِي بَشْرٍ ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُهُ ؛ فَاخْتَصَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعَبْدُ عَمْرٍو
ابْنُ سَنَانَ فِي الْحَارِثِ ، فَقَالَ : حَكَمُونِي فِي نَفْسِي ، وَاللَّهِ لَا أُخَيِّبُ ذَا حَقٍّ . فَحَكَمُوهُ ،
فَأَعْطَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَى عَبْدُ عَمْرٍو مِائَةَ ، وَجَمَلَ نَاصِيئَتِهِ
لِحَنْظَلَةَ بْنِ بَشْرٍ . فَقَالَ عَبْدُ عَمْرٍو لِلْحَارِثِ : إِنْ بَيْنَ بَنِي جَارِيَةَ بْنِ سَلِيْطٍ وَبَيْنَ بَنِي
مُرَّةٍ^(٧) مُوَادَعَةٌ ، وَإِنَّهُ لَا يَحْمَلُ لِي أَنْ أُرْزَأُكَ شَيْئًا ؛ وَرَدَّهَا ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ
فَكَانَ يُسَمَّى الْمِائَةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْهُ الْخُبَّاسَةُ^(٨) ، وَأَخِذَ سَوَادَةَ بْنَ يَزِيدٍ ، أَخَذَهُ عَتَوَةَ
ابْنُ أَرْقَمٍ ، فَانْتَزَعَهُ سَمِيرَةَ بْنَ طَارِقٍ ، وَأَخِذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَنَمَةَ الضَّبِّيَّ ، وَكَانَ فِي
بَنِي شَيْبَانَ . فَانْتَقَهَ مَتَمُّ بْنُ نُورِيَةَ :

(١) المَرْكَبُ : الَّذِي يَرْكَبُ فَرَسًا غَيْرَهُ وَيَنْزُو عَلَيْهِ ، فَمَا أَسَابَ عَلَى ظَهْرِهِ فَلَهُ نِصْفُ الْغَنِيمَةِ
(٢) مُنْغَلَصَمَاتٌ : مُعَدَّةُ الْأَعْنَاقِ (٣) نَحِيمٌ : شَبَّهِ الزَّفِيرِ (٤) الْكُوسَى : مِنْ
السَّكَيْسِ (٥) الْحَزِيمُ : مِنْ الْحَزْمِ (٦) التَّقِيلُ : الْغَرِيبُ (٧) بَنُو جَارِيَةَ بْنِ
سَلِيْطٍ : بَطْنٌ فِي يَرْبُوعٍ ، وَلِلْهَمِّ قَوْمُ عَبْدِ عَمْرٍو ، وَصَمْرَةٌ : بَطْنٌ فِي شَيْبَانَ قَوْمِ الْحَارِثِ
(٨) الْخُبَّاسَةُ : الْغَنِيمَةُ .

فقال ابن عَنَمَةَ يمدح متمدماً ، ويتأفف على عميرة بن طارق بإنذاره قومه على أخواله

بنو عجل :

عميرة فاق السهمُ بيني وبينه فلا يطعمن الخمر إن هو أضعداً (١)
 فلم أرَ جاراً وابنَ أُختٍ وصاحباً تكيدَ منا قبسه ما تكيداً
 رأيت رجالاً لم نكن لنبيهم يباعون بالبُمران مثنى وموحداً
 طعامهم اللحمُ حرامٌ عليهم ويسقونَ بعد الرّي شرّاً بمصرِداً (٢)
 فإن ليروع على الجيش منةً مجاعةً نالتُ سويداً وأسعداً
 جزى الله ربُّ الناس عنى مُتمماً بخير الجزاء ؛ ما أعت وأمجداً
 كأني غداة الصمدي حين دعوته تفرغتُ حصناً لا يرأمُ ممرّداً
 أُجبرتُ به أبتاؤنا ودماؤنا وشارك في إطلاقتنا وتفرّداً
 أبا نهشل إني لكم غيرُ كافر ولا جاعل من دونك المال مؤصداً (٣)

وأسر سويد بن الحوفزان ، وسمد بن فلدحس الشيباني ، فقال عميرة بن طارق :

ألقى على اللوم يأمُ خترماً يكنُ ذلك أدنى للصواب وأكرماً
 ولا تعذليني إن رأيت معاشرأ لهم نعمٌ دثرٌ وإن كنت مُصراً (٤)
 متى ما نكن في الناس نحن وهم معاً نكن منهم أ كسب جُنوباً وأطعماً
 منك الإله إن كرهتِ جماعتنا (٥) بمثل أبي قرطٍ إذا الليل أظلاماً

(١) يريد أنه أفسد ما بينه وبينه ، وهذا مثل ضربه لأن السهم لا يصلح إلا بقوه ، وفاق السهم إذا انكسر فوجه يقول : لا يطعمن الخمر إن هو أضعداً (٢) الصرب : النصيب ، يقول إذا رووا سقوا أسراماً شرباً قليلاً (٣) في رواية : سرمداً (٤) الدثر : الكثير . والمصرم : صاحب الصرمة ، وهي القطعة من الإبل (٥) منك الإله : مثل بلاك لفته به ، وأبو قرط هذا رجل بخيل كثير المال .

إذا ما رأى ذوداً ضنَّين^(١) لما جزه
 يسوق الفراء^(٢) لا يُحسِّن غيره
 فدع ذا ولكن غيره قد أعتى
 فلا تأمرني يا ابن أسماء بالي
 بأن تمترُوا قومي وأجلس فيكم
 ولما رأيتُ القوم جدَّ نفيرهم
 وأعرض عني فعتب^(٣) وكأنا
 فكأفت ما عندي من المم^(٤) ناقتي
 فرت بجانب الزور^(٥) تمت أصبحت
 كأن يديها إن أجدت نجاؤها
 ترائي^(٦) الذين حولها وهي لهم^(٧)
 ومرت على وحشيتها وتذكرت
 فقامت عليه واستقر^(٨) قرورها
 لثيم تصدَّى وجهه حيث يمما
 كفيفحا ولا جارا كريما ولا أبنما
 أمير^(٩) أراد أن ألام وأشما
 نُجبر^(١٠) الفتى ذا الطم أن يتكلما
 وأجمل^(١١) علمي ظن غيب^(١٢) مرجما
 دعوت^(١٣) نجبي محزنا والثلما^(١٤)
 يرى أهل أود^(١٥) من صداء وسلهما^(١٦)
 مخافة يوم^(١٧) أن ألام وأندما
 وقد جاوزت بالأقحوانيات مخرما
 يدا ممول^(١٨) خرقاء تسعد^(١٩) مأتما
 رخي^(٢٠)، ولا تبكي لشجو فتئلما^(٢١)
 نصيا^(٢٢) وماء من عيبة^(٢٣) أسحما^(٢٤)
 من الأين^(٢٥) والسكراء في آل أزنما^(٢٦)

(١) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر ، وضنن : أنسلن ، والضمن : النسل (٢) الفراء :
 ابل كانت له تدعى بهذا الاسم ، أي لا يحسن ضيفا من ألبانها أي لا يفرج منها غيره .
 والكفج : الذي يأتيك فجأة (٣) الإجراء : أن يشق لسان الفصيل إذا أرادوا نظامه
 لثلا يرضع . وذو الطم : ذو الحزم والمقل (٤) هذان رجلان من البراجم ، وكانا في بني
 عجل ، فلما أراد أبحر الفوز شاورهما يستمين برأيهما (٥) فقتب : رجل من البراجم ،
 وكان من شاوره فلم يفر عليه بخير ، وأهل أود : بنو يربوع ، وصداء في بلعارت بن كعب ،
 وم إخوتهم وعددهم فيهم ، وسلهم من خنم ، وسلهم في مذحج أيضاً (٦) في رواية :
 ترائي اللواتي (٧) يروي : بالها (٨) أراد تألم من الألم ، وهي لفته (٩) عيبة :
 ماء لبني قيس يظن فليج ، والنصي : نبت (١٠) قرورها وقرارها واحد ، وأزمن : ابن
 حيد بن ثعلبة بن يربوع .

سَأَجْشِمُهُمَا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَمَزَّهُمْ عدو من المومنين والأمر مُعْظِمًا
حَلَفْتُ فَلَمْ تَأْتُمْ عِيبِي لِأَنْتَ أَرَنْ عَدِيًّا وَنُعْمَانَ بْنَ قَيْلٍ وَأَيْهَمًا^(١)
وَبَرَّتْ عِيبِي إِنْ رَأَيْتَ ابْنَ فَلَحَسْ يُجْرُّ كَأَجْرٍ وَهَدَى^(٢) ابْنَ أَسْرَمَا
فَأَفَلْتُ بِسَطَامٍ جَرِيضًا بِنَفْسِهِ وَغَادِرِنِ فِي كَرَشَاءَ لِدُنَا مُعْوَمًا^(٣)
أُمَّمَّ أَخَذَتْ بِمَدِّ ذَاكَ تَلْوَمُنِي مَسَائِلَ ذَوِي الْأَحْلَامِ مَنْ كَانَ أَظْلَمًا^(٤)

(١) هؤلاء قوم من بني يربوع قتلهم بنو شيبان يوم مليحة (١) الهدى : الجار هينا ،
والهدى : العروس ، والهدى : الشىء يهدى (٢) جرض بريفة : غصن به وذلك إذا كان بأخر
رمى - كرشاء : رجل (٤) ارجع لى القائض ، فلعيرة فيها قصبدة أخرى .

٦- يَوْمُ الْإِسَادِ

كانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس ، فكانوا يُجبرونهم ويُجهزُونهم ، فأقبلوا من عند عامل عَيْن^(١) التمر في ثلاثمائة فارس متساندين ، يتوقعون أمجاداً بنى يربوع^(٢) في الحزن^(٣) ، وكان يتشتون خفافاً^(٤) ، فإذا كان انقطاع الشتاء أمهدروا إلى الحزن ، فاحتمل بنو عتبية وبنو عبّيد وبنو زبيد من بنى سليط أول الحى حتى أسهلوا بيطن مليحة^(٥) ، فطالمت بنو زبيد في الحزن حتى حلوا الحديقة^(٦) بالأفاقة ، وحلّت بنو عتبية وبنو عبّيد روضة التمد^(٧) ، ويقبل جيش بكر حتى ينزلوا الهضبة هضبة الخصى^(٨) .

ثم بعثوا ربيّتهم فأشرف الخصى وهو في قلّة الحزن ، فرأى السواد في الحديقة ، وتعرّأ بل فيها غلام شاب من بنى عبّيد بالجيش ، فمرفه بسطام بن قيس^(٩) - وكان

• لبنى يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وإياد موضع بالحزن لبنى يربوع ، بين الكوفة وفيد . وسى أيضاً يوم المطال ويوم الإفافة ويوم مليحة ويوم أعشاش ، وإنما سمي يوم المطال لأنه تماثل على الرياسة بسطام وهاني بن قبيصة ومفروق بن عمرو في هذا اليوم (انظر التلطيح آخر اليوم)

شعراء النصرانية من ٢٥٩ ، القفاض من ٥٨٠ (طبع أوروبا) ، المقد القريد من ٣٣٧ ج ٣ ابن الأثير من ٣٧٣ ج ١

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غرب الكوفة (٢) بنو يربوع : بطن من تميم ومن قبائلهم ثعلبة وعمر والحارث وجبير ، ويقبون الأحمال ، وأهمهم النساء بنت فهم (٣) الحزن : موضع لبنى يربوع كانت تبرع فيه ، وهو من أجل مراعى العرب (٤) في القفاض جفاً وعبارة ممج ما استعجم : يتشتون خفافاً فإذا انقطع الشتاء أسهلوا بنجفة مليحة ، وبالحديقة من الأفافة وبروضة التمد

(٥) مليحة : موضع في بلاد بني تميم (٦) الحديقة : موضع في قلّة الحزن ، والإفافة ماء لبنى يربوع (٧) روضة التمد : في بطن مليحة (٨) الخصى : موضع لبنى يربوع (٩) بسطام بن قيس : فارس بكر ، وأحد من أوفده النان على كسرى .

قد عرف عامة غلمان بني ثعلبة حين أمره عتيبة بن الحارث بن شهاب^(١)، فقال له بسطام: إيه، أخبرني خبر حياك؛ أين هم من السواد الذي بالحديقة؟ قال: هم بنو زيد. قال: أفهم أسيد بن حنأة قال: نعم. قال: كم هم من بيت؟ قال: خمسون بيتا. قال: فأين بنو عتيبة؟ قال: نزلوا روضة التمد. قال: فأين سائر الناس قال: محتجزون بجفان^(٢).

فقال بسطام لقومه: أظلموني؟ أرى لكم أن تملوا على هذا الحى الحر يد^(٣) من بني زبيد؛ فتصبحوا غداً غانمين سالمين. فقالوا: وما يعني بنو زبيد عنا؟ لا يردون رحلتنا قال: إن السلامة إحدى النسيمن. قالوا: إن عتيبة بن الحارث بن شهاب^(٤) قد مات. وقال مفروق بن عمرو: قد انتفع سحرك^(٥) يا أبا الصباء! وقال هاني بن قبيصة: أجبنا!

فقال لهم: إن أسيد بن حنأة لم يكن يظله بيت شاتياً ولا قاطناً، بيت القفر لا يفارق فرسه الشقراء^(٦)، فإذا أحسَّ بكم علاها فركض، حتى يشرف مليحة، فينادي يال يربوع! فيركب فيتلقأكم طمن يُنسيكم النيمة، ولم يُبصر أحد مَصْرَع صاحبه، وقد جبنتموني، فأنا نابكم، ثم قال لهم: وستملون ما أنتم ملأقون غداً. قالوا نُقيل فننلقط بنو زيد، ثم بنو عبيد وبني عتيبة كما تُنلقط الكمأة، ونبعت فارسين، فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه وبين يربوع.

فبعثوا فارسين، فوقفوا في ليلة أضحيان^(٧)، حيث أمرا، فلما أحست الشقراء بوئيد الخليل^(٨)، وقد أغاروا ثم أقبلوا، بحثت بيدها، فقال^(٩) أسيد في منبها،

(١) كان عتيبة قد أسر بسطاماً يوم الفيض، ثم فدى نفسه منه (٢) جفان، وتسمى جفان الطير: أرض لأسد وحنظلة واسعة فيها أما كن يكون فيها الطير (٣) النحى (٤) هو الذي كان أسر بسطاماً، وقال هنا سخرية بسطام (٥) انتفع سحرك: أى رثك، يقال ذلك للبيان (٦) اسم فرسه (٧) بكسر الهمزة ووضوحها: مقمرة (٨) بوقع حوافرها (٩) حال في ظهر دابته حولا وأحال: وثب واستوى على ظهره، قال في اللسان: وكلام الرب حال على ظهره، وأجال في ظهره

فابتدأه الفارسان ، فطنه أحدهما ، فألقى نفسه في شِقْرٍ فأخطاه ، ثم كرّ راجعا ،
حتى أشرف على مُليحة ، فنادى : يا سوء صباحاه ، يا آل يربوع !
قال وديمة بن أوس : فكأنى أنظر إلى ضوء الفجر بين منسج^(١) الشقراء
واسنّه ، فلم يتودّع^(٢) من أهل مُليحة أحد .

فلم يرتفع الضحاح حتى تلاحقوا بقبيط الفردوس ، فقال أسيد : « لبث قليلا
تلحق الحلاببُ » فقال : بسطام : « صباحُ سوءٍ لكمُ النواعبُ » .

وبدأت على ممدان وأخيه قمنب ابني عصمة ، والأحيمر ، ونهيك ، وعفان ،
ووديمة ، ودراج ، وعُمارة ، والحليس ، خيولهم ، فركبوا آخر الناس ، فلم يأخذوا
مأخذ مالك بن نُيرة ، وصرد بن ججرة ، وقمنب بن سمير ، وجزء بن سعد ، على
الأفاقة ؛ فلما ظلموا على الثنية رأوا أم درداء السليبية عُرانة تمدو ، فألقى قمنب بن
عصمة عصابة كانت فوق بيئته^(٣) عليها ، وهو على فرسه البيضاء^(٤) وقال :
ارفعوا خيولكم : فالتقى الدين أخذوا بطن الأفاقة والحديقة ، والذين جاؤا من
الثنية ، فعرف بسطام الأحيمر ؛ فقال لأحيمر : أنت هو ؟ قال : نعم . قال : لقد عهدتكَ
بطلا محذودا^(٥) ، وإنى لأنفسك^(٦) على الموت ؛ فأعطى بيدك لا تقتل . فقال :
أبعد يُجَيِّر ومالك بن حيطان تُوبسى^(٧) على الحياة ، وكان الأحيمر لم يطمئن برمح
قط إلا اكسر ؛ فلما أهوى ليطمئنه وأى بسطام فانهزم ، وقتلت نعيم جماعة من
فرسان بكر ، وأسر جماعة^(٨) ، منهم هاني بن قبيصة ففدى نفسه ونجا .

(١) منسج العنابة : ما بين العرف وموضع البد (٢) تودع القوم : ودع بعضهم بعضاً
(٣) البيضة : الحديد (٤) في القاموس : فرس قمنب بن عتاب (٥) رجل محذود
عن الخير : مصروف ، قال الأزهرى : المحذود : المحروم (٦) همت عليه الفراء أنه
نفاة : إذا ضنت به ولم تحب أن يصل إليه (٧) تحرضى (٨) راجع أسماء بعض
القتلى والأسرى نقاشن ص ٨٣

وَأَلَحَّ عَلَى بَسْطَامِ فَرَسَانَ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ ، وَكَانَ دَارِعًا^(١) ، وَهُوَ عَلَى ذَاتِ النَّسُوعِ^(٢) ، فَكَانَتْ إِذَا أُجِدَّتْ^(٣) لَمْ يَتَمَلَّقْ بِهَا شَيْءٌ مِنْ خِيْلِهِمْ ، فَإِذَا أَوْعَتْ^(٤) كَادُوا يَلْحَقُونَهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَسْطَامٌ نَثَلَ دِرْعَهُ^(٥) ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَرَبِ بَوْسِ^(٦) السَّرِجِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَرَى بِهَا ، وَخَافَ أَنْ يُلْحَقَ فِي الْوَعْتِ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَيْدَنَهُ وَدَيْدَنَ الْقَوْمِ حَتَّى حَمَيْتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ وَخَافَ اللَّحَاقَ ، فَرَبَّوْا جَارَ^(٧) ضَبْعٍ فَرَمَى بِالدَّرْعِ فِيهِ ، فَذَرَتْ بَعْضُهَا بَعْضًا ، حَتَّى غَابَتْ فِي الْوَجَارِ ، فَلَمَّا خَفَّ عَنِ الْفَرَسِ امْتَنَطَتْ^(٨) فَغَاتِ الْطَلَبِ ، فَكَانَ آخِرَ مَنْ أَتَى قَوْمَهُ بَعْدَ مَا ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ .

فَقَالَ مَتَمُّ بْنُ نُؤَيْرَةَ فِي أُسَيْدِ بْنِ حِنَاءَةَ :

لِعَمْرِي لِنِعْمِ الْخَيْءِ أُسْمَعُ غُدُوَّةَ أُسَيْدٍ وَقَدْ جَدَّ الصَّرَاخَ الْمُصَدِّقُ
فَأَسْمَعُ فِتْيَانًا كَجِنَّةٍ عَبَقِرٍ^(٩) لَهْمُ رَيْقٍ عِنْدَ الطَّمَانِ وَمَصَدَّقِ
أَخَذَنَ بِهِ جَنْبِي أَفَاقَ وَبَطْنَهَا فَمَارِجُوا حَتَّى أَرْقُوا^(١٠) وَأَعْتَقُوا

وَقَالَ الْعَوَّامُ الشَّيْبَانِيُّ فِي بَسْطَامٍ وَأَصْحَابِهِ :

إِنْ يَكُ فِي يَوْمِ النَّبِيْطِ مَلَامَةٌ فَيَوْمَ الْمُظَالِي كَانَ أَخْزَى وَالْوَمَا^(١١)
أَنَاخُوا يَرِيدُونَ الصَّبَاحَ فَصَبَّحُوا وَكَانُوا عَلَى الْغَازِرِينَ دَعْوَةَ أَشَامَا

- (١) يقال : رجل دارع ، إذا كان عليه درع (٢) ذات النسوع : فرس بسطام
(٣) أجبت : سلكت الطريق الوعر (٤) أوعت : صارت في الطريق السهل
(٥) نثل درعه : ألقاها عنه (٦) قربوس السرج : حنوه (٧) الوجار : جعر
من جعرة الضب (٨) امتنطت وأسرعت لا تلوى على شيء (٩) عبقر : موضع بالبادية
كثير الجن يقال في المثل : كأنهم جن عبقر (١٠) استرق وأرق : تھيس أعتقه .
(١١) رواية اللسان - مادة غبط وعطل : فإن تك في يوم المظالي ملامة فيوم النبيط كان أخزى وألوما

فردتم ولم تلؤوا على مجحريككم^(١) لو الحارث الحراب^(٢) يدعى لأقدا
وما يجمعُ الفزؤُ السريعُ نفيهُ وإن نحرموا يوم اللقاء القنا الدما
ولو أن بسطاماً أطيع بأمره لأدى إلى الأحياء بالنحو مَنمنا
ولكن مفروق القنا وابن خاله ألاما فليما يومَ ذاك وشوَمَا
فقر أبو الصهباء إذ حمس الوعى وأيقن أن الخليل إن تلتيس به
ولو أنها عصفورة لحسبتُها مُسوَمةٌ تدعو عبيداً وأزناماً
أبي لك قيـدٌ بالغبيط لقاءهم ويومُ المظالي إذ نجوت مكلماً
فأقلت بسطام جريصاً بنفسه وغادرن في كرشاء لَدنا مَقوماً^(٤)

(١) الجحر : الضطر اللبأ (٢) جاء في تعليق على المختص صفحة ٢٠٢ جزء ١٥ ؟
سمي هذا اليوم يوم المظالي لأن بسطام بن قيس وهاني بن قبيصة وتفروق بن عمرو الشيبانيين حين
خرجوا غازين بن تميم تماثلوا على الرياسة ، وقد أخطأ شارح القاموس الزبيدي إذ عد مع هؤلاء
الثلاثة رابعاً قال إنه الحوفزان ، وذلك لا أصل له لأن الحوفزان قد مات قبل هذه الغزوة بزمان ،
ومصدق ذلك قول العوام بن شاذب الشيباني يهجو قومه ، وقد أسرته بنو يربوع يوم المظالي
لقد فر قوم عنه :

فردتم ولم تلؤوا على مرهقكم لو الحارث المقدم فيها لأقدا
والحارث المقدم هو الحوفزان ، وأخطأ أيضاً في تهوله على الزخمرى في أساسه : إن تيمما هزرت
بكر بن وائل ، والحق أن تيمما مغزون لا غازون ، والحق في الأساس : يوم تميم على بكر بن وائل ،
وأخطأ أيضاً كخطأ الميناني في رواية بيت العوام المذكور :

إن تك في يوم الفيظ ملامة فيوم المظالي كان أخزى وأوما
قدما التأخر وأخرا التقدم ، (وقد روى هذا البيت في اللسان كما تقدم في صفحة ١٩٤ حاشية
رقم ٢) وأخطأ السيوطي في شرح شواهد المعنى فنسب شعر العوام المذكور لى جرير .
هذا هو التعليق مع أن صاحب اللسان والنقائض يقولان : إن الحوفزان كان من التماثلين - راجع
اللسان مادة عطل ، والنقائض ٥٨٠ (٣) البدن : العرع والجمع أبدان (٤) تقدم هذا
البيت لسيرة بن طارق .

وقاطنا أسيراً هانئاً، وكانمنا مفارق مفروقٍ تفشّينَ عندمنا^(١)
وقال :

فبجّ الإله عصابةً من وائل يوم الأفاقة أسلموا بسطاماً
ورأى أبو الصهباء دون سوامهم قرّاً كما يسلى نفسه وزحاماً
كنتم أسوداً في الرخا فوجدتم يوم الأفاقة بالنبيط نعاماً
فلما ألح الموام في ذلك أخذ بسطام إبله فقالت أمه :

أرى كل ذي شئير أصاب بشمروه سوى أن عواماً بما قال عيلاً^(٢)
فلا تنطقن شمراً يكون جواره كما شمّر عوام أعام^(٣) وأرجلا

(١) الندم : شجر أحر ، وقال الأصمى : هو صبيح ، زعم أهل البحرين أن جوارهم يختصن به
(٢) عيل : صيرم عيلاً : قراء . (٣) أعام القوم : هلكت لإبلهم فلم يجدوا لبناً .

٧- يوم الغبيط

غزا بسطام بن قيس الشيباني والحارث بن شريك- الحوفزان، ومفروق بن عمرو، في جمع من بني شيبان بلاد بني تميم، فأغاروا على بني قعلبة بن يربوع، وقعلبة بن سعد بن ضبة، وقعلبة بن عدى بن فزارة، وقعلبة بن سعد بن ذبيان، وكانوا متجاورين بصحراء فلج^(١)، فاقتلوا؛ فهزمت الثعالب، وأصابوا فيهم، واستاقوا إبلا من نعمهم، ثم امترؤا^(٢) على بني مالك^(٣)، وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة، فاكنتسحوا إبلهم، فركبت عليهم بنو مالك، يقدمهم عتيبة بن الحارث اليربوعي، وفرسان بني يربوع تأفف^(٤) الشيبانيين، ومعه من رؤساء تميم: الأحمير بن عبدالله، وأسيد بن حناة، وأبو مَرْحَب، وجزء بن سعد الرياحي، وربيع والحليسي ومحمارة بنو عتيبة بن الحارث، ومالك بن نورة وغيرهم، فأدركوهم بغبيط المدرة؛ فقاتلهم حتى هزموهم، وأخذوا ما كانوا استاقوا من آبالهم^(٥) وانهمزوا، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ثعلبه بن الحارث، وألح عتيبة بن الحارث، وأسيد بن حناة، والأحمير ابن عبدالله على بسطام بن قيس، وكان أسيد أدنى إلى بسطام من الرجلين، فوَقمت يد فرسه في ثبرة^(٦)، وتقدم بسطام وجمل يلتفت هل يرى عتيبة؟ وقد صار في

* لشيبان (من ربيعة) على يربوع (من تميم)، والنبيط، وسمى غبيط المدرة: أرض لبني يربوع، وسمى هذا اليوم أيضا يوم الثعالب، ويوم أعشاش، ويوم صحراء فلج

النقائض ص ٧٥، ١١٣٢، طبع أوروبا، ابن الأثير ص ٣٦٥ ج ١، المقفد القرط ص ٣٣٨ ج ٣

(١) واد لبني العنبر بن عمرو بن تميم، يقع أول الدهناء (٢) اقتلوا من الروا

(٣) م بنو مالك بن زيد مناة بن تميم (٤) تأفف: يريد تتبعهم وتحوطهم مثل تأفف

الأناف الرماذ (٥) آبال ولابل بمعنى واحد (٦) هي الوعدة تكون في الأرض كالخفرة.

أفواه^(١) الغُبط ، فلحق عتيبةً بسطامًا ، فقال له : استأسِرْ يا أبا الصَّهباء . فقال له :
ومن أنتَ ؟ قال : أنا عتيبة ، وأنا خير لك من الفلّاة والمطش ؛ فاستأسر .
أما الأحيمر بن عبد الله فإنه كان محدوداً^(٢) ، فكان فارساً ذا بأسٍ شديد ، ولا
حفظَ له في ظفر .

ولما أسر عتيبة بسطامًا نادى بنو شديانٍ بجادا - أخوا بسطام - كركراً على أخيك ،
وهم يرجون إذا أبتسوه^(٣) أن يكرراً فيأسروه ؛ فنادى بسطام أخاه إن كررتَ يا جاد
فأنا حنيف - وكان نصرانياً - فلحق بجادا بقومه .

فقال بنو ثعلبة : يا أبا حرزة - عتيبة - إن أبا مَرَّحَب قد قُتِل ، وقد أسرتَ
بسطامًا ، وهو قاتلُ بليلٍ وبجيرِ ابني أبي مليل ، ومالك بن حِطَّان يوم قُشاوة فاقته .
قال : إني مُميل ، وأنا أحبُّ اللبَن^(٤) . قالوا : إنك لتُفاديه وتُحلى عنه فيعود
فيحربُنا^(٥) ، فأبى . فقال بسطام : باعتيبة ؛ إن بني عبيدٍ أكثر من بني جعفر وأعز ،
وقد قتل أبو مَرَّحَب ، وله في بني عبيدٍ أثرٌ بثيس^(٦) ، وهم آخذى منك ، ولن تقدر
بنو جعفر على أن يمنوني منهم ، وأنا ممطيك من المال عائرة عَيْنَيْن^(٧) ؛ فقال : لا جرم !
والله لأضعنك في أعزِّ بيتين من مُصرَ : في بني جعفر بن كلاب ، أو في بني عمرو
ابن جندب ؛ فاختر بسطام بن جعفر ، فتحتمل عتيبة بأهله وبه قاصداً بنى عامر بن
صمصمة ، لثلاثاً يؤخذ فيقتل^(٨) حتى لحق بالشرية^(٩) ببني جعفر فنزل به .

(١) هي مسايل الميابه (٢) المحدود : المنوع من الخير (٣) الأبس والتأبيس :
أن يبروه حتى يضرب فيألف من التعير فيرجع فيؤسر (٤) اللين : جمع لبونة ، وهي الناقة ذات
اللين (٥) يحربنا : مثل يطلبنا يأخذ أموالنا ويتركنا بلا شيء (٦) بثيس : شديد
(٧) يقال أعطاه من المال عائرة عينين : أي ما يذهب فيه البصر مرة هنا ومرة هنا ، فغائر
العين : ما يعلوها من المال حتى كاد يوررها (٨) إنما قصد بنى عامر لأن عمته خولة بنت شهاب
كانت متروجة فيهم (٩) يقال لكل نعيضة من الشجر شربة ، وجعفر بطن في عامر .

فلما توسَّط بسطام بيوت بني جعفر قال : واشيباناه ! ولا شيبان لي ! فبعث إليه عامرُ بن الطفيل إن استطعت أن تلجأَ إلى قُبتي فافعل ، فإنني سأمنعك ، وإن لم تستطع فاقذف بنفسك إلى الرَّكبي^(١) التي خلف بيوتنا .

فأتت أمَّ حمَل^(٢) عتيبة ، فخبَّرتَه بما كان من أمر عامر ، فأمر عتيبة بيته فقوَّض وركب فرسه ، وأخذ سلاحه ، ثم أتى مجلس بني جعفر ، وفيه عامر بن الطفيل ، فغياهم ، ثم قال : يا عامر ؛ إنه قد بلغني الذي أرسلتَ به إلي بسطام ، فأنا مُحَيَّرُك فيه خِصالاً ؛ فاخترَ أيتهنَّ شئتَ . قال عامر : ما هنَّ يا أبا حُرْزة ؟ قال : إن شئتَ فأعطني خِلمتك^(٣) وخِلمةَ أهل بيتك حتى أطلقه لك ؛ فليست خِلمتك وخِلمة أهل بيتك بشرٍّ من خِلمته وخِلمة أهل بيته ، فقال عامر : هذا ما لا سبيلَ إليه . فقال عتيبة : فضغَّ رِجلك مكان رِجله فليستَ عندي بشرٍّ منه . فقال عامر : ما كنتُ لأفعل . فقال عتيبة : فأخرى هي أهونهن . فقال عامر : ما هي ؟ قال عتيبة : تبغني إذا أنا جاوزتُ هذه الراية فتقارِعي عن الموت ، فأما لي وإِما على . فقال عامر : تيك أبغضهنَّ إلى .

فانصرف عتيبة إلى عمرو بن جندب ؛ فإنه لقي بعض الطريق إذ فطر بسطام إلى مركب أم عتيبة فقال : يا عتيبة ؛ أهذا مركبُ أمك ؟ قال : نعم . قال : ما رأيتُ كالْيَوْم قطَّ مركبَ أمِّ سيِّدٍ مثل هذا ! إن حدج^(٤) أمك لرتَّ ! قال عتيبة : ألك إرث ؟ قال : نعم . قال عتيبة : أما والللات والمُزَي ؛ لا أطلقك حتى تأتيني أمك بكل شيءٍ ورثك قيس^(٥) بن مسمود ويجمَلها وحِذجها^(٦) .

(١) الركن : جمع ركة ، وهي البئر (٢) هي تابعة كانت له من الجن (٣) هي بخِلمته ماله يتخلع عنه (٤) الحدج : مركب من مراكب النساء (٥) والد بسطام (٦) كان حدج أم بسطام كبيراً فآثمن كثير ، وهذا الذي أراد بسطام ليرض فيه فلا يقتله .

فأنته أمٌ بسطام على جملها وحَدِجها وبثلاثمائة بعير^(١) ، وفدى نفسه بها على أن
يجزَّ ناصيته ويُمَاهده ألا ينزو بني شهاب^(٢) ، فقال عتيبة في أسره :

أبلغ سراة بني شيبان ما لكَ
إن نُحْرِزُوه بذي قارٍ فذاقنهُ^(٤)
أنى أبأتُ^(٣) بعبدِ اللهِ بسطاماً
قد هبطتُ به يدياً وأعلاماً
قَاطَ^(٥) الشَّرْبَةَ في قيْدٍ وسلسلَةٍ
صوتُ الحديدِ يُغْنِيه إذا قاما

(١) لم يكن عربي أغلى من بسطام قداء (٢) بنو شهاب قوم عتيبة ، قال في ابن الأثير :
لما خلا بسطام من الأسر أذكى الميون على عتيبة وإبانه ففادت إليه عيونته فأخبروه أنها على أراب ،
فأغار عليها وأخذ الإبل كلها ، وما لهم معها (٣) أبأت من البواء : وهو أن يقتل الرجل
بين قتل (٤) ذو قار وذائقته : موضحان (٥) قاط بموضع كذا : أقام زمن الفيظ فيه .

٨- يَوْمُ قِشَاوَةَ

خرج بسطام بن قيس غازياً لبنى يربوع، حتى اطرَدَ نَعْمًا لرجلين من بنى سليط^(١)،
بقال لأحدهما سُمَيْرٌ وللآخر حُجَيْرٌ، وهما من بنى يربوع، فأتى الصريخ^(٢) بنى
عاصم بن عبيد بن ثعلبة - وكانوا أدنى الناس منهم .
فركب سبعة فوارس من بنى عاصم فيهم بُجَيْرٌ بن عبد الله، ومليل بن عبد الله،
والأحيمر - حرث بن عبد الله، ومالك بن حطَّان بن عوف؛ وخرج معهم قومٌ من
بنى سليط، حتى أدركوا القوم .

فلما نظروا إلى جيشِ بسطام هابوا أن يُقدِّموا عليهم، فقال مُلَيْلٌ بن أبي مليل:
يا بنى يربوع؛ إنه لا طاقةَ لكم بهذا الجيشِ إلا بِمِثْلِهِ، فأرسلوا بجيرا يَسْتَضْرَخُ
لكم - وإنما أمرهم بذلك مخافةً عليه أن يُقتل؛ فقال بجير: لا والله لا ذهبتُ
صريحاً بمد أن عاينتُ القومَ . فلما غلبه قال لابن عمه: اذهب أنت يا أَحْيِمِرُ! فقال:
لا، والله لا أذهب، فقال لمالك بن حطَّان: فاذهب أنت صريحاً. فقال: وأنا لا أذهب.
فقال لهم مُلَيْلٌ بن أبي مليل: فأعطوني قولاً أثق به وأطمئن إليه؛ لتَضْمِطُنَّ لى أنفسكم،
ولا تُقدِّموا على الجيشِ حتى آتيتكم؛ ففعلوا .

وذهب مُلَيْلٌ صريحاً، فلما سار نظر إليه بسطام فقال لأصحابه: ذلك الذى يركض
سَيَجْلِبُ عليكم شراً، فانظروا أن تفرَّغوا من أصحابه قبل أن يأتيتكم الناسُ؛

* لثيبان (من بكر) على يربوع (من تيم) وقشاوة: موضع قال عنه ياقوت: كانت به وقعة
لبنى شيبان على يربوع، وهو يوم نعت قشاوة .

معجم البلدان ص ٩٢ ج ٧، النفاث ص ١٩ طبع أوربا، ابن الأثير ص ٣٦٤ ج ١

(١) سليط: فى يربوع (٢) الصريخ: المستغيث .

فبرز بسطام في فرسانٍ من أصحابه ، حتى دنا من القوم ، فكلمه بجير ، فقال له بسطام : من أنت ؟ قال : أنا بجير بن عبد الله بن الحارث . فقال : يا بجير ؛ ألم تكن تزعم أنك فتى يربوع وفارسها ؟ قال : بلى ! وأنا الآن أزعمه ، فابرز لي ؛ فأبى أن يبرز له بسطام ، وقال : ما أظن نسوة بني يربوع يظنن بك هذا الظن وأنت تُحجِم عن الكتبية حين رأيتها ، ثم قال لصاحبيه أحيمر ومالك مثل ذلك .

فلم يزل يشحذهم ويحفّضهم كيداً منه وخديمة حتى حملوا على أفراسهم وسط القوم ؛ فأما بجير فلقبه الملبّد بن مسعود - عم بسطام - فاعتنق كُرّاً واحداً منهما صاحبه ، فوقما إلى الأرض عكمتي^(١) عير ؛ فاعتلاه بجير . فلما خشى الملبّد أن يظهر عليه بجير نادى رجلاً من بني شيان يقال له لقيم بن أوس : يا لقيم ؛ أغثنى ، فقد قتلتني اليربوعي ؛ فقال إليه لقيم فضربه على رأسه فقتله . وخرق أحيمر بالقنا ، وترك مطروحاً ، فظنوا أنهم قد قتلوه . وضرب مالك بن حطان فأمّ فماش مأموماً^(٢) سنة ، ثم مات من آتته ، وانهمزت بنو سليط .

فلما انهزموا قال بسطام : يا بني شيان ؛ أيسرّكم أن تأمروا أبامليل ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه أول فارس يطلع عليكم الساعة ؛ أتاه مليل فأخبره خبرنا ، وخبر ابنه ، فلم ينتظر الناس ؛ فليتحلف معي منكم فوارس فإنكم ستجدونه مكباً على بجير حين عابن جيفته .

فكمن له بسطام في عشرة فوارس قريباً من مصرع أصحابه ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى طلع عليهم على فرسه بأماء .

فلما عابن بجيراً نزل فأكب على جيفته يُقبّله ويمتصّنه ؛ وأقبل بسطام ومن

(١) يقال : وقع المصطرعان عكمتي عير ، وكعكمتي عير ، وقامعالم بصرع أحدهما صاحبه

(٢) للمؤوم : التي أصيب في أم رأسه ، وأم الرأس : الصماغ ، أو الجلدة الرقيقة التي عليها .

كان معه يركضون ، حتى أتوه ، فوجدوه مكباً عليه ، وبلماً يملك لجأته واقفاً ، فأسروه وأخذوا فرسه .

فلما صار في يدي بسطام قال : يا أبا مليل ؛ إني لم آخذك لأقتلك . قال : قد قتلت ابني ، ووددت أني مكانه ، أما إن طعامك علي حرام ما دمت في يدك ، فكان أبو مليل يؤتى بالطعام فيبيت يطرد عنه الكلاب مخافة أن تأكله ، فيظنوا أنه أكله هو ، حتى جهد ؛ فلما رأوا جهده قال بشر بن قيس لأخيه بسطام : إني لا آمن أن يموت أسيرك. هذا في يديك هزلاً^(١) ، فتسبك به العرب ، فيبته نفسه .

فأناه ، وهو مجهود ، فقال له : يا أبا مليل ؛ أتشتري مني نفسك ؛ قال أبو مليل : نعم . قال : بكم ؛ قال أبو مليل : بمائة من الإبل ، فإن لك مائة بدم بجير ، قال : تلاميذي أحب من تلاك والدم لك . فحاضني أذهب ، ففخلاه بسطام بغير فداء ، وأخلفه الا يقب^(٢) ، وألاً يتبمه بدم ابنه بجير ، ولا يفيسه عائلة ، ولا يدل له على عورة ، ولا يُنبر عليه ولا على قومه ، وعاهده على ذلك ، ثم جز ناصيته ، فرجع إلى قومه ، وأراد الغدر ببسطام ، ولما علم بسطام خذره .

فلما أتى قومه أخبرهم خبره ، فقال متم^(٣) بن نيرة :

أبلغ أبا قيس إذا ما لقيته نامة أدنى داره فظلم
بأننا ذوو جد وأن قبيلكم بني خالد لو تملون كريم
وأن الذي آلى لكم في بيوتكم بمقسمة لو تعلمون أنيم^(٤)

(١) المزل : المزال (٢) أي لا يزوم ثانية (٣) مالك بن نيرة في رواية مسجم البهان (٤) إن الذي حلف ألا يقب عليكم سيحت ، ولا بد أن يزومك ثانية .

هو الفاجع النسي سراً صديقه وذو طَلَبٍ يوم اللقاء غَسوم
فَهَجُمُ أَيْمَانًا وَنُبْكَى نُسَيْتَةً يَنْسَوْنَا يَوْمًا لَهْنٌ نَجِيمٌ (١)
كَأَنَّ بُجَيْرًا لَمْ يَقُلْ لِي مَا تَرَى مِنَ الْأَمْرَاءِ يَنْظُرُونَ بُوْجَهَ قَسِيمٍ (٢)
وَلَوْ شِئْتَ نَجَاكَ الْكُمَيْتُ وَلَمْ تَكُنْ كَأَنَّكَ نَصَبٌ لِلرِّجَالِ رَجِيمٌ (٣)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ أَدْرَكَ تُبْعًا وَمَنْ بَمَدَّهِ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمٍ
فِي الْمَبِيدِ حِلْفَةٌ إِنْ خَيْرَ كَمْ بِجُزْرَةَ بَيْنَ الْوَعَسَتَيْنِ مُقِيمٍ (٤)
غَدْرْتُمْ وَلَمْ تَرْتَبِعْ عَلَيْهِ رِكَابُكُمْ كَأَنَّكُمْ لَمْ تُفَجِّعُوا بِعَظِيمٍ
وَكَنتُ كَذَاتِ الْبُورِيْمَتِ فَرَجَعْتُ وَهَلْ تَنْفَعَنَّهَا نَظْرَةٌ وَنَسِيمٌ (٥)
أَطَافَتْ فَسَافَتْ (٦) عَادَتْ فَرَجَعْتُ أَلَا لَيْسَ عَنْهَا سَجْرُهَا بِصَرِيمٍ

وقال مالك بن حطان - وهو في المركة قبل أن يموت :

لعمري لقد أقدمتُ مُقَدِّمُ حَارِدٍ وَلَكِنْ أَقْرَانُ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ (٧)
ولو شهدنتني من عبيد عصابة حَمَاءٌ نَلْحَاضُوا الْمَوْتَ حَيْثُ أَنْزَلُ
بكل لذيذٍ لَمْ يَخْنُهُ تِقَافُهُ (٨) وَعَضْبٍ حُسَامٍ أَخْلَصْتَهُ الصِّدَاقُ

(١) النعيم : البكاء والتعيب (٢) هنا البيت مكفأ ، والإكفاء : الإقواء ، والقسيم : الجليل والاسم منه القسامة (٣) الرجيم : الرجوم (٤) أراد عبيد بن ثعلبة بن يربوع وجزرة من أرض الكرمة من بلاد اليمامة ، والوعس من الرمل : اللين الموطوء الذي وعسته السائلة (٥) يقول : كنت كالناقة التي نحر ولدها فجاءت تشمه وترامه ، وهل ينفعها ذلك فكذلك أنا لا أسكن حتى أتأرب به (٦) سافت : شمت ، والسوف : الشم ، وسجرها : خنيها ، يقول : ليس خنيها بمنصرم (٧) الأقران : الأعوان ، الواحد قرن ، والظهر : هو الناصر (٨) التقاف : ما تسوى به الرماح .

وما ذُنُبْنَا أَنَا لَقِينَا قَبِيلَةً إِذَا وَآ كَلَّتْ فُرْسَانُنَا لَا نُؤَاكِلُ
يساقوننا كأسًا من الموت مُرَّةً وَهَرَدَ هَنَا الْمُقْرِفُونَ الْحَنَّاكِلُ (١)
فليت سَمِيرًا كَانَ حَيَضًا بِرِجْلِهَا وَلَيْتَ حُجْبِيرًا غَرَقَتْهُ الْقَوَائِلُ (٢)
وليتهمُ لَمْ يَرْكَبُوا فِي رَكُوبِنَا (٣) وَلَيْتَ سَلِيطًا دُونَهَا كَانَ عَائِلُ
فأبين من هاب النية منكم وَلَا يَبْنَتَا إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ

(١) الحناكل : القصار الأفعال ، الواحد : حنكل ، وعرود : فر (٢) إلامات الصي في
الرحم : قيل غرقته القوائيل (٣) ركوب : جمع ركب . وعائل : واد ييلاد همس .

٩- يَوْمُ زِبَالَةَ

خرج أبو جَمَل أخو بني عمرو^(١) بن حنظلة مغيراً ، ولحقه الأقرع بن حابس وأخوه فراس^(٢) في ناس من تميم ، فرأَسُوا عليهم الأقرع ، فأغاروا على بكر بن وائل ؛ فلقوهم بزُبَالَةَ .

فأما الأقرع وفراس فأسرهما بنو تيم الله^(٣) ، وأما أبو جَمَل فأخذهُ عمران بن مُرة بن هند .

ثم لقي بنو تيم الله بني شيبان^(٤) ، ومعهم بنو رِيَاب ، فانتزع بسطام^(٥) بن قيس رئيس بني شيبان الأقرع وأخاه منهم ، فاختموا فيهما ، فحكّموا عمران بن مُرة ، فحكّم لبني رِيَاب على بسطام بمائة ، وجعل الأسيرين لبسطام .

وافتدى الأقرعان نفسيهما من بسطام ، وعاهداً على إرسال الفداء فأطلقهما ، فبمَدًا ولم يرسلًا شيئًا .

وكان في الأسرى إنسان من بني يربوع ، فسمّيه بسطام بن قيس في الليل يقول .

فَدَى بوالدِي عَلَى شَفِيقَةٍ فَكَأَنَّهَا حَرَضَتْ عَلَى الْأَسْقَامِ^(٦)
لَوْ أَنَّهُا عَلِمَتْ فَيَسْكُنُ جَأَشُهَا أَنِي سَقَطَتْ عَلَى الْفَتَى الْمُنْعَمِ
إِنِ الْبَدَى تَرَجِينَ تَمَّ إِيَابَهُ سَقَطَ الْمَشَاءُ^(٧) بِهِ عَلَى بَسْطَامِ

* لشيبان (من ربيعة) على تميم ، وزبالة : منزل بطريق مكة إلى الكوفة

التقائس ص ٦٨٠ ، ابن الأثير ص ٣٦٦ ج ١ ، شعراء النصرانية ص ٢٩٨

(١) عمرو بن حنظلة من تميم (٢) الأقرع بن حابس وأخوه فراس : شيبان الأقرع بن

وهما من بني مجاشع من تميم (٣) تيم الله : من بكر (٤) شيبان : من بكر أيضاً

(٥) بسطام بن قيس الشيباني : فارس بكر ، وضرب به المثل في القروسية ، يقال : أفرس

من بسطام (٦) أي ذات حرض (لسان - مادة حرض)

(٧) يقال : سقط المشاء به على سرحان : يضرب للرجل يطلب الأمر الثاني فيقع في هلكة ،

وأصله أن دابة طلبت المشاء فهجمت على أسد .

سقط المشاء به على مُتَنَمِّمٍ سَمَحَ اليدين مُعَاوِدِ الإِقْدَامِ
فلما سمع بسطام ذلك منه قال له : وأبيك لا يُخْبِرُ أُمَّكَ عَنْكَ غَيْرُكَ وَأَطْلَقَهُ .
وقال أوس بن حجر^(١) في ذلك :

وَصَبَّحْنَا عَارِ طَوِيلٌ بِنَاؤُهُ نَسُبُ بِهِ مَالِحَ فِي الأَفْقِ كَوَكَبِ
فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بِأَكْيَا وَوَجْهًا تُرَى فِيهِ الكَاآبَةُ تُجْنِبُ
أَصَابُوا البُرُوكَ^(٢) وَابْنُ حَابِسٍ عَنُودٌ فَظَلَّ لَهُمُ بِالقَاعِ يَوْمَ عَصَبَسَبِ
وَإِنْ أَبَا الصَّبَاءِ فِي حَوْمَةِ الوغَى إِذَا مَا أَزُورَتِ الأَبطَالِ لَيْتَ مَجْرَبِ

(١) أوس بن حجر كان شاعر مضر في الجاهلية حتى أسقطه النابغة وزهير فأصبح شاعر بني تميم.
(٢) البروك والبرك جمع برك ، والبرك : جماعة الإبل البركة .

١- يَوْمِ مَبَايِضَ

كان الفُرسان إذا كانت أيامُ عُكاظ في الشهر الحرام ، وأمين بمضئهم بمضاً ، قَنَعُوا حتى لا يُعرَفُوا، وكان طَريف بن تميم العنبري رجلاً جسيماً ، وهو فارسُ قومه لا يتمنع كما يتمنون ؛ فوافى عُكاظ (١) . وكان قد قتلَ شَراحيلَ (٢) الشيباني ؛ وجاء حصيصة (٣) بن شراحيل - وهو شابٌ قوي شجاع بطوف بالبيت . فقال: أروني طَريفاً ، فأرَّوه إياه ، فجعل كلما مرَّ به تأمله ونظر إليه ، ففطن طريف ، وقال : لِمَ تَشُدُّ نظركَ إليّ ؟ قال حصيصة : أريد أن أثبتك (٤) ، لعلِّي أن ألقاك في جيش فأقتلك ! فقال طريف : اللهم لا تُحيل الحولَ حتى ألقاه ، ودعا حصيصة مثله ، فقال طَريف :

أَوْ كَلِّمًا وَرَدْتَ عُكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمَ يَتَوَسَّمُ (٥)
فَتَوَسَّمُونِي إِنِّي أَنَا ذَلِكَ شَاكِي سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُمَلِّمٌ
حَوْلِي فَوَارِسٌ مِنْ أَسِيدِ شَجَمَةَ وَإِذَا نَزَلْتَ فَحَوْلَ بَيْتِي خَضَمٌ (٦)

* لثيبان (من بكر) على تميم ، ومبايض : ماء من مياه بني تميم
ابن الأثير ص ٣٦٨ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، معاهد التنصيص ص ٧١ ج ١ ، لسات
العرب (مادة خضم) ، معجم ما استعجم - مبايض
(١) عُكاظ : سوق بصراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً يجتمع فيها قبائل العرب فيتماكطون ويتناشدون الشر (٢) من بني ربيعة بن ذهل
ابن شيبان (٣) في معجم ما استعجم : اسمه حصيصة (بفتح الحاء والميم) ، وقيل إن القتي
قله : حيمه (بالميم) بن جندل بن قنادة الشيباني (٤) أثبتك : أعرفك حق المعرفة (٥) القبيلة :
بنو أب واحد ، والعريف : رئيس القوم لأنه عرف بذلك ، والتوسم : النفوس (٦) في رواية :
حول فوارس من أسيدجة وبني المهجم وحول بيتي خضم
وأسيد والمهجم : قبيلتان في عمرو بن تميم ، والحضم (وزن بقم) اسم العنبر بن عمرو بن تميم ،
وقد غلب على القبيلة ، يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الحضم ، وهو المصغ بالأخراس (لسان
العرب مادة خضم ، شجيم) وشجعة : شجبان .

تحتي الأغرّ وفوق جِلْدِي نَثْرَةٌ زَغْفٌ تَرْدُ السِّيفِ، وهو مُثَلَّمٌ (١)

فرضي لذلك ماشاء الله ، ثم إن بني عائدة - حلفاء بني ربيعة بن ذهل بن شيبان - خرج منهم رجلان يصيدان ، فمرض لهما رجل من بني مرة بن ذهل بن شيبان ، فدعر عليهما صيدهما ، فوثبا عليه فقتلاه ؛ ففارت بنو مرة ، يريدون قتلها ، فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك ؛ فقال هاني بن مسعود - رئيس ربيعة - لقومه : يا بني ربيعة ؛ إن إخوتكم قد أرادوا ظلمكم ، فأنمازوا (٢) عنهم ، وإني أكره أن يتفاقم الشرء بيننا ، ثم ارتحل بهم ونزلوا على ماء يُقال له مُبَايِض ، فأقاموا عليه أشهراً .

وأبقى (٣) عبد الرجل من بني ربيعة ، فسار إلى بني تميم ، فأخبرهم أن حياً جديداً من بني بكر بن وائل نزل على مُبَايِض ، فقال طريف المنبري : هؤلاء تأتي يا آل تميم ، إنعام أكلة (٤) رأس ؛ وأرسل بعضهم إلى بعض ، وقالوا : هذا حي مفرد ، وإن اصطلمتموهم أو هتمم بكر بن وائل .

فاجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء (٥) ، فلما قاربوا بني ربيعة بلغهم الخبر ، فاستمدوا للقتال ، وخطبهم هاني بن مسعود وحشهم على القتال ، فقال : إذا أتوكم فقاتلوهم شيئاً من قتال ، ثم انحازوا عنهم ، فإذا اشتغلوا بالتهب فمودوا إليهم ، فإنكم تُصيبون منهم حاجتكم .

(١) النثرة : الدرع ، الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الدقيقة الحسنة السلاسل - (لسان العرب - مادة زغف) (٢) أمازوا : انفصلوا (٣) الإياق : حرب السيد وذهاهم من غير خوف ولا كد حمل (٤) أكلة رأس : أي قليل يشبعهم رأس واحد (٥) أبو الجدهاء الطهوي على بني حنظلة ، وابن فدك القرى على بني سعد ، وطريف بن تميم على بني عمرو بن تميم .

وصبّحهم بنو تميم ، والقوم حذرون ، قد أقاموا على عَلمٍ مُبايض ، وشرّ قوا
 بالأموال والترح (١) ، فقال لهم طريف : أطيعوني ، وافرعوا من هذه الأكلب
 يَصِفُ لَكُمْ ما وَرَّاهُمْ ، فقال له أبو الجداء - رئيس بني حنظلة ، وقد كَيَّ رئيس
 بني سَعْدِ : أَتُقَاتِلُ أَكْلَبًا أَحْرَزُوا نفوسهم ، وتترك أموالهم ؟ ما هذا برأى !
 وأبوا عليه .

وقال هاني لأصحابه : لا يقاتل رجلٌ منكم ؛ ولحقت تميم بالنعم والبغال ؛
 فأغاروا عليها ، ومَرَّ رجلٌ منهم بإبْنِ لهاني بن مسعود صغير فأخذوه ، وقال : حَسْبِي
 هذا من الغنيمة ، وسار به .

وبقيت تميم مع الغنيمة والسبي ؛ فعادت شيان عليهم فهزموهم وقتلُوهم وأسروهم
 كيف شاءوا ، ولم تُصَبِّ تميمٌ بمثلها ، لم يُفَلِّتْ منهم إلا القليل ، ولم يَلِوْ أَحَدٌ على أَحَدٍ ،
 وانهزم طريف فاتبعه حصيصة فقتله ، واستردت شيان الأهلَ والمالَ ، وأخذوا
 مع ذلك ما كان معهم ، وفادى هاني بن مسعود ابنة يمانية بمير ؛ فقال بعضُ شيان
 في هذا اليوم :

ولقد دعوت طريف دَعْوَةَ جاهلٍ غرَّ وأنت بمنظر لا تعلم (٢)
 وأتيت حياً في الحروب معلّمهم والجيش باسم أبيهم يُستقدم (٣)
 فوجدت قوماً يمنعون ذمارهم بُسلاً إذا هاب الفوارسُ أقدموا
 وإذا دعوا بيني ربيعة شتموا بكتيبة مثل النجوم تُعلم

(١) السرح : المال الراعي (٢) في رواية :

* سفها وأنت بمعلم قد تعلم *

(٣) في رواية : يستهزم .

حشدوا عليك وعجلوا يقراهم
وعموا ذمار أبيهم أن يشتموا
ساموك درعك والأغر كليهما
وبنو أسيد أسلموك وخضم
وقال عمرو بن سواد يرثي طريفاً :

لا تبعدن ياخير عمرو بن جندب
لمرى ابن زار القبور ليبعدا
عظيم رماد النار لا متمبس
ولا مؤيساً منها إذا هو أوقدا

١١ - يَوْمَ الذُّورِ

كانت بكر بن وائل تَنْتَجِعُ أَرْضَ تميم في الجاهلية ؛ ترعى بها إذا أُجْدَبُوا ، فإذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عَوْرَةَ يُصَيِّبُونَهَا ، ولا شيئاً يظفرون به إلا اكتسحوه ، ثم تفاقم الشر بينهما وعظّم حتى صار لا يلقى بكرى تميمياً إلا قتله ، ولا يلقى تميمي بكرياً إلا قتله .

فقال بنو تميم : امنعوا هؤلاء القوم من رعى أرضكم . فحشدت تميم وحشدت بكر واجتمعت ، ولم يتخلف منهم إلا الحوفزان بن شريك في أناس من بني ذهل بن شيان ، وكان غازياً في بني دام .

فقدّمت بكر عليهم عمرو بن قيس بن مسمود الشيباني^(١) ؛ فحسده سائر ربيعة على الرياسة وأتوه ، فقالوا : يا أبا مَفرُوق ؛ إنا قد زحَفْنَا لَتميم ، وزحفوا لنا أكثر ما كُنَّا و كانوا قطعاً . قال : فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نجعل كلّ حيّ على حياله ، ونجعل عليهم رجلاً منهم ، فنصرف غناء كل قبيلة ؛ فإنه أشدُّ لاجتهاد الناس . قال : والله إنّي لأبغض الخلاف عليكم ، ولكن يأتي مفرُوق^(٢) فينظر فيما قلم .

فلما جاء مفرُوق شاوره أبوه ، فقال له : ليس هذا أرادوا ، وإنما أرادوا أن يجندعوك عن رأيك ، ويحسدوك على رياستك ، والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال الفضل لنا بذلك أبداً ، ولئن ظفرت بك لا تزال لنا رياسة نعرف بها . فقال

* لسكر (من ربيعة) على تميم ، والزوران : بمران ، قال أبو عبيدة : وما بكران مجلان قد ليدوما وقالوا : هذان زوراننا أي الهانا . كما سيأتي ، وقد سماه ابن الأثير يوم الزورين .
القد التريد ص ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٦٨ ج ١ ، لسان العرب (زور)
(١) كان يكنى بأبي مفرُوق ويلقب بالأصم (٢) مفرُوق هو ابن عمرو .

عمرو : يا قوم ؛ قد استشرت مفروقًا ، فرأيتُه مخالفاً لكم ، ولستُ مخالفاً رأيه ، وما أشار به .

وأقبلت تميم بيمعيرين مجلّين مقرونين مقيّدين ، وتركهما بين الصّفين معقولين ، وسَمَوْها زورين^(١) وقالوا : لا نُؤلّي حتى يولّي هذان البعيران .

فأخبرت بكرٌ عمرو بن قيس بقولهم ؛ فقال : وأنا زوركم ، وبرك بين الصّفين ، وقال : قاتلوا عني ، ولا تفرّوا حتى أفرّ . والتقى القوم فاقتنلوا قتالا شديداً ، وأسرتُ بنو تميم حراث بن مالك ، فركض به رجلٌ منهم ، وقد أردفه ، واتبعه ابنه قتادة ابن حراث ، حتى لحق الفارس الذي أسرّ أباه فطعنه فأرداه عن فرسه ، واستنقذ أباه . ثم استمرّ القتل بين الفريقين ، فانهزمت بنو تميم وقتلت بكرٌ منهم مقتلة عظيمة ، وأخذت الزورين فنحروا أحدهما فأكلوه ، وافتحلوا^(٢) الآخر وكان نجيباً . واجترفت بكرٌ أموالهم ونساءهم ، وأسروا أسرى كثيرة ، ووصل الحوفزان - الحارث بن شريك - إلى النساء والأموال ، وقد سار الرجال عنها للقتال ؛ فأخذ جميع ما خلفوه ، وعاد إلى أصحابه سالماً ؛ وقال الأعشى في ذلك :

يا سلمٌ إن تسألني عنا فلا كُشفٌ عند اللقاء ، ولَسْنَا بالمقاريف^(٣)
نحن الذين هزَمنا يوم صبَحنا جيش الزورين في جمعِ الأحاليف
ظَلُّوا وظلّتُ تَكَرُّ الحليلِ وسَطهم بالشيب منا وبالرُودِ القطاريفِ
تستأنفُ الشرفَ الأعلى بأعينها لمع الصقورِ علتْ فوق الأظاليفِ^(٤)
انسلَّ عنها نسيلُ الصيفِ فأنجرت تحت الأبونِ مُتونٌ كالزحاليفِ^(٥)

(١) الزوران : مثنى الزور ، وهو كل شيء يتخذ ربا ، ويمهد من دونه تعالى (٢) عبارة اللسان عن أبي عبيدة : وأخذ البكران فنحروا أحدهما ، وترك الآخر يضرب في شولهم .
(٣) الكشف : جمع أكشف ، وهو الذي لا يثبت في القتال . والكشف أيضا ، الذين لا يصدنون القتال لا يعرف له واحد (اللسان - مادة كشف) (٤) الأظاليف : جمع أظلوفة ، وهي الأرض الحزينة الحشنة (٥) الزحاليف : جمع رحلوفة ، وهي آثار نزل الصبيان من فوق التل إلى أسفله .

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم لا سيما الأغلب العجلي (١)؛ فمن ذلك أرجوزته التي أولها:

* إن سركَ العزِّ فنجذِّجُ (٢) بجُثمِ *

يقول فيها:

جاءوا بزُورِهمِمْ وجثنا بالأصمِ شيخِ لنا كالليثِ من باقي إدمِ
شيخِ لنا مُعاوِدِ ضَرَبَ البُهَمِ (٣) يضربُ بالسيفِ إذا الرمحُ انقَصَمِ
هل غيرِ غارِ (٤) صَكَ غاراً فانهزمِ

(١) في اللسان بعد أن نسب الأرجوزة إلى الأغلب، قال: وقال ابن بري: قال أبو عبيدة: إن الميث ليحي بن منصور وأُشْد قبله:

كانت تميم مضمراً ذوى كرم فلصمة من الفلاصمِ العظم
ماجنوا ولا تولوا من أمم قد قابلوا لو يفتخون في فحم
جاءوا بزورهم وجثنا بالأصم شيخ لنا كالليث من باقي لدم
شيخ لنا معاود ضرب البهم

اللسان (مادة زور ومادة جميع)

(٢) جميع الرجل: ذكر جميعاً من قومه، والجمع: السيد الكريم (٣) البهم: الشجاع (٤) الفاران: بكر وتميم.

١٢- يَوْمَ عَاقِل

كان الصِّمَّةُ الجُشَمِيُّ أَعَارَ عَلَى بَنِي حَنْظَلَةَ^(١) بِمَاقِلٍ ، فَأَسْرَهُ الْجَمْدُ بْنُ الشَّمَاخِ^(٢) وَهَزَمَ جَيْشَهُ ، وَأَصِيبَ فِيهِمْ ؛ ثُمَّ إِنَّ الصِّمَّةَ قَدِ أَبْطَأَ فِدَاؤُهُ ، فَكَانَ الْجَمْدُ يَأْتِيهِ كُلَّ هَلَالٍ شَهْرٍ بِأَفْسَى فَيُحْلِفُ بِمَا يُحْلِفُ بِهِ لِيَنْ هُوَ لَمْ يَفِدْ نَفْسَهُ لِيُعِضَّهَا إِيَّاهُ .
فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ جَزَّ نَاصِيَتَهُ عَلَى الثَّوَابِ . ثُمَّ أَنَاهُ مُسْتَتِيْبِيَا ، فَقَالَ لَهُ الصِّمَّةُ :
مَالِكٌ عِنْدِي ثَوَابٌ ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ .

فَضْرَبَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْ ضَرَبَانِهِ^(٣) ، ثُمَّ إِنَّ الصِّمَّةَ الْجُشَمِيَّ أَتَى عِكَاطَ فَلْقَى ثَمَلْبَةَ بِنَ الْحَارِثِ^(٤) وَهُوَ أَبُو مَرْحَبٍ ؛ وَكَانَ حَرْبُ بَنِ أُمِيَّةٍ يَدْعُو النَّاسَ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ ، فَيُكْرِهُمَا ، وَيُخْصِّ بِذَلِكَ أَهْلَ الْفَضْلِ ، فَجَادَتْ دَعْوَةُ الصِّمَّةِ ، وَأَبَى مَرْحَبٌ ؛ فَكَرِهَ الصِّمَّةُ ذَلِكَ لِحِدَائَةِ أَبِي مَرْحَبٍ ، ثُمَّ قَرَّبَ إِلَيْهِمَا حَرْبَ تَمْرٍ ، فَجَعَلَ الصِّمَّةُ يَأْكُلُ التَّمْرَ ، وَيُلْقِي النَّوِيَّ بَيْنَ يَدَيْ ثَمَلْبَةَ ، وَيَقُولُ لَهُ : أَبْصِرْ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّوِيِّ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو مَرْحَبٍ : إِنَّكَ أَكَلْتَ مَا أَكَلْتَ بَنَوَاهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي أَعْظَمَ بَطْنُكَ ، فَقَالَ الصِّمَّةُ : لَا ، وَلَكِنْ أَعْظَمَ بَطْنِي دِمَاهُ قَوْمِكَ ! أَيْنَ الْجَمْدُ بْنُ الشَّمَاخِ ؟ فَقَالَ أَبُو مَرْحَبٍ : مَا ذِكْرُكَ رَجُلًا أَسْرَكَ ، وَمَنْ عَلَيْكَ ، ثُمَّ جَاءَ بِسِتْيَبِكَ فَفَدَّرْتَ بِهِ وَقَتْلْتَهُ ! لَا وَاللَّهِ لَا أَلْقَاكَ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا إِلَّا قَتَلْتُكَ أَوْ مَتَّ دُونَكَ !

فَكَتَّ الصِّمَّةُ زَمَانًا ، ثُمَّ غَزَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَأَسْرَهُ الْحَارِثُ بْنُ بَيْبَةَ الْجَمَّاشِيِّ ،

* لَبِي حَنْظَلَةَ (مِنْ تَمِيمٍ) عَلَى جِسْمِ (مِنْ رَيْمَةَ) ، وَعَاقِلٌ : وَادٌ بِبَجْدِ .

التَّقَائِمُ ص ١٠١٩ طَبْعُ أَوْرَبَا

(١) بَنُو حَنْظَلَةَ : بَطْنٌ فِي تَمِيمٍ (٢) مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ (٣) أَيُّ صَرَفٍ مَرُورِهِ

وَدَهَبٍ بِضَمِّهِ (٤) مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ .

وهزم جيشه ، ثم أجاره الحارث بن بنية من إيساره ذلك ؛ فقال الصمّة : يرّبي
في قومك حتى أشتري أمراء قومي ، فسار به حتى أفاخ في بني يربوع^(١) ، فأقبل
إليهما الناس ، وأقبل إليه أبو مرّحب ؛ فلما رأى الصمّة عرفه ، فخنس عنه^(٢) ،
وأخذ سيفه ؛ ثم جاء فضرب به بطن الصمّة ، فأثقله .

فلما رأى ذلك الحارث خرج فدعا يا آل مالك ؛ فأقبل بنو مالك إلى بني يربوع^(٣) ،
فلما خافوا القتال قام مصعب بن أبي الخير ؛ فقال : يا بني مالك ؛ هذه يدي بجاركم
فهى لكم وفاء ؛ فقال راجز بنى مالك :
نحن أبأنا مصعبا بالصمّة كذاها شيخ قليل اللمة

(١) بنو يربوع من بني حنظلة (٢) خنس : تأخر (٣) يربوع ومالك من قبائل
حنظلة بن مالك .

١٣- يَوْمُ الشَّيْطَانِ

كَانَ الشَّيْطَانُ لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ نَجْدٍ وَالرَّمَاقِ اسْلَمُوا تَرَكْتُ بَكْرَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُمَا أُجْدَبَا ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى السَّوَادِ وَأَقَامُوا فِيهِ .
ثُمَّ أَخْصَبَ الشَّيْطَانُ ، فَجَاءَتْ تَمِيمٌ حَتَّى نَزَلُوا فِيهِمَا ، ثُمَّ إِنَّ بَكْرًا لَحَقَّهُمُ الْوَبَاءُ فِي السَّوَادِ .

فَوَلَّوْا هَارِبِينَ حَتَّى نَزَلُوا لَمَلْعَ (١) ، وَهِيَ مَجْدِبَةٌ ، وَقَدْ أَخْصَبَ الشَّيْطَانُ ، فَكَانَ مَقَاسُ بْنُ عَمْرٍو (٢) يَقُولُ : لَيْتَ بَكْرًا فِي هَذَا الْخِصْبِ .

وَكَانَ أَكْتَلُ بْنُ حَيَّانَ الْمِجَلِّيُّ طَالِبَ حَاجَةٍ فِي بَنِي نَهْشَلٍ بِنِ دَارِمٍ ، فَلَمْ يَقْضُوهَا لَهُ ، فَرَجَعَ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَى قَوْمِهِ بِأَمَلْعَ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِخِصْبِ أَرْضِهِمُ الشَّيْطَانِ ؛ فَاجْتَمَعَتْ بَكْرٌ عَلَى الْإِغَارَةِ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ ، وَقَالُوا : إِنَّ فِي دِينَ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : إِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا قُتِلَ بِهَا ، فَغَضِبَ هَذِهِ الْفَارَةَ ثُمَّ نُسِمَ عَلَيْهَا .

فَارْتَحَلُوا بِالذَّرَّارِيِّ وَالْأَمْوَالِ ، وَرَثَسَهُمْ بَشْرُ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَاتُوا الشَّيْطَانِ فِي أَرْبَعٍ ، وَمَا بَيْنَهُمْ مَسِيرَةٌ أَيَّامٌ ثَمَانِيَةٌ ، فَسَبَقُوا كُلَّ خَبْرٍ ، حَتَّى صَبَّحُوهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

* لِبَكْرِ (مِنْ رِيعة) عَلَى تَمِيمٍ ، وَالشَّيْطَانِ : وَادِيَانِ .

الْقَدِّ الْقَرِيدِ مِنْ ٣٤٤ ج ٣ ، ابْنِ الْأَثِيرِ مِنْ ٣٩٩ ج ١ ، النَّقَاشِ مِنْ ١٠٢

(١) فِي اللِّسَانِ : لَمَلْعَ : مَوْضِعٌ ، قَالَ :

فَصَدَمَ عَنِ لَمَلْعِ وَبَارِقِ ضَرْبِ يَشْطَبُهُمْ عَلَى الْحَنَاقِقِ

وَقِيلَ : هُوَ جَبَلٌ كَانَتْ بِهِ وَهْمَةٌ ، وَفِي الْحَدِيثِ : مَا أَقَامَتْ لَمَلْعَ ، فَسَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فَقَالَ هُوَ جَبَلٌ وَأُثْمٌ ، لِأَنَّهُ جَبَلٌ اسْمًا لِلْبُتَّةِ الَّتِي حَوْلَ الْجَبَلِ ، وَقَالَ حَمِيدُ بْنُ تَوْرٍ :

لَقَدْ ذَاقَ مَنْ عَاصَرَ يَوْمَ لَمَلْعِ حَسَامًا إِذَا مَا هَزَّ بِالْكَفِّ صَمَامًا

وَقِيلَ هُوَ مَاءٌ بِالْبَادِيَةِ مَعْرُوفٌ (٢) مَقَاسُ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ حَلِيفَ بَنِي شَيْبَانَ وَمَقَابَا بِالشَّيْطَانِ .

فقاتلوهم قتالا شديداً ، وأخذوا أموالهم ، وصبرت تميم ثم انهزمت ، فقال
 وشيد بن رميض العزري :

وما كان بين الشيطان ولعلع لنسوتنا إلا مناقلُ أربع
 فجئنا بجمع لم ير الناس مثله يكادُ له ظهرُ الوريمة^(١) يطلع
 بأرعن دهم تُنشدُ البلقُ وسطه له عارض فيه النيةُ تلمع
 إذا حان منه منزل القوم أوقدت لأخراه أولاه سناً وتيفموا^(٢)
 صبَحنا به سعداً وعمراً ومالكا فظل لهم يومٌ من الشرِّ أشنعُ
 وذى حسبٍ من آل ضبة غادروا يُجرُّ كما جرُّ الفصيلُ المرقع^(٣)
 تقصع يربوعٌ بسرةٍ أرضنا وليس ليربوعٍ بها متقصعُ
 وقلت ليربوعٍ أيسرُ نصيحة ولو أن يربوعاً إذا امتارَ يرفعُ
 يُخاؤوا لنا صحن العراقِ فإنه رحى منهم لا يسْتَطاعُ ممنعُ

فأجابه محرز بن الكعبر الضبي فقال :

فخرتم بيوم الشيطان وغيركم يضُرُّ بيوم الشيطان وينفعُ
 وجئتم بها مذمومةً عتريةً تكاد من اللؤم البين تطلع
 فإن يك أقوامٌ أصيبوا بغيره فأنتم من النارِ أخزى وأوجع
 فريقان منهم من أتى البحرَ دونه ومودٍ كما أودتْ ثمودُ وتنعُ
 وما منكمُ أفناء بكر بن وائلٍ لغارتنا إلا ذلولٌ موقَّع^(٤)

(١) الوريمة : اسم فرس (٢) تيفموا : رفعوا نارهم على يقاع من الأرض لتبصر نارهم

(٣) المرقع : الذي به القرح وهو جدرى فيجر في السباح لينثقا ما به ، وروى في اللسان :

لدى كل أخذود يغادرن دارعا هيجر كما جر الفصيل المرقع

منسوباً لمد أوس بن حجر (٤) بغير موقع الظهر : به آثار الدبر .

وقال مقاس^(١) بن عمرو :

تمنيتُ بكرةً بالعراقِ مُقيمةً وأتى لنا بكرةً بأكنافِ عَرَعرٍ^(٢)
نهيتُ تمياً أن ترُبَّ^(٣) نِحاءها ونطوى أحناء الركيِّ المورِّ^(٤)
حلفتُ لهم بالله حِلْفَةَ سَادِقٍ يميناً ومن لا يتق الله يفجرُ
لِيخْتَلِفَنَّ العَامَ رَاعٍ مُجْتَبٍ^(٥) إذا ما تلاقينا براعٍ مُمْتَرٍ^(٥)
فَاعْجَلَنَّ ضَبًّا^(٦) بِالوَرِيمَةِ خُدْعَةَ ويربُّوعها ينفقن في كلِّ مَجْحَرٍ
وما كان رَوْضَاطِيٍّ غَيْرَ شَرَبَةٍ ولسكنما كانا لنا شَرَبَ أَشْهَرٍ
ثم إن بكرةً أتاهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على ما في أيديهم .

(١) اسمه مسهر ، ومقاس لقبه (٢) هرعر : مكان (٣) رب العوى : أصلحه
(٤) عورت الركية : إذا طمستها وسدوت أعينها التي ينبع منها الماء (٥) المجتب : الذي
لا لين في إبله ، والمعمر : الذي قد تجت إبله فصارت عشراً . يقول : نحن لا ابن لنا فتأخذ إبلهم
ورعاتها فنخلطها بإبلنا التي لا لين لها (٦) ضبا : يمين به ضبة يقول : أعجلتها أن تخدع
فتلزم الجعر ، وإنما هذا مثل ، يقول : أفرنا عليهم قبل أن يندوا بنا .

١٤- يوم الوقبي

كان عبدُ الله بن عامر عاملاً لُمَيَّانَ بنِ عَفَّانَ على البصرة وأعمالها ، فاستعمل بشرَ بنَ حَزْنِ المازني على الأحياء^(١) التي حَوْلَ البصرة - ومنها حِمَى الوقبي - فخرج يوماً هو وأخوه حُفَّافُ بنُ حَزْنِ إلى الوقبي ، وحَفَرََا بها رَكِيَّتَيْنِ^(٢) . ولما أَنْبَطَاهُمَا^(٣) ، إِذَا مَاؤُهُمَا ماءُ النَّادِيَةِ^(٤) عُدُوْبَةٌ وطِيْبٌ ؛ فتنخوفاً أَنْ يَنْبَطِيَا عبدُ الله بنُ عامرٍ على الرَكِيَّتَيْنِ ، فدَفَنَاهَا .

ورَقِيَ أمرُهُمَا إلى عبدِ الله بنِ عامرٍ ؛ فطلبَ منهما الرَكِيَّتَيْنِ ، فأبَيَا أَنْ يَدْفِنَاهَا إليه ، فأخْرَجَهُمَا مِنْهُمَا وقالَ : بِإِذْنِ مَنْ حَفَرْتُمَا هَاتَيْنِ الرَكِيَّتَيْنِ ؟ ومضَيَا هَلْرِيبَيْنِ ، ووجدَا إبِلًا لعبدِ الله فمَقَرَاهَا .

وكان عبدُ الله قد استعمل خاله مسعدةَ السلمي على حَفْرِ^(٥) يعرف بحفَرِ أبي موسى ؛ ثم إن ناساً من أَقْنَاءِ^(٦) بكرِ بنِ وائلٍ خَرَجُوا وعليهم شِيْبَانُ بنُ خَصْفَةَ ورجل آخر يقال له قَبِيصَةُ ، وأتوا ماءَ لبني نَهْشَلِ^(٧) بنِ دارمٍ ، فقاتلُوهم على ماْتهم وظَفَرُوا بهم وقتلوا منهم أناساً ، وأقاموا به أَيامًا .

* تميم على بكر (من ربيعة) ، والوقبي : ماء ملازن على طريق المدينة من البصرة . وهو من الأيام التي آتونا أن بعدها من الأيام الجاهلية للسبب الذي أسلفنا ذكره .

شرح التبريزي على ديوان الحماسة ص ٣٤ ج ١

(١) جمع حِمَى ، وهو المكان المَظْطور (٢) الركية : البئر (٣) أَنْبَطَا : استخرجا ماءها (٤) النادية : مطرة النداء (٥) الحفر (ويسكن) : البئر الموسعة (٦) أَقْنَاءُ : أخلاط ، والواحد فنو ، ويقال : رجل من أَقْنَاءِ التباثل : أي لا يدري من أي قبيلة هو (٧) نهشل : بطن في تميم .

ثم قالوا : ما هذا لنا بمنزل ، إننا لفي وسط بلاد بني تميم ؛ فاحتملوا راجعين ، ثم
 نزلوا بحفر أبي موسى ، فوجدوا الحياض ملاءى ، فأوردوا الإبل وسقوها ، وأرادوا
 أن يستقوا ليمشوا الحياض كما كانت ، فجاء مسمدة عامل الماء وأغلظ لهم ، فقام
 إليه شيبان بن خصفة فضربه بالسيف على وجهه فصرعه ، ونقل إلى منزله .
 وأقام البكريون بالماء أياما ، ثم قالوا : ننزل الوقي فإياها أقرب إلى بلاد بكر؛
 فأتوها ونزلوا بها .

ثم عاد بشر بن حزن إلى الوقي فوجد بها البكرين ، فأرسل إلى شيبان
 وقبيصة : إن كنتما تريدان الثبات فيظكما هذا ومن معكما من قومكما فأقيا ، وإن
 كنتما تريدان غير ذلك فأعلماني فإياها أرضي وماني .

فأرسلوا إليه يواعدانه ويقولان : إن رأيناك بالوقي لنفعلن بك ولنصنمن .
 فخرج بشر وأخوه خفاف وحريث بن سلمة الشاعر وتفرقوا : فواحد منهم
 ذهب إلى بني العنبر^(١) ، وواحد إلى بني يربوع بن حنظلة ، والثالث إلى بني مازن
 ابن مالك ؛ فأجاب مستصرخ بن عنبر سبعة نفر ، وانطلق بمضهم يستصرخ بنو
 نهشل لما كان من البكرين إليهم . فقالت بنو نهشل : والله مالكم عندنا نصرة ،
 وانطلق مستصرخ يربوع حتى لقي بنو رياح^(٢) . فقالت بنو رياح : إخواننا بنو ثعلبة
 قدامنا ولسنا تقطع أمرا دونهم ، فمليكم بهم فنحن لهم تبع ، فانطلقت بنو مازن
 حتى وردوا أعشاشا على بنو ثعلبة ؛ فلما وردوا الماء عليهم شهرهم أهل الماء ، ثم
 لقوا عبد الله بن مالك المروف بالهلف ، فأخبروه خبرهم ، فقال : انزلوا أيها القوم ،
 وعمد إلى بكر فمقره وقراهم إياه ، حتى إذا كان من المشى ، وبرز أهل الماء لابس

(١) بنو مازن والعبير ويربوع ورياح وثلعة بطون في تميم (٢) رياح : بطن في يربوع
 وكذلك ثعلبة .

يُرْدِينُ وَتَمَلَّقُ^(١) - وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ إِذَا حَزَبَهُمْ أَمْسٌ - وَأَخَذَ قَنَاتَهُ وَرَاحَ إِلَى وَسْطِ الْمَاءِ ، ثُمَّ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتَهُ : يَا لِيَرْبِوعِ ! يَا لِمَلْعَمِ ! يَا لِمَلْعَمِ ؛ فَخَصَّ وَعَمَّ ، فَخَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : « هَؤُلَاءِ بَنُو أُمَّكُمْ^(٢) ، وَبَنُو عَمِّكُمْ ، وَيَدُكُمْ عَلَى الْعَرَبِ ، وَلَا قَرَارَ لَكُمْ مَعَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ إِنْ أَخَذَتْ دَارُ بَنِي مَازِنٍ » .

فَرَكِبُوا سَمْعَهُ عَلَى كُلِّ صَنْبٍ وَذُلُولٍ ، حَتَّى أَشْرَفَ بِهِمْ عَلَى بَنِي رَبِيَّاحَ ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ بَنُو رَبِيَّاحَ رَكِبُوا مَعَهُمْ ، فَانْطَلَقَ الْقَوْمُ حَتَّى أَتَوْا الْوَقْبِيَّ ؛ فَقَالَتْ بَنُو رَبِيَّاحَ : يَا بَنِي مَازِنَ ؛ دَعُونَا فَلْنَنْظُرَ لَكُمْ وَنَسْتَبْرِئُ الْقَوْمَ ، فَقَالَتْ بَنُو مَازِنَ : لَقَدْ رَشِدْتُمْ .

وَانْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْهُمْ حَتَّى وَرَدُوا الْمَاءَ عَلَى بَكْرِ ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَبْتَغُونَ عَيْدًا لَهُمْ أَبَاتًا^(٣) أَفَلَتُوا مِنْهُمْ ، فَفَرَرُوا مِنْهُمْ حَتَّى إِذَا أَخَذُوا يَرُوحُونَ ارْتَابُوا بِهِمْ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَتْرَكُوا فِي لِحَاهِمُ شِمْرَةً إِلَّا نَتَفَوْهَا . فَقَالَ لَهُمُ الْبَرَبُوعِيُّونَ : إِنَّا نَحَرَّمْنَا بَطْلَامَكُمْ يَا بَكْرَ بْنَ وَاثِلَ ، وَهَذَا قِرَاكُمْ فِي بَطُونِنَا وَحَقَائِبِنَا ؛ فَأَرْسَلُوهُمْ .

وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ نَحْوَ الْكُوفَةِ يَرُونَهُمْ أَنَّهُمْ فِي إِثْرِ عَيْدِهِمْ ، حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا رَجَعُوا فَأَتَوْا أَصْحَابَهُمْ وَقَالُوا : يَا بَنِي مَازِنَ ؛ لَمْ نَجِدْ وَآلَهُ لَنَا وَلَكُمْ بِهِمْ يَدِينُ ، الْقَوْمُ كَثِيرٌ فَتَسَكَّرُوا^(٤) الْقَوْمَ . فَقَالَ مَنْ نَمَّ مِنْ بَنِي رَبِيَّاحَ وَبَنِي الْمَنْبَرِ : أُغِيرُوا عَلَى نَعْمِهِمْ ، فَلْنَأْخُذْهُ ، فَنَكُونَ قَدْ أَخَذْنَا عَوْضًا عَمَّا صُنِعَ بِنَا .

فَوَثَبَ بِشَرِّ بْنِ حَزْنٍ وَقَالَ : يَا لِمَآزِنَ ! قَوْمُوا إِلَيَّ ، وَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ خَيْرَكُمْ . فَصَامُوا إِلَيْهِ ، فَبَرَزَهُمْ ، وَقَالَ : يَا بَنِي مَازِنَ ؛ أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ ، أَمْ تَرْضَوْنَ أَنْ تُغَيِّرَ رَبِيَّاحَ وَالْمَنْبَرِ فَيَأْخُذُوا النَّعْمَ ، وَيَكُونَ ذَهَابُ دَارِكُمْ ؛ فَقَالُوا : فَاتَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ

(١) تَمَلَّقَ : تَمَلَّقَ بِالطَّلُوقِ (٧) كَانَتْ جَنْدَلَةُ بِنْتُ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ الْفَرَسِيَّةِ أُمَّ رَبِيَّاحَ وَمَازِنَ
(٢) جَمَعَ آبَى (٤) تَسَكَّرُوا : تَرَادَوْا . وَالْكَرْكِرَةُ : الْإِرْتِدَادُ عَنِ الْعَمَلِ .

تجمّلوا التّار بالأنفُس ، وتقاتلوا القوم ، فإن ظفرتُم فاللهُ أظفركم ، وإن تكن الأخرى كنتم قد أيتُم عُدْرًا في داركم .

فتابعوه على رأيه ، وقاموا إلى مَنْ هناك من يربوع والمنبر فقالوا : جزاكم الله خيراً من إخوة ، فإنكم لو كنتم دعوتنا أطلعنّاكم ، ولكننا نحن دعوناكم ، فارموا بنا في نُحور القوم ، وكونوا من ورائنا فأكثرُونا ، فإن نحن هُزِمنا كنتم على حاميتكم وانصرفتم ، وإن نحن ظفرتنا فهي التي تربيون - وكانوا قد شارطوهم ثلث الماء - فقالوا : قد فعلنا .

وانطلقوا وأصبحوا على مكان يُشرف على الوقي ، فقالت بكر إذ رأتهم : هذه غير قد أشرفت عليكم ، وقالت بريقة بنت شيان : أحلف بالله ، إني أرى البيض تبرق ، وإني لأرى الأسنّة تلمع ؛ فبرز أبوها معه اللواء وهو يقول :

نحن حفرنا وبدأنا أولاً ولن نكون الخاضر المحولا^(١)

ولما التقى الجمعان خرج عَصيمة بن عاصم المازني على جمل له ، وهو محتجزٌ بملاءة له بيضاء على الدرّع وفي يده اللواء ، فلقبه شيان أبو بريقة ، وطعن كل واحد منهما صاحبه ؛ فامحدرت ملاءة عَصيمة من فخذه ، فنادى عَصيمة رجلاً من بني مازن يقال له : خنيس ، وقال : ياخنيس ؛ أطلق الملاءة من فخذي ، فذهب خنيس ليطلق الملاءة من فخذه ، فضربه رجل من بني شيان فقتله ، وجاء شيان أبو بريقة فضرب عَصيمة على يده اليسرى فقطع ثلاث أصابع ، فضربه عَصيمة على رأسه فقتله ، فبرز ابنه أربد بن شيان وكرّ على عَصيمة فقطع يده اليمنى ، ونادت بكر : يا بني مازن ؛ البقية البقية^(٢) ، وتهيئوا للصّح .

(١) الحاضر : القوم النازلون على الماء . المحول : اللؤلؤ (٢) العرب تهول للعدو إذا غلب : البقية : أي أجوا علينا ولا تستأسلونا ، ومنه قول الأعشى :
* قالوا البقية والخطى يأخذم *

ولم يكن قد علم بنو مازن بقتل صاحبهم خُنيس ، ولا ما لقيت يدُ عَصيمة ، فلما رأى عَصيمة ذلك قبض على يده المقطوعة بيد قبيصة ، حتى إذا امتلأ القميص ومما نَضَحَ به وجوهَ مازن ثم قال : أبقيةً بمد هذا أو صلح ! وأراهم يده وأعلمهم بقتل خُنيس ، فاقتتلوا عند ذلك قتالا شديداً .

وشد خُفاف بن حزن على شيبان بن خصفة رئيس بكر ققتله ، ثم هُزمت بمده بكر هزيمة مُنكرة ، فأخذ رجل من بني يربوع بيدي بريقة بنت شيبان ليسبها ، فقال عَصيمة : لا سبَاء في الإسلام ، أنا جارُ لجميع نساءهم من السبَاء ، وأمرَ النساء فتحمأن وأنظفن معهن جبان شيبان أبي بريقة ، ودفننه بالسكان الذي يقال له قارة شيبان ، وكسرن على قبره قدره وجفنته .

ولما أحرزوا الماء قالت بنو يربوع لبي مازن : إن لنا في الماء شريطةَ النصف ، فقالت بنو مازن : إنما جملنا لكم الثلث ، على أن تُقَاتِلُوا فلم تَأْتُوا شيئاً من القتال ، وما كان أصلُ الماء إلا لنا ، ولتكنفنا ، أو لترُدَّن أرامحنا في صدوركم .

وأما بنو ثعلبة فقالوا : والله ما بيننا وبين بنى مازن شريطةٌ تُوجبُ لنا عليهم في هذا الماء حقاً ، وتركوهم . وأما بنو رياح فأبوا ، ونذر قمنب والأحوص الرياحيان يومئذ ألا يردا الوقي إلا مُلجمين للقتال .

وغيروا على ذلك زماناً ؛ ثم إن بنى رياح اغترأوا بنى مازن ، فأتوا رَكِيَّة من ركايا الوقي ، فعمقروا السَّوَانِي ^(١) وألقوا جيفها فيها ، فلما نذرت بهم بنو مازن هربوا ؛ فانطلق ناسٌ منهم في إثرهم حتى أتوا ماء لهم يقال له : طَلْح ، فموروه ^(٢) وألقوا فيه السَّوَانِي وألحروا كما فعلوا بآئتهم .

ثم هدأ ما بينهما ، واصطلحت الناس ، وخلصت الوقي لبني مازن .

(١) السانية : الناضحة وهي النافة التي يستق عليها ، وجمها السواني (٢) عورت الركية : إذا كسبها بالتراب حتى تنسد .

وفيه قال أبو النول الطموى :

فَدَّتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي ^(١)
فَوَارِسَ لَا يَمْلُونُ الْمَنَابِيَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّبُون ^(٢)
وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلْظِ بِلِينِ
وَلَا تَبْلَى بَسَاتِلَهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا حِينِ
هَمَّ مَنَعُوا حَمَى الْوَقْبِي بِضَرْبِ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَدَاوَدَا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ
وَلَا بَرَعُونَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنِي إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ ^(٣)

(١) صدق (بالتشديد) مثل صدق بالتحفيف
وتدفعهم (٢) الهدنة والهدون والهدنة : الدعة .
(٣) الهدنة والهدون والهدنة : الدعة .

١٥- يَوْمَ الشِّبَاكِ

قَتَلَ إِيَّاسُ بْنُ عَبَّالَةَ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ^(١) اللَّهُ بْنُ ثَعْلَبَةَ مَسْعُودَ بْنَ الْقِصَافِ - مِنْ بَنِي الْقِصَافِ ^(٢) ، ثُمَّ أَسْرَتْ بَنُو تَيْمٍ اللَّهَ وَكَيْعَ بْنَ الْقِصَافِ ، فَجَبَّسُوهُ عِنْدَهُمْ ، فَظَنَّ بَنُو حَنْظَلَةَ أَنَّهُمَا قَدْ قُتِلَا كِلَاهُمَا ؛ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو الْيَرْبُوعِيُّ يَرْتِيهُمَا ، وَيَتَوَعَّدُ بَنِي تَيْمٍ اللَّهَ :

لَتَبْكِ النَّسَاءُ الرُّضَمَاتُ بِسُحْرَةِ وَكَيْعًا وَمَسْعُودًا قَتِيلَ الْحَنَاتِيمِ
كَلَا أَخُوْنَا كَانَ فِرْعَا دِعَامَةً وَلَا يُلْبِثُ الْعَرَشُ أَنْقِضَاضُ الدَّعَاتِيمِ
فَلَا تَرَجُّ تَيْمُ اللَّهِ أَنْ يَجْمَلُوهَا دِيَاتٍ وَلَا أَنْ يُهَزِّمَانِي الْهَزَاتِيمِ ^(٣)

فَلَمَّا آتَى هَذَا الشَّمْرُ بَنِي تَيْمٍ عَرَفُوا أَنَّ بَنِي الْقِصَافِ سَيَطْلُبُونَهُمْ بِدَمِ مَسْعُودٍ ، فَخَلُّوا سَبِيلَ وَكَيْعٍ ، فَلَبِثَ بَنُو الْقِصَافِ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْبَثُوا .

ثُمَّ إِنْ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ فِي عَيْرِهِمْ لَهُمْ ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الشِّبَاكِ لَقُوا قَوْمًا فَسَأَلُوهُمْ مَنْ عَلَى الْمَاءِ ؟ فَقَالُوا لَهُمْ : بَنُو حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ وَنَاسٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ اللَّهَ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

فَقَتَلَ بَنُو الْقِصَافِ رِوَا حِلْمَهُمْ ، وَخَلَفُوا بِمَضْمَنِهِمْ فِيهَا ، وَمَضَى بِمَضْمَنِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى ابْنِ عَبَّالَةَ ، فَقَالُوا لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْ نَاقَةَ لَنَا ضَلَّتْ ، وَهِيَ فِي إِبْلَاقٍ فَارْدُدْهَا عَلَيْنَا ؛ فَقَالَ لِنَفْلَامِ لَهُ : انْطَلِقْ مَعَ الْقَوْمِ فَادْفَعْ إِلَيْهِمْ نَاقَتَهُمْ .

* لَبِي الْقِصَافِ (مِنْ تَيْمٍ) عَلَى بَنِي تَيْمٍ اللَّهَ بْنِ ثَعْلَبَةَ (مِنْ بَكْرٍ) ، وَالشِّبَاكِ : طَرِيقُ حَاجِ الْبَصْرَةِ ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي آثَرْنَا ذِكْرَهَا فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ .

الناض : ص ٩١٨ طبع أوروبا

(١) تيم الله بن ثعلبة : بطن في بكر (٢) بنو القصاص : من تيم

(٣) يقول : ليس لها منكر لا بد أن يطلب بها . مزم له حقه أي وهبه له .

فانطلق غلامُ ابنِ عَبَلَةَ مَمِمْ ، فسأل راعِيَه عن نافعِ القومِ ، فقال : ما رأيُها ، وهذه الإبلُ فانظر . فنظر الغلام فلم يرَ شيئاً ، فرجع إلى مولاه ، ورجع بنو القِصَافِ فقال لهم ابنُ عبلة : ما صنَعْتُمْ ؟ قالوا : غيَّب راعيك نافعنا ، فقم معنا إليه ، فقام مَمِمْ ابنُ عبلة ، حتى إذا نَحَوَهُ عن الماء شدَّ عليه رجلٌ من بني القِصَافِ ، ثم نادى بإشاراتٍ مسمودٍ ! فقتله ، وخضبَ عمامته بدمِهِ .

فغضب بنو حارثة^(١) بن لأم ، وقالوا : قتلوا جارنا ، ولا تزال العرب تَسُبُّنا به إن فأتونا .

وطلبوا بني القِصَافِ وهم نَفِيرٌ^(٢) ، وطلبي الماء جماعةً من بني حارثة بن لأم ، فترك بنو القِصَافِ رواحِلَهُمْ ، ومضوا بالهامة مخضوبة بالدم حتى انتهوا بها إلى بني طَهْيَةَ^(٣) ، فسألوهم عن رِكابِهِمْ ، فقالوا : تركناها في أيدي بني حارثة ، فقال الأَسْلَعُ بن القِصَافِ في ذلك :

فِدَى لِمَرِيٍّ لاقى ابنَ عَبَلَةَ ناقتي وراكبها والناسُ باقٍ وذاهبُ
عَدَا نُمٌّ أَمَدَاهُ على الهولِ فِتْيَةٌ كِرَامٌ وَأَسِيافٌ رِقَاقٌ قَوَاضِبُ
ولم يحفلوا ما أحدثَ الدهرُ بمدّها وما كشف الناسُ الأمورَ الشواغِبُ
ولم نَزَوْ حتى بلَّ أسيفنا دمٌ يُدَاوِي به قَرَحُ القلوبِ الجَوَالِبِ^(٤)
ولا شرَّ حاجاتٍ طَوَاهُنَّ بمدّ ما تباعد . أسبابُ الهوى المتقاربُ
فما الناسُ أَرْدَوْهُ ولكنَّ أقادَهُ يدُ اللهِ والسَّنَنِصِرُ اللهُ غَالِبُ

(١) بنو حارثة بن لأم : بطن في طهي . (٢) النفير : القوم يتنكرون في القتال ، والنفير : القوم الذين يتقدمون في القتال والنفير : الجماعة بن الناس (٣) طهية : قبيلة في تميم ومنهم بنو القِصَافِ (٤) الجليية : القصرة التي تلو المرح عند البرء ، وقد جلب يجلب وأجلب المرح مثله : إذا علت القرحة جلدة البرء . وقال الليث : قرحة مجلبة وجالبة ، وقروح جوالب وجلب .

شَفَى سَقَمًا - إن كانت النفس تُشْتَفَى -
شفي الداء وابتضت وجوه كأنما
قَتِيلٌ مُصَابٌ بِالشَّبَاكِ (١) وطالبُ
جَلَا النَّقْسِ (٢) عنها وهي سُودٌ كَوَائِبُ
غَلِيلاً فساغت في الحُلُوقِ الشَّارِبُ
وما شاهدٌ يُدْعَى كَمَنْ هُوَ غَائِبُ
فهل أنتم إلا أخونا فتحدبوا
ولو أننا كنا على مِثْلِهَا لَكُمُ
لَمَّا بَرَحَتْ حَتَّى أُنْفِخَتْ إِلَيْكُمْ
فإن رِحَالَ القومِ وَسَطَ بُيُوتِكُمْ
فما أتى بني حارثةَ هذا الشَّعْرُ سرَّهم ، وقالوا : مآلنا على رِكابِكُمْ من سبيل ،
قومٌ أَدْرَكُوا بئارهم ، ولهم جوار ، والذي بيننا وبينهم حسن ، فردوا على بني
القِصَافِ رِكابهم ، وطاح (٤) ابنُ عُبلة ، ولم يُدْرِكْ بئاره ؛

(١) الشباك : موضع (٢) النقس : الميب (٣) الثقب : طريق
(٤) يعني ذهب منه بطلا .

٦- أَيَّامُ قَيْسٍ "فِي مَابَيْنَهُمَا"

المشام
رفع هم
عفا الله عنه

- ١- يَوْمٌ مَنَعَجٌ
- ٢- = النَّفَرَاتُ
- ٣- = بَطْنُ عَاقِلٍ
- ٤- = دَاحِسٌ وَالْفَبْرَاءُ
- ٥- = الرَّفْمُ
- ٦- = النَّتَاءُ
- ٧- = حَوْزَةُ الْأُولَى
- ٨- = = الثَّانِي
- ٩- = اللَّوَى
- ١٠- حَدِيثُ ابْنِ ضِيَا
- ١١- يَوْمُ هَرَامَيْتِ

١ - يوم منعج

كان زهيرُ بن جديعة المبسي سيناَ قَيْسَ عَيْلَانَ ، فتزوَّج إليه النعمان^(١) بن امرئ القيس ملك الحيرة لشرَفِهِ وسُوْدُده ، وأرسل إليه يوماً يستزيره بعضَ أولاده ، فأرسل إليه ابنته شاسًا - وكان أصفرَ ولده - فأكرمه وجباه أفضلَ الحبوةِ مِسْكا وكسَى وقُطْفًا وطَنَافِس^(٢) ، ثم خرج من عنده يريد قومه ، وسار حتى ورد مَنعِجًا - وهو ماء لثني^(٣) - فأناخ في يومٍ شمَال^(٤) ، وقرَّ على رَذْهَة^(٥) في جبل رياح ابن الأَسْكَ الغنوي ، ليس على الرَذْهَة غيرُ بيته .

ثم أنشأ شاس يفتسل بين الناقة والبيت ، وامرأةٌ رياح تنظرُ إليه ، وهو مثلُ الثور الأبيض ، فقال رياح لامراته : أعطيني قوسى ، فدَّت إليه قوسه ومهما ، ثم أهوى لشاس بسهم ، وبترَ صُلْبَه ، وحفرَ له حفرةً فهدمه عليه ، ونجر جله وأكله ، وأدخل متاعه بيته .

* لمبس على غنى ، وتسميته يوم منعج لصاحب المقد القريد ، وقال أبو عبيدة : ويقال له يوم الردهة ؛ وفي مجمع الأمثال للسيداني : لبنى يربوع على بنى كلاب .

الأغانى ص ٨ ج ١٠ طبعة الساسى ، ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٢٦٨ ج ٢ ، مهذب الأغانى ص ٨ ج ٢

(١) النعمان ابن امرؤ القيس : أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة ، وكان من أشد ملوك العرب نكابة في أعدائه وأبدم مفاراً ، كما كان صارماً حازماً ضابطاً للملكة ، ولكنه في آخر عهده زهد في الملك ، وساح في الأرض فلم يره أحد (سنة ٤٣١ م) (٢) الطنائف : للبسطة والياب ، والتطينة : دنار نخل ، وقيل كساء له نخل ، والجمع قطائف ، وقطف مثل صحيفة وصحف كأنها جمع تظيف وصحف (٣) غنى : حى من غطفان (٤) الشمال (بالفتح وبكسر) : الريح التي تستقبلك عن يمينك وأنت مستقبل (٥) الردهة : النقرة : يجتمع فيها ماء السماء .

وَقَدِ شَاسَ ، وَقَصَّ أَثْرَهُ وَنُشِدَ ، وَرَكَبُوا إِلَى الْمَلِكِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : حَبَوْتُهُ وَسَرَّحْتُهُ ، فَقَالُوا : وَمَا مَتَّعْتَهُ بِهِ ؟ قَالَ : مِسْكَ وَكُسَى وَنُطُوعَ وَقُطْفٍ .

فَأَقْبَلُوا بِقَصْوَانِ أَثْرِهِ فَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُمْ سَبِيلُهُ ، وَمَكَثْتَ عَبَسَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى رَأَوْا امْرَأَةً رِيَّاحٌ بَاعَتْ بِمِكَائِلَاطِ قَطِيفَةَ حِمْرَاءَ وَبِعِضٌ مَا كَانَ مِنْ حِجَابِ الْمَلِكِ ، فَمَرَفُوا وَتَيَقَّنُوا أَنَّ رِيَّاحًا تَأْرَمُ تَأْرَمُ .

فَأَتَى زَهِيرٌ غَنِيًّا وَسَأَلَهُمْ عَنْ شَاسٍ فَقَالُوا : نَعَمْ ، قَتَلَهُ رِيَّاحٌ ، وَنَحْنُ بَرَاءَةٌ مِنْهُ ، وَقَدْ لَحِقَ بِحَالِهِ مِنْ بَنِي الطَّلَاحِ . وَلَا تَبَيَّنَ لَزَهِيرَانَ رِيَّاحًا تَأْرَمُ قَالَ يَرْنِي شَاسًا :

بَكَيْتَ لَشَاسٍ حِينَ خُبِرْتُ أَنَّهُ	بِمَاءِ غَنِيٍّ آخَرَ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ
لَقَدْ كَانَ مَاتَاهُ الرِّدَاءُ ^(٢) لِحَتِّفِهِ	وَمَا كَانَ لَوْ لَا غِرَّةُ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ
قَتِيلِ غَنِيٍّ لَيْسَ شَكْلُهُ كَشَكْلِهِ	كَذَلِكَ لِعَمْرَى الْحَيْنِ لِلرَّءِ يُجَلِّبُ
سَابِكِي عَلَيْهِ إِنْ بَكَيْتُ بِعَبْرَةٍ	وَحَقَّ لَشَاسٍ عَبْرَةٌ حِينَ تُسَكَّبُ
وَحُزْنٌ عَلَيْهِ مَا حَبِيتُ وَعَوْلَةٌ	عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الْبَدْرِ أَوْ هُوَ أَعْجَبُ
إِذَا سِيمَ ضَيْمًا كَانَ لِلضَّيْمِ مُنْكَرًا	وَكَانَ لِمَدَى الْهَيْجَاءِ يُخَشَى وَيَرْهَبُ
وَإِنْ صَوَّتَ الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ مَرَّةً	أَجَابَ لَمْ يَدْعُو لَهُ حِينَ يُكْرَبُ
فَفَرَّجَ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ وَلِيَّهُ	فَقَلْبِي عَلَيْهِ - لَوْ بَدَأَ الْقَلْبُ - مَلْهَبُ

(١) قوم زهير

(٢) الرداء : جمع ردة ، وهي النقرة يستنقع فيها الماء .

وانصرف إلى قومه ، وكان لا يرى غنوباً إلا قتله (١) .

ثم غزت بنو عبس غنياً قبل أن يطلبوا قوداً أو دية مع أخي شاس - الحصين
ابن زهير - والحصين بن أسيد بن زهير ، فقبل ذلك لثني ، فقالت لرياح : أنجُ لملنا
نُصالح على شيء أو نُرضيهم بديّةٍ وفداء .

وخرج رياح رديفاً (٢) لرجل من بني كلاب ، وكان معهما صحيفَةٌ فيها لحم ؛

(١) هذه رواية الأغانى ، وجاء في ابن الأثير : إن زهيراً حين افتقد ابنه سار إلى غنى ، وم
حقاء في بني عامر ، فاجتمعوا عنده ، فسألهم عن ابنه ، فخلقوا أنهم لم يعرفوا خبره ، فقال :
ولكنى أعلمه ، فقال له واحد من بني عامر : فما الذي برضيك منا ؟ فقال : واحدة من ثلاث :
لما تميون ولدى ، ولما تسلمون لي غنياً حتى أقتلهم بولدى ، ولما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا
وبقيتم ، فقالوا : ما جعلت لنا في هذه مجزاً ؛ أما إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلا الله ، وأما تسليم
غنى إليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الأحرار ، وأما الحرب بيننا فوائه إتنا لنحب رضاك ونكره
سخطك ؛ ولكن إن شئت الدية ، وإن شئت تطلب قاتل ابنك ، فنسلمه إليك ، أو نهب دمه
فإنه لا يضيع في القرابة والجوار ، فقال : ما أفضل إلا ما ذكرت .

فلما رأى خالد بن جعفر كمدى زهير على أخواله من غنى . قال : والله ما رأينا كالأيوم كمدى رجل
على قومه ، فقال له زهير : فهل لك أن تكون طلبتي عندك وأترك غنياً ؟ قال : نعم ، فانصرف
زهير وهو يقول :

فلولا كلاب قد أخذت قريفتي	برد غنى أعبداً ومواليها
ولكن حتمهم عصبه عامرية	يهزون في الأرض الفصار العواليها
مساغيري الميها مصاليت في الوغى	أخوم عزيز لا يخاف الأعدايا
يقيمون في دار الحفاظ تكروما	إذا ما في القوم أضحت خواليها

الغنى : جمع فناء

ثم أنه أرسل امرأة وأمرها أن تكتم نسبها ، وأعطاهما لحم جزور سمينة ، وسيرها إلى غنى
لتبيع اللحم بليب ، وتساءل عن حال ولده ، فانطلقت المرأة إلى غنى وفلتت ما أمرها ، فأتته إلى
امرأة رياح بن الأسك ، وقالت لها : قد زوجت بنتا لي وأبني الطيب بهذا اللحم ، فأعطتها طيباً ،
وحدثتها بقتل زوجها شاساً ، فادت للمرأة إلى زهير وأخبرته ، فجمع خيله ، وجعل يفر على
غنى حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، وولدت الحرب بين بني عبس وبين عامر (ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١)
(٢) الرديف : الراكب خلف الراكب

فَأَدْخَلَا يَدَيْهِمَا فِي الصُّحُفَةِ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَضْرَةً ^(١) يَا كَلْمَا ،
مُتَرَادِفِينَ لَا يَفْهَمَانِ عَلَى التَّرْوَلِ ، فَرَفَّ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا صُرْدٌ فَصَرَّصَرَ ، فَأَلْقِيَا اللَّحْمَ ،
وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا ، وَقَالَا : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا عَظْمًا ؛ وَرَمَرَ الصُّرْدُ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا نَصْرُصَرَ ، فَأَلْقِيَا الْعِظْمَيْنِ وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا
وَقَالَا : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا الثَّلَاثَةَ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قِطْعَةً ، فَرَفَّ الصُّرْدُ فَوْقَ
رُءُوسِهِمَا فَصَرَّصَرَ ، فَأَلْقِيَا الْعِظْمَيْنِ حَتَّى فَعَلَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَإِذَا هُمَا بِالْقَوْمِ أَدْنَى
ظِلَامٍ ^(٢) . - وَقَدْ كَانَا يَنْظُرَانِ أَنَّهُمَا قَدْ خَالَفَا وَجْهَةَ الْقَوْمِ ! فَقَالَ لِرِيَّاحِ صَاحِبِهِ : اذْهَبْ
فِيَّيْ آتَى الْقَوْمَ أَشْغَلَهُمْ عَنكَ وَأُحَدِّثُهُمْ حَتَّى نُنَجِّزَهُمْ ، ثُمَّ مَاضٍ إِنْ تَرَ كَوْنِي .
فَانْحَدَرَ رِيَّاحٌ عَنِ عَجْزِ الْجَمَلِ ، فَأَخَذَ أُذْرَاجَهُ ^(٣) ، وَعَدَا حَتَّى أَتَى ضِفَّةً فَاحْتَفَرَ
تَحْتَهَا مِثْلَ مَكَانِ الْأَرْنَبِ وَوَلَجَ فِيهِ ، ثُمَّ أَخَذَ تَعْلَيْنِ مِنْ سِبْتٍ ^(٤) فَجَمَلَ إِحْدَاهُمَا
عَلَى سُرَّتِهِ ، وَالْأُخْرَى عَلَى صَفْنِهِ ^(٥) ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمَا الْعِمَامَةَ . وَمَضَى صَاحِبُهُ حَتَّى لَقِيَ
الْقَوْمَ ؛ فَسَأَلُوهُ فَحَدَّثَهُمْ وَقَالَ : هَذِهِ غَنَى كَامِلَةٌ ، وَقَدْ ذَوَّبْتُ مِنْهُمْ ، فَصَدَّقُوهُ
وَحَلُّوا سِرَّيْهِ ^(٦) .

فَلَمَّا وَلَّى رَأَوْا مَرْكَبَ الرَّجُلِ خَلْفَهُ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي كَانَ خَلْفَكَ ؟
فَقَالَ : لَا مَسْكَدُ بَةَ ! ذَلِكَ رِيَّاحٌ فِي الْأَوَّلِ مِنَ السَّمَرَاتِ ^(٧) ، فَقَالَ الْحَصِينَانِ ^(٨)

- (١) الرضرة : القطة الصغيرة من اللحم (٢) أدنى ظلام : أدنى شيء
(٣) أدرج : جمع درج ، وهو الطريق ، والمعنى مضى لسيبته (٤) السبت : الجلد المدبوغ
والتعل مؤنثة (٥) الصفن : وطاء الحصية (٦) السرب : الطريق والوجه
(٧) السمرات : واحدها سمرة ، وهو شجر (٨) الحصينان : الحصين بن زهير والحسين
ابن أسيد .

لمن معهما : قَفُوا علينا حتى نعلم علمه ، فقد أمسكتنا الله من تَأْرنا ، ولم يريد أن يَشْرِكهما فيه أحد ، ومضياً ووقف القوم وخنسوا^(١) عنهما .

فلما رأها رياح رمى الأوّل منهما قَبْرَ صُلْبِهِ ، وطمنه الآخر قبل أن يرميه ، وأراد السُرّة فأصاب الرَبْلَةَ^(٢) ، ومرّ الفرسُ يَهْوِي به ، فاستدبره رياح بسهم فرشقَ به صُلْبِهِ ؛ وَنَدَّ فرسها فلحقها بالقوم .

فقال عبس : أين تذهبون إلى هذا ؟ والله ليقتلنّ منكم هدداً ، وقد جرحاه وسيموتُ .

ثم إن رياحا أخذتُ رمي القليل وسلبيهما وانطلق حتى ورد رَدْهُة عليها بيتُ أعمار بن بفيض ، وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها ، وجمل لها راتع في الجبل ، وقد مات رياح عطشاً ، فلما رأته يَسْتَدْمِي^(٣) طمعت فيه ، ورجت أن يأينها ابناها فقالت : استأسر ، فقال : دعيني وبحك أشرب ! فأبت فأخذ حديدةً فجذَمَ^(٤) بها رواهتها^(٥) ، وعبّ في الماء حتى نهيل ، ثم توجه إلى قومه ، فقال فيها وفي الحصينين :

قالت لي : استأسر لِتَكُنْفَنِي حيناً وبملو قولها قولي
ولأنت أجراً من أسامة أو منى غداة وقفت للخيل
إذ الحصين لدى الحصين كما عدل الرّجّازة^(٦) جانب الليل

(١) خنسوا : تأخروا (٢) الريلة : أصل القخذ (٣) استدمى الرجل : طأطأ رأسه
يخطر منه الدم (٤) الجذم : القطع (٥) الرواهش : عروق ظاهر الكف
(٦) الرّجّازة : شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعته في الناحية
الأخرى ليمتدل .

٢ - يَوْمُ النَّفْرَاتِ

كان زهير بن جديمة^(١) العبسي سيداً لهوازن^(٢) ، فكانت لا تراه إلا ربياً . وهوازن يومئذ لا خيرَ فيها ، وإنما هم رعاءُ الشاء في الجبال ، وكان زهير يعزُّمهم^(٣) ، فإذا كانت أيامُ عكاظَ أتاها زهير ، ويأتيها الناسُ من كلِّ وجه ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي له في أعناقهم ، فيأتونه بالسمن والأقط^(٤) والغنم ، ثم إذا تفرقت الناس نزل بالنفراوات .

فأتمته عجوزٌ من هوازن بسمنٍ في نحْي^(٥) ، واعتذرت إليه وشكَّت السنين التي تتابعت على الناس ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها^(٦) بقوس في يده عطل^(٧) في صدرها ، فاستلقت لحلاوة^(٨) القفا ، ففضبت من ذلك هوازن وصمدت له^(٩) ،

* لعامر على عبس و (النفراوات) هكذا ذكره صاحب الأغاني ، وفي العقد الفريد (النفراوات) ، وفي معجم ما استعجم : النفراوات ، قال : نقرى بفتح أوله وإسكان ثانياً بعده راء مهملة مقصور على وزن فطلي ، ويمد : موضع في بلاد غطفان . قال السكري : هي حرة . قال مالك بن خالد الحفاعي :

ولما رأوا نقرى تسبل أكامها بأرعن جراز وحاية غلب
ورواه السكوتى : نقرى بالقاف . قال أبو التتح أراد نقرى فخفف للضرورة ، قال أبو صخر فجمعها على نقرات :

فلسا تفتى نقرات سحيله ودافعه من شامه بالرواجب
يريد بالأصابع ، يصف سحاباً .

العقد الفريد من ٣٠٤ ج ٣ ، الأغاني من ١٠ ج ١٠ ، ابن الأثير من ٣٣٨ ج ١٠ ، بلوغ الأرب من ١١٧ ج ١ ، معجم ما استعجم (ركبة - نقر - نقرات)

(١) من عبس ، وينتهي نسبه إلى قيس عيلان بن مضر (٢) هوازن : حى من قيس عيلان (٣) يعزُّم : يظلمهم (٤) الأقط : شئ يتخذ من الخيش الغنمي (٥) النحى : الرق الذي يجعل فيه السمن (٦) دعها : دفعها (٧) قوس عطل : لا وتر فيها (٨) حلاوة القفا : وسطه (٩) صمدت له : قصده وابتظرت غفلته .

هذا إلى ما كان في صدرها من النفيظ والدَّمن^(١) وما أوحَرها^(٢) من الحسد .
وتذامرت^(٣) عامر بن صعصعة - وهم بطن من هوازن - وآلى خالد بن جعفر
فقال : والله لأجملنَّ ذراعى وراء عُنُقِهِ حتى أُقتلَّ أو يُقتلَّ ، ثم قال :

أديروني أداتكم^(٤) فإني وحذفة^(٥) كالشجأ تحت الوريدِ
مقرَّبة أسدبها بخزٍ وألحفها ردائي في الجليدِ
وأوصى الراعيين ليؤثرواها لها لبن الخلية والصمود^(٦)
تراها في النزاة وهن شمت^(٧) كقلب العاج في الرُسخ الجديد

ولاسم زهير هذا القول حقر خالدًا وسببه ، فقال خالد : اللهم أمكن يدي
هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ، ثم أعنى عليه . فقال زهير : اللهم
أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا . فقالت قريش - وكان
الكلام أماتهم : هلكت والله بأزهير . فقال زهير : إنكم والله الدين لا علم لكم .

* * *

ثم انتقل زهير من قومه بينه وبين أخويه زنباع وأسيد يربغ^(٨) الفيت في
عُشراوات^(٩) له ، وبنو عامر قريب منهم ولا يشعرون بهم ، وكانت تماضر بنت
الشريد امرأة زهير بن جذيمة ، فرَّ بها أخوها الحارث^(١٠) ؛ فقال زهير

(١) الدمنة : الحقد القديم ، وجمه دمن (٢) أوحره : أوغره (٣) تذامرت :
تماحزت على القتال (٤) لسكل ذي حرفة أداة ، وهي آله التي تقيم حرفته ، وأداة الحرب
سلاحها (٥) حذفة : فرس خالد بن جعفر (٦) الخلية : النساقة تنتج فينحر ولدها
ليدوم لهم لبنها ، والصمود : الناقة يموت حوارها فتعطف على فصيلها (٧) القلب : السوار
(٨) يربغ : يطلب (٩) العُشراء : الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر ، وجمها عُشراوات
(١٠) كان الحارث قد أصاب دماً ، ثم احتسب بيني عامر قوم خالد وكان فيهم ، ثم إن خالدًا
أرسله عيناً ليأتيه بجهر زهير .

لَبْنِيهِ : إن هذا الحمار أَطْلِمَةٌ عَلَيْكُمْ فَأَوْتِقُوهُ ، قَالَتْ أُخْتُهُ لَبْنِيهَا : أَيُزوركُمْ خَالِكُمْ
فَتَوْتِقُوهُ وَتَحْرَمُوهُ ؟ نِم حَلْبُوا لَهُ وَطَبَا^(١) ، وَأَخَذُوا مِنْهُ يَمِينًا أَلَا يُخْبِرَ عَنْهُمْ ،
وَلَا يُنذِرُ بِهِمْ أَحَدًا .

فَخَرَجَ يَطِيرُ حَتَّى أَتَى بَنِي عَامِرٍ عِنْدَ نَادِيهِمْ ، وَأَتَى شَجْرَةَ فَالْتَى الْوَطْبَ تَحْتَهَا
وَالْقَوْمُ يَنْظُرُونَ ، نِم قَالَ :

أَيُّهَا الشَّجْرَةُ الذَّلِيلَةُ ؛ أَتُرَبِّي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ وَانظُرِي مَا طَعَّمَهُ ؟ فَقَالَ أَهْلُ
الْمَجْلِسِ : هَذَا رَجُلٌ مَأْخُودٌ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يُخْبِرُكُمْ خَيْرًا !

فَأَوْه ، وَذَاقُوا اللَّبْنَ ، فَإِذَا هُوَ حَلُوبٌ لَمْ يَقْرَأْ مِنْ بَعْدِ^(٢) ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لِيُخْبِرُنَا
أَنْ طَلَبْنَا قَرِيبًا .

فَرَكِبَ خَالِدٌ وَرَكِبَ مَعَهُ سِتَّةُ فَوَارِسٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ لِيَنْظُرُوا مَا الْخَبَرُ . وَاقْتَصَمُوا
أَثَرَ السَّيْرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا إِبِلَ بَنِي عَبَسٍ فَرَلُوا عَنِ الْخَيْلِ ؛ فَقَالَتْ نِسَاءُ بَنِي عَبَسٍ :
إِنَّا لَنَرِي حَرَجَةً مِنْ عِضَاءِ^(٣) ، أَوْ غَابَةَ مِنْ رِمَاحٍ بِمَكَانٍ لَمْ نَكُنْ نَرِي بِهِ شَيْئًا .
ثُمَّ رَاحَتِ الرَّعَاءُ فَأَخْبَرُوا بِمِثْلِ هَذَا الْخَبَرِ ، وَأَخْبَرَتِ رَاعِيَةٌ أُسَيْدِ بْنِ جَدِيمَةَ أُسَيْدًا
بِمِثْلِ ذَلِكَ .

فَأَتَى أُسَيْدٌ أَخَاهُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا أَخْبَرْتَهُ بِهِ الرَّاعِيَةُ وَقَالَ : إِنَّمَا رَأَتْ خَيْلَ بَنِي عَامِرٍ
وَرِمَاحَهَا . فَقَالَ زَهِيرٌ : كُلُّ أَرْبٍ^(٤) نَقُورٌ ! وَأَيْنَ بَنُو عَامِرٍ ؟ أَمَّا كِلَابٌ فَكَالْحَيْةِ^(٥)

(١) الوطْبُ : سقاء اللبَنِ (٢) يقرص : يحمض (٣) الضياء : كل شجر يعظم وله
شوك ، والحرجة : الجماعة منها (٤) الأرب من الإبل : كثير شعر الأذنين والعينين . قال
في اللسان : ولا يكاد يكون الأرب إلا تنوراً لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح
نفر ، وكان أسيد كثير الشعر . وقد ذهب الجماعة مثلاً (٥) كلاب وكعب ونغير وهلال :
طون من عامر بن صعصعة .

إن تركتها تركتك ، وإن وطئتها عصتكَ . وأما بنو كعب فإنهم يصيدون
اللائي (١) ، وأما بنو نعيم فإنهم يرعون إبلهم في رهوس الجبال ، وأما بنو هلال
فبييمون المطر .

ثم آلى زهير لا يبرح مكانه حتى يُصبح ، وتحمل من كان معه غير ابنه ورقاء
والحارث . وكانت لزهير مظلة دوح يربط فيها أفراسه لا تريمه حذراً من الحوادث ،
فلما أصبح صهلت فرس منها حين أحست بالخليل ، وهي القمساء (٢) . فقال زهير :
مالها ؟ فقال ربيته (٣) : أحست بالخليل فصهلت إليهن ، فلم تؤذنهن بهن إلا والخليل
دوائس محاضر (٤) بالقوم غدية ، فقال زهير لأخيه أسيد - وظن أنهم أهل اليمن :
يا أسيد ؛ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تعمى حديثهم منذ الليلة ، وركب أسيد
ومضى ناجياً .

ثم إن زهيراً وثب وتدثر (٥) القمساء فرسه وهو يومئذ شيخ قد بدّن (٦) ، وقال
لابنه ورقاء : انظر يا ورقاء ما ترى ؟ فقال ورقاء : أرى فارساً على شقراء يُجهدها
ويكدها بالسوط قد ألح عليها . فقال زهير : شيئاً ما يريد بالسوط إلى الشقراء (٧) .
وتمرت القمساء بزهير ، وجمل خالد يقول : لا نجوت إن نجا مجدّع (٨) .
ولما تمفطت (٩) القمساء بزهير ولم تتعلق بها حذفة قال خالد لماوبة الأخيل

(١) اللائي : الثور الوحشي (٢) القمساء : اسم فرس زهير (٣) الربيثة : الطلبة
التي ينظر القوم لثلا يدهم المدو . وقد زعموا أن ربيثة زهير كان من الجن
(٤) دوائس : يتبع بعضها بعضاً ، والمحضار : الكثير الحضر ، والحضر : ارتفاع القرس في
عدوه (٥) تدثر فرسه : وثب عليها (٦) بدن الرجل : أسن وضعف
(٧) ذهبت مثلاً ، والشقراء هي حذفة فرس خالد (٨) يعني زهيراً (٩) تمفط القرس :
جرى حتى لا يجد مزيداً في جره .

ابن جبادة ، وهو ممن كانوا معه : أدرك معاوية ، فأدرك معاوية زهيراً ، فجعل ابناه ورقاء والحارث يوطشان^(١) عنه ؛ فقال خالد : اطمن يا معاوية في نساها^(٢) ، فظمن في أحد رجلها ؛ فأنخذت القمساء بمض الأنخذال ، وهي في ذلك تتممط ، فقال زهير : اطمن الأخرى - يكيدُهُ بذلك لكي تستوى رجلها ، فتصامل . فناداه خالد : يا معاوية ؛ أفذ^(٣) طمئنك ، فشمشغ^(٤) الرمح في رجلها فأنخذت .

ولحقه خالد على حذفة ، فجعل يده وراء عنق زهير وقلبه ، وخر خالد فوته ، ولحق حندج بن البكاء - وكان ممن جاء مع خالد - فوجد خالد قد حسر المففر عن رأس زهير فقال : نوح رأسك يا أبا جزء^(٥) ، لم يميز يومك ا فنعى خالد رأسه وضرب حندج^(٦) رأس زهير ، وضرب ورقاء رأس خالد بالسيف وعليه درعان ، فلم يُمن شيئاً ، وأجهض^(٧) ابنا زهير القوم عن أبيهما فانترعاه مرتين^(٨) .

قال خالد - حين استنقذ زهيراً ابناه : وَالْهَفْتَاهُ ؛ قد كنت أظن أن هنا المخرج سينفمكم ، ولام حندجا ؛ فقال حندج : السيف حديد ، والساعد شديد ، وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركائب ، وسمعت السيف قال : قَبَّ قَبَّ^(٩) حين وقع برأسه ، ورأيت على ظبيته مثل ثمر المرار . فقال خالد : قتلته بأبي أنت !

-
- (١) يوطشان : يدفسان
(٢) أي اطمن مكاناً واحداً
(٣) أي أجزء : كنية خالد
(٤) شمشغ السنان في الطمينة : حركة ليتكن في الطمون
(٥) أبو جزء : كنية خالد
(٦) في المقعد العرود : الذي ضربه هو معاوية الأخيل
(٧) أجهض : نعى
(٨) المرت : المحمول من المعركة جرحاً
(٩) قَبَّ قَبَّ : حكاية وقع السيف .

ونظر بنو زهير فإذا بالضربة قد بلغت الدماغ ، ثم استسقام فعموه الماء ،
 حتى نُهك عَاشَا ، وقال : أَمِيَّتْ أَنَا مَطْشَا ! استقوى الماء وإن كان فيه نَفْسِي ،
 ثم أخذ ينادى : ياورقاء ؛ ولما لم يُجِبه جِسل ينادى : يا شاس^(١) ، فلما رأوا ذلك
 سقوه ، فأت بعد ثلاثة أيام .



وفي قتل زهير بقول ابنه ورقاء :

رَأَيْتْ زَهِيْرًا نَحْتُ كَلْكَلًا^(٢) خَالِدٌ فَأَقْبَلْتُ أَسْمَى كَالْمَجْوَلِ^(٣) أُبَادِدُ
 إِلَى بَطْلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلَاهُمَا يُرِيْنَانِ^(٤) نَعْلَ السَيْفِ وَالسَيْفُ دَائِرٌ^(٥)
 فَشَلَّتْ يَمِيْنِي إِذْ ضَرَبْتَ ابْنَ جَعْفَرٍ وَأَحْرَزَهُ مَنِ الْحَدِيْدُ الظَّاهِرُ^(٦)
 فَيَالَيْتَ أَنِّي قَبْلَ أَيَّامِ خَالِدٍ وَيَوْمَ زَهِيْرِ لَمْ تَلْدُنِي تَخْفَرُ
 لِعَمْرِي لَقَدْ بَشَّرْتِ بِي إِذْ وُلِدْتِنِي فَا الَّذِي رَدَّتْ عَلَيْكَ الْبَشَائِرُ
 فَطَرَ خَالِدٌ إِنْ كُنْتَ نَسْطِيعَ طَيْرَةً وَلَا تَقَمْنِ إِلَّا وَقَلْبُكَ حَازِدٌ
 أَتَيْتُكَ الْمَنَابِيْءَ إِنْ بَقِيَتْ بِضْرِبَةٍ تَقَارِقُ مِنْهَا الْعَيْشَ وَالْمَوْتَ حَاضِرٌ

(١) هو شاس بن زهير الذي قتله رياح بين الأسك عند عودته من زيارة النعمان بن النذر
 (٢) الكلكل : الصدر (٣) المجول من النساء والأبل : الواله التي فقدت ولدها .
 وفي معجم ما استعجم :

• فأقبلت أسمى كالمجوز أبادر •

(٤) يرينان : يديران (٥) دثر السيف : صدى فهو دائر وفي القمد : والسيف دائر
 (٦) ظاهر الدرع : لأم بعضها على بعض ، ويراد بالحديد : الدرع .

وقال خالد بن جعفر بن علي هوازن بقتله زهيراً ، ويصدق الحديث :
أبلغ هوازنَ كيف تكفروُ بعدما أعتقتهم فتَوالدوا أحراراً
وقتل ربهم زهيراً بعدما جَدَعَ الأنوفَ وأكثر الأوزاراً
وجملت حزن بلادهم ورجبالمهم أرضاً فضاء مهلة وعثارا
وجملت مهر بناتهم ودمائهم عقل^(١) الملوك هجائنا أبكاراً

(١) أي جملت ذلك كدية الملوك .

٣- يَوْمَ بَطْنِ عَاقِلٍ

أغار خالدُ بنُ جعفر بنِ كلابِ العامري على ذُيَّانٍ - رهطِ الحارثِ بنِ ظالمِ المرِّي الذُّبْيَانِي - وهم في وادٍ يقال له حُرَاضٌ ، فقتل الرجالَ حتى أسرفَ ، وبقيت النساءُ ، والحارثُ بنُ ظالمٍ يومئذٍ صغيرٌ ؛ وزعموا أن ظالماً أباه هلك في تلك الواقعة من جراح أصابته يومئذٍ .

وكانت نساءُ بني ذُيَّانٍ لا يحلِّبنَ اللبنُ ، فلما تَأَيَّمَنَ ورصرنَ بغيرِ رجالٍ طَفِقْنَ يَدْعُونَ الحارثَ ، فبشدُّ عَصَابِ الناقةِ ، ثم يحلِّبُنها ويبيكينَ رِجالَهنَّ ، ويبيكي الحارثُ معهنَّ ، فنشأ على بُغْضِ خالدٍ ، وأردفَ ذلك قتلُ خالدِ زهيرِ بنِ جذيمةِ المِبيسي ؛ فاستحقَّ العداوةَ في غطفانٍ^(١) .

ثم مكث خالدُ بُرْهَةً من دَهْرِهِ أتى بعدها النعمانُ^(٢) بنُ المنذرِ ملكِ الحِمْيَرِ ، فألقى عنده الحارثُ بنُ ظالمِ المرِّي فأقبل النعمانُ يسأله ؛ فحسدُه خالدُ ، ثم قال للنعمانِ : أبيت اللعن ! هذا رجلٌ لي عنده يدٌ عظيمةٌ ! قتلتُ زهيرَ بنَ جذيمةِ المِبيسي - وهو سيّدُ غطفانٍ - فصارَ هو بمدِّ قتلِهِ سيّدَها ! فقال الحارثُ - غاضباً : سأُجزِيكَ على يدِكَ عندي !

ثم إن النعمانَ دعاها بمدِّ ذلك ومعهما بمض القومِ ، وقدمَ لهم تمرّاً ؛ فطَفِقَ خالدُ

* لذُيَّانٍ على عامرٍ ، وبطنِ عاقِلٍ : موضعٌ على طريقِ الحاجِّ من البصرةِ

الأغانِي ص ١٦ ج ١٠ ، ابن الأثيرِ ص ٣٣٨ ج ١ ، المقدِّمُ الفريدُ ص ٣٠٥ ج ٣

(١) كان زهيرُ بنُ جذيمةٍ من عبيسٍ ، والحارثُ بنُ ظالمٍ من ذُيَّانٍ ، وعبيسٌ وذُيَّانٌ : حِمْيَرٌ من غطفانٍ بنُ قيسِ عيلانٍ (٢) في المقدِّمِ الفريدِ : إن وقادةَ خالدٍ ولقائه بالحارثِ كانا عند الأُسودِ بنِ المنذرِ أخي النعمانِ ، وفي ابنِ الأثيرِ : كانا لقاؤهما عند النعمانِ بنِ امرئِ القيسِ .

يأكل ويُلقى نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحارث^(١). فلما فرغ القوم قال خالد: أيت اللمن ! انظر إلى ما بين يدي الحارث من النوى ، فإترك لنا تمرآ إلا أكله ، فقال الحارث : أما أنا فأأكلُ التمر وألقيت النوى ، وأما أنت ياخالد فأأكلته بنواه! فغضب خالد - وكان لا يُنازع - وقال : أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك^(٢) ، وتركتك يتيمًا في حجور النساء ؟ فقال الحارث : ذلك يوم لم أشهده ، وأنا مُؤمن اليوم بمكاني . فقال خالد : فهلاً تشكرني إذ قتلتُ زهير بن جذيمة وجعلتُك سيِّدًا غطفان ؟ قال : بلى ، سوف أشكرك على ذلك .

وكان مع خالد ابن أخيه^(٣) عروة الرِّحال بن عتبة بن جعفر ، فقال لعمه خالد : ما أردت بكلامه وقد عرفته فتأ كما ، فقال خالد : وما تخوفني منه ؟ فوالله لو رأيته نائمًا ما أيقظني .

ثم إن الحارث بن ظالم ذهب إلى امرأة يقال لها بنت عفرز فشرب عندها ، وقال لها تمنني :

تعلّم آيت اللمن أنّي فأنك^١ من اليوم أو من بعده باين جعفر
أخالد نبهتني فسير نائم^٢ فلا تأمن فتسكي مدى الدهر واحذر
أعييتني أن نلت مني فوارسأ^٣ غداة حراض مثل جنان عبقري^(٤)
أصابهم الدهر الخثور بختري^(٥) ومن لا يقى الله الحوادث يعثر
لملك يوماً أن تنوء بضربة^(٦) بكف فتى من قومه غير جيدر^(٦)

(١) عبارة ابن الأثير : وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب
(٢) الحاضر والماضرة : الحى العظيم ، وهو يريد أهل حاضرتك (٣) عبارة ابن الأثير :
قال عروة لأخيه خالد (٤) حراض : واد لرهط الحارث ، وعبقر : موضع كثير الجن .
والجان من الجن جمه جنان (٥) الخثر : النسر (٦) الجيدر : النصب .

يعضُ بها علياً هوازن ، والمئى لقاءُ أبي جَزْءٍ^(١) بأبيضٍ مَبْرٍ
 فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يَحْفِلْ به . وكان عبدُ الله بن جمدة - وهو ابن
 أخت خالد - رجلاً قيسَ رَأْيَا ، وبلغه قول الحارث؛ فأرسل ابنه إلى خالد ، وقال له :
 ائمه وقل له : يا أبا جَزْءٍ ؛ إن الحارث بن ظالم سيفه مَوْتُور ، فأخضِ مِيَتَكَ الليلة
 فإنه قد غلبه انسراب ، فإن آيتَ فأجملُ رجلاً يحرسك .

فلم يقبل خالد أن يُعْنَى مِيَتَهُ ، ولكنه نام وجعل رجلاً يحرسه ، ونام عروة
 وابن جمدة دونَ الرجل^(٢) . ولما أظلم الليل أقبل الحارث حتى انتهى إلى ابن جمدة
 وعروة فتمدَّأهما ، ثم أتى قَبَةَ خالد فهتَكَ شَرَجَمًا^(٣) ، ومضى إلى الرجل الحارس
 يحسبه خالداً فمَجَنَّهُ بكَلسِكِهِ حتى كسره ، وجعل يكلمه فلا يعقل ، ثم خَلَى عنه
 حين عرف أنه ليس بخالد .

ومضى إلى خالد فأيقظه ، فلما استيقظ قال له : أتعرفني ؟ قال : أنت الحارث !
 قال : خُذْ جَزَاءَ يَدِكَ عِنْدِي ! وضربه بسيفه المُلُوب^(٤) فقتله ، ثم خرج من القبة
 وركب راحلته وسار .

وأتته عروة ، فصاح : واجوار الملك^(٥) ! ثم ذهب إلى باب النعمان فدخل عليه
 وأخبره الخبر ، فبثَّ الرجال في طلب الحارث .

(١) أبو جَزْءٍ : كنية خالد (٢) في ابن الأثير : ثم خرج خالد وأخوه إلى قبتهما فصرجاها
 عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه (٣) المبرج : عرا الجباه واليية ونحو ذلك
 (٤) الملوب : سيف الحارث ، كذا كان اسمه (٥) وصمت امرأة من بني عامر بتسل
 خالد ، فشقت جيبها ، فقال عبد الله بن جمدة الكلابي :

شقت عليك الصامرية جيبها أسفاً وما تبكى عليك ضللاً
 في رواية ابن الأثير الجعفرية

ياحار لو نيهته لوجدته لا طائنا رعنا ولا مزالا
 للزمال : من لا رمح له

واغرورقت عيناى لما أصررت وبالجعفرى وأسببت إسبالا
 فلتقلن بخالد سروانكم ولنجلن للظالمين نكالا
 قليلاً وأجيم طرماً مثلياً منا فأنا لا نغاول حلالا

قال الحارث : فلما مرتُ قليلاً خِفتُ أن أكونَ لم أقتله ، فمدتُ متنكراً
واختلطت بالناس ، ودخلت عليه فضرته بالسيف حتى تيقنتُ أنه مقتول ، وعدتُ
فلحقتُ بقوى (١) .

ولما رجع الحارث إلى قومه أبوا أن يجيروه (٢) ؛ فغضب لذلك قيسُ بن زهير بن
جذيمة العبسي ، وهو الذي قتل خالدُ بن جعفر أباه ، فأرسل إلى الحارث بهذه
الآيات :

جزاك الله خيراً من خليل	شقي من ذي تبولته (٣) الخليلاً
أزحت بها جوى ودخيل حزن	تمخخ أعظمى زمناً طويلاً
كسوت الجعفري أبا جزى (٤)	ولم تحفل به سيفا صقيلاً
أبأت به زهير بن بغيض (٥)	وكنف لثلها ولها حملاً
كشفت لها القناع وكنت رمين	يجلئ العار والأمر الجليلاً

فأجابه الحارث بن ظالم :

أناي عن قيس بن زهير	مقالة كاذب ذكر التبولاً
فلو كنتم كما قلم لكم	لقاتل تاركم حرزاً أصيلاً
ولكن قلم جاوز سوانا (٦)	فقد جللتنا حدثاً جليلاً
ولو كانوا هم قتلوا أخاكم	لما طردوا الذي قتلوا القتيلاً

(١) وفي خالد يقول الحارث :

ألا سائل النمان إن كنت سائلاً	وحي كلاب هل فتكت بمالاً؟
عشوت إليه وابن جمدة دونه	وعروة يكلأه غير راقه

عشوت إليه : قصدته ليلاً

(٢) انظر يوم الرحرهان ، وسيأتي بعد في القسم الثامن (٣) النبوة : جمع تبول وهو المناوة

(٤) خالد بن جعفر (٥) هو زهير بن جذيمة وينتهي نسبه إلى بغيض (٦) وقد حاور

قياً بعد بني تميم ، ولم يمكث فيهم بل رحل عنهم .

٤ - يَوْمَ دَاحِسٍ وَالغَبْرَاءِ

- ١ -

سار قيسُ بنُ زهير^(١) بنُ جذيمة العبيسيّ إلى المدينة ليتجهزَ لقتالِ بني عامر ،
ويأخذُ بثأر أبيه زهير بن جذيمة الذي قتله خالد^(٢) بن جعفر الكلابي العامري ،
فأتى أحيحة^(٣) بن الجلاح يشتري منه درعاً موصوفة ، فقال له : لولا أن تَدَمَّنِي^(٤)
بتو عامر لو هبَّتها لك ؛ ولكن اشتراها يا بنِ لَبُون . ففعل ذلك ، وأخذ الدرع - وكانت

* بين عيس وذيان ، وكانت الحرب بينهما سجلاً واتمت بصلح . وداحس والغبراء : اسمها
فرسين لقيس بن زهير ، وتشتمل هذه الحرب أيام المريبق وذى حساء واليمرية والهباءة وفروق
وفظن .

شعراء الصراينة ص ٩١٧ ، المقد القرطبي ص ٣١٣ ج ٣ ، سيرة ابن هشام ص ١٨٢ ج ١ ،
ابن الأثير ص ٣٤٣ ج ١ ، النفاض ص ٨٣ ، الأغاني ص ٢٤٠ ج ٨ ، وص ٢٦ ج ١٦ ،
ديوان عنترة بن شداد ص ١٥١ ، معجم البلدان (أصدا - هباءة) شرح ديوان الحماسة للتبريزي
ص ٣٩٧ ج ١ - وص ٣٧ ج ٣ ، شرح الزوزني على المعلقات السبع ص ٨٩ ، شرح التبريزي
على المعلقات العشر ص ١٠٠ ، الأمثال ص ٥١ ج ٢ ، شرح العيون ص ٩٩

(١) قيس بن زهير سيد بني عيس ، وكان يلقب بقيس الرأي ، لجودة رأيه ، وكان أيضاً مجرباً ؛
ذكر وامن دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديداً ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن
زياد : إنه يسوءك ما يسر الناس ا فقال : يا ابن أخي ، إنك لا تدري ؛ إن مع الثروة والنعمة
التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التماسد والتوازر والتناصر . وكان يقول : أربصة
لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقيحة تزوجت (٢) انظر يوم الغزوات
(٣) أحيحة بن الجلاح : كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلمي أم عبد المطلب بن هاشم
تحت ، وكانت لا تتكح الرجال إلا وأمرها يدها فتركته لعمى كرهته فزوجها هاشم فولدت له
عبد المطلب ، وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يعبط بأمواله
وكانت له نسمة وتسمون بئراً كلها ينضح عليها (٤) كان لبني عامر يد عنده .

تسمى ذات الحواشي - وَوَهَبَهُ أَحِيحَةَ أُدْرَاعًا أُخْرَى^(١) ، وعاد إلى قومه ، وقد فرغ من جهازه .

واجْتَاَزَ بِالرَّبِيعِ^(٢) بن زياد العيسى ، ودعاه إلى مساعدته على الأخذ بئار أبيه ، فأجابه إلى ذلك . ولما أراد إفراقه نظر الربيع إلى عَيْبَتِهِ^(٣)؛ وقال له : ما في حقيبتك ؟ فقال : متاعٌ عجيب ، لو أبصرته لرَاعَكَ . وَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ، وأخرج الدرْعَ من

(١) هذه رواية ابن الأثير ، وأما رواية الأغاني فهي : أتى قيس بن زهير أحيحة بن الجلاح لما وقع الأمر بينه وبين عامر فقال له : يا أبا عمرو : نبئت أن عندك درعاً ليس يثرب درع مثلها فإن كانت فضلاً فبعتها ، أو فبهالي ، فقال : يا أبا بني عيسى ، ليس مثلي ببيع السلاح ولا يفضل عنه ، ولو لا أنني أكره أن أستلم إلى بني عامر لو هبتها لك ، ولحلتك على سوابق خلي ، ولكن ابتزها يا أبا أيوب ؟ فإن البيع مرتخم ، وقال . فقال له قيس : فما تكره من استلامك إلى بني عامر فقال : كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول :

إذا ما أردت العزفى آل يثرب	فناد بصوت يا أحيحة أسمع
رأيت أبا عمرو أحيحة جاره	بييت قرير العين غير مروع
ومن يأتيه من خائف ينس خوفه	ومن يأتيه من جائع البطن يشيم
فضائل كانت للجلاح قديمة	وأكرم بفخر من خسالك الأربع

فقال قيس : وما عليك بعد ذلك من لوم . فلها عنه ، ثم عاد فسأوه ، ففضب أحيحة وقال له :
بت عندي فبات عنده فلما شرب تفنى أحيحة وقيس يسمع :

ألا يا قيس لا تسن دروعي	فما مثلي يساوم بالدروع
فلولا خلة لأبي حوى	وأتى لست عنها بالزروع
لأبت بمشها عمراً وطرف	لحوى الأطل جيش نبيع
ولسكن سم ما أحببت فيها	فليس بمنكر غير البيوع
فما هبة الدروع أبا بفيض	ولا الخيل السوابق بالبديع

فأسك بعد ذلك عن ساومته (ص ١٢٠ ج ١٣ طبعة الساسي) مهذب الأغاني ص ١١٥ ج ١
(٢) الربيع بن زياد : أحد زعماء عيسى وكان نديماً للثمان وله معه قصة مشهورة
(٣) العيبة : ما توضع فيها اثياب .

الحفمية ، فأبصرها الربيعُ فأعجبته ، ولبسها فكانت في طوله ، فتمنعا من قيس ولم يُعطيه إياها ، وتردّدت الرسلُ بينهما في ذلك ، ولجّ قيس في طلبها ، ولجّ الربيعُ في منمها .

فلما طالت الأيام على ذلك سیر قيسُ أهله إلى مكةَ ، وأقام ينتظر غيرةَ الربيعِ ؛ ثم إن الربيعَ سیرَ إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلابُ ، وأمر أهله فظعنوا ، وركب فرسه وسار إلى المنزل .

ولما بلغ الخبرُ قيساً سار في أهله وإخوته ، فعارض ظمآنَ الربيعِ ، فوجد فيها أم الربيعِ فاطمة^(١) ابنة الخرشب الأثمالية ؛ فاقتادَ جملها ، يريد أن يرتهنها بالدرع حتى تردّ إليه ، فقالت له : ما تريدُ يا فيس ؟ فقال : أذهب بكننٍ إلى مكةَ ؛ فأبيسكننُ بها بدرعى ؛ فقالت : ما رأيت كالذيوم فعل رجل ! أي قيس ؛ ضلّ جملك ! أترجو أن تصطّلع أنت وبنو زياد ، وقد أخذت أمهم ، فذهبت بهما بعيداً وشمالاً ، فقال الناسُ في ذلك ما شاءوا ، وحسبُك من شرِّ جماعه !

فعرف قيس ما قالت له ، فضلّى سبيلها ، وأطردَ الإبل ، وسار بها إلى مكةَ ؛ فباعها من عبد الله^(٢) بن جُدعان القرشي ، واشترى بها خيلاً ، وثبمه الربيع فلم يلحقه ؛ فكان فيما اشترى من الخليل داحس والغبراء^(٣) .

(١) فاطمة بنت الخرشب : هي إحدى النجيات من العرب ، وكان يقال لبنيها الكلمة وم : الربيع وحمارة وأنس وفيس والحارث ومالك وحمرو . روى أن عبد الله بن جدعان لقبها مرة وهي تملوف بالكعبة فقال لها : نصدتك برب هذه البنية : أي بنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ، لا بل حمارة ، لا بل أنس ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، ثم كالحلقة الفرغة لا يدري أين طرفاها (٢) عبد الله بن جدعان : من أجواد العرب في الجاهلية ، وله في الكرم نواذر ، وكان يسمى حاسي الذهب لأنه كان يصرب في إناء من الذهب ، وكانت له جفنة عظيمة قيمها للناس يأكل منها الراكب والقائم لعظمتها ، وفي الفاموس : ودرجما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم مكانه (٣) للرواة أقوال أخرى بشأن هذين الفرسين ، مبسوطه في الأغاني وابن الأثير وشعراء النصرانية والنقائض والأمثال ، ولقد اخترنا هذه الرواية عن ابن الأثير .

ثم إن قيس بن زهير أقام بمكة ، فكان أهلها يفاخرونه - وكان فخوراً -
فقال لهم : نَحْوًا كَهَبْتَكُمْ عَنَّا وَحَرَمَكُمْ ، وَهَاتُوا مَا سِئْتُمْ ، فقال له عبد الله بن
جُدعان : إذا لم نُفَاخِرْكَ بالبيت المعمور ، وَالْحَرَمِ الْآمِينَ فَبِمَ نَفَاخِرْكَ ؟
فَلَّ قَيْسٌ مَفَاخِرْتَهُمْ وَعَزَمَ عَلَى الرَّحْطَةِ ، وَسَرَّ ذَلِكَ قَرِيشًا ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا
كَرَهُوا مُفَاخِرْتَهُ ، فَقَالَ لِإِخْوَتِهِ : ارْحَلُوا بِنَا مِنْ عِنْدِهِمْ أَوْلَا ، وَإِلَّا تَفَاقَمَ الشَّرُّ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَالْحَقُّوا بِنَبِيِّ بَدْرٍ بِنَ فِزَارَةَ ؛ فَإِنَّهُمْ أَكْفَأُونَا فِي الْحَسْبِ ، وَبَنُو عَمَّنَا
فِي النَّسَبِ ، وَأَشْرَافُ قَوْمِنَا فِي الْكِرْمِ ، وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ الرَّبِيعُ أَنْ يَتَنَاوَلَنَا مَعَهُمْ ،
ثُمَّ لَحِقَ بِنَبِيِّ بَدْرٍ (١) .

وَأَجَارَهُ حُدَيْفَةُ بْنُ بَدْرٍ ، وَأَخُوهُ سَحْمَلُ بْنُ بَدْرٍ ، فَأَقَامَ فِيهِمْ ، وَكَانَ مَعَهُ
أَفْرَاسٌ لَهُ وَلَا إِخْوَتَهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مِثْلَهَا ، وَكَانَ حُدَيْفَةُ يَمْدُودُ وَيُرْوَحُ إِلَى قَيْسٍ ،
فِيَنْظُرُ إِلَى حَيْلِهِ ، فَيَصُدُّهُ عَلَيْهَا ، وَيَكْتُمُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ .
وَأَقَامَ قَيْسٌ فِيهِمْ زَمَانًا يُكْرِهُونَهُ وَإِخْوَتَهُ ؛ وَلَا عِلْمَ بِذَلِكَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ غَضِبَ
وَتَقِيمُ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، وَبِمَثِ لَبْنِي بَدْرٍ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

أَلَا أَيْلِغُ بَنِي بَدْرٍ رَسُولًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ شَنْ (٢) وَوَتَرِ
بَانِي لَمْ أَزَلْ لَكُمْ صَدِيقًا أَدْفَعُ عَنْ فِزَارَةَ كُلِّ أَمْرٍ
أَسْلَمَ سَلْمَكُمْ وَأَرَدْتُ عَنْكُمْ فَوَارِسَ أَهْلِ نَجْرَانَ وَحُجْرٍ
وَكَانَ أَبِي ابْنَ عَمِّكَ زِيَادٌ صَفَى أَيْبَكُمْ بَدْرُ بْنُ عَمْرٍو

(١) بنو بدر : بطن من فزارة ، وهي إحدى قبائل دحيان (٢) الشنء (فتح العين
وكسرهما) : البغضة .

فَأَلْجَأْتُمْ أَخَا النَّدْرَاتِ قَيْسًا فَقَدْ أَفْعَمْتُمْ إِيْفَارَ صَدْرِي
 فحَسْبِي مِنْ حُدَيْفَةَ ضَمُّ قَيْسٍ وَكَانَ الْبَدءُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ
 فَإِنَّا تَرَجَعُوا أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ وَإِنْ تَابُوا فَقَدْ أَوْسَعْتَ بُدْرِي

ولكن بنى بدر لم يتغيروا عن جوار قيس ؛ فغضب الربيع ، وغضبت بنو زياد
 لنفسه .

ثم إن حذيفة كره قيساً ، وأراد إخراجه عنهم فلم يجد حجة ، وعزم قيس
 على العمرة ، فقال لأصحابه : إني قد عزمْتُ على العمرة ، فأياكم أن تَلَابِسُوا حُدَيْفَةَ
 بشيء ، واحتملوا كل ما يكونُ منه حتى أرجع ؛ فإني قد عرفتُ الشرَّ في وجهه ،
 وليس بقديرٍ على حاجته منكم إلا أن تُراهنوه على الخيل - وكان قيس ذا رأى
 لا يُخطئُ فيما يريدُه - ثم سار يريدُ مكة .

— ٣ —

زار الورد^(١) العنبي حذيفة بن بدر فمرض عليه حذيفة خيله ، فقال :
 ما أرى فيها جواداً مُبراً^(٢) ! فقال له حذيفة : فعند من الجواد المبر ؟ فقال :
 عند قيس بن زهير . فقال له : هل لك أن تُراهنني عليه ؟ قال : نعم ، قد فعلتُ .
 فراهنه على ذكرك من خيله وأثنى .

ثم إن ورداً العنبي أتى قيس بن زهير وقال : إني قد راهنتُ على فرسين من
 خيلك ذكراً وأثنى ، وأوجبْتُ الرهان ، فقال : ما أبالي من راهنتَ غير حذيفة ،
 فقال : ماراهنتُ غيره ! فقال قيس : إنك - ما علمتُ لأنك !

(١) في مجمع الأمثال : أن رجلاً من بني عبس يقال له قرواش كان يبارى حمل بن بدر أخا حذيفة
 (٢) اللبر : الغالب .

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه ، فقال له حذيفة : ما غدا بك ؟
 فقال : غدوت لأواضيمك^(١) الرهان ، فقال حذيفة : بل غدوت لتتلقه^(٢) ، فقال
 قيس : ما أردت ذلك ، فأبى حذيفة إلا الرهان ، فقال قيس : أخبرك ثلاث خلال ،
 فإن بدأت واخترت قبلي ، فلي خلتان ولك الأولى ، وإن بدأت فاخترت قبلك ،
 فلك خلتان ولي الأولى .

قال حذيفة : فأبدأ ، قال قيس : الغاية من مائة غلوة^(٣) ، قال حذيفة :
 فالضمار^(٤) أريمون ليلة ، والمجرى من ذات الإصاد^(٥) . ففعلا ووضما السبق^(٦)
 على يدي أحد بني ثعلبة بن سمدة .

ثم ضمروا الخيل ، فلما فرغوا استقبال الذي ذرع^(٧) الغاية بينهما من ذات
 لإصاد - وهي ردهة وسط هضب القليب - فأنهى الذرع إلى مكان ليس له اسم .
 فقادوا الخيل إلى الغاية وجعلوا السابق الذي يرد ذات الإصاد ، وأجرى قيس داحسا
 والقبراء ، وحذيفة الخطار والحنفاء^(٨) .

وملئوا البركة ماء ، وجعلوا السابق أول الخيل يتكرع فيها .

(١) في القاموس يقال : هلم أو اضمك الرأي : أطلمك على رأيي وتطلمني على رأيك
 (٢) أغلقت الرهن : أوجبته (٣) الغلوة : الرمية بالنشابة (٤) قال في اللسان :
 يكون المضار وقتاً للأيام التي تضر فيها الخيل للسباق أو للركض إلى العدو ، وتضميرها : أن تشد
 عليها سروجها ، وتجلل بالأجلة حتى تفرق تحتها فيذهب رهلها ، ويشد لها ، ويحمل عليها غلمان
 خفاف يجرونها ، ولا يمتنون بها ، فإذا فعل بها ذلك أمن عليها البهر الشديد عند حضرها ، ولم
 يطمعها الشد ، قال أبو منصور : فذلك التضير الذي شاهدت العرب تفعله يسوت ذلك مضلراً
 وتضميرها (٥) ذات الإصاد : ردهة بين أجبل في ديار بني عيسى (والردهة : تقيرة في حجر
 يجتمع فيها الماء (ياقوت - مادة أصد) (٦) السبق : الحذر - هي موضع في الرهان فن
 سبق أخذته (٧) ذرع الغاية : قدرها (٨) في اللسان : الحنفاء فرس حذيفة بن بدر
 قال ابن بري : هي أخته داحس لأبيه من ولد العقال ، والقبراء خالة داحس وأخته لأبيه .

وأقام حذيفة رجلاً من بني أسد^(١) في الطريق ، وأمره أن يلقى داحساً في الطريق فإن جاء سابقاً ردّوا وجهه عن الغاية .

ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدي ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه ؛ فلما أرسلت عارضها ، فقال حذيفة : خدعتك يا قيس ، فقال قيس ترك الخلداع من أجرى من مائة^(٢) . ثم ركض ساعة ، فجعلت خيل حذيفة تسبق خيل قيس ، فقال حذيفة : سبقت يا قيس . فقال قيس : جرى المذكيات غلاب^(٣) .

فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقاً بيناً والناس ينظرون ، فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدى فلطم وجهه فألقاه في الماء ، فكاد يفرق هو وراكبه ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل . وأما راكب النبراء فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ ، ثم عاد إلى الطريق ، واجتمع مع فرسى حذيفة ، ثم سقطت الحنفاء وهي الخطار والنبراء .

ثم إن النبراء جاءت سابقة ، وتبعها الخطار ، ثم الحنفاء ، ثم جاء داحس^(٤)

(١) كان بنو أسد حلقاء لقيات قوم حذيفة ، ورواية الميداني : ووضع حمل حيساً في دلاء وجهه في شعب من شعاب هضب القلب على طريق الخيل ، وكن معه تبياناً فيهم رجل يقال له زهير ابن عبد عمرو ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية (٢) أرسلها مثلاً ، أي من مائة غلوة قال في الأمثال : وهي اثنا عشر ميلاً ، أي لو كان قصدي المداع لأجريت من قريب (٣) ذهبت مثلاً . المذكية من الخيل التي قد آتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والغلاب المغالبة ، أي ان المذكي ينال مجاربه فيغلبه لقوته ، يجوز أن يراد أن ثاني جريه أبطأ أكثر من باديه ، وثالثه أكثر من ثانيه فكأنه ينال بالثاني الأول ، وبالثالث الثاني لجريه أبطأ غلاب ، وهنا معنى قول أبي عبيد حيث قال : فهي تتحمل الجري غلاباً ، ويروى جرى المذكيات غلاباً : جمع غلوة يعني أن جريها يكون غلوات . . . (٤) عبارة النفاين : فلما مضت الخيل وأسهمت من التلية أرسل داحساً تمطر في آثارها (أي أسرع) . فجعل يندرها فرسا فرسا حتى سبقها إلى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير النبراء ولو تباعدت الخيل سبقها ، فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلقوها عن البركة ، ثم لطموا داحساً ، وقد جاءا متوالين

بمد ذلك والُغلام بسيرُ به على رِسْلِهِ ، وأخبر الغلام قيسًا بما صُنِعَ بفرسه .
فأنكر حذيفة ذلك ، وأدّعى السَّبِقَ ظلمًا ، وقال : جاء فرساي متتاليين .
ومضى قيسٌ وأصحابه حتى نظروا إلى القوم الذين ضربوا داحسًا ، وجاءه الأَسَدِيُّ
فادّعى على ضربِ داحس ، واعترف لقيس بما صَنَعَ ، وبما أمره به حذيفة .
فرجع قيسٌ وأصحابه إلى حذيفة وأصحابه وقال : يا قوم إنه لا يأتي قومٌ إلى
قومهم شرًّا من الظلم ، فأعطونا حَقَّنًا ، فأبى بنو فزارة أنْ يَمطوهم شيئًا - وكان
الْخَطَرُ (١) عشرين من الإبل ، فقالت بنو عيس : أعطونا بعض سَبَقنا (٢) ، فأبوا ،
فقالوا : أعطونا جَزورًا نَنعِرها ونطعمها أهلَ الماء ؛ فإننا نكره القَالَةَ في العرب ؛
فقال رجل من فزارة : مائةُ جَزورٍ وجزورٌ واحدةٌ سِوَالا ، والله ما كنا لِنُقِرَّ لكم
بالسَّبِقِ علينا ، ولم نُسَبِّق (٣) .

فقام رجل من بنى مازن بن فزارة فقال : يا قوم ؛ إن قيسًا كان كارهاً لأوّل هذا
الرهان وقد أحسن في آخره ، وإنَّ الظلم لا ينتهي إلا إلى شر ، فأعطوه جزوراً
من نَعَمكم ؛ فأبوا ، فقام إلى جَزُورٍ من إبله ، فمقلها لِيَمْطِئها قيسا ويرضيه ، فقام

(١) الخطر : السباق يترامن عليه (٢) السبق : الخطر (٣) رواية الأمثال : فقال
القيس وضاع السبق على يديه لحذيفة : إن قيساً قد سبق ، وأنا أردت أن يقال : سبق حذيفة ،
وقد قيل ، أفادفع إليه سبقه ؟ قال : نعم ، فدفع إليه التعلبى السابق . ثم إن عركي بن حميرة وابن
هم له من فزارة ندما حذيفة ، وقال : قد رأى الناس سبق جوادك ، وليس كل الناس رأى أن
جوادك لهم ، فدفعك السابق تحقيقاً لعدوهم ، فأسلمهم السابق ، فإنه أضر بنا وأكل حداً من
أن يردك . قال : ويلسكا ! أراجع فيما أبرمت انفسا زالا به حتى ندم انهي حمصة بن عمرو
حذيفة وقال له : إن قيساً لم يسبقك إلى مكرمة بنفسه ، وأنا سبقت دابة دابة ، فما في هذا حتى
تدمي في العرب ظلوماً . قال : أما إذ تسكمت فلا بد من أخذه .

ابنه فقال : إنك لكثيرُ الخطأ ؛ أتريد أن تخالفَ قومك ، وتلحقَ بهم خزيَّة بما ليس عليهم ؟ وأطلقَ الغلامَ عقالمها ، فلحقت بالنعم .
فلما رأى ذلك قيسُ بنُ زهيرٍ احتَمَلَ عنهم هو ومن مَعَهُ من بني عبس .

— ٤ —

ثم إن حُذيفةَ لَجَّ في ظلمه ، وأرسل إلى قيس ابنة نذبة^(١) يُطالبه بالسبِّ ، فلم يصادفَه ، فقالت له امرأته : ما أحبُّ أنكَ صادفتَ قيساً . فرجع إلى أبيه فأخبره بما قالت . فقال : والله لتمودنَّ إليه . ورجع قيس فأخبرته امرأته الخبز ، فأخذت قيسُ زفراتٍ . ولم ينشب نذبة أن رجع إلى قيس ، فقال : يقول أبي : أعطني سبِّ ، فتناول قيسُ الرمحَ فطعنه فندقَ صُلْبِهِ^(٢) ، وعادت فرسه إلى أبيه عائرة^(٣) ، ونادى قيسُ : يا بني عبسُ ! الرَّحِيل ! فرحلوا كلهم .

ولما أتت الفرسُ حذيفةَ علم أن ولدهُ قُتل ؛ فصاح في الناس ، وركبَ فيمن معه ، وأتى منازلَ بني عبس فرآها خاليةً ، ورأى ابنة قتيلا ، فنزل إليه ، وقبله بين عينيه ودفنوه .

واجتمع الناس ، فاحتملوا رِيبَه نذبة مائةَ عشراء ، فقبضها حذيفة وسكن الناس . وكان مالك بن زهير - أخو قيس - متزوجاً في فزارة وهو نازلٌ فيهم ، فأرسل إليه

(١) في الأمثال : ابنة أبا فرقة (٢) هذه رواية ابن الأثير ص ٣٤٨ ج ١ ، ورواية العقد الفريد ص ٣١٣ ج ٣ أن المتقول هو مالك بن حذيفة ، وأن الربيع بن زياد حمل دية مائة عشراء ، فقبضها حذيفة وسكن الناس ، وأما رواية الأغاني ص ٢٦ ج ١٦ ، والنفاض ص ٨٠ ج ١ فهي أن قيس بن زهير أغار على بني فزارة ، وقتل عوف بن بدر وأخذ إبله (٣) مار القرس : ذهب على وجهه وتباعد عن صاحبه .

قيس : إني قد قتلتُ نذبة بن حذيفة ورحلت ، فالحق بنا وإلا قتلت ، فلم يجبه
وقال : إنا ذنب قيس عليه (١) .

ثم إن قيساً أرسل إلى الربيع بن زياد يطلبُ منه العودَ إليه والمقام معه ؛ إذ همُّ
عشيرةٍ وأهل ؛ فلم يجبه ولم يمنعه ، وظلَّ مفكراً في ذلك .

وعاد حذيفة بن بدر فهدسَ لملك بن زهير فرساناً على أفراس من مسان (٢) خيله
وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، فانطلق القوم وقتلوه (٣) .

(١) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي : أن قيس بن زهير حين قتل ابن حذيفة أرسل إلى أخيه :
أن اخرج ، ثم بعث إليه بهذين البيتين :

أمالك لا تأمن فزارة واخسها فإنيك إن تأمن فزارة هالك
أمالك إن تحسب مقامك فيهم صواباً فقد أخطأت في الرأي مالك
فرد عليه مالك بهذين البيتين :

يا قيس حسبك ما أنبت فخلني وبنى فزارة لاني متاسك
آمرى حذيفة آخذني بجزيرة لم تجنّها كني وأنت الفانك

(٢) السنان من الإبل : خلاف الأضياء (٣) هذه رواية ابن الأثير ، وجاء في الأغاني
والأمثال والنقائض : أن مالك بن زهير آتى امرأته بالفاطمة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فهدس له
فرساناً على أفراس من مسان خيله وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، والربيع
ابن زياد مجاور حذيفة بن بدر - وكانت امرأة الربيع معاذة ابنة بدر - فانطلق القوم فلقوا مالكا
فقتلوه ثم اصرفوا عنه ، وجاءوا عشية وقد جهدوا أفراسهم فوقوا على حذيفة ومعه الربيع ،
فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم ؟ فقالوا نعم وعقرناه ، فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قط ،
أهلكت أفراسك من أجل حمار ! فقال حذيفة : لما أكثروا عليه من اللامة : إن لم تقتل حماراً ،
ولكننا قتلنا مالك بن زهير يموف بن بدر . فقال الربيع : بش لعمرك الله القتل قلت ! أما واقه
لأنى لأظنه سيبليغ ما نكره ، ثم تراجعاً شيئاً من كلام ثم تفرقا . وقام الربيع بطأ الأرض وطأ شديداً
قال أبو عبيدة : فرصوا أن حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بولدة له فقال لها : اذهبي إلى
معاذة - بنت بدر وامرأة الربيع - فانظري ما يصنع الربيع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت
واندست وراء اللئاع فبجاء الربيع فلنذ البيت حتى آتى فرسه فقبض بجمركته ثم مسح منته حتى قبض

ولما بلغ عبساً مقتل مالك بن زهير جازعت عليه ، وأمت بنو جذيمة حذيفة
 فقال بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة : ردوا علينا مالنا . فأشار سنان بن
 أبي حارثة على حذيفة ألا يرده أولادها معها ، وأن يرده للثمة بأعيانها ، فقال حذيفة :
 أردُّ الإبل بأعيانها ولا أردُّ النَّسْل ؛ فأبوا أن يقبلوا ذلك ؛ فقال قيسُ بن زهير :

يودُّ سِنَانٌ لو بِحَارِبُ قَوْمَنَا وفي الحربِ تفرِّقُ الجماعةُ والأزْلُ (١)
 يدبُّ ولا يحنفى ليفسدَ بيننا ديباً كما دبَّتْ إلى جُحرِها النملُ
 فيابننى بغيضٍ ؛ راجعاً السِّلْمَ تَسْلَمًا ولا تُشِمِنَا الأعداءُ يفترقُ السَّمْلُ
 وإن سبيلَ الحربِ وعرِّ مُضِلَّةٌ وإن سبيلَ السِّلْمِ آمنةٌ سهْلُ
 وعلم الربيعُ بن زياد بمقتل مالك بن زهير؛ فجزع عليه ، وأرسل إلى قيس عينا
 بآتيه بالخبر ، فسمعه يقول :

أَبْنَجُو بَنُو بَدْرِ بِمَقْتَلِ مَالِكِ وَيَحْدُلُنَا فِي النَّائِبَاتِ رَيْعُ
 وكان زياد قبله يُتَّقَى بِهِ من الدهرِ إن يَوْمُ أَلَمِّ فَطِيعِ
 فقلُّ لربيعٍ يَحْتَدِي فَضْلَ شَيْخِهِ وما النَّاسُ إِلَّا حَافِظُ وَمُضِيعُ
 وإلا فإلى في البلادِ إقامَةٌ وأمرُ بِنِي بَدْرِ عَلَى جَمِيعِ
 فرجع العيينُ إلى الربيعِ فأخبره بما قال قيس ؛ فبكى الربيع على مالك وقال :

بسكوة ذبية ، ثم رجع إلى البيت ورجعه مركوز بفنائه ، فهزه هزا شديداً ، ثم ركزه كما كان .
 وقال لامرأته: اطرحي له شيئاً . فطرحت له شيئاً فانطجع عليه وقال لها: إليك عني فقد حدث أمره
 ثم تنى وقال :

نام الخلى وما اغمض حار من سبي النبأ الجليل السارى

الخ فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر ، قال : هنا حين اجتمع أمر لأخوتكم ،
 وولعت الحرب (١) الأزل (بتشع الهزمة) : الضيق والفتنة ، وبكسر الهزمة : الفاهية .

فَامَ الخَلِيءُ وما أغمض حار
من مثله تُسمى النساء حواسراً
مَنْ كان مسروراً بِمَقْتَلِ مالِك
يجد النساء حواسراً يندُبْنَهُ
قد كُنَّ يَحْبَبَانِ الوجوه تستراً
يخمشن حُرَاتِ الوجوه على امرئٍ
أقيد مقتل مالِك بن زهيرٍ
ما إن أَرَى في قَتله قَدوى الحِجَابِ
وَمُحَبَّبَاتٍ ما يَذُقْنَ عَذُوقَهُ
ومساعراً صدأ الحديد عليهمُ
وإرْبُ مسرورٍ بِمَقْتَلِ مالِكِ

ولما علم قيس بقول الربيع ركب هو وأهله ، وقصدوا الربيع بن زياد ، وهو
يُصَلِّحُ سلاحَه ؛ فنزل إليه قيس ، وقام الربيعُ فَاغْتَنَقَا وبكياً ، وأظهرا الجزعَ لِمُصَابِ
مالِك ، ولقى القومُ بـمضاهم^(٨) فنزلوا ، فقال قيس للربيع : إنه لم يهرب منك

(١) ياحار : مرخم حارث (٢) أى كانت نساؤنا يحببان وجوههن عفة وحياء
(٣) الآن ظهروا لناظرين لا يملن من الحزن (٤) كان العرب يواقعون نساءهم عقب
أطهارهن ، ويدعون أن ذلك أحب لولد (٥) المحببات : الخيل تجنب لى الإبل في النزوء ،
والمنبوفة : أدنى ما يؤكل في الطعام والفراب . وقوله يذفن بالمهرات والأمهار : أى أن الإبل
تهذف أولادها من شدة السير (٦) يعنى لسوادها من لبس المغافر وكأية السفر
(٧) الحار : المرجع (٨) وبما ينسب لى قيس في ذلك قوله :

لمرڪ ما أنشاع بنو زياد ذمار أيهم فيمن ضج
بنو جينة ولنت سنوفاً صوامر كلها ذكر صنيع
ضرى ودى وشكرى من بيد لآخر غالب أبناً ربيع

من لجأ إليك ، ولم يَسْتَفِنِ عَنكَ من استعان بك ، وقد كان لك شرُّ يومٍ ؛
 فليكن لي خيرُ يوميك ، وإنما أنا بقوى وقوى بي ، وقد أصاب القومُ مالِكًا ،
 ولست أمُّ بسوء ؛ لأنِّي إن حاربتُ بي بدر نصرتهم بنو ذبيان ، وإن حاربتني
 خذلتني بنو عيس ؛ إلا أن تجمعمهم عليّ ، وأنا والقوم في الدماء سواء ، قتلتُ ابنهم
 وقتلوا أخي ، فإن نصرتنى طمِئتُ فيهم ، وإن خذلتني طعموا في .

قال الربيع : يا قيس ؛ إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه لي ؛
 ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك ؛ وأنت ظالمٌ ومظلوم ؛ ظلموك في جوادك ،
 وظلمتهم في دماهم ، وقتلوا أخاك بإبنهم ، فإن يئو الدم بالدم ، فمسي أن تلقح الحرب .
 وبعث قيسٌ إلى أهله وأصحابه ، فجاؤوا ونزلوا مع الربيع ، وأنشدهم عنتره
 ابن شداد^(١) في مالك :

فَلِلَّهِ عَيْنًا من رأى مثلَ مالك	عقيرة قوم أن جري فرسان
فليتها لم يجريا نصفَ قلوّة	وليتها لم يُرسلا ليرهان
وليتها ماتا جميعاً ببلدة	وأخطاهما قيس فلا يريان
لقد جلبا حيناً وحرّاً عظيمةً	تبيد سراة القوم من غطفان
وكان إذا ما كان يومٌ كريهة	قد علموا أني وهو فتيان
وكننا لدى الميجاء نحى نساءنا	ونضرب عند الكرب كل بنان

(١) في معجم البلدان ص ٢٦٨ ج ١ ينسب هذه الأبيات لبدر بن مالك بن زهير ، مع اختلاف في الرواية . ونسب بعض هذه الأبيات في النقائض إلى ابنة مالك قال : ثم إن مالك بن بدر خرج يطلب لإبلا له فرطى بين رواحة فرماه جنيد أخو بني رواحة بسهم قتله ، قتلت ابنة مالك بن بدر وهو يوم المنقة :

● فله عينا من رأى مثل مالك ● . . . الخ

فسوف ترى إن كنتُ بمدك باقياً وأمكننى دهرى وطولُ زمانى
فأقسم حقاً لو بقيت لنظرةٍ لقرت بها العينان حين ترانى
وبلغ حذيفة أن الربيع وقيسا اتفقا ، فشق ذلك عليه واستمدَّ للبلاء (١) .

ثم تلاقى جموع بنى ذبيان (٢) وعبس واقتتلوا قتالا شديداً ، وكانت الشوكة
فى ذبيان ، وقُتل منهم عوف بن بدر ، وقتلَ عنترَةُ ضَمَمَم (٣) أبو الحصين المرى ،
والحارث بن بدر ، وأسرَ الربيع حذيفة بن بدر ، وكان حرَّ بن الحارث العبسى
قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف ، وله سيفٌ قاطع يسمى الأصرم ؛
فأراد ضربه بالسيف لما أُسرَ وفاءً بِنَدْرِهِ ؛ فهووه عن قتله ، وحذروه عاقبة ذلك ،
فأبى إلا ضربه ، فوضعوا عليه الرجال ، فضربه فلم يصنع السيف شيئاً ، وبقي
حذيفة أسيراً .

(١) قال فى ابن الأثير : وقيل : إن بلاد عبس كانت قد أجذبت فأتبع أهلها بلاد فزارة ،
وأخذ الربيع جواراً من حذيفة وأقام عندهم ، فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة : لى ذمى ثلاثة أيام .
فقال حذيفة : ذلك لك ، فأتبع الربيع من بنى فزارة ، فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه :
بش الرأى رأيت ا قتلت مالكا وخليت سبيل الربيع ، والله ليضرمها عليك ناراً ، فركباني طلب
الربيع قتلهم ، فلما أنه قد أضمر السر ، وفى هذه الحرب يقول الربيع :

فإن تك حربكم أست عواناً فإنى لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة أرثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها
فإنى غير خاذلكم ولكن سأسى الآن إذ بلغت مداها

(٢) هذا هو يوم المرقب فى الأمثال : قاد بنى عبس وحلفاءهم بنى عبد الله بن غطفان يوم ذى
المرقب لى بنى فزارة ورئيسهم إذ ذلك حذيفة بن بدر (٣) وفى ذلك يقول كما فى الأمثال :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابنى ضمم
الشامى عرضى ولم أشتمها والناذرين إذ لم ألها دى
لن يخلصا فقد تركت أبهما جزر السباع وكل سر فقم

فاجتمعت غطفان وسَمَوَا في الصلح ، واصطلحوا على أن يهدروا دَمَ بدر بن حذيفة بدمِ مالك بن زهير، وَيَقْلُوا^(١) عوف بن بدر، وَيُمَطُّوا حذيفة عن ضَرْبَتِهِ التي ضَرَبَهُ حرَّ مائتين من الإبل ، وأن يجعلوها عِشَاراً كلها وأربعة أعبد ، وأهدرَ حذيفة دماء من قُتِلَ من قومه ذبيان في الوقعة ، وأُطْلِقَ من الأسر .

فلما رَجَعَ إلى قَوْمِهِ ندم على ذلك ، فسادت مقالته في بني عَبَسَ ، وركب قيس ابن زهير وعمارة بن زياد فضيا إلى حذيفة وتحدثا معه ، فأجابهما إلى الاتفاق ، وأن يردَّ عليهما الإبل التي أخذ منها - وكانت توالت عنده - وبينهما في ذلك إذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المرِّي ، فقبح رأى حذيفة في الصلح ، وقال : إن كنت لا بدَّ فاعلأ فأعطيهم إبلا عجافاً مكان إبلهم ، واحبس أولادها ؛ فوافق ذلك وأي حذيفة ، وأبي قيس وعمارة ذلك .

— ٥ —

ثم إن مالك بن بدر^(٢) خرج يطلب إبلا له ، فرماه جُنْدُب أحد بني رواحة^(٣) بسهم فقتله ، ومن ثم أخذ الشرُّ يَمُطُّم بين عبس^(٤) وذبيان ؛ وهزمت بنو عبس واتبعتهم بنو ذبيان .

فأشار قيس على الربيع بن زياد أن يُعَا كِرِّم ، وخاف إن قاتلهم ألا يقوموا لهم ، وقال : إنهم ليسوا في كل حين يتجمعون ، وحذيفة لا يستنفرُ أحداً لاقتداره وعُلُوِّه ، ولكن نعطيهم رهائن من أبنائنا فنُدْفَعُ حدَّهم عنا ، فإنهم لن يقتلوا الولدان ولن

(١) عقل القتل : وداه : أي أدى دجه (٢) أخو حذيفة بن بدر (٣) بنو رواحة : حتى في عبس ، وقد سبق اسمه جنيدب (٤) كان رئيس بني ذبيان حذيفة بن بدر ، وأما بنو عبس وحقاووم فكان يرأسهم الربيع بن زياد فوافقوا بني حسي وهو وادي الهبابة في أملاء .

يَصِلُوا إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ مَعَ الَّذِينَ نَضَمَهُمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَإِنْ هُمْ قَتَلُوا الصَّبِيَّانَ فَهُوَ أَهْوَنُ مِنْ قَتْلِ الْآبَاءِ ، وَكَانَ رَأْيَ الرَّبِيعِ مُتَأَجِّزَتَهُمْ قَقَالَ : يَا قَيْسُ ؛ أَمَلًا جَمَعَهُمْ صَدْرَكَ ؟ وَقَالَ :

أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِنَفْسِي نَصِيحَةً أَرَى مَا يَرَى وَاللَّهُ بِالْغَيْبِ أَعْلَمُ
أَنْبَغَى عَلَى ذِيَّانٍ مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَقَدْ حَشَّ^(١) جَانِي الْحَرْبِ نَارًا تَضْرَمُ

وَقَالَ قَيْسُ : يَا بَنِي ذِيَّانِ ؛ خَذُوا مِنَّا رَهَائِنَ إِلَى أَنْ تَنْظُرُوا ؛ فَقَدْ ادَّعَيْتُمْ مَا تَعْلَمُ وَمَا لَا نَعْلَمُ ، وَدَعَوْنَا حَتَّى تَتَّيَّنَ دَعْوَاكُمْ ، وَلَا تَعْجَلُوا إِلَى الْحَرْبِ ، فَلَيْسَ كُلُّ كَثِيرٍ غَالِبًا ، وَضَمُّوا الرِّهَائِنَ عِنْدَ مَنْ تَرْضَوْنَ بِهِ وَرِضَاهُ ؛ فَقَبِلُوا ذَلِكَ ، وَتَرَاضُوا أَنْ تَكُونَ الرِّهَائِنُ عِنْدَ سُبَيْعِ بْنِ عَمْرٍو (مِنْ بَنِي ثَمَلَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ذِيَّانِ) ، فَاتَ سَبِيعٌ وَهُمْ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ مَالِكُ : إِنْ عِنْدَكَ مَكْرَمَةٌ لَا تَبِيدُ إِنْ أَنْتِ احْتَفِظْتِ بِهَؤُلَاءِ الْأَغْيَلَةِ ، وَكَأَنِّي بِكَ لَوْ قَدَّمْتُ أَنَّكَ حَذِيفَةَ حَالِكٍ ، فَمَعَصِرَ عَيْنِيهِ وَقَالَ : هَلِكُ سَيِّدُنَا ، ثُمَّ خَدَعَكَ عَنْهُمْ حَتَّى تَدْفَعَهُمْ إِلَيْهِ ، فَيَقْتُلُهُمْ ، فَلَا شَرَفَ بَعْدَهَا ، فَإِنْ خَفَّتْ ذَلِكَ فَادْهَبْ بِهِمْ إِلَى قَوْمِهِمْ .

فَلَمَّا تَقَلَّ سُبَيْعٌ جَمَلَ حَذِيفَةَ يَبْكِي وَيَقُولُ : هَلِكُ سَيِّدُنَا ؛ فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبِ مَالِكٍ ، فَلَمَّا هَلِكُ سَبِيعٌ أَطَافَ حَذِيفَةَ بِابْنِهِ مَالِكُ فَأَعْظَمَهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا مَالِكُ ؛ إِنِّي خَالِكُ ، وَإِنِّي أَسْنُ مِنْكَ ؛ فَادْفَعْ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانَ لِيَكُونُوا عِنْدِي إِلَى أَنْ نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ؛ فَإِنَّهُ قَبِيحٌ أَنْ تَمْلِكَ عَلَى شَيْئًا ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَفَعَهُمْ إِلَيْهِ بِالْيَمْعَرِيَّةِ^(٢) .

وَأَحْضَرَ أَهْلَ الَّذِينَ قَتَلُوا فَجَمَلَ كُلُّ يَوْمٍ يُبْرَزُ غَلَامًا فَيَنْصَبُهُ غَرَضًا وَيَرْمِي

(١) حَشَّ الْحَرْبَ يَحْشُمُهَا إِذَا أَسْرَمَهَا وَهَيَّبَهَا (٢) الْيَمْعَرِيَّةُ : مَاءٌ بِوَادٍ مِنْ بَلْتَنَ نَخْلَةَ مِنَ الْعَرَبِ .

بالنبل ثم يقول : نادِ أباك ، فينادى أباه ، حتى يمزقه النبل ، ويقول لواقد بن جندب : ناد أباك ، فجعل ينادى ياعمّاه - خلافاً عليهم - ويكره أن يَأْبَسَ (١) أباه بذلك ، وقال لابن جندب بن عمرو بن عبد الأسلع : ناد جُنَيْبَةَ (٢) ، فجعل ينادى : يا عمراه ! باسم أبيه حتى قُتِلَ ، وقتل أيضاً عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير . ولما بلغ ذلك بنى عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الدِّبَاتِ ، فحملوا عليه الرجالَ واشتروا السِّلَاحَ . ثم خرج قيس في جماعة ، فلقوا ابناً لحذيفة ، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوه ، فجمع حذيفة قومه وسار إلى عَبْسٍ وهم على ماء يقال له عُرَاعِرُ ، فاقتتلوا وكان الظفر لدُيَّانَ ، ورجعت سالمة .

ثم جدّ حذيفة في الحرب ، وكرهها أخوه سَحَلُ بن حذيفة ، وتدم على ما كان ، وقال لأخيه في الصلح فلم يُجِبْ إلى ذلك ، وجمع الجموعَ من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس .

— ٦ —

ولما بلغ بنى عبس أنهم قد ساروا إليهم تشاوروا بينهم ، فقال قيس : أطيعوني فوالله لنن لم تفعلوا لَأَتَكِينَنَّ على سيفي حتى يخرجَ من ظهري . قالوا : فإننا نطيعك . فأمرهم فسرّ حوا السَّوَامَ (٣) والضَّمافَ بليلى ، وهم يريدون أن يَطْعَنُوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا في الصبح وقد مضى سوامهم وضَمافهم .

فلما أصبحوا طلعت عليهم الخليل ، فقال قيس : خُذُوا غيرَ طريقِ المالِ (٤) ، فإنه لا حاجةَ للقوم أن يَقَمُوا في شَوْ كَتَمِكُمْ ، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرّاً من ذهاب

(١) الأَبْسُ : الفهر والحمّل على المكروه (٢) جنيبة : لقب أبيه (٣) السَّوَامُ : الإبل الرابعة (٤) المال : كل ما يملك وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم ، وهي المرادة هنا .

أموالكم ؟ فأخذوا غيرَ طريق المال . ولما رأى حذيفة الأثر قال : أبعدهم الله ! وما خيرٌ لهم بعد ذهاب أموالهم ؟ ثم اتبع المال وسارت ظعن بنى عبس والمقاتلة من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال ؛ فلما أدركوه ردّوا أوله على آخره ، ولم يفلت منه شيء ، وجعل الرجلُ يطرد ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها ، ثم تفرّقوا واشتدَّ الحرّ .

فقال قيس بن زهير : يا قوم ؛ إن القومَ قد فرّق بينهم الغم ، فاعطفوا الخيلَ في آثارهم ؛ فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيلُ دوائس^(١) ؛ فلم يقاثلهم كبيرٌ أحد ، إذ أن همة الرجل من بنى ذبيان كانت أن يُحجز غنيمته ويمضى بها ، ووضعت بنو عبس فيهم السلاح ، وقتلوا منهم مالك بن سبيع التغلبي سيّد غطفان وكثيراً غيره حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية ، وانهزمت ذبيان وحذيفة معهم .

ولم يكن لمبس همّ غير حذيفة ، فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره ، ثم تبعه قيس ابن زهير والربيع بن زياد ، وقرواش بن عمرو ، وريان بن الأسلم ، وشداد بن معاوية وغيرهم ؛ وقال لهم قيس : كأني بالقوم ورددوا جفراً الهبأة ونزلوا فيه ، وأنا أعلم أن حذيفة بن بدر إذا احتدمت الوديمة^(٢) مستنقع في الماء .

وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه ؛ فنزل عنه ووضع رجله على حجرٍ مخافة أن يُقتصن أثره ، وعرفوا حنّف^(٣) فرسه فاتبعوه ، ومضى حتى استنقث بجفراً^(٤) الهبأة وقد اشتدَّ الحرّ ، فرمى بنفسه ومعه حمل بن بدر وجماعة من أصحابه ، وقد نزعوا سُروجهم وطرخوا سلاحهم ، ووقعوا في الماء ، وتممكت^(٥) دوابهم .

(١) يقال : أتتهم الخيل دوائس : أى يتبع بعضها بعضاً
(٢) الوديمة : شدة الحر
(٣) الحنّف : أن تقبل لاحدى اليدين على الأخرى
(٤) جفر الهبأة : مستنقع في بلاد غطفان (وهو يوم الهبأة)
(٥) تتمكت : تمزقت .

ولما اقترب منهم قيسُ بن زهير وأصحابه أبصرهم حمل بن بدر فقال لهم : مَنْ
أَبْفَضُ النَّاسِ أَنْ يَقِفَ عَلَى رءِوسِكُمْ ؟ فقالوا : قيس بن زهير والريبع بن زياد . فقال :
هذا قيس بن زهير قد أتاكم ! ولم ينقض كلامه حتى وقف قيسٌ وأصحابه وحالوا
بينهم وبين الخليل ، وحمل جنيدب على خيلهم فاطردوها ، واقتحم عمرو بن الأسلع وشداد
عليهم في الجند ، وهم ينادون : لَبَّيْكُمْ ! لَبَّيْكُمْ ^(١) ! وقال لهم قيس : كيف رأيتم عاقبة
البنى ؟ فقال حذيفة :

يا بني عبس : فإين العقول والأحلام ؟ ناشدتك الله والرحم يا قيس ! فضربه أخوه
حمل بين كتفيه وقال : « اتق ما تُؤثر الكلام ^(٢) » .

ثم قال حذيفة لقيس : بنو مالك بمالك ، وبنو حمل بذى الصبية وزرد السبق ،
قال قيس : لبيكم ! لبيكم ! قال حذيفة : لئن قتلتنى لا تصلح غطفان بمدى أبداً . فقال
قيس : أبمدها الله ولا أصلحها . ثم إن قرواش بن هني ج. من خلف حذيفة ،
فقال له بعض أصحابه : احذر قرواشاً - وكان قد رباه ، فظن أنه سيسكر ذلك له -
قال : خلوا بين قرواش وظهري ! فنزع له قرواش عِمْبَلَةَ ^(٣) فقصم بها صلبه ،
وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع فضرباه بسيفهما حتى ذفقا ^(٤) عليه .
وقتل الحارث بن زهير حمل ^(٥) بن بدر ، واستبقوا حصن ^(٦) بن حذيفة لصباه ،

ولما وقف قيس بن زهير على جثة حذيفة بن بدر قال يرثيه ويرثي أخاه حملا :

تعلّم أن خيرَ الناس ميتٌ على جَفْرِ الهَبَاءِ لا يريم

(١) الصياني الذين قتلوا (٢) ذهبت مثلا (٣) المبلبة : فصل طويل عريض
(٤) ذفقا عليه : أجهزا عليه (٥) في الأمثال : أخذ الحارث بن زهير سيف حذيفة ورمى
جنيدب بن زيد بسهم قتله ، وكان نفر ليقطن بابنه رجلا من بني بدر فأحل به ندره . وفيه أن
التي قتل حمل بن بدر هو الريع بن زياد (٦) في الأمثال : واستصغروا عينة بن حصن
فغفلوا سبيله .

ولولا ظلمه ما زلتُ أبكى عليه الدهرَ ما طلع النجوم^(١)
ولكن الفتي سَحَل بن بدر بَنَى والبنَى مَرْتَمُهُ وَخِيمُ
أظنُّ الحلمَ دَلَّ على قومي وقد يُتَمَتَّصُفُ الرَّجُلُ الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فَمُوجَّ على ومستقيم
وقال أيضاً :

شفيت النفس من حمل بن بدر وسَيِّفِي من حذيفة قد شفاني
شفيتُ بقتلهم لقليل صدري ولكني قطعت بهم بَنَانِي
فلا كانت الثبرا ولا كان داحس ولا كان ذلك اليوم يومَ دهاني

— ٧ —

ثم إن عَبَسَا ندمت على ما فعلت بذُيَّان يومَ الهبَاءِ ، ولامَ بمضهم بمضاً .
واجتمعت ذُيَّان إلى سِنَان بن أبي حارثة المري، وشكوا إليه ما نزل بهم؛ فأعظَّمَهُ وذَمَّ
عبسا ، وعزم على أن يجمع العرب ويأخذَ بثأر ذُيَّان ، وبثَّ رسَلَهُ ؛ فاجتمع من
الخلق كثير لا يحصون ، ونهى أصحابه عن التمرُّض إلى الأموال والغنيمة ،
وأمرهم بالصبر ، وساروا إلى بني عبس ؛ فلما بلغهم مسيرهم إليهم قال قيس : الرَّأْيُ
أَنَا لَا نَلْقَاهُمْ ؛ فَإِنَّا قَدْ وَتَرْنَا هِمَّ ، فَمِمَّ يَطَالِبُونَنَا بِالذُّخُولِ^(٢) وَالطَّوَائِلِ^(٣) ، وَقَدْ
رَأَوْا مَا نَالَهُم بِالْأَمْسِ بِاشْتِفَالِهِم بِالنَّهْبِ وَالْمَالِ ؛ فَمِمَّ لَا يَتَمَرَّضُونَ إِلَيْهِ الْآنَ ؛ وَالَّذِي
يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَهُ أَنَا نُرْسِلُ الظَّمَانُ وَالْأَمْوَالَ إِلَى بَنِي طَامِرٍ ؛ فَإِنِ الدَّمُ لَنَا قَبْلَهُمْ ،
فَمِمَّ لَا يَتَمَرَّضُونَ لَكُمْ ، وَيَبْقَى أَوْلُو القُوَّةِ وَالْجَلْدِ عَلَى ظُهُورِ الخَيْلِ ؛ وَنَمَاطِلَهُمْ

(١) يشير إلى ما جرى فيهم من أمر داحس والثبرا ، وإنكاره السبق وركوبه البني
(٢) الذحول : جمع ذحل وهو التآر (٣) الطوائل : جمع طائلة وهي التآر أيضا .

القتال ؛ فإن أبوا إلا القتالَ كُنَّا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا ؛ وقتلناهم وصبرنا لهم ، فإن ظفرونا فهو الذي نريد ، وإن كانت الأخرى كُنَّا قد احترزنا ولحقنا بأموالنا ونحن على حامية .

ففعِلوا ذلك ، وسارت ذُبيان ومن معها ولحقوا بني عبيس على ذات الجراجر ، واقتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك واقترقوا .

فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا أشدَّ من اليوم الأول ، وظهرت في هذا اليوم شجاعة عَنترَةَ بن شدَّاد ، فلما رأى الناس شدَّة القتال وكثرة القتلى لأموا سِنان بن أبي حارثة على مَنْمِه حذيفة عن الصلح ، وتطيَّروا منه ، وأشاروا عليه بمَحَقِّن الدماء ومراجعة السِّلْم فلم يفعل ، وأراد مُراجعة الحرب في اليوم الثالث ، فلما رأى فُتُور أصحابه وركونهم إلى السِّلْم رحل عائداً .

فلما رجع عنهم رحل قيس وبنو عبيس إلى بني شيان ، وجاوروهم وبقوا معهم مدة ، فرأى قيس من غلمان شيان ما يكرهه من التعرُّض لأخذ أموالهم ؛ فرحلوا عنهم ، فقبمهم جمع من شيان ، فرجعت إليهم بنو عبيس واقتلوا ، فأنهزمت شيان ، وسارت عبيس متوجهين نحو اليمامة يطلبون أخوالهم ، فأتوا قتادة بن مسلمة ، فزلوا اليمامة زمينا^(١) ، فرَّ قيس ذات يوم مع قتادة فرأى قحفا فضربه برجله ، وقال : كم من ضيمٍ قد أقررتُ به مخافة هذا المصراع ! فلما سمعها قتادة كرهها وأوجس منه ، وقال : ارتحلوا عنا . فارتحلوا حتى نزلوا ببني سعد بن زيد مناة ، فكنثوا فيهم زماناً ؛ ثم إن بني سعد أتوا ملك هجر ، فقالوا له : هل لك في مُهرة شَوْها^(٢) ، وناقة حمراء ، وفتاة عذراء ؟ قال : نعم . قالوا : بنو عبيس غارون ، تغير عليهم مع جندك وتسهم لنا من غنائمهم ، فأجابهم ؛ وفي بني عبيس امرأة من سعد ، فأناها

(١) زمنا (٢) الشوهاد من الخيل : الطويلة الرائحة .

أهلها ليضموها ، وأخبروها الخبر ، فأخبرت به زوجها ، فأتى قيسا فأخبره ؛ فأجموا على أن يرسلوا الظمائن ، وما قوى من الأموال من أول الليل ، ويتركوا النار في الرثة^(١)؛ فلا يستنكر ظمئهم عن منزلهم .

وتقدم الفرسان إلى الفروق ، فوقفوا دون الظمن ، وبين الفروق وسوق هجر نصف يوم ، فإن تبموها قاتلوهم وشغلوهم حتى تمجّل الظمن ، ففعلت ذلك . وأغارت جنود الملك مع بني سعد في وجه الصبح ، فوجدوا الظمن قد أمرين ليتمن ، ووجدوا المنزل خلاء ، فاتبموا القوم حتى انتهوا إلى الخيل بالفروق ، فقاتلوهم ثم خلّوا سربهم ؛ فضوا حتى لحقوا بالظمائن فساروا ثلاثة أيام ولياليهن ، حتى قالت بنت قيس لقيس : يا أبتِ ؛ أتسير الأرض ؟ فلم أن قد جهدُن . فقال : أنيخوا . فأناخوا ، ثم ارحل ، وفي ذلك يقول عنتره :

ونحن مَنعنا بالفروق نساءنا^(٢) نطرفُ عنها مُبَسِّلات^(٣) غواشيا
حلفت لها والخيل تدمي نحرُها نفارقكم حتى تهزوا العواليا
ألم تملوا أن الأسنه أحرزت بقيتنا لو أن للدهر باقيا
ونحفظ عورات النساء وننتقى عليهن أن ياتين يوما غازيا
ولحقوا ببني ضبة ، فكانوا فيهم زمنا .

ثم أغارت ضبة على بني حنظلة ، فاستاق رجل من بني عبس امرأة من بني حنظلة في يوم قاتظ حتى نهروها ولهت ، فقال رجل من بني ضبة : ارفق بها ،

(١) الرثة : ردىه المتاع وإسقاط البيت من الخلقان (٢) في اللسان : نساءم
(٣) المطرف : الذي يأتي أوائل الخيل فيردها على آخرها ، وقيل : هو الذي يقاتل أطراف الناس ، وقال المفضل : التطريف أن يرد الرجل عن أخريات أصحابه ، وأبسل نفسه للموت : وطن نفسه عليه .

قال العباسي : إنك بها لرحيم ! فقال الضبي : نعم . فأهوى العباسي لمجزها بطرف
السنان ؛ فنادت يا آل حنظلة ! فشد الضبي على العباسي فقتله ، وتنادى الحيان ؛
ففارقتهم عباس ، ومررت تريد الشام .

ويبلغ بنو عامر ارتفاعهم إلى الشام ، فخافوا انقطاعهم من قيس ؛ فخرجت وفود
بنو عامر حتى لحقتهم ، فدعتهم إلى أن يرجعوا ويحالفوهم ، فقال قيس ؛ يا بني عباس ؛
حالفوا قوماً في صباية بنو عامر ، ليس لهم عدد فيمنوا عليكم بعددهم ، فإن احتجتم
أن يقوموا بنصرتكم قامت بنو عامر لخالفوا معاوية بن شكل . فكثروا فيهم .

ثم خرجوا حتى أتوا بني جعفر بن كلاب فقالوا : نكره أن تتسامع العرب
أنا حالفناكم بعد الذي كان بيننا وبينكم ، ولكنهم حالفوا بني كلاب ، فكانوا فيهم
حتى كان يوم جبلة فتهايجوا في شأن ابن الجون - قتله رجل من بني عباس بعد ما كان
أعتقه عوف بن الأحوص ، فقال عوف : يا بني جعفر ؛ إن بني عباس أذنى عدوكم
إليكم ، إنما يجتمعون كراعهم^(١) ويحذون سلاحهم ، ويأسون قرواحهم ، فاطيمني
وشدوا عليهم قبل أن يندملوا ، وقال :

وإني وقيس كالممن كلبه فخذشه أنيابه وأظافره

فلما بلغ ذلك بني عباس ، أتوا أحد بني بكر بن كلاب فحالفوه ، فقال في ذلك

قيس :

أحاول ما أحاول ثم آوى إلى جار كجار أبي دواد

منيع وسط عكرمة بن قيس وهوب للطريف وللتلاد

ثم إن ذبيان غزوا بني عامر بن صعصعة وفيهم بنو عباس في يوم شعواء ، فاقتلوا
وهزمت عامر ، وأسر طلحة بن سنان قرواش بن هني العباسي ولم يبرفه ، فنسبه فكنتي

(١) الكراع : السلاح .

عن نفسه ، فلما قدم به إلى أهله ، وانتهى به إلى أدنى البيوت عرفته امرأة من أشجع أمها عيسية ، فقالت لزوجها : إني أرى قرواش مع طلحة بن سنان . قال : ومن أين تعرفينه ؟ قالت : يتمت أنا وهو من أبويننا قريبانا حذيفة في أيتام غطفان . فخرج زوجها حتى أتى خزيم بن سنان فقال : أخبرتنى امرأتى أن أسير طلحة أخيك قرواش ابن هنى ، فأتى خزيم طلحة فأخبره ، فقال : ومن أين عرفت ؟ قال : امرأة فلان عرفته ، فتعال فاسمع كلامها ، فاتواها ، فقال طلحة : ما علمك أنه قرواش ؟ قالت : هو ، وبه شامة في موضع كذا . فرجموا إليه ففتشوه ، فوجدوا النسي ذكرت . قال قرواش : من عرفني ؟ قالوا : فلانة ! قال : رب شر حملته عيسية ! ودفع إلى حصن فقتلوه .

ثم رحلت عيس عن عامر^(١) ونزلت بتمم الرباب ؛ فبغت تيم عليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وتكاثرت عليهم تيم ، فقتلوا من عيس مقتلة عظيمة .
ورحلت بنو عيس ، وقد ملأوا الحرب ، وقتل الرجال والأموال ، وهلكت المواشي ؛ فقال لهم قيس : ارجعوا إلى إخوانكم من ذبيان ، فالوت معهم خيراً من البقاء مع غيرهم . فقالوا : سر معنا ، فقال : لا والله ، لا نظرت في وجهي ذبيانية قتلت أبها أو أخاها أو زوجها أو ولدها . ثم خرج على وجهه .

— ٨ —

فساروا حتى نزلوا على الحارث بن عوف بن أبي حارثة الرمي ليلاً - وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر - فلما نادى قومه : هؤلاء أضيافك ينتظرونك . قال : بل أنا ضيفهم ، فحيّاهم وهش إليهم . وقال : من القوم ؟ قالوا : إخوانك من بني عيس .

(١) تلك سبب ذكره صاحب الأمثال صفحة ٥٩ جزء ثان لم نرد ذكره هنا ، فارجع إليه إن شئت .

وذكروا ما لقوا ، فأقرّوا بالذنب ، فقال : نعم وكرامة لكم ! أ كَلِمَ حِصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ .
 وعاد إليه فقيل لحِصْنِ : هذا أبو أسماء . قال : ما وَرَدَ إِلَّا لِأَمْرٍ ! فدخل الحارث فقال :
 طرقتُ في حاجة ، قال : أُعْطِيَتْهَا . قال : بنو عبيس ، وجدتُ وفودَهُمْ في منزلي .
 قال حِصْنِ : صالحوا قومكم ، أما أنا فلا أُدِي ولا أُتَدِي ؛ قد قتل آبائي وعمومتي
 عشرين من عبيس .

فعاد إلى عبيس وأخبرهم بقول حِصْنِ وأخذهم إليه ، فلما رأهم قالوا له : نحن رُكبان
 الموت ، قال : بل رُكبان السلم ؛ إن تكونوا اختلتم إلى قومكم فقد اختلّ قومكم إليكم .
 ثم خرج معهم الحارث بن عوف حتى أتوا سناناً^(١) ، فقال له حِصْنِ : قم بأمر
 عشيرتك ، وارأبْ بينهم ؛ فإني سأعينك . فاجتمعت بنو مرةً فكان أول من سى في
 الحملة حرملة بن الأشعر ، ثم مات ، فسمى فيها ابنة هاشم بن حرملة .

ولما تراضى أبناء بغيض ، اجتمعت عبيس وذبيان بقطن ، فخرج حصين بن
 ضمضم بفرسه ، وهو أخذ بمرسئها ، فقال الربيع بن زياد : مالي عهد بحصين منذ
 عشرين سنة ، وإني لأحسبه هذا . قم يا بيهجان فاذنُ منه ، وناطقه ، فإن في لسانه
 حبسة . فقام بكلمه ، فجعل حصين يدنو منه ولا يكلمه ، حتى إذا أمكنه حال في
 متن فرسه ، ثم وجهها نحوه فلحقه قبل أن يأتي القوم فقتله بأبيه ضمضم^(٢) .

فأبحازت عبيس وحلفاؤها . وقالوا : لا نصالحكم ، وقد غدرت بنا بنو مرة ،
 وتناهض الحيتان ، ونادى الربيع بن زياد : من يُبارز ؟ فقال سنان - وكان يومئذ
 واجداً على ابنه يزيد - ادعوا لي ابني ، فأناه هرم بن سنان ، فقال : لا .

فأناه ابنه خارجة . فقال : لا ، وكان يزيد يحزم فرسه ويقول : إن أبا ضمرة غير

(١) في رواية : أتوا هرم بن سنان (٢) كان قد قتلته هترة ، وكان حصين آلي لإليس
 رأسه غسل حتى يجثل بأبيه بيهجان .

غافل . ثم أتاه فبرز الربيع ، وسفرت بينهم السفراء ، فأتى خارجة بن سنان أبا يعحان بابنه فدفعه إليه ، وقال : هذا وفاء من ابنك ! قال : اللهم نعم ! فكان عنده أياماً ، ثم حمل خارجة لأبي يعحان مائتي بعير ، فاصطلحوا وتماقدوا على أن يحتسبوا القتل فيؤخذ الفضل مما هو عليه ، ومُحِلَّتْ^(١) عنهم الدِّيَّات فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين .

وفي ذلك قال زهير بن أبي سلمى مملقته يمدح فيها الحارث بن عوف وهمم ابن سنان ، ويذكر هذه الحرب :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْتَشَامُ^(٢)
 وَدَارُ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِيعٌ وَشَمٌّ فِي نَوَاشِرٍ مِصْمَمِ^(٣)
 بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةَ وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ^(٤)
 وَقَفَّتْ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ^(٥)
 أَثَافِي سُمْعًا فِي مُعْرَسِ مِرْجَلِ وَنَوِيًّا كِجْذِمِ الْخَوْضِ لَمْ يَنْتَلِمِ^(٦)

- (١) أكثر الروايات أن الذي حملها : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، وفي الأمثال : وكان الذي ولي الصلح عوف ومقل ابنا سبيع ، قال عوف بن خارجة : أما إذا سبغى هنان الشيخان لل الحلالة فبلم لل الظل والطعام والحملان فأطعم وحمل ، وكان أحد الثلاثة يومئذ
- (٢) أم أوفى : حبيبة زهير . والدمنة : ما أسود من آثار البيار . وحومانة الدراج والمثلم : موضعان (٣) الرقنان : حرتان ؛ إحداهما بالبصرة والثانية بالمدية ، ويقال لوشم الذي جدد مرجوع ، ونواشر المصم : عروقه ، والمصم : موضع السوار من اليد . والمراد أنها كانت تحمل الموضوعين عند الاتجاع (٤) العين : البقر الوحشي الواسع العين . والأرآم : جمع رُم وهو الطي الحامس الياض . وخلفة : يخلف بعضها بعضاً ، والأطلاء : جمع طلا وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية . والجثوم : البروك، والحجم : مكان الجثوم (٥) الحجبة : السنة ، واللائي : الملقبة (٦) الأثافي : حجارة توضع القدر عليها . والسفع : السود . والمرس : المنزل . والمرجل : القدر ، والنوى : نهر يجر حول البيت ليجرى فيه الماء الذي ينصب من البيت ولا يدخل فيه ، والجذم : الأصل .

فلما عرفتُ الدارَ فأتَ لربيعيها (١)
 تبصراً خَليلي هل ترى من ظمائرٍ (٢)
 جَمَلَنَ القنَّانَ عن يمينِ وحرزتهُ (٣)
 علونَ بأنماطِ عِتاقِ وكتلةِ (٤)
 وورزَ كَنَ في السُّوبانِ يملونَ ممتةُ (٥)
 بَكْرَنَ بَكُورًا واستَحْرَنَ بسُحْرَةٍ (٦)
 وفيهنَّ مَلَى لِلسَّديقِ ومنظر (٧)
 كأنَّ فُتاتَ العِهنِ في كلِّ منزلِ (٨)
 فلَمَّا وَرَدَنَ الماءَ زُرْقًا جامهُ (٩)
 ظَهَرَنَ مِنَ السُّوبانِ ثم جَزَقتهُ (١٠)



تَدُكْرُنِي الْأَحْلَامُ لِيلى وَمِنْ تُطِفُ عَلَيْهِ خِيَالَاتُ الْأَحْبَةِ بِجَلْمِ

(١) خمس الصباح بالدماء لأن الفارات والكرات تقع صباحاً (٢) التحمل : الترحل
 وجرم : موضع (٣) القنان : جبل لبي أسد ، والحزن : ما غلظ من الأرض ، يقول :
 مرت بهم أشهر الحل وأشهر الحرم (٤) أنماط : جمع نط ، وهو ما يسط ، والعتاق :
 الكرام . والكتلة : السر الرقيق . وواد : جمع ورد وهو الأحمر . ومشاكة : مشابهة
 (٥) السوبان : الأرض المرتفعة . والتوريك : وكوب أوراك الدواب . يقول : وركبت هذه
 النسوة أوراك الدواب في حال علوهن متن السويان ، وعليهن دلال الإنسان الطيب العيش
 (٦) بكر : سار بكرة ، واستحر : سار سحراً . يقول : اجدان السير وسرن سحراً ومن
 فاصدات لوادى الرس لا يخطئه كاليد القاصدة لقم لا تخطئه (٧) الملهى : الهوى . والطيف :
 للتأق . والتوسم : التفرس (٨) العهن : الصوف المصبوغ . والقنا : عنب الثعلب
 (٩) الزرق : شدة الصفاء ، وجام : جمع جم وهو مجتمع الماء في الحوض أو غيره . ووضع
 العى : كناية عن الإقامة ، والتخم : ابتناء الحية (١٠) جزع الوادى : قطعه ، والمراد
 بالقي : الرجل ، والشيب : الجديد ، والمنام : الواسع .

سَمَى سَاعِيًا غِيظَ بِنِ مَرَّةٍ بَعْدَ مَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْمَشِيرَةِ بِاللَّحْمِ
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالُ بَنَوُهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجِرَّهُمْ (١)
يَمِينًا لِنَعْمِ السَّيِّدَاتِ وَوَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ (٢)
تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذِيانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْتَمٍ (٣)
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكُ السَّلْمَ وَاسْمَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسَلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بِمَيْدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأَمٍ (٤)
عَظِيمِينَ فِي عَلَيَا مَعَدِّ هُدَيْتَا وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَنْزًا مِنَ الْجَدِّ يُعْظَمِ
تَمَعَّى الْكُلُومُ بِالْمَثِينِ فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مِنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ (٥)
يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ وَلَمْ يُهْرَبِقُوا بَيْنَهُمْ مَلَأَ مِخْجَمِ
فَأَصْبَحَ يُجْحَدِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَفَانِمِ شَتَى مِنْ إِفَالٍ مُزْتَمٍ (٦)



(١) البيت : الكعبة ، وجرم : كانوا ولاية البيت قبل قريش (٢) السيدان : هرم بن سنان والحارث بن مرة . والسحيل : الحيط المتقول على قوة واحدة ، والمبرم المتقول على قوتين ، والمعنى : نعم السيدان وجدتما حين تفاعجان لأمر قد أبرمتاه وأمر لم تبرمتاه (٣) منتم : قيل إنه اسم امرأة عطارة ، اشترى قوم منها جفنة ، ونحالفوا وجملوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر ، قاتلوا المدو الذي تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم ، فطير العرب ببطر منتم (٤) الضمير في منها يعود إلى السلم ، وهو يذكر ويؤنث (٥) الكلوم : الجروح ، ومعنى : تمعى ، بالئين : بالإيل ، ينجمها : يظليها نجوماً . والمعنى : تمعى الجروح بالئين من الإيل ، ولكن أصبحت الإيل يظليها نجوماً من هو يرى الساحة بعيد عن الجرم في هذه الحروب (٦) التلاد : المال القديم الموروث ، والإفال : جمع أفيل وهو الضفير السن من الإيل ، والمزتم العلم ، يقول : فأصبح يجرى في أولياء المتقولين من نفائس أموالكم القديمة الموروثة فنامت متفرقة من إيل صفار معامة ، وهو بهذا يخاطب السيدين .

أَلَا أُبَلِّغُ الْإِخْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلُّ مُقْسِمٍ (١)
 فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ لِيَخْفَىٰ وَمَهْمَا يُكْتُمُ اللَّهُ يُعْلَمْ
 يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ فَيُنْقَمَ
 وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ وَمَا هُوَ عِنْدَ الْحَدِيثِ الرَّجْمِ (٢)
 مَتَى نَبَعْتُمُوهَا تَبَعْتُمُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضَرَّمِ (٣)
 فَتَمْرِكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى يَشْفَاهَا وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تُلْقِحُ فَتُنْتِجُ (٤)
 فَتُنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَنْثَىٰ كَأَمَّهُمْ كَأَحْرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَنْفِطِمِ (٥)
 فَتُنْتِجُ لَكُمْ مَالًا تُنْفِلُ لِأَهْلِهَا قُرَىٰ بِالرِّمَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ (٦)
 لِعَمْرِي لِنِعْمِ الْحَىٰ جَرَّ عَلَيْهِمْ بِمَالِ يَوْمَانِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ (٧)

(١) الأخلاف : أسد وعطفان ، يقول : أبلغ ذبيان وحلفاءها وقل لهم : قد حلقت على إبراهيم الصلح كل حلف فتمرجوا من الحنت ، وهل أقسمت : قد أقسمت (٢) الحدت الرجم : الذي يرمج فيه بالظنون (٣) المعنى : أنكم إذا أوقدمت نار الحرب ذمتم ، ومتى أترتموها نارت (٤) فقال الرحي : خرقه من جلد أو غيره توضع تحت الرحي ليقع عليها الطحين ، والباء : بمعنى مع ، واللقح : حمل الولد ؛ والكشاف : أن تلقح النحلة في السنة مرتين ، والانتام : أن تلد الأنثى نوءمين ، وتمرككم الحرب ، عرك الرحي الحب مع نغاله ، وخص تلك المسألة لأنه لا يبسط إلا عند الطحن ، ثم قال : وتلقح الحرب في السنة مرتين وتلد توأمين ، وكل هذا كناية عن كثرة الفرس (٥) يريد بأشأم المعنى المصدري ، كأنه قال غلمان شؤم ، وأحر عاد : هو عافر ناقة صالح . قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا ، لأن عافر الناقة من ثمود ، وقال المبرد : ليس بغلط لأن ثمود يقال لها عاد الأخيرة بدليل قوله تعالى : « وأنه أهلك عاداً الأولى » (٦) قال الأصمعي : يريد أنها تفل لهم دماً ، وليست تفل لهم ما تفل قرى الرماق من قفيز ودرهم ، وهو تهكم (٧) قتل ورد بن حابس العبسي هرم بن ضمضم المري الذي أتى قبل الصلح ، فلما وقع الصلح توارى أخوه حصين لئلا يطالب بالدخول في الصلح ، ثم انتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس قتلته بأخيه ، فركبت عبس ، ثم استقر الأمر بين القبيلتين على هقل القبيل ، يقول : أقسم بحياتي نعمت القبيلة (ذيان) حتى عليها حصين بن ضمضم وإن لم يوافقوه في إضمار الفدر .

وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَةٍ (١) وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَةٍ
 وَقَالَ سَأَفْضِي حَاجَتِي نِمَ أَتَى وَقَالَ سَأَفْضِي حَاجَتِي نِمَ أَتَى
 فَشَدَّ فَلَمْ يُفْرِغْ بِيوتًا كَثِيرَةً فَشَدَّ فَلَمْ يُفْرِغْ بِيوتًا كَثِيرَةً
 لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ
 جَرِيٍّ مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ جَرِيٍّ مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ
 رَعَوْا ظِمَامَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا رَعَوْا ظِمَامَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا
 فَقَضَوْا مَنَابِا بَيْنَهُمْ نِمَ أُصْدِرُوا فَقَضَوْا مَنَابِا بَيْنَهُمْ نِمَ أُصْدِرُوا
 لِمَعْرَكٍ مَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ لِمَعْرَكٍ مَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ
 وَلَا شَارَكَتْ فِي الوَتِّ فِي دَمِ نَوْفَلٍ وَلَا شَارَكَتْ فِي الوَتِّ فِي دَمِ نَوْفَلٍ
 فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَمْقَلُونَهُ فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَمْقَلُونَهُ
 لِحَى حَلَالٍ يَنْعَمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ لِحَى حَلَالٍ يَنْعَمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ
 إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ (٨) إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

(١) طوى كشحاً: أضمر، والمستكنة: الغدرة. يقول: كان حصين أضمر في صدره خفياً، وطوى كشحه على نية مسترة، ولم يظهرها لأحد (٢) أم قنعم: النية، يقول: حل حصين على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يتعرض لغيره (٣) شاكي السلاح: تلم السلاح، والقنف: يهذف به في الوقائع، وهذا البيت والذي يليه من صفات حصين (٤) ماد الشاعر: لى وصف الحرب. الظم: ما بين الوردتين، والغيار: الماء الكثير، والتفري: التشقق. يقول: رهوا لأبلهم الكلاً حتى إذا تم الظم أوردوها مياهاً كثيرة، وهذا استعارة، والمعنى: أنهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن الزوال مدة معلومة، ثم عاودوا الوقائع (٥) قضا: تموا. واستوبل: القىء وجده ويلا؛ واستوخم القىء: وجده وخيا، جعل اعتزامهم على الحرب بمنزلة الكلاً الويل (٦) يقول: أقسم بيقائنك وحياتك أن رماحهم لم تبين عليهم دماء هؤلاء المسبين، بين براءة ذمهم عن سفك دمهم ليكون ذلك أبلغ في مدحهم بقلعهم القتلى (٧) المحرم: أنف الجبل (٨) الحلال جمع حال، أى أنهم يقولون القتلى لأجل حى نازلين يصم جيرانهم أمرهم إذا أتت إحدى الليالي بأمر فظيم.

كرامٍ فلا ذُو الضَّننِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ وَلَا الجارِمُ الجاني عليهم بِمُسْلَمٍ (١)



سَمِئَتْ نكاليفَ الحياةِ ومن يَمِشُ ثمانينَ حولا لا أبالك يسأمُ
وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ ولكنني عن علمٍ ما في غدٍ عم
رأيت النايا خَبَطَ عشواءَ مَنْ تصب تمته ومن تخطى يَمَرَّ فيهرَمَ (٢)
ومَنْ لم يُصانعَ في أمورٍ كثيرةٍ يُضرسُ بأنيابِ ويوطأ بِمَنَسِمِ (٣)
ومَنْ يجملُ المروفَ من دُونِ عِرْضِهِ يفرُّه ومن لا يتقنُ الشَّمَّ يُشَمُّ (٤)
ومن بك ذا فَضْلٍ فيمخَلُ بفضله على قومِه يُسْتغْنِ عنه ويدمَمُ
ومن يُوفٍ لا يَدْمَمُ ومن يهدُّ قلبه إلى مطمئنِّ البرِّ لا يَتَجَمَّجَمُ
ومَنْ هابَ أسبابَ النسايا يئلُهُ وإن يرقَّ أسبابَ السماءِ يسلمُ
ومَنْ يجملُ المروفَ في غيرِ أهله يكن حده ذمًّا عليه ويتقدم
ومَنْ يمسُّ أطرافَ الزَّجاجِ فإنه يُطبعُ الموالِي رَكِبَتْ كلَّ لَهْدَمِ (٥)
ومن لا يند عن حوضه بسلاحه يُهدمُ ومن لا يظلمُ الناسَ يُظلمُ
ومن يفتَرِبُ بحسبِ عدوِّ صَدِيقِهِ ومن لا يكرِّمُ نفسه لم يكرِّمُ
ومهما تكن عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإن خالها تخفى على الناسِ تعلمُ

(١) التبل : الحقد ، والجارم والجاني سواء
تأنيت الأعشى ، وهو الذي لا يبصر شيئا (٢) المنم : لغير بمنزلة السبك لقرس
(٣) وفرت العىء : كثرته (٤) الزجاج : جمع زج وهو الحديد المركب في أسفل الرمح
وطابة الرمح ضد سافته ، وجهها الموالى ، والهدم : السنان الطويل . إذا التفت فكتان من العرب
سدوت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبها ، وسمى الساعون في الصلح ، فإن أبنا إلا التمدى
في القتال ، قلبت كل واحدة منهما الرماح والتلتا بالأسنة ، والمعنى : من أبى الصلح ذلك الحرب .

وكأن ترى من صامت لك مُعجبٍ زيادته أو نقصه في التكلم
 لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
 وإن سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حلم بهـمه وإن الفتى بعد السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
 سألنا فأعطيتم وعُدنا فعدتم ومن أكثر التسأل يوماً سيحرم

أما قيس بن زهير فقد خرج على وجهه حتى لحق بالتمر بن قاسط ، فقال : يامشر
 النمر ؛ أنا قيس بن زهير غريب حرب ، فانظروا لي امرأة قد أدبها الفتى وأذلها
 الفقر . فزوجوه امرأة منهم ، ثم قال : لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاق ؛ إني
 امرؤ غيور فخور أرف ؛ ولست أفخر حتى أبتلى ، ولا أغار حتى أرى ، ولا آنف
 حتى أظلم . فرضوا بأخلاقه ، وأقام فيهم زماناً ، ثم أراد التحول عنهم ، فقال :
 يامشر النمر ؛ إني أرى لكم على حقاً بمصاهرتي لكم ومقامي بين أظاهركم ، وإني
 أمركم بمخصال ، وأنها كم عن خصال ؛ عليكم بالأناة فيها تدرك الحاجة ، وتسويد
 من لا تصابون بتسويده ، والوفاء ، فيه تتمايشون ، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل
 المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وخلق الضيف بالإلزام ، وإياكم
 والزمان فيه شككت مالكا أخي ، والبنى فإنه صرع زهيراً أبي ، وإياكم والسرف
 في الدماء ، فإن قتل أهل الهبأة أورثني المار ، ولا تمطوا في الفضول فتمجزوا عن
 الحقوق . ثم رحل إلى عمان ، فأقام بها إلى أن مات .

٥ - يَوْمِ الرَّقْمِ

غزت بنو عامر غطفان بالرقم ، وعليهم عامر^(١) بن الطفيل ، شاباً لم يرأس بحد ،
ونذر^(٢) بذلك بنو مرة بن عوف ومعهم قوم من أشجع وناس من فزارة^(٣) ،
فخرجوا إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم بنو عامر .

وجعل عامر بن الطفيل يقول : يا قيس ! لا تقتلي تموتى ، وأسرت غطفان من
بنى عامر أربعة وثمانين رجلاً دفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا
فيهم ، فقتلوهم أجمعين .

وانهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه حتى قطع العطش أعناقهم فاتوا ،
أما الحكم بن الطفيل فإنه خاف أن يؤمر ويمثل به ، فجمل في عنقه حبلاً ،
وصعد إلى شجرة ، وشدّه ودلى نفسه فاختنق ، وفعل مثله رجل من بنى غنى ،
فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب ، فأدركوه وخلصوه وعيروه بجزعه ، وقال عمرو بن
الورد في ذلك :

ونحن صبّحنا عامراً في ديارها علالة^(٤) أرماحٍ وضرباً مذكراً

• لغطفان على بنى عامر ، والرقم جبال دون مكة بديار غطفان

معجم البلدان (ضرغد) ، ابن الأثير ص ٣٩٣ ج ١ ، المقد القريد من ٣١٨ ج ٣ ، خزائن
الأدب ص ٧٠ ج ٣ ، الفضليات ص ٣٠

(١) عامر بن الطفيل : كان من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبدها اسماً وشهرة ، أدرك
الإسلام ولكنه لم يسلم ؛ ولما مات نصبت له بنو عامر أنصاباً ، ميلاً في ميل حمى على قبره ؛ لا تنشر
فيه راعية ، ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش ، وله وقائع مشهورة في مذبح وخشم وغطفان
(٢) نذر : علم (٣) مرة وأشجع وفزارة : من غطفان (٤) العلالة في الأصل : ما حلب
بعد التيقّة الأولى .

بكل رِفاقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهِنْدٍ وَلَدْنِ مِنْ أَلْحَطِيِّ قَد طَرَّ (١) أُسْمَرَا
 عَجِبْتَ لَهُمْ إِذْ يَخْنُقُونَ نَفُوسَهُمْ وَمَقْتَلُومٍ تَحْتَ الْوَعْيِ كَانَ أَجْدَرَا
 وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ قَبْلَ الْمَوْقِعَةِ رَأَى امْرَأَةً مِنْ فِزَارَةَ فَسَأَلَهَا فَقَالَتْ : أَنَا أَسْمَاءُ
 بِنْتُ نَوْفَلِ الْفِزَارِيِّ ، وَبَيْنَا هِيَ تُجَبِّيه خَرَجَ عَلَيْهِ الْبَهْزَمُونَ مِنْ قَوْمِهِ وَبَنُو مَرْءَةٍ فِي
 أَعْقَابِهِمْ ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَامِرٌ أَلْقَى دِرْعَهُ إِلَى أَسْمَاءَ وَوَلَّى مَسْهُمًا ، فَأَدَّتْهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ،
 وَفِيهَا قَالَ بَعْدَ الْمَوْقِعَةِ :

وَلتَسْأَلَنَّ أَسْمَاءُ وَهِيَ حَفِيَّةٌ نَصَحَاءَهَا أَطْرَدْتُ أُمَّ لَمْ أَطْرَدِ (٢)
 قَالُوا لَهَا : فَلَقَدْ طَرَدْنَا خَيْلَهُ قَلَحَ الْكِلَابِ وَكُنْتُ غَيْرَ مَطْرَدٍ (٣)
 فَلَا بُفَيْنِكُمْ قَنَّا وَعُورَا ضَا وَلَا قِبْلَنَّ الْحَيْلَ لِأَبَةِ ضَرَّغِدِ (٤)
 بِالْحَيْلِ تَمْتُرُ بِالْقَصِيدِ كَأَنَّهَا حِدَا تَتَّابِعُ فِي الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ (٥)
 وَلَا تُنَارَنَّ بِمَالِكِ وَبِمَالِكِ وَأَخِي الرَّوْرَاةِ الَّذِي لَمْ يُسْتَدِ (٦)
 وَقَتِيلَ مَرْءَةٍ أَنْارَنَّ فَإِنَّهُ فَرَّخُ وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يُقْصَدِ (٧)
 يَأْسَلُمُ أَخْتَ بَنِي فِزَارَةَ إِنَّنِّي غَانِي رِيَانِ الرِّءَاءِ غَيْرُ مُخَلَّدِ
 وَأَنَا ابْنُ حَرْبٍ لَا أَزَالُ أَشْبَهَا سَمَرًا وَأَوْقَدَهَا إِذَا لَمْ تَوْقَدِ (٨)

(١) طر الحديدة طراً : أحدها (٢) هي أسماء بنت قدامة الفزاري . قال أبو محمد بن
 ابن الأعرابي : كان يهواها عامر ويشبب بها (٣) القلح : صفرة تملو الأستان ، شبه الشاعر بها
 فزارة ويكون النصب على الهمزة (وكننت . . .) حال (٤) قنا : جبل في ديار بني ذبيان
 وعوراض : جبل لبني أسد ، ولا قبيلن الحيل : أي بالحيل ، واللابة : الأرض ذات الحجارة السوداء
 وضرغد : أرض لهذيل (٥) القصيد : جمع قصيدة ، وهو كسر القنا (٦) الرورارة :
 موضع بالكوفة ، ولم يسند : لم يذفن ، وترك للسباع تأكله (٧) فرخ : حدر ، ولم يقصد
 لم يقتل (٨) أي أدبر أمرها وقت سمري بالليل .

ولما بلغ شعره غطفان هجاه جماعة منهم ، وكان النابغةً الديباني غائباً عند ملوك
هسّان ، ولما عاد سأل قومه عما هجّوا به عامر بن الطفيل ، فأنشدوه ما قالوا فيه
وما قال فيهم ، فقال : لقد أفحشتم ، وليس مثلُ عامر يُهَجَى بِمثل هذا ، ثم قال
يَحْطَى عَمْرَأَ فِي ذِكْرِ امْرَأَةٍ مِنْ عَفَائِلِهِمْ :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإنّ مطية الجهل الشبابُ
فإنك سوف تحلم أو تُباهى إذا ما شئتَ أو شابَ الغرابُ
فكن كأبيك أو كأبي براه نواقك الحكومة والصوابُ
فلا تذهب بحلمك طامثات^(١) من الخيلاء ليس لمن بابُ

(١) طامثات : تاسسات .

٦- يَوْمُ النَّتَاءِ

خرجت بنو عامر تريد غطفان، لتدرك بثأرها يوم الرقم، فأغاروا على نعم بنى عبس وذيبيان وأشجع فأخذوها ، وعادوا متوجهين إلى بلادهم، فضلوا الطريق وسلكوا وادى النتاء ، فأمنوا فيه ولا طريق لهم ولا مَطْلَع ، حتى قاربوا آخره ، وكاد الجبلان يلتقيان ؟ وإذا هم بامرأة من بنى عبس تَخِيطُ^(١) الشجر لهم في قلة الجبل ، فسألوا عن المطلع ، فقالت : الفوارس المطلع - وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهي على الجبل ، ولم يرها بنو عامر ؛ لأنهم في الوادى ، فأرسلوا رجلا إلى قلة الجبل ينظر لهم ، فقال : أرى قوما كأنهم الصَّبِيَّانِ على متون الخيل ، أسنة رماحهم عند آذان خيلهم ، قالوا : تلك فزارة . قال : وأرى قوما بيضا جمادا^(٢) كأن عليهم ثيابا حمرا ، قالوا : تلك أشجع . قال : وأرى قوما نسورا قد علوا خيولهم آخذين بموامل^(٣) رماحهم يجرؤونها . قالوا : تلك عبس^(٤) ، أنا كم الموت الزؤام^(٥) .

• لنظفان على عامر ، والنتاء نخيلات لبني عطارد ، وهو النتاء كهمة في القاموس ، وفي ابن الأثير هو يوم النباء ، وفي معجم البلدان والأغانى النتاء .

العقد الفريد ص ٣١٩ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٥ ج ١ ، الأغانى ص ٣١٣ ج ١٠

- (١) خبط الشجرة : ضربها بالمصا ليستط ورقها (٢) الجسد : الخفيف من الرجال ، وقيل المجتمع الشديد ووجه جماد (٣) عامل الريح وعاملته : صدره دون السنان ووجه عوامل (٤) فزارة وأشجع وعبس : بطون في غطفان (٥) موت زؤام : عاجل ، وقيل سريع بجهز وقيل : كربه وهو أصح .

ولحقهم الطلب بالوادي، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكان عامرُ بن الطفيل أولَ مَنْ
سبق على فرسه الوَرْدُ^(١) ، ففات القومَ .

وُقِتِلَ كثير من بني عامر وكانت الهزيمة عليهم ، وقتل من أشرافهم البراء بن
عامر بن مالك ، ونهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر ، وعبد الله
ابن الطفيل .

وفي تلك الموقعة قال خراشة بن عمرو المبسي :

وساروا على أظنابهم^(٢) وتواعدوا مياهاً تحامتها تميم و عامر
قذفهم في اليمِّ ثم خذلتهم فلا وألت^(٣) نفسٌ عليك تحاذد

(١) الورد : اسم فرس عامر (٢) الأظناب : الطرائق (٣) وألت : نجث .

٧- يَوْمَ حَوْزَةِ الْأَوْلَادِ

وَأَبِي مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ السَّلْمِيِّ عُكَاظٍ فِي مَوْسِمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ ،
فَبَيْنَاهُمْ يَمْنَى بِسُوقِ عُكَاظٍ إِذْ لَقِيَ أَسْمَاءَ الْمُرَيْةِ ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً ؛ فَدَعَاها لِنَفْسِهِ
فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : أَمَا عَلِمْتَ أَنِي عِنْدَ سَيِّدِ الْعَرَبِ هَاشِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ^(١) ؛ فَأَحْفَظْتَهُ ،
فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَا قَارِعَ عَنِّي عَنْكَ ! قَالَتْ : شَأْنُكَ وَشَأْنُهُ
وَرَجَعْتُ إِلَى هَاشِمٍ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ مَعَاوِيَةُ وَمَا قَالَتْ لَهُ ؛ فَقَالَ هَاشِمٌ : فَلِمَ عَمِرْتِ
لَا تَوْرِيهِمْ آيَاتِنَا حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ جَهْدِهِ .
ثُمَّ التَّقِيَا ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِي قَدْ سَمِعْتُ بَطْلَمَائِنِ يَنْدُبُونَكَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ
هَاشِمٌ بِمَا أَحْفَظَهُ .

فَلَمَّا انْتَصَرَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَتَرَجَعَ النَّاسُ عَنْ عُكَاظٍ ، خَرَجَ مَعَاوِيَةُ غَازِيًا فِي
فِرْسَانَ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، يُرِيدُ هَاشِمَ بْنَ حَرْمَلَةَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مِرَّةٍ وَفَزَارَةَ^(٢) ،
فَنَهَاهُ أَخُوهُ صَخْرٌ وَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي بِكَ إِنْ غَزَوْتَهُمْ عَلَيَّ بِكَ حَسَكُ الْمُرْفُطِ^(٣) . فَأَبَى
مَعَاوِيَةُ وَسَارَ بِقَوْمِهِ .

فَلَمَّا كَانَ مَعَاوِيَةُ بِمَكَانٍ يُدْعَى الْحَوْزَةَ^(٤) دَوَّمت^(٥) عَلَيْهِ طَيْرٌ ، وَسَمَّحَ^(٦) لَهُ

* لسلم على ذييان ، وحوزة : واد بالحجاز .

الأغانى ص ٣٢٩ ج ٢ و ص ٢٨ ج ١٠ و ص ١٣٤ ج ١٣ ، العقد القريد ص ٣٢٠ ج ٣ ،
التبريزى على الحماسة ص ١١٠ ج ٣ ، الحماسة ص ٤٥٥ ج ١

(١) هاشم بن حرملة من بني مرة (٢) فزارة ومرة : في ذييان (٣) المرفط :
شجر الطلح وله صمغ كريحه الرائحة (٤) قال بعضهم : الجوزة ، والشك من أبي عبيدة
(٥) الدومان : حومان الطائر (٦) السامح : من الصيد ما آتى من الياسر الى المياسر .

ظُفِّيَّ وَغُرَابٍ ؟ فَتَطَيَّرَ مِنْهُمَا ، وَرَجَعَ فِي أَصْحَابِهِ . وَبَلَغَ ذَلِكَ هَانِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ فَقَالَ :
مَا مَنَعَهُ مِنَ الْإِقْدَامِ إِلَّا الْجُبْنَ .

ولما كانت السنة المقبلة خرج لغزوهم ، حتى إذا كان في ذلك المكان سنع له
ظُفِّيَّ وَغُرَابٍ ، فَتَطَيَّرَ وَرَجَعَ ، وَمَضَى أَصْحَابُهُ ، وَتَخَلَّفَ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ فَارِسًا
مِنْهُمْ لَا يُرِيدُونَ قِتَالًا ، وَوَرَدُوا مَاءً ، وَإِذَا عَلَيْهِ بَيْتٌ شَعْرٌ ؛ فَصَاخُوا بِأَهْلِهِ ،
فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَةٌ فَقَالُوا : يَمَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ جِهينةِ أَحلافِ بني
مرّة^(١) ، ثُمَّ وَرَدُوا الْمَاءَ يَسْقُونَ ، فَانْسَلَّتِ الْمَرْأَةُ ، وَأَتَتْ هَانِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ فَأَخْبَرَتْهُ
بِحَبْرِ هَوْلَاءَ ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ بَعِيدٍ ، وَعَرَفْتَهُ عُدَّتِهِمْ ، وَقَالَتْ : لَا أَرَى إِلَّا مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو
فِي الْقَوْمِ .

فَقَالَ : يَا لَكَاكَ^(٢) ؛ أَمَعَاوِيَةُ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا ! شَبَّهَتْ وَأَبْطَلَتْ^(٣) .

قَالَتْ : بَلَى ، قُلْتُ الْحَقَّ ، وَإِنْ شِئْتَ لِأَصْنَعْتَهُمْ لَكَ رَجُلًا رَجُلًا ، قَالَ :
هَاتِي

قَالَتْ : رَأَيْتُ فِيهِمْ شَابًّا عَظِيمَ الْجُمَّةِ^(٤) ، جَبَّهْتَهُ قَدْ خَرَجْتَ مِنْ تَحْتِ
مِغْفَرِهِ^(٥) ، صَبَّحَ الْوَجْهَ ، عَظِيمَ الْبَطْنِ ، عَلَى فَرَسٍ غَرَاءٍ^(٦) . قَالَ : نَعَمْ ، هَذِهِ
صَفَةُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو وَفَرَسُهُ السَّمَاءِ . .

قَالَتْ : وَرَأَيْتُ رَجُلًا شَدِيدَ الْأُدْمَةِ^(٧) ، شَاعِرًا يُنْشِدُهُمْ ، قَالَ : ذَلِكَ خَفَافٌ^(٨)

ابن عمير .

(١) قوم هانم (٢) الكعك : الخفاء (٣) يريد : اخلط عليك الأمر وأتيت
بالباطل (٤) الجملة : مجتمع شعر الرأس (٥) المفتر : زرد من الدرع ، يلبس تحت
القلنسوة (٦) غراء : يضاء . (٧) الأدمة في الإنسان : السواد (٨) هو خفاف
ابن عمير بن عمرو بن الحارث بن مهران بن الصريد السلمي ، المعروف بابن ندبة ، وهي أمه ، وكانت
سوءاء حبشية .

قالت : ورأيت رجلاً ليس يَبْح وسطهم ؛ إذا نادَوْه رفعوا أصواتهم ، قال :
ذاك عباس الأصمّ .

قالت : ورأيت رجلاً طويلاً يُكَدِّونه أبا حبيب ، ورأيتهم أشدّ شيء له توقيراً ،
قال : ذاك نَيْبِشَة بن حبيب .

قالت : ورأيت شاباً جميلاً له وَفْرَة^(١) حَسَنَة ، قال : ذاك العبّاس بن مرداس
السلي .

قالت : ورأيت شيخاً له ضفيران ، سمته يقول لمعاوية : بأبي أنت ؛ أطلت
الوقوف ، قال : ذاك عبد المزي زوجُ الخنساء أخت معاوية وصخر .

فنادى هاشم في قومه ، وخرج في مثل عُدَّتِه من بني مرّة ، ولم يشمر السّلميون
حتى طلّموا عليهم ، فقال لهم خُفّاف بن عمير : لا تُنازِلوهم رجلاً رجلاً ، فإنّ خيلهم
تَثَبَّت للطرّاد ، وتحمل قتل السلاح ، وخيلكم قد أَنهَكها الغزو وأصابها الحفا^(٢) .
واقْتلوا ساعة ، ولما رأى هاشمُ بن حرمة معاوية قال لأخيه دريد بن حرمة - وكان
هاشم نارقها من مَرَض أصابه : يا دريد ؛ إن هذا إن رأيت لم آمن أن يشدّ عليّ ،
وأنا حديث عهد بشيكة^(٣) ، فاستطرذ له دوني حتى تجعله بيني وبينك ، ففعل ،
وحمل عليه معاوية ، وأردفه^(٤) هاشم ، فاختلفا طمعتين ، وأردى^(٥) معاوية هاشم
عن فرسه الشّماء ، وأنقذ هاشم سنانته من معاوية . ثم جاء دريد بن حرمة فأجهز
على معاوية وقتله^(٦) .

(١) الوفرة : الشعر المجمع على الرأس (٢) الحفا : رقة القدم والحنف والحافر
(٣) الشيكة : الوقوع في الشوك ، وقد شبك الرجل أيضاً : أصابه الشوك ؛ وهي حمرة تظهر
في الوجه وغيره من الجسد ، وقال في اللسان : هي داء كالطاعون (٤) أردفه : تبعه
(٥) أراداه : أسقطه (٦) قال في الأغاني ص ٢٨٠ ج ٢ تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن
عمرو وتواتما إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده ، وإن قتل أن يطلب بأثره ، فلما قتل معاوية
قال دريد مصيدة يرثيه منها :

وشدّ خفاف بن عمير على مالك بن حمار الفزاري ، فقتله (١) .

ثم إن السماء فرس هاشم دخلت في جيش بني سليم ؛ فأخذوها وظنّوها فرس مالك بن حمار الفزاري الذي قتله خفاف بن عمير ؛ ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية ، فقالوا : أنعم صباحاً أبا حسان ! فقال : حيتم بذلك ، ما صنع معاوية ؟ قالوا : قُتِل . قال : فما هذه الفرسُ ؟ قالوا : قتلنا صاحبها ، فقال : إذا كنتم أدركتم ثأراً كم ، فهذه فرس هاشم بن حرملة !

فإن الرزم يوم وقتت أدعو
ولو أسمعته لأناك يسي
بشكة حازم لا غمز فيه
الشكة : السلاح . لبس جلد الثور : تكرر له
عرفت مكانه فمظفت زوراً
الزور : اسم جبل
على لرم وأحجار تقال
الارم : حجارة تصبب علما في المفازة .
وبنيان القبور آني عليها
(١) قال خفاف في قتل مالك بن حمار :
أقول له والرمح ياطر منته
وقتت له علوي وقد نخم صحتي
لبن ذرقن الشمس حين رأيتهم
فلما رأيت القوم لا ود بينهم
شريحين : صنفين
نيمت كبش القوم حين عرفته
لجادت له عني يدي بطعنة
أنا الفارس الحاي الحقيقة والذي
فان يسج منها هاشم فبطعنة
صائكا : لاصقا

فلم أسمع معاوية بن عمرو
حيث السمي أو لأناك يجرى
إذا لبس الكفاة جلود نمر
وأين مكان زور يا ابن بكر
وأغصان من السلمات صمر
طوال الدهر شهراً بعد شهر
تأمل خفافاً إنني أنا ذلك
لأبني مجداً أو لأنأر هالكا
سراعاً على خيل تؤم المسالكا
شريحين شتي طالباً ومواشكا
وجانبت شبان الرجال الصعالكا
كسبت منته من أسود اللون حالكا
به أدرك الأبطال قدما كذلكا
كسته نجيباً من دم الجوف صائكا

ولما دخل رجب ركب صنخر بن عمرو السماء صبيحة يوم حرام، حتى أتى بني مرة؛ فلما رأوه قال لهم هاشم: هذا صنخر فحيوه وقولوا له خيراً - وهاشم مريض من الطمّنة التي طمنه معاوية، فقال: من قتل أخى؟ فسكتوا، فقال هاشم: هلمّ أبا حسان^(١) إلى من يبخرك، فقال: من قتل أخى؟ فقال هاشم: إذا أصبتني أو دريداً فقد أصبت ثأرك، قال: فهل كفتتموه، قال: نعم في بردين أحدهما بنحو عشرين بكرة، قال: فأروني قبره فأروه إياه. فلما رأى القبر جزع عنده، ثم قال: كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعى، فوالله ما بيت منذ عقلت إلا وائترأ أو موتوراً، طالباً أو مطلوباً حتى قتل معاوية، فما ذقت النوم بعده^(٢).



وقال صنخر بن عمرو أخو معاوية يرثيه:

وعاذلة هبت بيل تلومني ألا لا تلوميني كفى اللوم مايا
وقالوا: ألا تهجو فوارس من هاشم ومالي وإهداء الخنا ثم ماليا^(٣)
أبي الهجو أنى قد أصابوا كرمي وأن ليس إهداء الخنا من شماليا^(٤)
إذا ما امرؤ أهدي لبيت تحية فحيّاك ربّ الناس عنى معاويا

(١) أبو حسان: كنية صنخر (٢) لما رجع صنخر إلى قومه قالوا له: اهجم، فقال: إن ما بيننا أجل من الفزع، على أنى أكف نفسي عن هجمهم رغبة عن الخنا (٣) الخنا: القمّش، وهذه رواية الحماسة، ورواية الأغاني للبيت: تقول ألا تهجو فوارس هاشم وإلى إذن أهجوم ثم ماليا (٤) يريد بكرمى: حرمى، والقبال: الحصلة، وفي رواية «من سبنا».

كَنِمَ الفتي أدي ابنُ صرمةَ بزةُ إذا راح فحلُّ الشولِ أخذبَ عارياً^(١)
 إذا ذُكرَ الإخوانُ رَفَرَتْ عِبرَةٌ وحيثَ رمَسًا عندَ لِيَّةَ نأويًا^(٢)
 وطيبَ نفسى أنى لم أقلْ له كذبتَ ولم أبخلْ عليه بمالياً
 وذى إخوةٍ قطمتُ أقرانَ بينهم كما تركونى واحداً لا أخالياً^(٣)

(١) ابن صرمة: هو هاشم بن حرملة قاتل معاوية ، والبز: السلاح ، والشول: النوق التي تحف
 لبها وارتفع ضرعها ، وأحدب عار: هزيل ، وقوله: « إذا راح ظرف » لا دل عليه لنم الفتي
 (٢) لية: اسم موضع ، والثاوي: المقيم (٣) أقران بينهم: وصل بينهم ، وأصل الأقران
 الجبال . قال في الأغاني: قال هذا البيت بعد أن أوقف بيني مرة قاتلي أخاه .

٨- يوم حوزة البشاني

تذكر صخر^(١) بن عمرو الشريد السلمي مَقْتَل أخيه معاوية، وهاجت به الذكوى؛ فخرج لِقِتال بني مُرّة، وركب السّماء - وكانت غرّاء مُحجّلة، فسودَّ غرّتها وتجبّلها - فرأته بنت لهاشم بن حرملة، فذهبت إلى عمّها دريد بن حرملة وقالت: أين السّماء^(٢)؟ قال: هي في بني سليم، قالت: ما أشبهها بهذه الفرس! فاستوى جالساً، ولما رآها قال: هذه فرس بهيم^(٣)، والسّماء غرّاء مُحجّلة؛ وعاد فاضطجّع ولم يشمر حتى طمته صخر.

فثارَ وتنادروا، وولى صخر، وطلبت غطفان عامّة يومها، ووقف دونه شجرة ابن عبد العزى، فردّ الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه.

ثم إن هاشم بن حرملة خرج يوماً مُنتجماً، فلقبه عمرو بن قيس الجشمي،

* لسليم على بني مرة (من ذيان)

الأغانى من ١٤٠ ج ١٣، المقد الفريد من ٣٤٠ ج ٣، لسان العرب مادة (غريل - نام)، الكامل للبريد من ٢٨١ ج ٢

(١) هو أحد بني سليم، وكان شاعراً حلياً جواداً، محبوباً في عشيرته، شريفاً في قومه، وكان أبوه يأخذه بيده ويد أخيه معاوية ويقول: أنا أبو خيري مضر، فتعترف العرب له بذلك، وكان أماً الخنساء لأبيها، فاسمها مائة مرات كثيرة، وكان يعطيها في كل مرة خير النصفين، ولما لامته زوجته في ذلك قال:

واقه لا أنحبها شرارها ولو هلكت قددت سخارها

وأنخذت من شعر صدرها

فلما قتل لبست عليه الصدر، وقالت فيه خير المرائي (٢) السماء: فرس هاشم بن حرملة (٣) البهيم: الأسود، ومالاشية فيه من الخيل للذكر والأُنثى.

ثم تبه وقال : هذا قاتلُ سُعاوية ، لا وألتُ نفسي إن وأل^(١) ، ولا نزلَ كَن له بين
الشجر ، حتى إذا دنا منه أرسل عليه مِمْبِلة^(٢) ، ففلقَ قِحفه^(٣) فات^(٤) ، وقال
في ذلك :

إني قتلت هاشم بن حرملة إذا الملوك حوله مُغرِبَله^(٥)
يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنب له
ولا بلغ الخنساء قتلُ هاشم قالت :

فِداً للفراس الجشى نفسى وأفديه بمن لى مِنْ حميم
أفديه بكلِّ بنى سليم بظاعنهم وبالأنس^(٦) المقيم
كما مِنْ هاشم أقررتَ عيني وكانت لا تنامُ ولا تُنيم^(٧)

(١) وأل : نجا (٢) النصل : المريض الطويل (٣) القحف : ما اقلق من الجمجمة
ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء (٤) قال الأصبغى : مررت بأعرابي وهو
يخضد شجرة ويرتميز ويقول :

لو كنت إنساناً لكنت حاتماً أو السلام الجشى هاشما
قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أولاً تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هو الذى يقول :
وعاذلة هبت بيلل تلومنى كاتى إذا أهقت مالى أضيها
دعيني فإن الجود لن يتلف الفتى ولن يخلد النفس اللثيمة لومها
وتذكر أخلاق الفتى وعظامه مفرقة فى القبر باد رميها
سلى كل قيس هل أبانى خيارها ويمرض عنى وغدها ولييها
وتذكر قيس منى وتكبرى إذا ذمنى فتياها وكريمها
قلت : لا أعرفه ، قال : لا عرفت ا هو الذى يقول فيه الشاعر :

أحبيا أباه هاشم بن حرمله يقتل الذنب ومن لا ذنب له
ترى الملوك حوله مغربله

(٥) المغريل : المتقول المتفجع (٦) الأنس : الحى المقيمون (٧) قال فى اللسان :
يقال : أصاب الثأر النميم ، أى الذى فيه وفاء طلبته ، وفلان لا ينام ولا ينيم ، أى لا يدع أحداً
ينام ، وأنشد البيت (مادة - نام) .

ومن جبد قولها :

أبسد ابن عمرو من الِ الشِّ مريد حلت^(١) به الأرض أنقلها
لممرُ أبيه لنعمَ الفقى إذا النفسُ أعجبها مالها
فإن تكُ مرةٌ أودتُ به قد كان بُكرُ تقاتلها
غفرُ الشوامخُ^(٢) من فقهه وزُوتُ الأرضُ زوالها
هممتُ بنفسى كلِّ الموم فأولىَ لنفسى أولىَ لها
لأهلِ نفسى على آلهِ^(٣) فأما عليها وإما لها

وقالت ترى معاوية :

أرىنى من دُموعك واستغيب^(٤) وصبراً إن أظقتِ ولن تطبقي
وقولى : إن خيرَ بنى سلِّم وفارسها بصحراءِ المقيب
ألا هل ترجمن لنا اللبال وأيامٌ لنا يلوئى الشقيق
وإذ نمنُ الفوارسُ كلَّ يوم إذا حضروا وفتيانُ الحقوق
وإذ فينا معاويةُ بنُ عمرو على أدماءِ كالجبلِ الفنيق
فبكيه قد أودى جيداً أمينَ الرأى محمودَ الصديقِ

(١) حلت : من الحلى ، تقول : زيفت به الأرض الموتى . (٢) الشوامخ : الجبال .
(٣) على حالة ، وعلى خلة وهى القيسل ، فأما ظفرت وإما ملكت . (٤) فى الكامل :
مضى هذا : أن النمة تذهب اللوعة .

فلا والله لا تسلّاك نفسى لفاحشة أبيت ولا عقوق^(١)
ولكنى رأيت الصبر خيراً من النملين والرأس الحليق^(٢)

(١) أى لا أجد فيك ما تسلو نفسى عنك له . (٢) قال فى الكامل : تأويل النملين أن المرأة كانت إذا أصيبت بحمم جعلت فى يديها نملين تصفق بهما وجهها وصدرها .

٩- يَوْمَ اللّوَى

غزا عبد الله بن الصّمة^(١) - ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية بن بكر
ابن هوازن - غطفان ، فظفر بهم ، وساق أموالهم في يوم يقال له : يوم اللّوى ،
ومضى بها .

ولما كان منهم غيرَ بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دُرَيْد : النَّجَاءُ
يَا أَبَا فُرْعَانَ^(٢) ! نَشَدْتُكَ اللهُ أَلَا تَنْزِلُ ، فَإِنَّ غُطْفَانَ لَيْسَتْ بِمُفَاذَةَ عَنْ أَمْوَالِهَا وَقَدْ
ظَفَرْتَ ؛ فَأَقْسِمُ لَا يَرِيمُ حَتَّى يَأْخُذَ مِنْ بَاعِهِ^(٣) ، وَيَنْقَعُ نَقِيعَتَهُ^(٤) ، فَيَأْكُلُ وَيَطْعَمُ ،
وَيَقْسِمُ الْبَقِيَّةَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ .

وينبأهم على ذلك ، وقد سطمت الدّوَاحِنُ^(٥) ، إِذَا بُفِكَارٌ قَدْ ارْتَفَعَ أَشَدَّ مِنْ
دِخَانِهِمْ ، وَإِذَا عَبَسَ وَفَزَزَةَ وَأَشْجَعَ^(٦) قَدْ أَقْبَلْتَ ، فَقَالُوا الرَّيْثُ مِنْهُمْ^(٧) : انظُرْ مَاذَا تَرَى ؟

● لنظفان على هوازن ، واللوى : واد من أودية بني سليم

الأغانى ص ٦ ج ١٠ ، المقد الفريد ص ٣٢٣ ج ١ ، شرح التبريزى على ديوان الحماسة ص ٣٠٥
ج ٢ ، جهرة أشطار العرب ص ٢٢٦

(١) سبي الصمة ربحانة بنت معديكرب فأولدها بنيه الأربعة : عبد الله وقد قتله غطفان ، وعبد بنوت
وقد قتله بنو مرة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب ، وفي ربحانة
يقول أخوها عمرو بن معديكرب حين سبيت :

أمن ربحانة الناعى السبيع يؤرقنى وأصحابى هجوع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوره لى ما تستطيع

(٢) كان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى ، فاسمه عبد الله وخالد ومعبد ، وكنيته أبو فرعان
وأبو دقافة وأبو وفاء (٣) المرباع : ربع النخيلة ، وهو حظ الرئيس في الجاهلية

(٤) النخيلة : ناقة ينحرها الرئيس من وسط الإبل ، ويضع منها طعاماً لأصحابه

(٥) جمع دخان (٦) عبس وفزازة وأشجع : من غطفان (٧) الريثة : الطليعة .

فقال : أرى قوماً جَمَاداً^(١) كأنَّ سراييلهم قد غُمست في الجادى^(٢) ، قال : تلك أشجع ، ليست بشيء ! ثم نظر فقال : أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسننهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة . ثم نظر فقال : أرى قوماً أَدْمَاناً^(٣) ، كأنما يحملون الجبل بسوادهم ، يَحْدُون^(٤) الأرض بأقدامهم خدًا ؛ وهم يجرُّون رماحهم جبرًا ، قال : تلك عبس والموت معهم !

ثم تلاحقوا بالْمَرْجِجِ من رُميلة اللوى ، فاقتتلوا ، فقتل رجلٌ من بنى عبس عبدَ الله بن الصمة ، فقتلوا : قتل أبو ذُفافة ! فعطف دريد أخوه فذَبَّ عنه ؛ فلم يُغن شيئاً ، وجرح دريد وسقط ، فكفُّوا عنه وهم يرون أنه قتل واستنقذوا المال ، ونجا من هرب .

فَرَّ زَهْدَمُ المَبْسَى وَكَرَدَمُ الفَزَارَى بدريد وهو مرث^(٥) في القتلى ؛ قال دريد : فسمت زهدماً المَبْسَى يقول لكردم الفزاري : إني لأحسب دريداً حياً ، فانزل فأجهز عليه ، قال : قد مات ، قال : انظر إلى سُبَيْتِهِ^(٦) هل ترمز^(٧) ؟

قال دريد : فسددت من حِيارها^(٨) ، فنظر فقال : هيات ! قد مات ! ثم مَالَ بِالزُّجِ^(٩) في الشَّرَجِ فطمن فيه ؛ فسأل دم كان قد احتقن في جوفى ، فمرفت الخِطْفَةَ حينئذ ، وأمهلته حتى إذا كان الليل مشيتُ وأنا ضعيفٌ قد نَزَفَنِي^(١٠) الدم ، حتى ما أكاد أبصر ، وما شعرتُ إلا وأنا بين عُرْقوبِي^(١١) بَعِيرِ ظَعِينَةٍ^(١١) ، فنفر البعيرُ ؛ فنادت :

(١) جعاد : جمع جعد ، وهو الرجل المجتعب بعضه لى بعض ، أو الشديد (٢) الجادى : الزعفران ، منسوب لى قرية بالشام نبت الزعفران ، اسمها جادية (٣) أدمانا : جمع آدم ، والآدم من الناس : الأسر (٤) يحدون : يشقون (٥) المرث : من حمل من المعركة وبه رمق (٦) السبة : الاست (٧) ترمز : تضطرب (٨) الحنار : الفرج (٩) الزج : الحديدية فى أسفل الرمح (١٠) يقال : تزف الدم فلاناً ، فهو منزوف وتزيف أى سال منه دم كثير (١١) الظعينة : المرأة ما دامت فى اليهودج .

نموذُ بالله منك مَنْ أَنْتَ؟ قلت : لا ، بل من أَنْتِ؟ ويلاك ! فقالت: امرأة من هوازن.
قلت : وأنا من هوازن ، وأنا دريد بن الصمة ؛ فأعلت الحى بمكاني ؛ ففسل عنى الدم
وزوودتُ زاداً وسقاءً ونجوت .



وفى موت عبد الله بن الصمة قال دريد أخوه برثيه :

أرثَ جديداً الحبلِ من أمِّ معبد^(١) بماتبة وأخلفتُ كلَّ موعدِ
وباتتْ ولم أحمدَ إليك جوارها ولم ترَّحُ منا ردةً اليوم أو غدِ
أعاذلتى كلُّ امرئٍ وابنُ أمِّه متاعُ كزادِ الراكبِ التزوّدِ
أعاذلُ إنِ الرِّزءُ أمثالُ خالدِ ولا رزءٌ مما أهلك المرءَ عن يدِ^(٢)
نصحتُ لعارضٍ^(٣) وأصحابِ عارضِ ورهطِ بنى السوداء والقومِ شهدي
فقلت لهم : ظنوا بألقى مدججٍ مَرَّاتهمُ فى الفارسى المسردِ^(٤)
أمرتهمُ أمرى^(٥) بمنعرجِ اللوى فلم يستبينوا الرشدَ إلا ضحى الغدِ
فلما عصوتى كنتُ منهم وقد أرى غوايتهمُ وأنسى غيرُ مؤدِ
وهل أنا إلا من غزيرة^(٦) إن غوتِ غويتُ ، وإن ترشُدُ غزيرةً أرشُدِ
دعاني أخى والخيلُ بينى وبينه فلما دعانى لم يجِدنى بقعدٍ^(٧)

(١) قال فى الأغانى : كانت أم معبد امرأته تطلقها ، لأنها رأته شديد الجزع على أخيه فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته فقال هذه التصيدة (٢) خالد من أسماء عبد الله
(٣) عارض : من أسماء عبد الله أيضاً ، ورهط بنى السوداء أصحاب عبد الله (٤) ظنوا :
أيقنوا ، أو ماظنكم بألقى مدجج ، والمدجج : التام السلاح ، وسراتهم : خيارهم ، والفارسى المسرد :
الدروع (٥) أمرى أى مأمورى (٦) غزيرة : قبيلة من هوازن ، وهى رهط الشاعر
(٧) القعد : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

تنادوا فقالوا: أُرِدَّتِ الخَيْلُ فارساً فقلتُ أعبُدُ اللهَ ذلكم الرّدى (١)
فإن يكُ عبداً اللهُ خَلَى مكانه فلم يكُ وقافاً ولا طائشَ اليد (٢)
ولا بَرِّما إذا الرِّياحُ تناوَحَت برَطَبِ العِضاءِ والهشيمِ المعضدِ (٣)
كَمِيشُ الإِزارِ خارجُ نِصفِ ساقِهِ بعيد من الآفاتِ طلائعُ أنجد (٤)
فليل التَشكِّي للمصِيباتِ حافظٌ من اليومِ أعقابَ الأحاديثِ في غد (٥)
تَراه خَميصَ الطنِّ والزادِ حاضرٌ عَتِيدٌ، ويُغدو في القميصِ المقددِ (٦)
وإن مَسَّه الإِفْواهُ والجهدُ زادُهُ سماحاً وإتلافاً لما كان في اليَدِ
صبا ما صَبَا حتى علا الشيبُ رأسَهُ فلما علاه قال للباطلِ: أبعُد (٧)
وطيَّبَ نفسى أنى لم أَقلُ له كَدَبْتُ ولم أُبْخَلِ بما مَلَكَتْ يدي
نظرتُ إليه والرِّماحُ تَنوشُهُ كوقوعِ الصِّياصِي في النسيجِ المُمدِّدِ (٨)

(١) أى : أعبد الله ذلكم المالك ؟ وإنما دعاه إلى هذا القول أمران : سوء ظن الشقيق ،
والثانى علمه إقناعه فى الحرب (٢) خلى مكانه : مضى لسبيله ، والوقاف : الهيابة ،
والطائش : الذى لا يصيب (٣) البرم : الضجر ، وتناوحت الرياح : هبت صابرة ، وشمالا
مرة ، وذلك آية الجذب ؛ والمضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والهشيم : الثبت اليابس المتكسر ،
والمعضد : المقطع (٤) كمش الأزار : مثل فى الجد والتشهير ، والكميش : الخفيف السريع
الحركة ، وبعيد من الآفات : يريد أنه لا داء به ، وهو سليم الأعضاء (٥) المعنى : أنه
لا يتألم للنوابذ تنزل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أنفسه من أماديث الناس فى غده
(٦) يصفه بجملة الطعام ، والزهد فى اللباس ، مع اتساع الحال ، لأنه يؤثر غيره على نفسه ، والعتيد
المد ، والمقدد : المقطع (٧) « صبا » ادول من المصبي وهو صفر السن ؛ وصبا الثابى من الصباء
بمعنى القناه ، المعنى : تماطى اللهو صغيراً ، فلما اكتهل وظهر الشيب فى رأسه ، نعى الباطل عن نفسه
(٨) تنوشه : تناوله ، والصياصى : جمع صبيصة ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة والحصاة .

وكنتُ كذاتِ البوِّ ريمتُ فأقبلتُ^(١) إلى جلدٍ من مسكٍ سبقَ مُقدِّدٍ^(٢)
 فطاعتُ عنه الخليلَ حتى تبدَّدتُ^(٣) وحتى علاني حالك اللونِ أسودى^(٤)
 فما ريمتُ حتى خرقتني رماحهم^(٥) ونُودرتُ أكبُو في القنأ المتقصد^(٦)
 قتالِ امرئٍ وامى أخاه بنفسه^(٧) وأيقن أن المرءَ نسيرُ غلدي
 قليلُ التشكُّي للمصيباتِ حافظُ^(٨) من اليومِ أعقابَ الأحاديثِ في غدي
 وقال أيضاً :

تقول : ألا تبكي أخاك ! وقد أرى^(١) مكان البُسكا، لكن بنيتُ على الصبر
 فقلتُ أعبد الله أبكي أم الذي^(٢) له الجذبُ الأعلى قتيلَ أبي بكر^(٣)
 وعبدَ ينوثَ تحجلُ الطيرُ حوله^(٤) وعزَّ المصابُ حنوُّ قبرٍ على قبرٍ^(٥)
 أبي القتلِ إلا آلُ صيمَّةٍ إنهم^(٦) أبوا غيرَه والقدرُ يجري إلى القدرِ^(٧)
 فإما تربنا لا تزال دماؤنا^(٨) لدى واترَ يشقى بها آخرَ الدهرِ^(٩)
 فإنا للحمِّ السيفِ غيرَ نكيرة^(١٠) ونأجمه حيناً وليس بذي نسكر^(١١)

(١) ذات البو : ناقة يذبح ولدها أو يموت ، فيحسى لها جلده فترأه ، أى كنت من الوله عليه
 مثل ذلك . والجلد ما جلده من السلوخ ، وألبس غيره ، لتشمه أم السلوخ فتدر عليه ، وانسك : الجلد ،
 والسقب : ولد الناقة (٢) أسودى : كما يقال في الأحمر أحمرى ثم خففت ياء النسب بمحذف إحداهما
 (٣) التقصد : التكرس (٤) قتيل أبي بكر بن كلاب هو أخوه قيس ، ارجع إلى الأغاني صفحة ١٤
 فيه تفصيل لسبب قتله (٥) عبد ينوث : أخوه أيضاً ، وقد قتله بنو مرة ، وحنو بدل من
 المصاب ، ومفصول عز محذوف ، كأنه قال : وعز للشاعر المصيبة ، حنو قبر على قبر ، أى حصول
 الواحد بسد الواحد (٦) يريد : أنهم قتلوا للقتل (٧) يقول : إنا أبدأً تكون
 دماؤنا عند من قتلنا له قتيلاً يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلبه من دماننا (٨) لحمه : أطمعه للحم ،
 يقول : إنا نخطر بأنفسنا فنقتل ونقتل ، وليس ذلك فينا ومنا ينكر

يُعَارُ علينا واترين فيُشْتَفَى بنا إن أُصِبتَا أو نُفِيرُ على ونر
 قسنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينفضي إلا ونحن على شطري



ثم أغارَ دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ بمدَّ مَقْتَلِ أخيه عبد الله على غَطَفَانَ ، يطالبهم بدمه ؛
 فاستقرَّاهم^(١) حياً حياً ، وقتل من بني عَبَسَ سَاعِدَةَ بن مُرَّة ، وأسرَ ذُوَابَ بن أسماء
 ابن زيد بن قارب ، أسره مُرَّةُ بن عوفِ الجُشَمِيِّ . فقالت بنو جُشَمٍ : لو فادَ بِنَاهُ^(٢) ،
 فأبى ذلك دُرَيْدٌ عليهم ، وقتله بأخيه عبد الله . وقتل من بني فزارة رجلاً
 يُقال له حِزَامٌ وإخوة له ، وأصاب جماعة من بني مُرَّةِ ومن بني ثَمَلَةَ بن سعد
 ومن أحياء غَطَفَانَ ، وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم وفي مَنْ قُتِلَ فيه منهم
 يقول :

تَأَيَّدَ^(٣) من أهله معشرٌ فجوَّ سُوَيْقَةَ فالأصفرُ
 فجزعُ^(٤) الحَلِيفِ إلى واسطِ فذلك مَبْدَى وذا محضرُ
 فأبلغ سُلَيْمَى وألفافها^(٥) وقد يَمِطُفُ النسبُ الأكبرُ
 بأبي نارتُ ياخوانكم وكنْتُ كَأَنِّي بهم مُغْفَرُ^(٦)
 صبغنا فزارة سُمَرَ القَنَا فمَهلاً فزارة لا تضجروا
 وأبلغ لديكَ بني مازنِ . فكيف الوعيدُ ولم تَقْرُرُوا

(١) استقرَّاهم : تنبهم (٢) فاداه : أطلقه ، وقبل فديحه (٣) تأيد : أقر ، ومعشر
 وجو سويقة والأصفر : أسماء مواضع (٤) الجزع : منطف الوادي ، والحليف وواسط :
 موضعان (٥) ألفافها : قومها المجتبعون حولها ، مفردة لف (بالكسر) (٦) أخفروه :
 قض عهده .

فإن تقتلوا فتيةً أفردوا أصابهم الحينُ أو تظفروا
فإن حزامًا لدى مَرَكٍ وإخوته حولهم أنسروا
ويومَ يزيدِ بنِ ناشِبِ وقبلُ يزيدكمُ الأكبرُ
أثرنا صرِيحَ بنِ ناشِبِ ورهطًا لقيطِ فلا تفتحروا
تجرُّ الضباعُ بأوصالهم ^(٧) ويلقخنَ منهم ولم يُقبروا

(٧) في نهاية الأرب : إن الصبح إذا لقيت قبلا بالمرء وورم وانتفخ غرموله تأتيه قرحة ثم تأكله .

١- حديث ابن ضبيّا

قد كان من حديثِ الحربِ التي وقعت بين أبي بكر بن كلاب، وبين بني جَعْفَر (١)
أن سمد بن ضبا الأَسَدِي كان جَاراً لِعُتْبَةَ بن مالك بن جعفر، وكان يُرعى (٢) عليه -
وبنو جعفر يزعمون أنه كان أسيراً عند عُتْبَةَ بن جعفر - وكانت بنو أسدٍ قد قتلت
من بني أبي بكر قتيلا، فقالت بنو أبي بكر: علام تدعون ابن ضبا وأنتم تطليون
بني أسد بما تطلبونهم، فممدوا إليه فقتلوه، وبنو جعفر عنه غيَّب .

فلما بلغ ذلك بني جعفر غضبوا، وكان في بني جعفر رجلٌ من بني أبي بكر
يقال له مالك بن قحافة، فقال - وهو صهر بني جعفر - لا يسؤكم الله؛ إنما
هذا رجل من بني أسدٍ، وقد كنا نطلبهم بدم، وقد علمتم ذلك، فلا تسفكوا
دماءنا ودماءكم فيه، فهذا ابني لكم بديته، ولا تقتلوا قومكم. قالوا: نعم؛ فأخذوا
ابنه فحبسوه بالديّة .

فبينما هم كذلك إذ أقبل بمضُ بن جعفر فلقوا ربيعةَ الشرِّ بن كعب بن عبد الله
ابن أبي بكر، ومعه وطبان من لَبنٍ يريد بهما أهله، فقالوا: هل أنت ساقينا من
هذا اللبن؟ قال: نعم، فنزل عن قعوده ليسقيهم، فأخذوه فشدوه وثاقاً، وقد تروى
من اللبن، ثم طردوا به فسألح، ثم شدوه مع ابن مالك بن قحافة .

* لَبْنِي أَبِي بَكْرٍ بِنِ كَلَابِ عَلِيَّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابِ (كلاهما من عامر) . وابن ضبا: رجل من
بني أسد .

النقائس ص ٥٣٣ طبع أوروبا .

(١) بنو جعفر بن كلاب، وبنو أبي بكر بن كلاب: طنانان في بني عامر (٢) يقال: أُرْعِيَتْ
عليه؛ أي أبقيت عليه ورجته

فلما رأى ذلك مالكُ قال لامرأته : احتملى . فأحتملت ، فلما سارت ركبَ فرسه ثم أقبل عليهم فقال : يا بني جعفر ؛ لا آتى قومي أبداً حتى أقتلَ بمضكم أو تقتلوني ، أو أرجع بأحد الأسيرين ، فمئذكم أسيرُ لبي وأسيرُ دم . فأعطوه ابنه ، وجبسوا ربيعة موقتاً أربع ليال حتى أدى بنو بكر عَقْلَ ابنِ ضبا ؛ فبعث بها بنو جعفر إلى بني أسد .

فلما أدوها قال عامر بن كعب أخو ربيعة الشر : أدوا إلى يابني جعفر إيسار أخى وما صنعتُم به حتى كان منه ما كان ، أو حكَموني . فأبى ذلك بنو جعفر . فقال عوف ابن الأحوص : هذا ابني دأبُ بن عوف ، فليس بشرٍّ من أخيكم فاصنعوا به ما صنعَ بصاحبكم !

فأبى ذلك بنو أبي بكر ، واجتمع القومُ بمضهم إلى بعض ، فلما لقت الحربُ بين بني جعفر وبني أبي بكر قتل رجل من بني جعفر - يقال له منيع - رجلاً من بني أبي بكر ؛ فأقبلت غني - وقد كانوا قتلوا ابناً لمروة بن جعفر قبيل ذلك - حتى نزلوا على مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ؛ فقال مالك : قد أصابت غني منكم دماً ، وأصبتُم منا دماً فبوئوا أحدَ القتيلين بالآخر ؛ فقالت بنو جعفر : نحن نمطيك الدم الذى أصبنا من ابنك ، وخلَّ بيننا وبين ثأرنا من غني ؛ فإننا لا نرضى منهم بدون دية الملوک ، فأذنوا بحرب .

فسارت بنو جعفر إلى بني أبي بكر ، وسار معهم سائر بني كلاب ، حتى إذا تراءى الجمعان خذلت بنو جعفر .

فلما رأت بنو جعفر أنهم قد خذِلوا ، وقد كان طُفيلُ الغنوى قال لبني أبي بكر : اذفموني إلى بني جعفر ، فوالله لا يتمدون علينا ولا يظلموننا حقاً هو لنا عندهم ،

فإن جعفرًا لا يُقَرُّ على هذا ، فأبوا ، وخرج بنو جعفر متوجهين إلى بني الحارث ابن كعب ليحالفوهم .

فزلوا فيهم وحالفوهم وأقاموا فيهم حولاً ، فقالت بنو الحارث بمضها لبعض : ما يمنع أن نتزوج من بني جعفر عشرين امرأة ، ونزوجهم عشرين امرأة ، وتشتبك الأرحام بيننا وبينهم ؟ فإنهم الأشراف والأكفاه ، ولا نبألى إذا فعلنا ذلك من أجلب^(١) علينا من العرب ؛ فمشوا إلى عامر بن مالك ، فذكروا ذلك له ، فرضيت بنو جعفر ، وعامرٌ ساكتٌ لا يتكلم .

فما انصرف القومُ نادى عامرٌ في بني جعفر : لا يَبْقَيْنَ أحدٌ له فرسٌ إلا ركبهُ ولا سلاحٌ إلا لبسه ، وأخذ رُمحه . ففعلوا ، ثم نادى أن احتملوا بأثقالكم ونسائكم ، ثم قال : سيروا حتى تقطعوا ثنية^(٢) القَهْر ، فإذا قطعتموها فانزلوا ، ففعلوا ، ووقف عليهم عامر بن مالك ، حتى جازوا الثنية ، ثم أتاهم ، فقال : هل أخذتُ لكم ديةً أو أبيتكمُ على خَسْفِ قِطْ ؟ قالوا : لا ، قال : والله لتطيمُنني أو لأتكننَ على سيفي حتى يخرج من ظهري .

ثم قال : أتدرون ما أرادَ القومُ ؟ أرادوا أن يرتبطوكم فتكونوا فيهم أذُنابًا ، ويستمينوا بكم على المَرَب ، وأنتم سادةٌ هوازن ورددوسهم فسيروا .

فخرجوا سائرين ، وخرج عامرٌ وطفيل وعبيدة ومعاوية - وهم بنو أم البنين - وسلمى بن مالك ، وحنظلة وعامر ابنا طفيل ، وليبيد بن ربيعة ، ونزلت بنو جعفر في ناحية أرض قشير ، ثم قصدوا إلى بني أبي بكر يريدون مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ، فوجدوه يبيع^(٣) رَكِيًا فنزلوا حتى خرج منها .

(١) أجلب عليه : أعان عليه ، وقال : أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتألبوا (٢) ثنية بالين

(٣) الميع : أن تدخل البئر ضلماً الغلو لقلّة ماها . والركية : البئر .

فلما رأهم رَحِبَ بهم ، ودعا بِلَقْحَةٍ^(١) ، ثم أمر حالِبًا فحلبها ، فقال : اسق سيّدَ بني عامر ، فسقى عامر بن مالك . ثم قال : اسق سيد بني عامر ، فسقى بعه طفيلًا . ثم قال : اسق سيد بني عامر ، فسقى معاوية . ثم قال : اسقني ، ثم سألتهم : ما حاجتكم ؟ فقالوا : أردنا أن نبوء بحقكم ، ونرجع إلى قومنا ، فقال مالك : اختاروا مني خلتين ، ثم حُكِمِي بعدها ، قالوا : قد قَبَلْنَا إحداهما وقَبَلْنَا حُكْمَكَ . قال : إن شئتم أن تظعنوا على حربٍ مُجَلِّيَةٍ أو تُقيموا على سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ ، فقالوا : أَرِنَا حُكْمَكَ . قال : ما كان لكم عندي من غائِلَةٍ أو مُخَاشَةٍ^(٢) أو دَمٍ ، ما قل من ذلك وما كثر فهو لكم ، ودمُ صاحبكم ابن عروة فهو على أفضل الديات ديات أهل بيته في مَالِي ، وما كان لِنَفْسِي فهو عليّ ، ويرثم منه ؛ فذلك حيث يقول لبيد ، وغازه ما يرى :

أَبِي كِلَابٍ كَيْفَ تُنْفَى جَمْفَرٌ وَبَنُو ضَبَيْبَةَ حَاضِرُوا الْأَجْيَابِ^(٣)
 قَتَلُوا ابْنَ عُرْوَةَ ثُمَّ لَطَوُا^(٤) دُونَهُ حَتَّى نَحَا كَيْمَهُمْ إِلَى جَوَابِ^(٥)

(١) اللقحة : الناقة الحلوب (٢) المخاشة : ما هو دون الدية لقطع يد أو أذن
 (٣) الأجباب : منازل لبني جعفر التي شيت عنها وأقامت بها غني (٤) لطاوا : استهوا
 (٥) جواب : لقب مالك بن كعب السكلاب المذكور .

١١ - يَوْمَ هَرَامَيْتَ

كان بدءُ الحرب يومَ هَرَامَيْتِ أَنْ الْجَلِيحِ بْنِ شَدِيدِ الْجُمْفَرِيِّ^(١) نَزَلَ فِي بَيْتِ بِنَاهِيَةِ هَرَامَيْتَ لِيَحْتَفِرَهَا ، فَزَلَّ عَلَيْهِ الْأَسْوَدُ بْنُ شَقِيقِ الضَّبَّابِيِّ^(٢) فَتَمَّه ، فَانْحَدَرَا فِي الْبَيْتِ ، فَضْرِبَهُ الْأَسْوَدُ عَلَى أُذُنِهِ فَحَدَمَهَا^(٣) وَشَجَّهَ شَجَّةً ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِرَأْسِ الْبَيْتِ ، فَأَنْزَلُوا عَلَيْهِمَا الرِّجَالَ حَتَّى خَلَصُوا بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَتِ الضَّبَّابُ : دُونَكُمْ صَاحِبِنَا فَاقْتَضُوا ، وَخَذُوا أَرْضَ^(٤) جِرَاحَةَ صَاحِبِكُمْ .

فَقَالَتِ بَنُو جُمْفَرَ - وَفِيهِمْ بَدَخٌ^(٥) شَدِيدٌ - لَا نَأْخُذُ حَقَّنَا أَيْدَاءً إِلَّا عَنَوَةَ .
فَانصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَكُلٌّ مَحْتَمِلٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُمْفَرَ : يَا جَلِيحُ ؛ أَنْتَ الْيَوْمَ الْجَلِيحُ ، وَغَدَاً الْمَخْدُومُ ؛ فَشَجَّذَ بَنِي جُمْفَرَ وَأَحْمَسَهُمْ^(٦) ، وَكَانُوا مَعَ بَنِي الضَّبَّابِ فِي مَعْلَةٍ وَاحِدَةٍ .

ثُمَّ اتَّقَوْا عَلَى هَرَامَيْتَ فَاقْتَتَلُوا ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا وَاحْتَمَلَ الْحَيَّانُ ، وَافْتَرَقُوا بَعْدَ الْأَلْفَةِ .

فَنَزَلَتِ الضَّبَّابُ عَلَى غَوْلٍ وَالْحِصَافَةَ^(٧) ، وَنَزَلَ جُمْفَرَ الشَّبَكَةَ^(٨) وَمَعْرُوفًا ،

* للضبَّابِ عَلَى بَنِي جُمْفَرَ (كِلَاهِمَا مِنْ بَنِي عَامِرِ) . وَهَرَامَيْتُ : آبَارٌ مَجْتَمِعَةٌ بِبَلَدِ الدَّهْنَاءِ
مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ص ٤٥٠ ج ٨ ، التَّفَائِضُ ص ٩٣٧ طَبِيعُ أَوْرَبَا
(١) بَنُو جُمْفَرَ ، ثُمَّ أَبْنَاءُ جُمْفَرَ بْنِ كَلَّابِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ (٢) الضَّبَّابُ ؛
وَلَدُ مَعَاوِيَةَ بْنِ كَلَّابِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَإِنَّمَا سَمَّوْا الضَّبَّابَ ، لِأَنَّ عَمْرُو بْنَ مَعَاوِيَةَ
كَانَ وَلَدَهُ ضَبًّا وَمَضْبًا وَضَبَابًا وَحَسِيلًا (٣) حَدَمَهَا : قَطَعَهَا (٤) الْأَرْضُ : الدِّيَةُ
(٥) الْبَدَخُ : السَّكْبَرُ (٦) أَحْمَسَهُمْ : أَغْضَبَهُمْ (٧) الْغَوْلُ وَالْحِصَافَةُ : مَاءَانُ لِلضَّبَّابِ
(٨) الشَّبَكَةُ : مِنْ مِيَاهِ بَنِي قَيْسٍ ، وَمَعْرُوفٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي جُمْفَرَ .

فسكرنا يسيراً ، والضباب متوقفة للشر ، قد أذكت الميؤن فليست تنام؛ ثم إن
بني جعفر سارت إلى الضباب .

وبينا الضباب في بعض الطريق إذ لقيهم مزيد بن مسم الفنوي راكباً ، فقالوا :
هذا راكبٌ فاسأله عن بني جعفر ، فأبى ، فقالوا : ما الخبر ؟ فقال لهم الفنوي :
ما أدري ما أقول لكم إلا أن النعم منكم قريب^(١) .

فخرجت الضباب مبادرةً إلى النعم غمامةً ناريةً ، وخلفوا أبا لطيفة بن الخطيم
ابن الأعرف ، وهو يومئذ سيد الضباب وابن أخ له وأربعة نفر .
وأقبل جمعُ بني جعفر فتلقاهم زَيْنُ الضبابي في مِزْمَى له يسوقها؛ فقال زاجر^(٢)
بني جعفر : يا قوم ؛ قد لقيتم زائناً^(٣) وزاجراً وناطحاً ، فارجعوا ، فوالله لا تصيبون
في وجوهكم هذه خيراً فأطيعوني ؛ فأبوا عليه .

فبينما هم في مسيرهم إذ لقيهم مالك بن الربيع وشريك بن الهيثم الضبابيان ،
فقتلوهما . قال أهلُ الرأي منهم : ارجعوا فقد أصبتم بصاحبكم ، وأدركتم تارككم في
حافية ؛ فأبت جماعتهم إلا المسير ، وقالوا : يا بني جعفر ؛ اجملوه يوماً من أيامكم ،
فساروا حتى انتهوا إلى علمهم ؛ فوجدوا أبا لطيفة بن الخطيم وأصحابه فقتلوه ، وفيهم
رجالان يقال لهما الأشهبان من فرسانهم ، فقتلوهما ، ونزل أبو لطيفة بن الخطيم وبه
رمقٌ فقطعوا أنفه ، وعمدوا إلى بلحفةٍ حمراء فصَبَّغُوا بِدَمِ أَبِي لَطِيفَةَ ، وبعثوا بها
مع بشيرٍ إلى نساءهم .

(١) قال ذلك يكيد لضباب تصبأ لبني جعفر ؛ لأن ولادته كانت فيهم (٢) الزاجر : من
يصطنع الزجر ، وهو العياقة والتسكين (٣) الزين : الدفع ، ومنه حرب زبون ؛ أي يدفع
بعضها بعضاً كثرة .

وفي بني جعفر وَجْزَةَ بنت الخطيم أختُ أبي لطيفة ؛ فلما جاء البشيرُ بقتلِ
أبي لطيفة صرخت بناتُ وَجْزَةَ على خالهنّ ، فقالت أمهنّ : اسكُنن ، فوالله لئن كان
ظنّي ببني عمرو (وهم الضّباب) ليبيّننّ اللبّة في بني جعفر نوحُ كثير .

وانتهت الضّباب إلى النّعم ، ثم عادوا فوجدوا أبا لطيفة ، وبه رمقٌ وإذا القومُ
قتلُ ، فقالوا له : مَنْ أصابك ؟ قال : أصابني خَيْشَنَةُ وهو أحدُ الرّذفين على الجملِ
الأسود ، فاتّبعهم الضّباب ، فلحقهم على الثنية فاقتلوا قتالاً شديداً ، قُتِل من
الفریقين من هؤلاء وهؤلاء ، وَقَصَدَ هُرَيْمُ بن الخطيم - أخو أبي لطيفة - قَصَدَ
خَيْشَنَةَ قاتل أخيه فقتله وقطع أنفه ، وبعث به مع بشيرٍ إلى أبي لطيفة .

فلما أتاه البشيرُ قال : وصلتكم يا بني عمرو رَحِمُ ! الآن ذهب غليلي ، لستُ أباي
معي ميتٌ .

وانهزمت بنو جعفر ، وطردتهم الضّباب بمبدأ خمسة أميال أو نحو ذلك ، وحجزَ
بينهم الليلُ ، ورجعت الضّباب فاحتملت قتلاها ، وهابت بنو جعفر أن تنقل قتلاها
حتى يموتوا النساء يحملن القتلى ؛ فشتت السُّفراء بينهم ، ففَضَّلَ لبى جعفر على الضّباب
خمسَةً بعد البوّاء .

وقال الأجلح^(١) الضّبابي ، وكان فارساً شديداً ، فاتّبع القوم وهو يقول :

لا نَسْفُهُ حَزْرًا ولا حليبا إن لم تجده ساجحاً يَمَيُّوباً^(٢)

(١) نسب هذا الشعر في اللسان : للخطيم الضّبابي (لسان مادة جون) ، وقال في حاشية اللسان :
في الصافى : مر للأجلح بن قاسط الضّبابي (٢) بصف فارساً يقول : لا نسفه شيئاً إن لم تجده
معه الحصال ، والحزر من اللبن : الذي أخذ شيئاً من الحموضة ، والساجح : الشدبد العسو ،
والبمربوب : السكبر الجري .

فَامِئَةً (١) يَلْتَهُمُ الْجُبُوبُ (٢) يتركُ صَوَّانَ (٣) الصُّوَى رَكُوبًا
 بِرَلَقَاتٍ (٤) فُعِبَتْ تَقْمِيًا يتركُ في آثَارِهِ لُهُوبًا (٥)
 يبادرُ الأَثَارَ أنْ تَوُوبًا (٦) وحاجِبَ الجَوْنَةِ (٧) أنْ يَمِيًا
 كالذئبِ يَتَلُو طَمَعًا قَرِيبًا (٨) على هراميتَ ترى المعجيا
 أنْ تَدْعُوَ الشَّيْخَ فلنْ يُجِيبَا

فقاتل يومئذ فأبلى ، وكان ممن قتل الكروس ومعتز ضربه ضربة بالسيف
 أشرعت في شقعه ، فنادى معتز : يا بني جعفر ؛ إن شددت مني بثوب فلا بأس علي ،
 فلم يلبث أن مات ، فقال في ذلك الأشر بن عمارة الضبابي :

عَشِيَّةً يَدْعُو مِعْتَزٌ بِأَلِ جَعْفَرٍ أَخُوكمُ أَخُوكمُ أَجْدَلُ الشَّقِّ مَائِلُهُ
 ولحق الأجلح بن قاسط ابني محيضة بن ببحر ، وهما يسريان بأبيهما من آخر
 الليل ، فقال لها : أجزراني الشيخ ، فقالا : لقد استمرضت منذ اليوم جزراً كثيراً
 وما لهذا ربانا . وقد كان الأجلح لا لبس درعه نرك جربانها (٩) لم يشده عليه من
 المعجلة ، فقالت له ابنته : شد عليك الجربان ، فقال : إن الذي يبصر هذا الموضع لبصيرا

(١) البعة : النشاط والحدة ، ولتتهم : يتنلع (٢) الجبوب : الأرض النليظة ، وقيل الأرض
 النليظة من الصخر لا من العلين ، وقيل هي الأرض عامة ، وقيل وجه الأرض
 (٣) الصوان : الصم من الحجارة ، والصوى : الأعلام ، والركوب : اللذل ، ورواية النقائض :
 يترك صوان الحصى ركوباً (٤) يعني حوافره ، والتقيب : أن يكون الحافر مئياً كالقصب
 لاستدارته (٥) الهبوب : جمع لب ، ورواية النقائض : ألحوبا (٦) الأوب : الرجوع
 يهول : يبادر آثار الذين يطلبهم ليدركهم قبل أن يرجعوا إلى قومهم ، ويبادر ذلك قبل مغيب الشمس
 (٧) الجونة : الشمس (٨) شبه الفرس في عدوه بذئب طامع في شيء بصيده عن قرب
 هدد تاهي طمعه (٩) جربان السيف : حده ومغده .

فلما حمل على ابني مُحَيْضَةَ نظر حاجبُ بنِ مُحَيْضَةَ إلى موضعِ الجُرْبَانِ لم يشده فطعنه في لَبْتِه فقتله ، وأخذوا فرسه فركبوا ونَجَّوا بأبيهما .

فلما قَدِمَ الحِجَاجَ المَدِينَةَ بعد قتلِ ابنِ الزُّبَيْرِ ، واجتمع الناسُ على عبدِ الملكِ وَجْهَهُ إليهمِ عُمَانُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سُرَّاقَةَ القُرَشِيُّ أَحَدَ بنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ ؛ فلما قدم عليهم جمع الفريقين ، ثم نادى : مَنْ جَاءَ بِمِزْمَةَ حَطَبٍ فَلَهُ بِمِير . فجاءَ بِمِخْطَبٍ كَثِيرٍ ، فنضدَ بِمِضْنِهِ إلى بعضِ حولهم ، ثم أَشْمَلَ فِيهِ النَّارَ ؛ فلما لَحِقَتِ القَوْمَ النَّارُ ، وظنُّوا أَنَّهُ المَوْتُ نادى : مَنْ أَطْفَأَهَا فَلَهُ بِمِير ، فأطفأها الناسُ ، فأخرجهم ، وقد كادوا بِمِخْرَقُونَ ، ثم دعا بِالصَّخْرِ لِيَحْطَمَ أَدْرُعَهُمْ فَضَجُّوا إِلَيْهِ ، فقال : أَتَمُودُونَ لِأَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ أَبَدًا ؛ فقالوا : لا نَمُودُ بعدَ اليَوْمِ . فضَمَّنَ الصَّبَّابِيُّونَ للجَمْفَرِيِّينَ مَا يَطْلُبُونَ ، وَأَخَذَ دَرَّاجُ بنُ زُرْعَةَ بنِ قَطَنَ بنِ الأَعْرَفِ الصَّبَّابِي فوجهه به إلى عبدِ الملكِ ، وكان هو صاحبُ الأَفَاعِيلِ ققتله عبدُ الملكِ ، فقال دَرَّاجُ في السَّجْنِ :

أَلَا يَاغْرَابَ البَيْنِ أَسْمَعْتَ فَارْبَعٌ وَطِرٌ بِالنَّدَى قَدْحُمٌ وَيَحْكُ أَوْقَعٌ
فَطَارَ بِتَحْقِيقٍ وَجِدْتُ بِمَبْرُورَةٍ أَنَاهَا رَشَائِشُ المَيْنِ مِنْ كُلِّ مَدْفَعٍ
فَلَيْسَ لِيَا لَيْنَا بِطِخْفَةٍ وَالْحَمِي بِمُرْتَجَمَاتٍ فَابِكِ شَجْوِكَ أَوْ دَعِ
إِذَا أُمُّ سِرِّيَّاحٍ (١) غَدَّتْ فِي ظَمَائِنِ جَوَالِسِ (٢) نَجْدًا فَاضَتْ المَيْنُ تَدْمَعُ
فَبَلِّغْ بَنِي عَمْرٍو سَلَامًا وَرَحْمَةً بَأَيَاتِ شِدَائِي إِذَا الخَيْلُ تُقَدِّعُ
بَأَيَّةِ أَنِي لَمْ أَكُنْ قَدِ عَلِمْتُ أَهْلًا (٣) عَنْ ضَرْبِ الكَمِيِّ (٤) المُفْعَعِ
قَدِ كُنْتُ أَعْطِيكُمْ طَرِيفِي وَتَالِدِي وَأَدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ كُلِّ مَدْفَعِ

(١) السرياح : الجراد ، وأم سرياح : امرأة مشتق منه (٢) الجالس : الآق نجداً ،
ورواية القائس : عوامد نجد كانت المين تدمع (٣) هطل : فرغ وجبن
(٤) الكمي : الشجاع .

فلا تَحْشَعُوا لِلْقَوْمِ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى لِكُلِّ أَمْرٍ يَوْمًا حِمَامٌ وَمَصْرَعٌ
وَإِنِّي لِأَخْشَى مِنْ رِجَالٍ تَرَكْتُهُمْ وَرَأَى أَنْ يُمَطَّوْا الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ
فَإِنْ يَكُ ظَنِي بِالْحِجَازِيِّ صَادِقٌ يِقَاتِلُهُمْ فِرْدَاً وَلَا يَتَخَشَّعُ
وَيَسْتَقْبِهِمْ كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً كَمَا قَدْ سَقَوَهُ مِثْلَهَا فَتَضَلَّعُ
وَمَا دَخَلْتُ السَّجْنَ أَبْقَنْتُ أَنَّهُ هُوَ الْبَيْنُ لَا بَيْنُ النُّوَى ثُمَّ يَجْمَعُ
وَمَا السُّوْطُ أَبْكَانِي وَلَا السَّجْنُ شَفَنِي وَلَكِنِّي مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْتِ أَجْزَعُ

المشام
عفا الله عنه

٧- أَيَّام قَيْسِ وَكِنَانَةَ

١- يَوْمِ الْكُدَيْدِ

٢- بَرْزَةَ

٣- حَرْبِ الْفَجَّارِ

١- يَوْمُ الْكَدِيدِ

- ١ -

خرج دُرَيْدٌ^(١) بن الصَّمَّةِ في فوارس بني جُشَمٍ^(٢) ، يريد الغارة على بني كِنانة ؛ فلما كان بوادِ لبني كِنانة رُفِعَ له رجل من ناحية الوادي ومعه ظمينة^(٣) . فلما نظر إليه قال لفارسٍ من أصحابه : صَبِحْ به أَنْ خَلَّ عن الظَّمِينَةِ وانجُ بنفسك - وهو لا يعرفه - فانتهى إليه الرجل وألحَّ عليه ، فلما أبتى ألقى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ وقال للظْمِينَةِ :

سِيرِي عَلَى رِسْلِكِ سَيْرِ الْأَمَنِ سِيرَ رِدَاحٍ^(٤) ذَاتِ جَاشٍ سَاكِنٍ
إِنَّ انْتِنَائِي دُونَ قَرْنِي^(٥) شَانِي أَبْلِي بِلَانِي وَاخْبَرِي وَعَايِي
ثم حمل على الفارس فصرعه ، وأخذ فرسه فأعطاه الظمينة .

فبعت دُرَيْدٌ فارساً آخر لينظرَ ما صنع صاحبه ؛ فراه صريعاً ، فصاح به ، فتصامَّ عنه ، فظنَّ أنه لم يسمع ففشييه ، وألقى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ إلى الظَّمِينَةِ ، ثم حمل على الفارس فصرعه ، وهو يقول :

* لبني سليم (بطن في قيس عيلان) على كِنانة ، والكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة المقد القريد ص ٣٢٤ ج ٣ ، الأغاني ص ١٢٩ ج ١٤ ، الأمل ص ٢٧١ ج ٢ ، صراط اللآلئ ص ٩١٠ ج ٢ ، قصص العرب ص ٢٤٦ ج ٤ ، بلوغ الأرب ص ١٤٤ ج ١
(١) دريد بن الصمة : سيد بني جشم وفارسهم وفاندم ، كان مظفراً مبيون النقية ، غزا نحو مائة فزوة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام ولم يسلم (٢) جشم : بطن في هوازن ، ودرديد كان من حمي فيهم يقال لهم بنو جداعة (٣) الظمينة : المرأة ما دامت في المودج (٤) امرأة رداح : عجزاء تهيلة الأوراك تامة الخلق (٥) القرن : الكفء .

خَلَّ سَبِيلَ الْحَرَّةِ النَّيْمَةَ إِنَّكَ لَأَقِي دُونَهَا رَيْبَةً
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ (١) مُطِيبَةٌ أَوْ لَا فَخَذَهَا طَمَنَةٌ سَرِيحَةٌ
فَالطَّمَنُ مَنَى فِي الْوَعَى شَرِيحَةٌ

ثم حل عليه فصرعه .

فلما أبطأ على دُرَيْدٍ بَمَثِ فَارِسًا آخَرَ ، لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَا ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمَا ، فَرَأَاهُمَا
صَرِيمَيْنِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِقَوْدِ ظَمِينَتِهِ ، وَيَجْرُ رُمَحَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ : خَلَّ عَنِ الظَّمِينَةِ .
فَقَالَ لَهَا رَيْبَةٌ : اقْصِدِي قَصْدَ الْبَيْوتِ ، ثُمَّ أَقْبِلِي عَلَيْهِ فَقَالَ :

مَاذَا تَرِيدُ مِنْ شَنِيمٍ (٢) عَابِسٍ أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ
أَرَدَاهَا عَامِلُ رَمَحٍ يَأْبِسُ

ثم طعنه فصرعه ، فانكسر رُمُوحُهُ .

وَلَمَّا أْبْطَأَ عَنِ دَرِيدِ ارْتَابَ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا الظَّمِينَةَ وَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، فَلَحَقَ
بِهِمْ ، فَوَجَدَ رَيْبَةَ (٣) بِنَ مَكْدَمٍ لَا رَمَحَ مَعَهُ ، وَقَدْ دَنَا مِنَ الْحَيِّ ؛ وَوَجَدَ أَصْحَابَهُ قَدْ
قُتِلُوا ، فَقَالَ لَهُ دَرِيدٌ : أَيُّهَا الْفَارِسُ ؛ إِنْ مِثْلَكَ لَا يُقْتَلُ ، وَإِنْ الْخَيْلُ نَائِرَةٌ بِأَصْحَابِهَا ،
وَلَا أَرَى مِمَّا رَمَحًا ، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السِّنِّ ؛ فَدُونَكَ هَذَا الرَّمَحُ ؛ فَابْيَ رَاجِعِي إِلَى
أَصْحَابِي فَتَبَيَّنْهُمْ عِنْدَكَ .

(١) الرماح الخفية : تنسب إلى الخط ، وهو مرفأ في بلاد البحرين (٢) الشنيم : الأسد
السايس (٣) ربيعة بن مكدم : أحد فرسان كنانة للمدودين وشجعانهم المشهورين ، وهو
من قبيلة فراس بن هثم بن مالك بن كنانة ، وكان بنو فراس أعجب العرب ، كان الرجل منهم يبدل
بمعرة من غيرهم ، وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله أن لي بجمعكم وأنتم
مائة ألف ثلاثمائة من بني فارس .

وَأَتَى دُرَيْدُ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ فَارِسَ الظَّمِينَةِ قَدْ سَمَّاهَا ، وَقَتَلَ فُرْسَانَكُمْ ،
وَأَنْتَزَعَ رُمْحِي ، وَلَا طَمَعُ لَكُمْ فِيهِ ؛ فَانصَرَفَ القَوْمُ ، وَقَالَ دُرَيْدُ :

مَا إِن رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِي الظَّمِينَةِ فَارِسًا لَمْ يُقْتَلَ
أَرْدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْزَةً^(١) ثُمَّ اسْتَمَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْصَلْ
مَهْلًا نَبْدُو أَيْسَرَةً وَجْهَهُ مِثْلَ الحِصَامِ جَلَّتْهُ أَيْدِي الصَّيْقَلِ^(٢)
يَرْجِي ظَمِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُمْحَهُ مَتَوَجِّهًا يَمْنَاهُ نَحْوَ المِزَلِ
وَتَرَى الفَوَارِسَ مِنْ غِخَافَةِ رُمْحِهِ مِثْلَ البُغَاثِ خَشِينٍ وَقَعَ الأَجْدَلِ^(٣)
يَالَيْتَ شَمْرَى مَنْ أَبُوهُ وَأُمُّهُ ؟ يَا صَاحِبَ مَنْ بَكَ مِثْلَهُ لَمْ يُجْهِلْ
وَقَالَ رَيْمَةَ :

إِن كَانَ بِنْفُكِ البَيْقِينُ فِسَائِلِي عَنِ الظَّمِينَةِ يَوْمَ وَادِي الأَخْرَمِ^(٤)
إِذْ هِيَ لِأَوَّلِ مَنْ أَنَاهَا نُهْبَةٌ لَوْلَا طَعَانُ رَيْمَةَ بِنِ مُكَدَّمِ
إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الفَوَارِسِ مَيْتَةً خَلَّ الظَّمِينَةَ طَائِمًا لَا تَنْدَمِ
فَصَرَفْتُ رَاحِلَةَ الظَّمِينَةِ نَحْوَهُ عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضَ مَا لَمْ يَعْلَمْ
وَهْتَكْتُ بِالرُّمْحِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ^(٥) فَهَوَى صَرِيمًا لِلبَيْدِ وَاللِّقْمِ
وَمَنْحَتِ آخِرَ بَعْدِهِ جِيَّاشَةً نَجْلَاءَ فَاغْرَةَ كَشِدْقِ الأَضْجَمِ^(٦)
وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بِآخِرِ ثَالِثِ وَأَبَى الفِرَّادِ لِيَ العِدَاءِ تَكَرُّمِي

(١) النهزة: القوم الذي هو لك ممرض كالنخمة ، يقال: فلان نهزة الخنفس ، أي صيد لكل أحد
(٢) الصيقل: جلاء السيوف (٣) البغاث: طائر أغبر ، والأجدل: الصقار
(٤) الأخرم: جبل في طرف الدهناء (٥) إهابه: جلده (٦) الضجم: عوج في
القم ، وشبه الجرح الواسع بالقم الأضجم .

وقام نزاع بين قفر من بني سليم^(١) ، ونفر من بني فراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم ، ثم إنهم ودّوهما ، ثم ضرب الدهر ضربته ، وخرج نبيشة بن حبيب السلي غازياً ، فلقى ظمناً من بني كنانة بالكديد ، ومعهم قومهم من بني فراس بن مالك بن كنانة ، وفيهم عبد الله بن جدل الطمان والحارث ابن مكدم ، وأخوه ربيعة بن مكدم ، فلما رآهم الحارث قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم ، فقال أخوه ربيعة : أنا أذهب حتى أعلم علم القوم ، فأتيتكم بخبرهم ، وتوجه نحوهم .

فلما ولى قال بعض الظنن : هرب ربيعة ! فقالت أخته عزة بنت مكدم : أين فتمى ريرة الفتي ؟ فعطف - وقد سمع قول النساء - فقال :

لقد علمن أنني غير فرق^(٢) لأطمنن طمنةً وأعتنق^(٣)
أصبحهم صاحٍ بمحمر الحدق عصباً^(٤) حساماً سينانا^(٥) بأتلق

ثم انطلق يعدّو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد^(٦) له في طريق الظنن حتى قتله ، وتبعه نبيشة ثم رماه فالحق بالظنن يستدعي ، حتى انتهى إلى أمه أم سنان فقال : اجعلى على يدي عصابة وهو يرتجز :

شدى على العصب أم سيارٍ فقد رزيت فارساً كالدينار
يطمن بالرمح أمام الأديار

(١) سليم : بطن في قبس عيلان ، وهم قوم دريد (٢) الفرق : الخائف
(٣) الاعتناق في الحرب : مثل التناق في غيره (٤) العصب : السيف (٥) السنان : طرف الرمح (٦) استطرد : تقهر ، وكأنه ينجح .

فقلت أمه :

إنا بنو تملبة بن مالك مهور أخبار لنا كذلك
من بين مقتول ويئن هالك ولا يكون الرزء إلا كذلك

وشدت عليه عصابة ، فاستنقاها ماء ، فقالت : إن شربت الماء متة ؛ ففكر
راجماً على القوم ، يترفه الدم^(١) ، حتى أنخن^(٢) ، فقال للظمن : أوضمن^(٣) ركابكن
حتى ينهين إلى أدنى البيوت من الحمى ، فإني لما بي سوف أفد دونكن لهم على العيبة ،
فأعتمد على رعى فلا يقدمون عليك لكانى . ففعلن ذلك^(٤) .

قال أبو عبيدة : وإنه يومئذ غلام له ذؤابة ، فاعتمد على رُمح وهو واقف لمن
على متن فرسه حتى يلفن ما مسهن^(٥) ، وما يُقدم القوم عليه .

ورآه نبيشة بن حبيب فقال : إنه لمائل المنق ، وما أظنه إلا قد مات ،
وأمر رجلاً من خزاعة كان معه أن يرعى فرسه ، فرماها ، فقصت^(٥) ، قال
عنها ميتاً .

ثم لحقوا الحارث بن مُكدم فقتلوه ، وألقوا على ريعة أحجاراً ، فرء به رجل
من بنى الحارث بن فهر ، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهلت على ريعة ،
فقال يرثيه ، ويمتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره ، وحض على قتله ، وعبر بن
فرء وأسلمه من قومه :

نفرت قلوصى^(٦) من حجارة حررة^(٧) بُنيت على طلق الديدن . وهوب

(١) يترفه الدم : يسيل منه الدم (٢) أنخن : ضف من الجراحة (٣) أوضمن
ركابكن : حثوهم على السير السريع (٤) قال أبو عمرو بن العلاء : لا نعلم قبلاً ولا ميتاً
سعى الأطلان غيره . (٥) يقال قصت الفرس : إذا رفعت يديها وطرحتهما معاً
(٦) القلوصى من الإبل : الشابة (٧) الحرة : الحجارة السوداء ، والمراد قبر ريعة .

لا تَنْفِرِي يَانَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ سِبَاءٌ (١) خَيْرٌ مِسْمَرٍ (٢) لِحُرُوبِ
لَوْلَا السَّمَارُ وَبُعْدُ خِرْقٍ (٣) مَهْمَةٌ لَتَرَكْتَهَا تَحْبُوبٌ عَلَى الْمُرْقُوبِ
فَرَّ الْفَوَارِسُ عَنْ رَيْمَةٍ بَعْدَ مَا نَجَّاهُمْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَسْكُوبِ
لَا يَبْعَدَنَّ رَيْمَةٌ بِنَ مَكْدَمٍ وَسَتَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذُنُوبٍ (٤)

وقالت أخته ترثيه :

مَا بِالْ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ مُهْرَاقٍ سَعًا فَلَا عَازِبٍ لَّا وَلَا رَاقٍ
أَبْكِي عَلَى هَالِكِ أَوْدَى فَأُورِثِي بَعْدَ التَّفَرُّقِ حُزْنًا حَرًّا بَاقٍ
لَوْ كَانَ يُرْجَعُ مَيْتًا وَجَدْتُ ذِي رَحِمٍ أَبْقَى أَخِي سَالِمًا وَجَدِي وَإِسْفَاقٍ
أَوْ كَانَ يُفْدَى لَكَانَ الْأَهْلُ كَلِمٍ وَمَا أَمَّرَ مِنْ مَالٍ لَهُ وَاقٍ
لَكِنْ سَهَامِ النَّيَا مِنْ نُصْبِنَ لَهُ . لَمْ يُفْنِهِ طِبُّ ذِي طَبِّ وَلَا رَاقٍ
فَاذْهَبِ فَلَا يَبْعَدُنْكَ اللَّهُ مِنْ رَجَلٍ . لَاقِيَ الَّذِي كُلُّ حَيٍّ مِثْلُهُ لَاقٍ
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مَطْوِوَةٌ وَمَا سَرَّيْتُ مَعَ السَّارِي عَلَى سَاقٍ
أَبْكِي لَدُّ كَرْتِيهِ عَبْرِي مُفْجَعَةٌ مَا إِنْ يَجِيفُ لَهَا مِنْ ذُكْرَةٍ مَاقٍ (٥)

— ٣ —

نم لم يلبث بعد ذلك بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة أن أغاروا على بني جشم رهط دريد ، ففتكوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمة ، فأخفى نسبه .

(١) سبأ محر : مشتريها (٢) مسمر الحزب : موقدها (٣) الحرق : القلاة الواسعة
تصخرق فيها الرياح ، أي يشتد هبوبها ، والمهمة : الفازة المقفرة ، والسفار : السفر
(٤) الذنوب : اللؤلؤ فيه ماء ويقال : إنه لما بلغ شعره بنو كنانة قالوا : واقه لو عقرها لسقنا
إليه ألف ناقة سود الحدق (٥) هو ماق العين

وبينا هو عندهم إذ جاء نسوة يتهادين إليه ، فصرخت امرأةٌ منهنّ فقالت : هلكنم وأهلكم ، ماذا جرّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رُمحه يوم الظمينة ، ثم أقت عليه ثوبها وقالت : يالَ فراس ؛ أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي، فسألوه مَنْ هو؟ فقال : أنا دُرَيْدُ بن الصَّمّة ! فَنّ صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكدم؟ قال : فما فعل؟ قالوا : قتلته بنو سليم . قال : فن الظمينة التي كانت معه ؟ قالت المرأة : ربيعة بنت جندل ، وأنا هي ؛ فخبسه القوم ، وآمروا أنفسهم ، وقالوا : لا ينبغي أن تكفر نعمة دُرَيْدِ عندنا ، وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسره ، فانتمت المرأة في الليل فقالت :

سنجزى دريداً عن ربيعة - نعمةً	وكل فتى يُجزى بما كان قدماً
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه	وإن كان شراً كان شراً مُدَمِّماً
سنجزيه نعمةً لم تكن بصغيرة	بإعطائه الرمح السديد القوماً
فقد أدركت كفاءه فينا جزاءه	وأهلٌ بأن يجزي الذي كان أنما
فلا تكفروه حقّ نعمةً فيكم	ولا تركبوا هلك الذي ملأ الفما
فإن كان حياً لم يضق بثوابه	ذراعاً غنياً كان أو كان مُعدماً
ففسكوا دريداً من إيسارٍ مخارق	ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سلماً

فأصبح القوم ، وتعاونوا بينهم وأطلقوه ، وكسته ربيعة وجهزته ، ولحق بقومه ولم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك .

٢- يَوْمَ بَرْزَةَ

لَمَّا قَتَلَتْ بَنُو سُلَيْمٍ رَيْمَةَ بْنَ مَكْدَمٍ فَارِسِ كِنَانَةَ (يَوْمَ الْكَادِيدِ) رَجَعُوا وَأَقَامُوا مِثْلَ مَا شَاءَ اللَّهُ؛ ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ - وَكَانَ بَنُو سُلَيْمٍ قَدْ أَمَرُوهُ عَلَيْهِمْ - بَدَّاهُ أَنْ يَنْزُوَ بَنِي كِنَانَةَ ، فَأَعَارَ عَلَى بَنِي فِرَاسٍ بَرْزَةَ (١) وَرَيْسُ بَنِي فِرَاسٍ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَدَلٍ .

ولما التقى الجمان دعا عبداً لله إلى البراز ، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر ، فقال له عبد الله : من أنت ؟ فقال : أنا هند بن خالد بن صخر ، فقال عبد الله : أخوك أسن منك - يريد مالبا - فرجع وأحضر أخاه ، فبرز عبد الله ، وجمل برئجز ويقول :

اقْتَرَبُوا قِرْفَ الْقِمَعِ (٢) إني إذا الموتُ كَنَعِ (٣)

لا أتوقى بالجزع

وشد على مالك فقتله . فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر ، فشد عليه عبد الله ، فقتله أيضا ، فخرج إليه أخوهما عمرو بن خالد ، فتخالفا طعننين ، فخرج كل واحد منهما صاحبه ، ومحا جزا .

* يوم برزة لبني فراس (من كنانة) على بني سليم ، وبرزة : موضع . وقد اتصل به يوم القياف ، وهو لبني سليم على بني فراس ، وأصل القياف : المفازة لا ماء فيها وأظقت على موضع .
العقد الفريد ص ٣٢٦ ج ٣ ، معجم البلدان - برز .

(١) برزة : ضبطه صاحب معجم البلدان (بالضم) وقال : له راء (بالفتح) بخط بعض الأدباء . وقال : إنه موضع به وقعة تذكر في أيام العرب (٢) القرف في الأصل : الوسخ الذي ينتج عن اللبن ، والقمع : ما يوضع في فم السقاء والرق ، وكأنه يقول : أنتم كذلك في الوسخ (٣) كنع : دنا .

قال عبد الله :

تَجَنَّبْتُ هَذَا رَغْبَةً عَنْ قِتَالِهِ
فَأَنْفَذْتُهُ بِالرَّمْحِ حِينَ طَعَمْتُهُ
وَأَنْتَى لِكُرْزٍ فِي النِّبَارِ بَطْمَنَةَ
قَتَلْنَا سُلَيْمًا فَهَمَّا وَسَمِيهَا
فَإِنْ تَكِ نِسْوَانِي بَكِينَ فَقَدْ بَكَتِ
إِلَى مَالِكٍ أَعْشُو^(١) إِلَى ضَوْءِ مَالِكِ
مَمَانِقَةَ لَيْسَتْ بَطْمَنَةَ بَاتِكِ^(٢)
عَلَتْ جِلْدَهُ مِنْهَا بِأَحْمَرَ عَاتِكِ^(٣)
فَصَبِرًا سُلَيْمًا قَدْ صَبِرْنَا لِذَلِكَ
كَأَنَّ قَدْ بَكَتِ أُمَّ لِكُرْزٍ وَمَالِكِ
وَقَالَ :

قَتَلْنَا مَالِكًا فَبَكَوا عَلَيْهِ
وَبَكُرْزًا قَدْ تَرَكَنَاهُ صَرِيحًا
فَإِنْ تَجْزَعُ لِذَلِكَ بَنُو سُلَيْمٍ
فَصَبِرًا يَأْسِلِيمُ كَمَا صَبِرْنَا
فَلَا تَبْعُدُ رَيْعَةَ مِنْ نَدِيمٍ
وَكَمْ مِنْ ظَارَةِ وَرَعِيلٍ خَيْلِ^(٥)
وَهَلْ يُنْفَى مِنَ الْجَزَعِ الْبِكَاءُ
تَسِيلُ عَلَى تَرَائِبِهِ^(٤) الدَّمَاءُ
قَدُّ وَأَيْبِهِمْ غَلَبَ الْعِزَاءُ
وَمَا فِيكُمْ لَوَاحِدُنَا كِفَاءُ
أَخُو الْمَلَاكِ إِنْ ذُمَّ الشِّتَاءُ
تَدَارَكُهَا وَقَدْ حَسِنَ اللَّقَاءُ

- ٢ -

ثم إن بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدُّهن حتى يدركوا تارم من
بني كنانة ، فأغار^(٦) عمرو بن خالد بن صخر على بني فراس ، فقتل منهم نفرًا ،
منهم حاصم بن المثلبي ، ونضلة ، والمبارك ، وعمرو بن مالك ، وحسن ، وشريح ، وسبي سبياً
فيهم ابنة مكدّم .

(١) أعشو : أفسد
(٢) السيف الباتك : القاطع
(٣) يقال : قوس عاتكة ،
(٤) الترائب : عظام الصدر
(٥) الرعيل : القطعة من الخيل
(٦) هنا هو يوم القبياء .

فقال عباس بن مرداس في ذلك يردّ على ابن جندل كلمته التي قالها يوم برزة :
 ألا أيلنين عني ابن جندل ورهطه فكيف طلبناكم بكرزي ومالك
 غداة فجعناكم بحصن وبابنه وبابن الملقى عاصم والمبارك
 ثمانية منهم ثأرناهم به جيماً وما كانوا بؤاء^(١) بمالك
 نذيقكم - والموت بيني سرادقاً عليكم - شبا حدّ السيوف البواتك
 تلوح بأيدينا كما لاح بارق تلاًلاً في داج من الليل حالك
 صبغناكم لموج المناجيج^(٢) بالضحى تمرّ بنا مرّ الرياح السواهلك^(٣)
 إذا خرجت من هبوة^(٤) بعد هبوة سمّت نحو ملتف من الموت شائك

وقال هند بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد :

قتلت بمالك عمراً وحصناً وخلّيت القتام على الحدود
 وكردّا قد أبأت به شريحاً على إثر الفوارس بالكديد
 جزيناكم بما انتهكوا وزدنا عليه ما وجدنا من مزيد

(١) البواء : الكف . (٢) المناجيج جمع سنجوج : الرائع من الحيل ، وقد استعملوا
 المناجيج في الأبل أيضاً (٣) ربيع ساهك : عاصف شديدة الرور (٤) الهبوة :
 العبرة .

٣ "حُرُوبُ الْفَجَارِ"

أَيَّامُ الْفَجَارِ الْأُولَى الْيَوْمِ الْأَوَّلِ

كَانَ بَدْرُ بْنُ مِشَرِّ الْفَقَارِيِّ^(١) رَجُلًا مَنِيحًا مَسْتَطِيلًا بِمَنْعَتِهِ عَلَى مَنْ وَرَدَ عُكَاظَ . وَفِي أَحَدِ الْمَوَاسِمِ بِمُكَازَاةٍ اتَّخَذَ مَجْلِسًا بِهَا ، وَقَعِدَ فِيهِ ، وَجَمَلَ يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ وَيَقُولُ :

نَحْنُ بَنُو مُدْرَكَةَ بْنِ خِنْدِفٍ^(٢) مِنْ يَطْعَنُوا فِي عَيْنِهِ لَا يَطْرَفُ
وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يُفْطَرِفُ^(٣) . كَانَتْهُمْ لُجَّةٌ بِبَحْرِ مُسَدِفٍ^(٤)

ثُمَّ مَدَّ رِجْلَهُ وَقَالَ : أَنَا أَعَزُّ الْعَرَبِ ، فَفَن زَعَمَ أَنَّهُ أَعَزُّ مَنِي فَلْيَضْرِبْهَا بِالسَّيْفِ !
فَوُتِبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَصْرٍ^(٥) بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رَكْبَتِهِ فَأَنْدَرَهَا^(٦) ،

● بين كِنَاةٍ وَوَيْسٍ ، سَمِيَتْ الْفَجَارُ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَهِيَ الْمَهْجُورَةُ الَّتِي يَحْرَمُونَهَا فَجَبَرُوا فِيهَا ، وَهِيَ فَجَارَانُ ؛ الْفَجَارُ الْأَوَّلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَالْفَجَارُ الثَّانِي خَمْسَةَ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ ، وَفَدَّ حَضَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عُكَاظَ مَعَ أُمَّامِهِ وَكَانَ يَنْوَلُهُمُ النَّبْلَ ، وَانْتَهَتْ سَنَةٌ ٥٨٩ م

ابن الأثير ص ٣٥٩ ج ١ ، القند القريد ص ٣٦٨ ج ٣ ، تاريخ العرب في الجاهلية لجورجي زيدان ص ٢٤١ ، الأغانى ص ٧٤ ج ١٩ ، سرح العيون ص ٥٨ ، شاعر العرب ص ٦١

(١) ينتهي نسبه إلى عبد مناه بن كِنَاةٍ (٢) خندف : زوج ليلاس بن مضر ، وإليها نسب أولاد ليلاس جيما (٣) قال في اللسان : الفطريف والنطراف : السيد الفريف السخي الكثير الخبر ، وأُنشد :

● وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ نَنْطَرِفَا ●

(٤) مسدِف : مظلم (٥) اسمه الأحمر بن مازن (٦) أندرها : قطعها .

ثم قال : خُذْهَا إِلَيْكَ أَيُّهَا الْمَخْدِفُ - وَهُوَ مَاسِكُ سَيْفِهِ - ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ
هُوَازِنٍ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ هَمْدَانَ ذُو التَّنْفِطُرِ مَحْرَجٌ بِمَجْمُورٍ زَاخِرٍ لَمْ يُنْزَفْ

نَحْنُ ضَرَبْنَا رُكْبَةَ الْمَخْدِفِ إِذْ مَدَّهَا فِي أَشْهُرِ الْعَرَفِ^(١)

قال أبو عبيدة : فتجاوز الحيمان عند ذلك، حتى كاد أن يكون بينهما السماء، ثم
تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير.

(١) المرف : الموقف بمرقات .

اليوم الثاني

قالوا: إن شباباً من قريش وكنانة كانوا ذوى غرام ، فرأوا امرأة من بني طامر
وضيئة حسّانة^(١) بسوق عكاظ جالسة ، وهي فضل^(٢) عليها برقع لها ، وقد اكتنفها
شبابٌ من العرب وهي تحدّثهم .

فجاء الشباب من قريش وكنانة ، وأطافوا بها وسألوها أن تُسفر ، فأبت ، فقام
أحدهم فجلس خلفها وحلّ طرف رداها ، وشدّه إلى فوق حُجَزَها^(٣) بشوكة -
وهي لا تعلم - فلما قامت انكشف درعها^(٤) عن ظهرها ؛ فضحكوا وقالوا : منعتنا
النظر إلى وجهك ، وجُدّت لنا بالنظر إلى ظهرك .

فنادت: يال عامر ! فساروا وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا ، ووقعت
بينهم دماء يسيرة ، فتوسّط حربُ بن أمية ، واحتدل دماء القوم ، وأرضى بني عامر
من مثلة صاحبهم °

* بين قريش وكنانة وقيس ، وانتهى بصلح توسط فيه حرب بن أمية
(١) الحسانة : المرأة الحسنة (٢) يقال امرأة فضل: في ثوب واحد
(٣) الحجزة :
مقعد الإزاز من السراويل (٤) الدرع القميص .

اليوم الثالث

كان لرجل من بني جُشم بن بكر بن هوازن دَيْنٌ على رجل من كِنانة ، فَلَواهُ به (١) ،
وطال اقتضاؤه إياه ، فلم يُعطه شيئاً ، فلما أهياه وافته الجُشمى و سوق عُكاظ يقرُد
وجمل ينادى : مَنْ يبيعى مِنل هذا الرُّبَاح (٢) بمالى على فلان بن فلان الكِنانى !
من بمطبنى مِنل هذا بمالى على فلان بن فلان الكِنانى ! رافماً صوته بذلك ؛ فلما طال
نِداؤُهُ بذلك ، وتميرُهُ به كِنانة مرَّ به رجلٌ منهم ؛ ففُضرب القِرْدُ بسيفه فقتله ،
فهتف الجُشمى : يا آل هوازن ! وهتف الكِنانى : يا آل كِنانة ! فتجمَّع الحَيان
حتى تماجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفوا وقالوا : أنى رُبَاح تُريقون دماءكم ،
وتقتلون أنفسكم ! وأصلح عبد الله بن جُدعان بينهما .

* بين كِنانة وقيس ، وتماجز الحَيان ، وأصلح بينهما عبد الله بن جُدعان .
(١) لواه : ماطله (٢) الرباح : القرد .

أيام الفجار الثاني ١- يوم نخلة

كان البراء^(١) بن قيس الكنانى سكيراً فاسقاً ، خلمه قومه وتبرءوا منه ، فشرب في بنى الدبيل^(٢) فخلموا ، فأتى مكة وأتى قريشاً ، فنزل على حرب بن أمية ، فخالفه وأحسن جواره ، وشرب بمكة حتى هم حرب أن يخلمه ، فقال لحرب : إنه لم يبق أحدٌ ممن يعرفنى إلا خلعتنى سواك ، وإنك إن خلعتنى لم ينظرُ إلى أحدٍ بعدك ، فدعنى على حلفك وأنا خارج عنك ؛ وتركه وخرج .

وكان النعمان بن المنذر قد بث إلى سوق عكاظ إذا ذاك بلطيمة^(٣) يُبجِزها له سيدٌ مُضَرّ ، فتباع ويشتري له بثمنها الأدم والحريز والوكاء^(٤) والبرود من العصب^(٥) والوشى والسير^(٦) والمدنى .

وكانت سوق عكاظ في أول ذى القعدة ، فلا تزال قائمة^(٧) يباع فيها ويشتري إلى حضور الحج .

• ليس إعلان على كنانة وقريش ، ونخلة : موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم .

(١) كان يضرب المثل بفسقه ، فيقال : أنتك من البراء ، قال بعضهم :

والقى من تعرفه البالى فهو فيها كالحية الضنآن

كل يوم له بصرف البالى فسكة مثل فسكة البراء

(٢) بنى الدبيل : حى من عبد قيس . (٣) الطيعة : العير التى تحمل الطيب ويز التجار .

(٤) الوكاء : رباط القربة وكل ما شد رأسه من وعاء ونحوه . (٥) العصب من الثياب :

الجمانية . (٦) السير : نوع من البرود فيها خطوط تعمل من الفز . (٧) كان قيامها

فيما بين النخلة والطائف ، وبها نخل وأموال ثمين

وجَهزَ النعمانَ الطيِّمةَ له وقال : من يُجيزها ؟ فقال البرّاض : أنا أُجيزها على
 بنى كنانة^(١) . فقال النعمان : إنما أريد رجلاً يُجيزها على أهل نجد ، فقال عروة^(٢)
 الرّحال - وهو يومئذ رجل هوازن - أ كَمَبٌ خَلِيعٌ يُجيزُها لك ؟ أبيتَ اللمن !
 أنا أُجيزُها لك على أهل الشَّيْبِ وَالْفَيْصُومِ^(٣) في أهل نجد وتهامة !
 فقال له البرّاض : أَصَلَى بنى كنانة نَجيزها يا عُرْوَةَ ؟ فقال عُرْوَةُ : وطى الناس جميعاً !
 فدفعها النعمان إلى عُرْوَةَ ، وخرج بها ، وتبعه البرّاض ، وعُرْوَةُ يَرى مكانه ولا
 يَحْتَشَأُ ، حتى إذا كان بأَرْضٍ يُقال لها : أُوارة^(٤) نَزَلَ عُرْوَةُ وشرب من الحمر ،
 وغنمته قَبِيئَةٌ ، ثم قام فنام .

فجاء البرّاض فدخل عليه ، فناشده عروة وقال : « كانت منى زَلَّةً ، وكانت
 الفعلة منى ضَلَّةً » ، ولكن البرّاض قتله^(٥) ، وهربَ عَضَارِيطُ^(٦) الإبل ، واستاق
 البرّاض اللطيمة إلى خَيْبَرَ .

(١) يريد أهل الحجاز (٢) هو عروة بن عتبة بن جعفر ، من بنى عامر بن صعصعة ،
 وأهل بيته ينتسبون إلى جعفر فيقال الجعفريون ، وكان يعرف بعروة الرحال - لرحلته إلى الملوك ،
 وكان من ذوى العقل والسهامة ، وهو من أرداف الملوك في الجاهلية (٣) الشيخ والقبصوم :
 نبتان وهو يريد أنه يجيزها على العرب جميعاً (٤) أُوارة : ماء لبني تميم (٥) وقد ارتجز
 البراض في قتل عروة :

قد كانت الفعلة منى ضلة حلا على غيرى جعلت الزلة
 فسوف أعلو بالحسام القلة

وقال أيضاً :

وداهية يهال الناس منها شدت لها بنى بكر ضلوعى
 هتكت بها بيوت بنى كلاب وأرضت الموالى بالرضوع
 جمعت لها يدي بنصل سيف أفل نغر كالجذع الصريع

سيف أفل : ذو قلول .

وقال :

وكنت قديماً لا أتر فخاراً
 فأسمع أهل الوادين خواراً

نعت على المرء الكلابى فخره
 علوت بحد السيف مفرق رأسه

(٦) المنساريط : الحدم القائمون على الإبل

وتيمه رجلان من قيس لياخذاه ؛ أحدهما من غنى ، والآخر من غطفان ، ولا
 وسلا إلى خيبر كان البرّاض أول من لقيهما ، فقال لهما : من الرجلان ؟ قال : من
 قيس ؛ واحد منا من غطفان ، والآخر من غنى ؛ فقال البرّاض : وما شأن غطفان
 وغنى بهذه البلدة ؟ فقالا : ومن أنت ؟ فقال : من أهل خيبر ، قالا : ألك علم
 بالبرّاض بن قيس ؟ فقال : دخل علينا طريداً خليماً فلم يؤوه أحدٌ من خيبر ، ولا
 أدخله بيتاً . قالا : فأين يكون ؟ فقال : وهل لكما به طاقة إن دلتكما عليه ؟
 قالا : نعم . قال : فانزّلا واعقلا راحلتكما ، ففعلا .

ثم قال : فأيسكما أجراً عليه وأمنى مقدّما ، وأحد سيفاً ؟ فقال الغطفاني : أنا
 قال البرّاض : فانطلق أدلك عليه ، ويحفظ صاحبك راحلتكما ، ففعل .
 وانطلق البرّاض يمشى بين يدي الغطفاني حتى انتهى إلى خربة في جانب خيبر ،
 خارجة عن البيوت .

فقال البرّاض : هو في هذه الخربة وإليها بأوى ، فأنظرنى حتى أنظر أهو فيها
 أم لا ؟ فوقف له ودخل البرّاض ، ثم خرج إليه وقال : هو نائمٌ في البيت خلف
 الجدار عن يمينك إذا دخلت ؛ فهل عندك سيفٌ فيه صرامة ؟ قال : نعم ، قال :
 هات سيفك أنظر إليه أصارم هو ؟ فأعطاه إياه ، فهزّه البرّاض ثم ضربه به حتى
 قتله ، ووضع السيف خلف الباب .

وأقبل على الغنوي فقال له ^(١) : ما وراءك ؟ قال : لم أر أجبن من صاحبك ؛
 تركته قائماً في الباب الذي فيه الرجل ، والرجل نائم ، لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه .
 فقال الغنوي : يا لهفاه ! لو كان أحدٌ ينظر راحلتنا ؟ فقال البرّاض : هما على إن ذهبتا .
 وانطلق الغنوي والبرّاض خلفه ، حتى إذا جاوز الغنوي باب الخربة أخذ البرّاض
 السيف من خلف الباب ؛ ثم ضربه حتى قتله ، وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما وانطلق .

(١) أي للبرّاض .

ولقي البراء بشراً بن أبي خازم فقال له : هذه القلائص^(١) لك على أن تأتي حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان وهشاما والوليد ابني المغيرة فتخبرهم أن البراء قتل عروة ، فأني أخاف إن يسبق الخبرُ إلى قيس^(٢) أن يكتموه حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيما . فقال له : وما يؤمنك أن تكون أنتَ ذلك القليل . قال : إن هوازن لا ترضى أن تقتلَ بسيدها رجلا خليما مثلي .

وكانت العرب إذا قدمت عُكاظ دفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جُدعان^(٣) حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ، ثم يردها عليهم إذا ظمنوا - وكان سيِّدا حكيما مثيراً من المال - فجاء القومُ وأخبروه خبرَ البراء وقتله عروة ، وأخبروا حرب بن أمية وهشاما والوليد ابني المغيرة .

وجاء حربٌ إلى عبد الله بن جُدعان فقال له : احتبس قبلك سلاحَ هوازن فقال له ابن جُدعان : أيا لندّر تأمرني يا حرب ! والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربتُ به ، ولا رمح إلا طعنتُ به ما أمسكتُ منها شيئا ؛ ولكن لكم مائة دِرْع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستمينون بها .

ثم صاح ابنُ جُدعان في الناس : مَنْ كان له قبلي سلاحٌ ، فليأتِ وليأخذه . فأخذ الناس أسلحتهم .

وبعث ابن جُدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد إلى أبي براء زعيم هوازن : إنه قد حدث في قومنا بركةٌ حدّث أنا خبره ، وقد خفنا تفاقمُ الأمر ، فلا تنكروا خروجنا ولا يردعنكم تحمّلنا . وساروا على كل صعب وذلول راجعين إلى مكة .

(١) القلائص : جمع فلوس ، وهي الشابة من الإبل . (٢) قيس : قوم عروة وهو بنهم إلى هاجر فهوازن فقيس عيلان . (٣) كانت له جفنة يأكل منها القام والراكب اعظمها ، وربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم طعامه .

فلما كان آخر النهار أتى عامرَ بن مالك مَلَأَيبَ الأسننة الخبِرُ ، فقال : غَدَرَت قريش ، وخذعني حرب بن أمية ، والله لا تنزل كنانةُ عكاظَ أبداً ، ثم ركبوا في إثرهم حتى أدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنَّ عليهم الليل ؛ فكفوا .

ونادى أحد بني عامر^(١) : يا معشر قريش ؛ ميعاد ما بيننا هذه الليلة . من العام المقبل بمِكان .

(١) اسمه الأدرم بن شبيب .

يَوْمَ شَمْطَةِ

تَجَمَّعَتْ قَرِيشٌ وَكِنَانَةٌ بِأَسْرِهَا وَالْأَحَابِيشِ^(١) وَمَنْ لَحِقَ بِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ ؛ وَسَلَّحَ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ مِائَةَ كَمِيٍّ^(٢) بِأَدَاةٍ كَامِلَةٍ ، سِوَى مَنْ سَلَّحَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَجَمَعَتْ سَلِيمٌ وَهَوَازِنُ^(٣) جِوَعَهَا وَأَخْلَافَهَا فَبَرَّ كِلَابًا وَبَنَى كَعْبًا^(٤) ؛ فَابْتَدَأَ لَمْ يَشْهَدَا يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْفَجَارِ غَيْرِ يَوْمِ نَخْلَةٍ .

فاجتمعوا بشمطة من عكاظ في الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول ؛ وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها ، وكذلك على قبائل هوازن وسليم ؛ غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية . وعلى إحدى منجبتَيْهَا^(٥) عبد الله بن جدعان وعلى الأخرى هشام بن المغيرة ، وأمر هوازن وسليم كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي . وتناهض الناس ، وزحف بعضهم إلى بعض ؛ فكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن ؛ حتى إذا كان آخر النهار تداعت هوازن ، وصارت ، وانقضت كنانة ، واستحمر^(٦) القتل في قريش ، ولما رأى ذلك أبو مساحق بلعاء بن قيس

● لقيس على كنانة وقريش ، وشمطة : موضع قريب من عكاظ

- (١) الأحابيش : يسمون أحابيش قريش ، وسموا كذلك لأنهم تحالفوا بالله أنهم ليد على غيرهم ، مسجاليل وما وضع نهار ، ومارسا حبشي (جبل بأسفل مكة) (٢) الكمي : الشجاع (٣) كان على بن عامر ملاعب الأسنة أبو براء ، وعلى بن نصر وسعد وتقيف سبيع بن ربيع . وعلى بن جهم الصمة (والد دريد) وعلى غطفان عوف بن أبي حارثة . وعلى بن سليم عباس بن زغل . وعلى فهم وعدوان كنام بن عمرو ، وجميم من قيس عيلان (٤) كعب وكلات : حيان بن عامر (٥) المنجبة اليمنى : هي مينة السكر ، والمنجبة اليسرى : هي المبصرة ، وما منجبتان بكسر النون ، وقيل : هي السكتية التي تأخذ إحدى ناحيتي الطريق ، قال في اللسان : والأول أصح (٦) استحمر : اشتد .

قال لقومه : الحقوا برّخم^(١) ؛ ففعلوا وانهزم الناس ، وفي ذلك يقول خِدَاش^(٢)
ابن زهير :

ألا أبلغ إن عرضت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليداً
أولئك إن يكن في الناس خيرٌ فإنّ لديهمُ حسباً وجُوداً
هُمُ خيرُ المائسِ من قريشٍ وأوزّأها إذا قدحت زُنُوداً
بأنا يوم تَمْحَطَةُ قد أقمنا عمود المجد إن له عموداً
جلبنا الخيلَ ساهمةً إليهم هو أبس يدري عن النقع قُوداً^(٣)
فبتنا نغمد السيما^(٤) وباتوا وقلنا صبجوا الأئس^(٥) الجديداً
نجاهوا عارضاً برّداً وجثنا كما أضرمت في القاب الوقوداً^(٦)
ونادوا بالمعرو لا تفرّوا فقلنا لا فرار ولا صدوداً^(٧)
فمَارَكْنَا الكَمَاة^(٨) وطاركونا عراك النمر عاركت الأسودا
فولوا نضرب المساماتِ منهم بما أنتهكوا المحارمَ والحدودا

(١) رخم : موضع قريب من مكة (٢) هو خدّاش بن زهير بن عمرو ، من عامر بن
صمصمة (٣) قود : جمع أقود ، وهي الخيل السلسلة القيادة . والنقع : الفبار الساطع . والخيل
الساهمة : التي تتغير ألوانها مما بها من الشده ، ومنه قول عنترة :

والخيل ساهمة الوجوه كأنما يسق فوارسها تقيع الخنظل

(٤) السيام : اللامات (٥) الأئس : الحى القيمون (٦) العارض : السحاب ، والبرد : المطر ،
كأنهم أمطروا سهاماً (٧) لاصدودا : لا يصدم أحد (٨) الكَمَاة : جمع كى وهو الشجاع .

٣- يَوْمُ الْمَبَلَاءِ

عادت هَوازِن وكنانة إلى الحرب ، والتقوا على قرن الحَوْل في اليوم الثالث من أيام عُسْكَاط ، واقتتلوا وكانت المزيمةُ على كِنانة^(١) ، فقال خِدَاش بن زهير :
ألم ييلنك بالمبلاء أنا ضربنا خندفا حتى استقادوا
نبتى بالنازل عز قيس وودوا لو تسيخُ بنا البلاد
وقال أيضا :

ألم ييلنك ما قالت قريش وحى بنى كنانة إذ أنبروا
دهنهم بأرعن مكفهر فظل لنا بمقوتهم زهير^(٢)
قوم مارن الخطى فيهم بجيء على أسنتنا الخريو

* تقيس على كنانة وقريش ، والمبلاء : علم على صخرة يضاء لى جنب مكافا
(١) وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد (والد الزبير بن العوام) ، قتله مرة بن محب الثقفي
وفي ذلك يوم رجل من تقيف :

منا الذي ترك العوام مجندلا تنجاب الطير لحماً بين أحجار
(٢) الأرعن : الأنف العظيم من الجبل ، وشبه به الجيش ، يقال : جيش أرعن ، أى له فضول
كرعان الجبل ، والمكفهر : السحاب الغليظ المسود الراكب بفضه بضا ، شبه به الجيش ، والقوة :
الساحة والمحلة .

٤ - يَوْمُ عُكَاظَ

التقت كِنانة وقيسُ على رأس الحول من اليوم الرابع من أيام عُكَاظَ ، وقد جمع بعضهم لبعض ، واحتشد الرؤساء بحالهم^(١) ؟ وحمل عبدُ الله بن جُدعان يومئذ ألفَ رجل من بني كِنانة على ألفِ بَير ، وخشيت قريش أن يجرى عليها ما جرى يوم العَبلاء ، فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان^(٢) بنو أمية بن عبد شمس أنفقتهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا ، أو نظقرا !

واقتل الناسُ يومئذ قتالا شديداً ، وثبت الفريقان حتى همت بنو بكر بن عبدمناة وسائر بطون كِنانة بالهَرَب ، وكانت بنو مخزوم تَلِي كِنانة لحفاظت حفاظاً شديداً ، وكان أشدهم يومئذ بنو المغيرة ؟ فإنهم صبروا وأبْلَوْا بلاءَ حسناً ؟ فلما رأت ذلك بنو عبد مناة بن كِنانة تذاَمروا^(٣) فرجعوا ، وحملت قريش وكِنانة على قيس من كل وَجْه حتى انهزمت .

* كِنانة وقريش على هوازن .

(١) لما خرجت قريش للموعد ، كان على كل بطن رئيس ، فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإخوانه أبو طالب وحزرة العباس ، وعلى بني أمية وأحلافها حرب بن أمية ، وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم ، وعلى بني أسد خويلد ابن أسد ، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة (والد أبو جهل) ، وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان ، وعلى بني جمع معمر بن خبيب ، وعلى بني سهم العاص بن وائل ، وعلى بني عدى زيد بن عمرو ، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس (والد سهيل بن عمرو) ، وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح (والد أبي عبيدة) ، وعلى بني بكر بن عبد مناة بلعام بن قيس ، وعلى بني أسد بصر بن أبي خازم ، وعلى بني فراس بن غنم عمير بن قيس . (٢) في ابن الأثير : أبو العاص .

(٣) تذاَمروا : تلاَمروا على ترك الفرصة . وقد تكون بمعنى تخاضوا على القتال .

ولما رأى أبو السيد النصرى (١) ما تصنع كِنانةً من القتل نادى : يا معشر بني كِنانة ؛ أسرفتم في القتل . فقال ابن جُدمان : إنا معشرٌ يُسْرِف . ولما رأى سبيع بن ربيع هزيمةَ قبائل قيس عَقَل نفسه واضطجع وقال : يا معشر بني نصر ؛ قاتلوا عني أو ذَرُوا ؛ فمطفت عليه بنو نصر وجشم وسمد بن بكر وفهم وعدوان (٢) ، وانهزم باقي قبائل قيس ، وقاتل هؤلاء ولكنهم لم يفنوا شيئاً .

وكان مسعود بن ممتب الثقفي قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس ابن عبد مناه خِباء ، وقال لها : مَنْ دَخَلَهُ من قريش فهو آمن ، فجعلت توصل في خبائها ليتسع ؛ فقال لها : لا يتجاوزني خباؤك ، فإني لا أمضي إلا من أحاط به الخِباء . فأحفظها ، فقالت : أما والله إني لأظنُّ أنك ستودُّ أن لو زدت في توسعته .

فلما انهزمت قيس دخلوا خبائها مستجبرين بها ؛ فأجار لها حرب بن أمية جيرانها ، وقال لها : يا عمّة ؛ من تمسك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن . فنادت بذلك ، فاستدارت قيسٌ بخبائها حتى كثروا ، فلم يبق أحدٌ لا نجاة عنده إلا دار بخبائها ، فقيل لذلك الموضع : مدار قيس ، وكان يضرب به المشل ، فتغضب قيس (٣) .



وفي هذا اليوم قال ضرار بن الخطاب الفهري :

ألم تسأل الناس عن شأننا ولم يثبت الأمر كالتحايير
غداة عكاظ إذ استكملت هوازن في كفها الحاضر

(١) من قيس ، وهو عم مالك بن عوف (٢) قبائل في قيس (٣) كان مسعود بن ممتب قد أخرج معه يومئذ بليه : عزوة ولوحة ونورة والأسود ، فكانوا يدورون وم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم لل خباء أمهم ليبيروم فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا .

وجاءت سليم تهزُّ القنا
 وجئنا إليهم على المضمرات
 فلما التقينا أذقناهم
 ففرت سليم ولم يصبروا
 وفرت ثقيف إلى لآتها^(٥)
 وقالت المنس^(٦) شطر النها
 على كل سَأْهبة^(١) ضامر
 بأرعن ذى لَجَب زَاخِر^(٢)
 طمانا بِسُمُرِ القنَا^(٣) العائِر
 وطارت شَمَاعا^(٤) بنو عامر
 بمنقلب الخائب الخاسر
 رثم تولت مع الصادر

(١) السهبة : الفرس الجسيمة ، والضاير : الفرس الدقيق الحاجبين (٢) الأرعن :
 لجيش ، واللجب : الصباح (٣) السهم العائر : الذى لا يدري من أين يأتي
 (٤) شعاعا : متفرقين (٥) اللات : صنم (٦) المنس : قبيلة .

٥ - يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ

ثم جَمَعَ هؤلاء وأولئك ، والتقوا على رأس الحول بالحريّة ، والرؤساء بمالهم إلا بلعاء بن قيس فإنه قد مات ، فصار أخوه جُثامة بن قيس مكانه على عشيرته ، واقتتلوا ؛ فانهزمت كنانة .

ثم كان الرجلُ بعد ذلك يَلْقَى الرجلَ ، والرجلان يلقىان الرجلين ؛ فيقتل بعضهم بعضاً .

ثم تداعوا إلى الصلح على أن يمدوا القتلى ، فأى الفريقين فضل له قتل أخذ ديتهم من الفريق الآخر ، فتمادوا القتل فوجدوا قريشاً وبنى كنانة قد أفضلوا على قيس عشرين رجلاً .

فوهن حرب بن أمية ابنة أبا سفيان، ووهن الحارث بن كلدة المبدى ابنه النضر، ووهن سفيان بن عوف ابنة الحارث . ولما رأت قيس رهائن قريش بأيديهم رغبوا في المغو فأطلقوهم ، وانصرف الناس بعضهم عن بعض ، ووضموا الحرب .

وفي تلك الوقعة قال خدّاش بن زهير :

لقد بلوكمُ فأبلوكمُ بلاءهمُ يومُ الحُرَيْرَةِ ضَرَبًا غيرَ تَكْذِيبِ
إن توعدونى فإني لآبئُ عمكمُ وقد أصابوكمُ منه بشوْءٍ بوبِ
وإنَّ ورقاءَ قد أودى أبا كَسْفِ وابنى إياسَ وعمرا وابنِ أيوبِ
وإنَّ عثمانَ قد أودى ثمانيةً منكمُ وأنتم على خُبْرٍ وتَجْرِبِ

(*) لقيس على كنانة وقريش ، والحريرة موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة .

وقالت أميمة بنت أمية بن عبد شمس ترقى أخاها أبا سفيان بن أمية ومن قتل
من قوما :

أَبِي لَيْلِكَ لَا يَذْهَبُ وَيَنْطِطُ الطَّرْفَ بِالْكَوْكَبِ (١)
وَنَجْمٌ دُونَهُ النَّسْرَانُ بَيْنَ الدَّلُوِّ وَالْمَقْرَبِ (٢)
وَهَذَا الصَّبْحُ لَا يَأْتِي وَلَا يَدْنُو وَلَا يَقْرُبُ
يَقْتَرِي عَشِيرَةً مَنَا كِرَامِ الْحَيْمِ وَالنَّصَبِ (٣)
أَحَالٌ (٤) عَلَيْهِمْ دَهْرٌ حَدِيدُ النَّابِ وَالْحَلْبُ
فَحَلَّ بِهِ وَقَدْ آمَنُوا وَلَمْ يُقْصَرْ وَلَمْ يُشْطَبْ (٥)
وَمَا عَنَّهُ إِذَا مَا حَلَّ مِ مِنْ مَنَجِي وَلَا مَهْرَبُ
أَلَا يَأْعِينُ فَابْكِيهِمْ بَدَمَعِ مَنكَ مَسْتَنْزِبِ (٦)
فَإِنْ أَبْكِي فَهَمَّ عَزِيٌّ وَهَمَّ رَكْنِي وَهَمَّ مَنَكِبِ (٧)
وَهَمَّ أَسْلِي وَهَمَّ فَرَعِي وَهَمَّ نَسْبِي إِذَا أُنْسَبُ
وَهَمَّ مَجْدِي وَهَمَّ شَرَفِي وَهَمَّ حِصْنِي إِذَا أُرْهَبُ
وَهَمَّ رُمْحِي وَهَمَّ تَرْمِي وَهَمَّ سَيْفِي إِذَا أُغْضَبُ
فَكَمْ مِنْ قَاتِلٍ مِنْهُمْ إِذَا مَا قَالَ لَمْ يَكْذِبُ

(١) تريد أن ليلها قد طال لفرط حزنها على القتل (٢) الدلو والمقرب: من مناطق البروج والنسران هما: النجم الطائر والنجم الواقع وهما اسمان لنجمين ، وهي تزعم أن النجم لا يروح مكانه كناية عن طول الليل (٣) التقدير: أبكي لعز ، والحيم: الطباع (٤) أحال عليهم : اتناهم (٥) أفصره : كفه . وشطبه : قطعه ؛ تقول أصابهم الدهر بضرباته حين كانوا يأمنون منها فلم يدهنها عنهم دافع (٦) استنزب العرع : سال (٧) تريد أنهم فغري وسندي .

وكم من ناطقٍ فيهم^(١) خطيبٍ مصقعٍ مُعْرَبٍ^(٢)
 وكم من فارسٍ فيهم^(٣) كميٍّ مُعلمٍ مُعْرَبٍ^(٤)
 وكم من مِذْرِيٍّ فيهم^(٥) أريبٍ حَوْلِ قَلْبٍ^(٦)
 وكم من جَحْفَلٍ فيهم^(٧) عَظِيمِ النَّارِ وَالْمَوْكِبِ^(٨)
 وكم من خِضْرَمٍ فيهم^(٩) نَجِيبٍ ماجِدٍ مُنْجِبٍ^(١٠)



وقالت فاطمة^(١١) بنت الأحجم ترثي الجراح^(١٢) زوجها :

يا عين بكى عند كل صباح^(١٣) جودي بأربعة^(١٤) على الجراح
 قد كنت لي جبلا ألوذُ بظله^(١٥) فتركتني أضحى بأجرد ضاح^(١٦)
 قد كنت ذات حمية ما عشت لي^(١٧) أمشي البراز^(١٨) وكنت أنت جناحي^(١٩)
 فاليوم أخضع للذليل وأتقى^(٢٠) منه وأدفع ظالي بالراح^(٢١)

(١) العرب : التصيح (٢) الكمي : الشجاع ، والمعلم : الفارس الذي يجعل نفسه علامة
 الشجاعة في الحرب . والحرب : الكثير الحروب (٣) المدرة : السيد التولي أمر فومه ،
 والأريب : الساهر الحاذق ، والحول : الشديد الاحتياال (٤) الجحفل : الجيش الكبير ،
 والموكب : الجماعة (٥) الخضرم : السيد الجواد (٦) أمها خالدة بنت هاشم بن عبدمناف
 نبقت في أواخر القرن السادس للمسيح (٧) حكى أن فاطمة الزهراء كانت تمثل بهذه
 الأبيات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٨) اختصت الصباح لأنه كان وقت نكايته بأعدائه
 (٩) لملها تريد الموقنين والباطنين (١٠) قال في التبريزي عند شرح هذا البيت : الأجرد :
 الأملس والضحى : البارز للشمس ، أي انكشفت بعد أن كنت في ستر (١١) يقال :
 فلان حمى الأنف ، أي لا يحتل الضيم ، والبراز : القضاء ، وهي تريد أن حياتك كانت تشد أوزري
 (١٢) تريد أنه لا ناصر لها ، ولا سلاح عندها تدفع به عن نفسها من يظلمها ، وتكفي برد
 من يظلمها بدفمه بالراح .

وَأَغْضُ مِنْ بَصْرَى وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسَى وَرِمَاحَى (١)
 وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجْنًا لَهَا يَوْمًا عَلَى فَنَنِ دَعْوَتِ صَبَاحَى (٢)
 أَمْسَتْ رِكَابَكَ يَا بَنَ لَيْلَى بَدْنَا صَنْفِينِ بَيْنَ مَخَائِضِ وَلِقَاحِ (٣)
 وَلَقَدْ تَظَلَّ الطَّيْرُ تَخْطَفُ جُحَاً مِنْهَا أُحُومٌ غَوَارِبٍ وَصِفَاحِ (٤)
 وَمَطْوُوحٌ قَفِيرٌ دَعْوَتُ نَمَامِهِ قَبْلَ الصَّبَاحِ بِضُمِّهِ أُطْلَاحِ (٥)
 وَخَطِيبٌ قَوْمٍ قَدَمُوهُ أَمَامَهُمْ تَقَةً بِهِ مُتَخَمِّطٌ (٦) نِيَّاحِ (٧)
 جَاوَبَتْ خُطْبَتَهُ فَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمَّا نَطَقَتْ مَمْلَحٌ بِعِيْلَاحِ (٨)



(١) بان : بمد؛ تقول : احتمل الظلم وأحتمل الصيم لعمى بأن قد اتعدت أسنة الرماح التي كان يدافع بها الفرسان عنى . (٢) قال التبريزي في شرح هذا البيت : أى أقول : واسوء صباحاه! ، ونصب شجننا لأنه مفعول له؛ لأن الشجن يحملها على الدعاء ، هذا إذا جمعت الشجن الحزن والحاجة . وإن جعلته الحبيب نصبت له لأنه مفعول به . (٣) الركاب : الإبل لا مفرد لها من لفظها ، وليلي أمه ، والبنن : جمع بادن وهو عظيم البدن ، واللقاح : الإبل بأعيانها ، الواحدة لقوح ، وهى الحلوب ، تمدحه بسعة تروته (٤) الجنيح : جمع جانح ، أى مائل ، ومنها تعود لى الركاب ، والفوارب : جمع غارب وهو الكاهل وسنام البعير والصفاح : جمع صفح وهو الجنب ، تريد : أنه يضحي لضيفه وللمحتاجين ضحايا ، ولكثرتهما ينال منها الطيور (٥) المطوح : المفازة الواسعة يتيه بها السالك فيها ، والاطلاح : جمع طليح ، وهو المهزول كالضامر ، تقول إنه يسلك فى الصحارى القفرة ويسير فيها غدوة قبل النعام ، لرباطة جأشه ، ويركب خيلا خفيفة قليلة اللحم ، أهزلها بكثرة ركوبها (٦) التخمط : التكبير (٧) النياح : من يتعرض لما لا يعنيه (٨) الملاح : جمع ملح ، تمدحه بالبلاغة واللسن ، تقول فى البيتين : ربما أنك خطيب مدره اختاره قومه ، واثقين بفصاحته ، وهو يعظم نفسه ، وتعرض لأموار ليست من شأنه ، فأخذته بجوابك له ، فكان أمامك كأنه نفه لا طم له ، فلقته بعلاح ، أى عمل كلامك فيه فين تقصه .

وقالت ترثي إخوتها :

إخوتي لا تَبْعِدُوا أَبَدًا وِبَلَىٰ وَاللَّهِ قَدْ يَبْعِدُوا (١)
لو تَمَلَّتْهُمْ عَشِيرَتُهُمْ (٢) لا قِتْنَاءَ الْعِزِّ أَوْ وَاوَدُوا
هان من بَعْضِ الرِّزْيَةِ أَوْ هان من بَعْضِ الَّذِي أُجِدُّ (٣)
كل ما حَتَّىٰ وَإِنْ أُمِرُوا وَاوَدُوا الْحَوْضَ الَّذِي وَاوَدُوا (٤)

(١) لا تبعدوا : أى لا تهلكوا ، وهى فى هذا البيت تتعسر وتتوجع (٢) تملتهم : تمت بهم (٣) هان : جواب لو ، والرزية : المصيبة ، ونمى البيتين : لو تمت بهم عشيرتهم زماناً طويلاً حتى حازت العز ، أو خلفوا أولاداً لحف بَعْضِ المصيبة ، أو بَعْضِ ما أجده من الحزن (٤) ما : زائدة وأمروا : عمروا ، والضمير فيه يرجع إلى كل ، والمعنى كل الأحياء ، وإن عمروا طويلاً لا بد أن يردوا الحوض الذى ورده إخوتي .

المشام

عفا الله عننه

٨ - أَيَّام قَيْسٍ وَتَمِيمٍ

- ١ - يَوْمَ رَحْرَحَانَ
- ٢ - = شَعْبُ جَبَلَةَ
- ٣ - = ذِي نَجْبٍ
- ٤ - = الصَّرَائِمِ
- ٥ - = الرِّعْنَامِ
- ٦ - = جَزَعِ ظِلَالِ
- ٧ - = المَرَوِّتِ

١ - يوم رحرحان

لما قتل الحارثُ بن ظالم المرثي خالد بن جعفر الكلبي غدراً عند النعمان^(١) تشاءم قومه به ، ولاموه ، فكروه أن يكون لهم عليه منة ، فهرب ونبت به البلاد . ثم لحق بتميم واستجار بهم فأجازوه ، وأبوا أن يسلموه أو يُخرجوه من عندهم ، وعلم بهذا بنو عامر^(٢) ، فخرجوا إليه ، وفيهم كثير من وجوههم يزعمهم الأخص ابن جعفر الكلبي أخو خالد بن جعفر ؛ ولما صاروا بأدنى مياه بني دارم^(٣) رأوا امرأة منهم تجني الكمأة^(٤) ، وسماها جل لها ، فأخذها رجل منهم وسألها عن الخبر ، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب^(٥) بن زرارة ، وما وعده من نصره ومنمته .

فلما كان الليل نام ، وقامت المرأة إلى جملها فركبتهُ ، وسارت حتى صبحت بني دارم ، وقصدت سيدهم حاجب^(٦) بن زرارة بن عدس ، فأخبرته الخبر ، وقالت : أخذني أمس قومٌ لا يريدون غيرك ولا أعرفهم . قال : أخبريني ، أي قوم هم ؟ قالت : قوم يُقبلون بوجوه الظباء ، ويُذُبرون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر ، فيصفيهم لي .

* لعامر على تميم ، و رحرحان : اسم جبل قريب من عكاظ ، خلف عرفات
ابن الأثير ص ٣٤١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٠ ج ٣ ، القلائص ص ٢١٤ ج ١ ، الأغاني
ص ٣٠ ج ١٠ ، معجم البلدان (رحرحان) .

(١) ارجع إلى يوم بطن عاتل صفحة ٢٤٢ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : قوم خالد
ابن جعفر الكلبي (٣) دارم : حمى من تميم (٤) الكمأة : نبات (٥) هو حاجب
ابن زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم (٦) رواية ابن الأثير أن هذا الحديث كان مع
زرارة ، وأسنده إلى حاجب صاحب الأغاني .

قالت : رأيت رجلاً قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بِمَجْرَقَةٍ ، صغيرَ العينين ، وَعَنْ
أَمْرِهِ يَصْدُرُونَ . قال : ذاك الأحوص ، وهو سيّد القوم .

قالت : ورأيت رجلاً قليلَ النطق ، إذا تكلم اجتمع القومُ كما تجتمع الإبل لفحلها ؛
أحسنُ الناس وجهاً ، ومعه ابنان له يلازمانه . قال : ذاك مالك بن جعفر وابناه
عامر وطفيل .

قالت : ورأيت رجلاً جسيماً كأنّ لحيته مُعَصْفَرَةٌ ؛ قال : ذاك عوف بن
الأحوص .

قالت : ورأيت رجلاً هَلْقَاماً^(١) جسيماً ، قال : ذاك ربيعةُ بن عبد الله .

قالت : ورأيت رجلاً أَخْنَسَ^(٢) قصيراً ، قال : هذا ربيعة بن قرط .

قالت : ورأيت رجلاً أَقْرَنَ الحاجبين ، كثيرَ شَمْرِ السَّبَلَةِ^(٣) ، يسيلُ لَمَابُهُ على
لحيته إذا تكلم . قال : ذاك حُنْدُجُ بن البكاء .

قالت : ورأيت رجلاً صغيرَ العينين ضيقَ الجبهة ، يقود فرساً له ، معه جفير^(٤) له
لا يكاد يفارقُ يَدَهُ ، قال : ذاك ربيعة بن كعب .

قالت : ورأيت رجلاً معه ابنان أَسْهَبَانِ ، إذا أقبلا رماهما الناسُ بأبصارهم ،
وإذا أدبرا كانا كذلك . قال : ذاك الصّعق بن عمرو بن خويلد ، وابناه يزيد وزرعة .

قالت : ورأيتُ رجلاً لا يقول كلمة إلا وهي أحدٌ من شَفْرَةٍ^(٥) ، قال : ذاك
عبد الله بن جَعْدَةَ بن كعب . ثم أمرها حاجب فدخلت بيتها .

ودعا حاجب الحارث بن ظالم فأخبره بِمَجْرَقَةِ القوم ، وقال : يابنَ ظالم ؛ هؤلاء

(١) الهلقام : الضخم الطويل (٢) الخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في

الأرنبة (٣) السبلة : ما على الشارب من الشعر (٤) الجفير : الجمبة من الجلد

(٥) الشفرة : السكين العظيم أو جانب النصل .

بنو عامر قد أتوك، فأنت صانع؟ قال الحارث: ذاك إليك؛ فإن شئت أقتُ
 فقاتلتُ القومَ وإن شئتَ تنحيتُ، قال حاجب: تنع عن غير مَلموم! فغضب الحارث
 من ذلك وقال:

لمعري لقد جاورتُ في حىٍّ وائلٍ ومن وائلٍ جاورتُ في حىٍّ تغلب
 فأصبحتُ في حىِّ الأرقامِ^(١) لم يُقلْ لي القوم يا حار بن ظالم اذهب
 وقد كان ظني إذ عدتُ إليكم بنى عُدس^(٢) ظني بأصحاب يترِب
 غداةً أناهم تُبَعُّ في جنوده فلم يُسلموا الرأين من حىٍّ ينجب
 فإن تك في عليا هوازن شوكةٌ تخاف ففيكم حدّ نابٍ ومغلب
 وإن يُسلم المرء الرُّراري جاره فأعجب بها من حاجب ثم أعجب
 فغضب حاجب وقال:

لمعري أليك الخسير يا حار إنني لأمنعُ جاراً من كليب بن وائل
 وقد علم الحىُّ المدى أننا على ذلك كناً في الخطوب الأوائل
 وأنا إذا ما خاف جارٌ ظلاماً نبسنا له ثوبى وفاء ونائل
 وأن تيمياً لم تحارب قبيلةً من الناس إلا أوليتُ بالسكواهل
 ولو حاربنا عامر يابن ظالمٍ لمضت علينا عامرٌ بالأناميل
 ولأستيقنتُ عليا هوازن أننا سنوطئها في دارها بالقبائل
 ولكنني لا أبتُّ الحرب ظالماً ولو هجتها لم أُلَفْ شحمةً آكل

(١) الأرقام: حى من تغلب (٢) عدس: جد حاجب.

فتنحى الحارث^(١) عن بنى تميم، ولحق بعروض اليمامة .

ثم أرسل حاجب إلى الرعاء بأمرهم بإحضار الإبل ففعلوا ، وأمرهم فحملوا
الأهل والأقال وساروا نحو بلاد بنى بغيض، ولبث هو مع بعض القوم ينتظر بنى عامر .
وأصبح بنو عامر - وقد علموا حال المرأة وخبرها وهرجها - فسقط في أيديهم ،
واجتمعوا يُديرون الرأي . قال بعضهم : كأني بالمرأة أتت قومها ، فأخبرتهم الخبر ،
فخذروا وأرسلوا أهلهم وأموالهم إلى بلاد بنى بغيض ، وباتوا مُعِدِّين لكم في السلاح .
فاركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم ؛ فإنهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا ،
وننصرف . وركبوا يطلبون ظُنن^(٢) بنى تميم .

فلما أُنْبِأَ بنو عامر عن حاجب قال لقومه : إن القوم قد توجهوا إلى ظمئكم
وأموالكم ، فسيروا إليهم ؛ فساروا مجذيين حتى التقوا برحرحان ؛ فاقتتلوا قتالا
شديداً ، وانهزمت بنو تميم ، وأسر معبد بن زرارة ، أسره عامر والطفيل ابنا مالك
ابن جعفر بن كلاب .

فوفد لقيط بن زرارة في فدائه^(٣) فقال لهما : لكما عندي مائتا بدير .
فقالا : يا أبا نهشل ؛ أنت سيدُّ الناس ، وأخوك معبد سيد مصر ، فلا تُقبَلُ فيه إلا
دية ملك . فأبى أن يزيدهم ، وقال لهم : إن أبانا أوصانا ألا نزيد أحداً في ديته على
مائتي بدير .

فقال معبد للقيط : لا تدعني بالقيط ، فوالله لئن تركتني لا تراني بعدها أبداً .

(١) كنا في الأغاني ، ورواية التفائس : أن الحارث قابل مع بنى تميم ، ولكن لم يكن له بلا .
يذكر (٢) الظنن : جمع ظنينة ، وهو المودج ، فيه المرأة أم لا ، والمراد هنا الإبل .
(٣) في فداء معبد أقوال كثيرة للرواة ، والتثبت هنا رواية المعبد القريد .

فقال لقيط: صَبْرًا أبا الفمقام؛ فأين وصاة أينا: لا تَوَا كَلُوا العَرَبَ أَنفُسَكُمْ،
 وَلَا تَزِيدُوا بِفِدَائِكُمْ عَلَى فِدَاءِ رَجُلٍ مِنْكُمْ فَتَذُوبٌ^(١) بِكُمْ ذُؤْيَانُ العَرَبِ .
 وَرَجُلٌ لَقِيطٌ^(٢) عَنِ القَوْمِ؛ وَمَنْعَ بَنُو عَامِرٍ مَعْبِدًا عَنِ المَاءِ وَضَارُوهُ حَتَّى مَاتَ
 هَذَا^(٣) .

(١) ذُؤْبٌ: خَبَثٌ وَصَارَ كَالذُّبِ (٢) وَقَدْ عَمِرَ لَقِيطٌ بِتِهَانِهِ فِي انْتِدَاءِ أَخِيهِ . قَالَ نَرْحِيقُ
 ابْنَ الأَحْوَسِ :

لَقِيطٌ وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَاجِدٌ وَاسْكُنْ حِلْمَكَ لَا يَهْنَدِي
 أَلَا أَسْتُ وَسَاغَ العُرَا بَ وَاحْتَلَّ بِبَيْتِكَ فِي شَهْدِ
 شَهْدٌ : اسْمٌ مَوْصِعٌ .

رَعَمْتُ بِرَجْلِكَ نَوْفِي العُرَا شَ تَهْدِي القَصَائِدَ فِي مَعْدِ
 وَأَسْلَمْتَهُ عَسَدُ جَدِّ القِتَالِ وَتَبَجَّلَ بِالمَالِ أَلَا نَفْنَدِي

(٣) وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : إِنَّ مَعْبِدًا أَبِي أَنْ يَطْعَمَ شَيْئًا أَوْ يَشْرَبَ حَتَّى مَاتَ هَذَا ، وَفِي بَعْضِهَا
 لِأَنَّ بَنِي عَامِرٍ بَعَثُوهُ إِلَى رَجُلٍ بِالعَطَائِفِ كَانَ يَمْدُبُ الأَسْرَى ، فَقَطَعَهُ إِرْبًا إِرْبًا حَتَّى قَتَلَهُ .

٢ - يوم شعب جيلة

- ١ -

لما نشبت المداوة بين عبس وذبيان ابني غطفان في حرب داحس^(١) والنبراء ، خرج بنو عبس من ديارهم ، وعلى رأسهم الربيع بن زياد العبسي وأخوه عامر ، وقيس ابن زهير بن جذيمة ؛ وفيما هم سائرون قال لهم الربيع : أما والله لأرمينّ العرب بحجرها ، أقصدوا بني عامر^(٢) .

وساروا حتى نزلوا مضيقة من وادي بني عامر ، ونزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب - وكان المقدم من بني عامر إلى كعب^(٣) بن ربيعة - فقال ربيعة بن شكل : يا بني عبس ؛ شأنكم جليل ، وذخلكم^(٤) الذي يطب منكم عظيم ، وأنا والله أعلم أن هذه الحرب أعزّ حرب ، ما تاربتّها العرب قط ، ولا بدّ من بني كلاب ، فأهلوني حتى أستطلع طلع^(٥) قومي .

* لمامر (من قيس) وحلفائهم من عبس ، على نيم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرها . وجيلة : جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرق الجبل إلا من قبله . ويوم جيلة من أعظم أيام العرب وأشدها ، وكان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة
معجم البلدان ص ٥٠ ج ٣ ، التفائس ص ١١٥ ج ٢ ، الأغاني ص ٣٣ ج ١٠ ، المقدم الفرید ص ٣٠٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٥٥ ج ١ ، شواعر العرب ص ٤٨

(١) ارجع إلى صفحة ٢٤٦ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : من قيس عيلان وفيهم بطون كثيرة : منهم كعب وكرلاب وعمر والحريش وجمدة وقد شهدوا جيلة إلا هلال بن عامر وعامر ابن ربيعة (٣) بطن في بني عامر (٤) الذحل : الثأر (٥) أطلعت طلوع أمرى : أبنتته سرى .

وخرج في قومٍ من بني كعب حتى جازوا^(١) بني كلاب ، فلقبهم عوف^(٢) بن الأحوص ، فحدثوه في أمر بني عيس ، فقال : يا قوم ؛ أطيمنوني في هذا الطرف من غطفان ، فاقطموهم واغتموهم لا تفلح غطفان بدمه أبداً ، والله لا تزيدون على أن تسمئوهم وتمنئوهم ؛ ثم يصيروا لقومكم أعداء .

فأبوا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على أبيه الأحوص بن جعفر ، فذكروا له من أمر عيس ، فقال الأحوص لربيعة بن شكل : أظلمتكم ظلك ، وأطممتهم طمامك ؟ قال : نعم ، قال : قد والله أجزت القوم !

ثم جاء الربيع بن زياد وقيس بن زهير إلى الأحوص - وكان رجلاً شجاعاً - فتقدم إليه قيس وأخذ بجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقام المائد بك ، قتلتم^(٣) أبي فما أخذت له عقلاً^(٤) ، ولا قتلت به أحداً ، وقد أتيتك لتجبرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جازم مما أجبر منه نفسي .

ولما سمع عوف بذلك - وكان غائباً - أتى الأحوص - وعنده بنو جعفر - فقال : يا معشر بني جعفر ؛ أطيمنوني اليوم واغصوني أبداً ، وإن كنت والله فيكم معصياً ؛ إن عيساً والله لو لقوا بي ذبيان لولواكم أطراف الأسنة فابدهوا بهم فاقتلوهم ، واجعلوهم مثل البرفوث دماغه في دمه ، فأبوا عليه وحالفوهم ، وأنزلوهم ببحوحة دارهم .

— ٢ —

وكان لقيط بن زرارة سيدهُ بني تميم قد عزم على غزو بني عامر للأخذ بثأر أخيه

(١) يقال : جاز الموضع ، أي سار فيه (٢) عوف ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب ابن عامر (٣) قتله خالد بن جعفر الماصري في يوم التفراوات (٤) العقل : الدابة .

مَعْبِدٌ^(١) ، وبينما هو يتجهزُّ إذ أتاه الخبرُ بحِلافِ بنى عبس وعامر .
 وكان لقيطٌ وجيهاً عند الملوك ، فذهب إلى النعمان بن المنذر يستنجده ، وأطمعته
 في الفنائم فأجابهُ ؛ ثم ذهب إلى الجون الكلابي ملك هَجْر ، فقال له : هل لك في
 قومٍ قد ملئوا الأرضَ نعمًا وشاء ، فترسل معي ابنيك ، فما أصبنا من مال
 وسبى فلهما ، وما أصبنا من دمٍ فلي ؟ فأجابه الجون إلى ذلك ، وجعل له موعداً
 رأس الحول .

ثم أرسل إلى كلِّ من كان بينه وبين عبس دَحْل ، يسأله الحول والتظاهر على
 غزو عبس وعامر ؛ فاجتمع إليه بنو ذبيان لعداوتهم لبني عبس بسبب حرب داحس
 والنبراء ، وبنو أسد لحلافٍ كان بينهم وبين بنى ذبيان .

ولما كان على رأس الحول من يوم رَحْرَحَانَ انهأت الجيوش على لقيط : أرسل
 الجون جيشاً وعليه ابناء عمرو ومعاوية ، وأرسل النعمان جيشاً وعليه أخوه لأُمِّه
 حسان بن وبرة الكلابي ، وأقبل الحليقان أسد وذبيان وعليهم حصن بن حذيفة ،
 وأقبل شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المراز في جمع من بنى كندة .

— ٣ —

وسار بنو تميم في رؤوسهم: حاجب بن زرارة، ولقيط بن زرارة، وعمرو بن عمرو،
 والحارث بن شهاب ؛ ومعهم أخلافهم ، وتبعهم غُثَاءُ^(٢) من الناس يريدون الفنيمة ،
 وتم لهم جمعٌ لم يكن في الجاهلية أكثر منه ؛ فلم تشكَّ العرب في هلاك
 بنى عامر .

(١) قتله بنو عامر يوم رحرحان (٢) الغثاء : ما يجرى فوق السيل مما يجمله من الزبد
 وورق الشجر البالي ، يريد أردال الناس وسقطهم -

ولما سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص - وهو يومئذ شيخ كبير ،
 قد وقع حاجبها على عينيه ، وقد ترك الغزو ، غير أنه يدبر أمر الناس ، وكان مجرباً
 حازماً ميمون النقيبة^(١) ؛ فأخبروه الخبر ، فقال لهم الأحوص : قد كبرتُ فما أستطيع
 أن أجيء بالحرزم ، وقد ذهب الرأي مني ؛ ولكن إذا سمعتُ عرفت ، فأجمعوا آراءكم ،
 ثم يبتوا ليلتكم هذه ، ثم اغدوا على ، فاغرضوا على آراءكم .

ففعلوا ، فلما أصبحوا غدوا عليه ، فوُضعت له عباءة بغنائه فجلس عليها ، ورفع
 حاجبيه عن عينيه بمصابة ، ثم قال : هاتوا ما عندكم ، فقال قيس بن زهير المبسي :
 بات في كنانتي اليوم مائة رأى ، فقال له الأحوص : يكفيننا منها رأى واحد حازم
 صليب مُصيب ؛ هات فأنثرُ كِنانتك . فجعل يمرض كل رأى رآه حتى أنفد^(٢) .
 فقال له الأحوص : ما أرى أنه بات في كنانتك الليلة رأى واحد .

وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمع شيئاً ، وقد صرتم إلى ؛
 اجمعوا أئفالكم وضمفاءكم . ففعلوا ، ثم قال : حملوا ظمُنكم ؛ خملوها . ثم قال :
 انطلقوا حتى تملوا في اليمين ؛ فإن أذَرَكم أحدٌ كررتم عليه ، وإن أعجزتموهم
 مضيتُم . فسار الناس حتى أتوا وادي نُبَّار^(٤) ضحوة .

ثم رُئى الناس يُرجع بعضهم على بعض ، فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا
 عمرو بن عبد الله بن جعدة ، قدم في فتیان من بني عامر يمدون بمن أجاز بهم ، فقال
 الأحوص : قد مُوني ، فقدّموه حتى وقف عليهم ، فقال : ما هذا الذي تصنعون ؟
 فقال عمرو : أردت أن تفضحننا ونخرجنا هارِبين من بلادنا ، ونحن أعزُّ العرب ،

(١) ميمون النقيبة : محمود المختبر (٣) يريد حتى انتهى ، ويقال : أنفد القوم ؛ إذا هُد
 زادم أو ما لهم (٤) نُبَّار : موضع في ديار بني تميم .

وأكثرُ عدداً وجلداً وأحدُ شوكة ! تريد أن تجعلنا موالى في العرب إذ خرجت بنا هارباً .

قال : فكيف أفضل وقد جاءنا مالا طاقةً لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : فرجع إلى شِمْبِ جبلة ، فنجرز النساء والضعفة والذراري والأموال في رأسه ، ونكون في وسطه ففيه تمل^(١) ، فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ما ، ولا مقام لهم ، وإن صمدوا عليك قاتلتهم من فوق رهوسهم بالحجارة ، فكنت في جرز ، وكانوا في غير جرز ، وكنت على قتالهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي ! فأين كان هذا حين استشرتُ الناس ؟ قال : إنما جاءني الآن ، فقال الأحوص للناس : ارجعوا ، فرجموا^(٢) .

ودخلوا شِمْبِ جبلة ، وحصنوا النساء والذراري والأموال في رأس الجبل ، وحلثوا^(٣) الإبل عن الماء ، واقتسموا الشَّعب بالقداح والقرح بين القبائل في شظاياها^(٤) ؛ ثم عمى عليهم الخبز ، فجعلوا لا يدرون ما قُرب القوم من بُدْهِم .

— ٤ —

وأقبلت تميم وأسد وذبيان وإفهم نحو جبلة ، فلقوا في طريقهم كُرب بن صفوان

(١) التمل : الحصب والماء (٢) وفي ذلك يقول النابغة الجدي ، وهو أحد شعراء بني عامر :

ونحن حبستنا الحى عبأ وعامراً
وقد صمدت وادى نجار نناؤم
لحسان وابن الجون إذ قبل أنبلا
كإصماد لمر لا يرومون منزلاً
عظفتناهم عطف الضروس فصادفوا
من الهضبة الحمراء جزاً ومظلاً

الضروس : الناقة الموضو

(٣) حلثوا الإبل : صنوها (٤) الشظايا : القطع من رهوس الجبال .

السمدى - وكان شريفاً - فقالوا له : ما منكم أن تسيرَ معنا في غزاتنا ؟ قال :
أنا مشغول في طلب إبلٍ لي ، فقالوا : لا ، بل تريد أن تُتندرَ بنى عامر ، ولا تركك
حتى تعطيتنا عهداً وموتقاً ألا تفعل ؛ خلف لهم .

ثم خرج عنهم وهو مُغضب ، ومضى مُسرِعاً على فرس له عُري^(١) ، حتى إذا
نظر إلى مجلس بنى عامر نزل تحت شجرةٍ حيث يرونه ، فأرسلوا إليه يدْعونه ، فقال :
لست فاعلاً ؛ ولكن إذا رحلت فأتوا منزلي فإنَّ الخبرَ فيه .

فلما جاءوا منزله ، إذا تراب في صُرّةٍ وشوك قد كسّرَ ربهوسه ، وفرّق جهته ،
وإذا حنظلةٌ موضوعة ، وإذا وَطْبٌ مملقٌ فيه لبن ؛ فقال الأحوص : هذا رجل
قد أخذت عليه الموائيق ألا يتكلم ، وهو يخبركم أن القوم مثلُ التراب كثرةً ، وأن
شوكتهم كليلية ، وجاءتكم بنو حنظلة . انظروا ما في الوطْب ، فاصطَبوه^(٢) ، فإذا فيه
لبن فارس^(٣) . فقال : القوم منكم على قدر حِلاب اللبن إلى أن يَحْزُرُ^(٤)

(١) فرس عرى : لا سرج عليه (٢) اصطبه : أراقوه (٣) فارس : حامض
(٤) هذه رواية الأغانى ، وفي ابن الأثير : لقي لقيط في طريقه كرب بن صفوان - وكان شريفاً -
قال : ما منكم أن تسير معنا في غزاتنا ؟ فقال : أنا مشغول في طلب إبلٍ لي ، فقال : لا ، بل تريد
أن تُتندرَ بنا القوم ، ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تخبرهم ، فحلف له ، ثم سار عنه وهو مغضب ،
فلما دنا من عامر أخذ خرقةً فصر فيها حنظلة وشوكاً وتراباً وخرقتين يمانيتين وخرقةً حمراء وعشرة
أحجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون . ولم يتكلم ، فأخذها معاوية بن قشير ، فألقى بها بن الأحوص
ابن جعفر ، وأخبره أن رجلاً ألقاها وهم يسقون ، فقال الأحوص لقيس بن زهير : ما ترى في هذا
الأمر ؟ قال : هنا من صنع الله لنا ، هنا رجل قد أخذ عليه عهد على ألا يكلمكم ، فأخبركم أن أعداءكم
قد غزوكم عدد التراب ، وأن شوكتهم شديدة ؛ وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم ، وأما الخرتان
اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم ، وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار =

ثم دعا الأحوص قيس بن زهير العبسي ، فقال له : ما ترى ؟ فإنك تزعم أنه لم يمرض لك أمران إلا وجدت في أحدهما الفرج ؟ فقال قيس : فإذا قد رجتم إلى رأيي فأدخلوا نَمَمَكُم شِعْبَ جَبَلَة ، ثم أَظْمِثُوهَا هذه الأيام ولا تُوردوها الماء ، فإذا جاء القوم فإن لقيطاً فيه طيش وسيقتحم الجبل ، وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل ، وأخسوها بالسيوف والرماح ، فتخرج مَدَاعِيرِ عِطَاشًا ، فتشغلهم ، وتفرق جَمَعَهُمْ ؛ وأخرجوا أنتم في آثارها ، واشفوا نفوسكم .

فقال الأحوص : نعم ما رأيت ؛ وأخذوا برأيه .

وعاد كرب بن صفوان فلقى لقيطاً ، فقال له : أأنذرت القوم ؟ فأعاد الحلف له أنه لم يكلم أحداً منهم ؛ فخلّى سبيله ، فقالت له ابنته دختنوس : وكان لقيط يصحبها في غزواته ، ويرجع إلى رأيها : رُدَّنِي إلى أهلي ، ولا تمرّضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة ، فاستحمتها ، وساء كلامها ، وردّها .

وفياهم سائرون قابلهم غلامٌ أُعْسِرُ^(١) ؛ فتشامت بنو أسيد ، وقال بعضهم لبيض : ارجعوا عنهم ، فرجموا ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفير يسير .

— ٥ —

ولما وصل بنو تميم وأخلافهم إلى شعبِ جَبَلَة حيث بنو عامر وعبس قال الناس للقيط : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تصعدوا إليهم ؛ فقال شاس بن أبي ليلى : لا تدخلوا

فهى عشر ليال يأتيكم القوم إليها . قد أنذرتكم فكونوا أحراراً ، واصبروا كما يصبر الأحرار الكرام (ابن الأثير ص ٣٥٦ ج ١) .
(١) الأعسر : الذى يعمل يده الشمال خاصة .

على بنى عامر؛ فإني أعلمُ الناسَ بهم ، قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزمتوني ؛ فما رأيتُ قوماً قطَّ أفلقَ بمنزلٍ من بنى عامر ، ووالله ما وجدتُ لهم مثلاً إلا الشُّجاعُ (١) فإنه لا يقرُّ في جُحره قلعا ، وسيخرجون إليكم ، والله لئن نَعِثْتُمْ هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم .

قال لقيط : لندخلنَّ عليهم ، فأتوهم وقد أخذوا حذرهم ؛ وجعل الأحوص ابنه شريحا على تعبئة الناس .

وأقبل لقيط وأصحابه مدلين (٢) ، فاستندوا (٣) إلى الجبل حتى ذرت الشمس ، ثم أخذوا في الصمود . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أتوك ، فقال : دَعُوهم ؛ حتى إذا أنصفوا (٤) الجبل وانتشروا فيه قال الأحوص : حلوا عَقْل الإبل ثم اتبعوا آثارها ، ولْيَتَبِعْ كل رجل منكم بغيره حجرتين أو ثلاثة .

ففعلوا ، ثم صاحوا بها فخرجت تحطُّمُ كلِّ شيء مرَّت به وخَبَطت تيمًا ومن معها وانحطوا منهزمين في الجبل حتى السهل ، ولما بلغوا السهل لم يكن لأحدٍ همةٌ إلا أن يذهبَ على وجهه ، وجعلت بنو عامر يقتلونهم ، ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم ، وانهمزوا شرًّا هزيمة (٥) .

(١) الشجاع : الحية القمحر (٢) مدلين : مجترئين (٣) استندوا : صعدوا في الجبل

(٤) أنصفوا الجبل : وصلوا إلى نصفه (٥) وفي ذلك يقول أحد بني أسد :

زحمت أن العير لا تقانل بلى إذا ما قفيع الرحائل

واختلف الهندى والدوابل وقالت الأبطال من يئارل

بلى وفيها حسب ونائل

وجعل لقيط لا يمرُّ به أحدٌ من الجيش إلا قال : أنت والله قتلتنا ! فجعل
يقول :

يا قوم قد أحرقتموني باللوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم
فاليوم إذ قاتلتهم فلا لوم تقدموا وقدّموني للقوم
فقال له شاس بن أبي ليلي :

لكن أنا قاتلتها قبل اليوم إذ كنتُ لا تعصى أموري في القوم
ثم ركب لقيط فرسه ، وزجّ بنفسه للمراك ، فطمته شريح ، وارثٌ وبه طمعات ،
وبقي يوماً ثم مات (١) .

وأما حاجبُ بن زُرارة فقد ولى منهزماً ، فتبعه زهدم وقيس ابنا حزن
المبسيان ، وجعل يطرُدانه ، ويقولان له : استأسر - وقد قدرا عليه - فقال :
من أنما ؟ فقالا : نحن الزهدمان (٢) ، فقال : لا أستأسر اليوم لموليين .

وبينا هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرُقيبة المامري . فقال لحاجب : استأسر ،
قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مالك ذو الرُقيبة . فقال : افعلْ لعمري ، ما أدركتني حتى
كدتُ أن أكون عبداً ، وألقى إليه رُمحَه ، واعتنقه زهدم فألقاه عن فرسه . فصاح

(١) قيل إن لقيطاً ارتث وحل وهو مجروح ، وبقي يوماً ومات ، فلما أحس بالموت أُنشد قائلاً :
يا ليت شرى اليوم دخنوس إذا أناها الخبر الرموس
تلقى القرون أو تميم لا بل تميم لها عروس
دخنوس : بنته

الخبر الرموس : الذي يستر عنها ويكتم . والقرون : الذوائب .

(٢) الزهدمان : زهدم وقيس ابنا حزن ، وفيهما يقول قيس بن زهير :

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجرى بالكرامه

حاجب : يا غوثاه ! وجمسل زهدم يراوغ قائم السيف ، فنزل مالك واقتلع زهدما
من حاجب .

فشي زهدم وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير فقالا : أخذ مالك أسيرنا من أيدينا .
فقال : ومن أسيرُ كما ؟ قالوا : حاجب بن زرارة .

فخرج قيس حتى وقف على بني عامر فقال : إن صاحبكم أخذ أسيرنا . قالوا :
من صاحبنا ؟ قال : مالك ذو الرقيبة أخذ حاجبا من الزهدمين .

فجاءهم مالك فقال : لم آخذه منهما ؛ ولكن استأسر لي وتركهما ؛ فلم يبرحوا
حتى حكموا حاجباً في ذلك - وهو في بيت ذى الرقيبة - فقالوا : من أسرك يا حاجب ؟
فقال : أما من ردني عن قصدي ومنعني أن أجور ورأى مني عورة فتركها
فالزهدمان^(١) ، وأما الذي استأسرت له فالك ؛ فحكموني في نفسي .

فقال له القوم : قد جعلنا إليك الحكم في نفسك ، فقال : أما مالك فله أنف ناقة ،
وللزهدمان مائة .

- ٧ -

قال الراوى : وزعم علماءنا أنه لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في
آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون ، فلحق قيس بن المنتفق^(٢) عمرو بن^(٣) عمرو
التميمي فأسره ، فأقبل الحارث بن الأبرص في سرعان^(٤) الخيل ، فرآه عمرو مقبلاً ،
فقال لقيس : إن أدركني الحارث قتلني ، وفاتك ما تلتبس عندي ؛ فهل أنت محسن
إلي وإلى نفسك ؛ تجز ناصيتي فتجعلها في كيناتك ، ولك المهد لأفين لك ! ففعل ،

(١) الزهدمان : زهدم وقيس ، كما في اللسان (٢) قيس بن المنتفق من بني عامر

(٣) هو عمرو بن عمرو بن عدس من تميم ، وهو زوج دخنوس بنت لقيط (٤) سرعان
الخيل : أوائلها .

وأدركما الحارث وهو بنادى قيساً ويقول : اقتل ، اقتل ! ولكن قيساً أطلق عمراً ،
ولحق عمرو بقومه (١) .

ونزل حسانُ بن عامر بن الجون وصاح : يا آل كندة ! فحمل عليه شريح
ابن الأحوص ، فاعترض دون ابن الجون رجلاً من كندة ، ففصر به شريح في رأسه
فانكسر السيف ، فخرج يمدو بنصف السيف .

(١) روى صاحب الأغاني أنه لما كان الشهر الحرام خرج قيس بن المنتفق إلى عمرو بن عمرو
يستتيبه، وتبعه الحارث بن الأبرص حتى قدما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو ابنة أخيه آمنه وقال
لها : اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة - وقد كان الحارث قتل أباهما زيباً يوم
جيلة - فجاءت بالقبة فرأت الحارث أحياناً وأجلهما ، فظنته قيساً ، فضربت القبة وهي تقول :
هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما اطلع به علي .

فلما رجعت إلى عمها عمرو قال : يا بنة أخي ، علي من ضربت القبة ؟ فنمتت نعت الحارث ، فقال :
ضربتها والله على رجل قتل أباك ، وأمر بقتل عمك ، فجزعت مما قال عمها ، فقال الحارث :

أما تدرين يا بنة آل زيد أميين بما أجن اليوم صدى
أميين : يا أمينة

فكم من فارس لم ترزئيه فبي القتيان في عيس وقصر
رأيت مكانه فصدت عنه فأعيا أمره وشدت أزرى
أمرت به لتخمش حنتاه فضيع أمره قيس وأمرى

الحنة : الزوجة

ثم إن عمراً قال : يا حار ما الذي جاء بك ؟ فوالله مالك عندي نعمة ، ولقد كنت سيء الرأي في ،
وقتلتي أخي ، وأمرت بقتل . فقال : بل كفت عنك ولو شئت إذ أدركتك لتقتلك . قال : مالك
عندي من يد ، ثم تدم منه فأعطاه مائة من الإبل ، ثم انطلق وذهب .

ولما جاء قيس عمراً أعطاه عمرو إبلا كثيرة ، فخرج قيس بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به
الحارث بن الأبرص ، فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس ، فأخذ ما كان معه ، فلما
أتى قيس بني أبيه من بني المنتفق اجتمعوا إليه ، وأرادوا الخروج ، فقال : مهلا ! لا تقاثلوا اخوتكم
فإنه يوشك أن يرجع ، وأن يتول إلى الحق ، فإنه رجل حسود . فلما رأى الحارث أن قيساً قد
كف عنه رد إليه ما أخذ منه .

وشدّ طفيل بن مالك، فأسر حسان بن الجون، وشدّ عوف بن الأحوص على
معاوية بن الجون، فأسره وجزّ ناصيته وأعتقه على الثّواب (١) .

وانصرف سنان بن أبي حارثة المرّمي في بني ذبيان على حاميته، ومعه مالك بن
حمار الفزاري، فلحق بهم معاوية بن الصموت الكلّابي ومعه حرّمة العكلى ونقرّ
من الناس؛ ولما رأهم سنان قال لمالك: يا مالك؛ كركرّ واحمنا، ولك خولة ابنتي
أزوّجكها؛ فكرّ مالك فقتل معاوية، ثمّ قتل حرمة واثنين من قيس. ومضى
بمد ذلك مالك وهو يقول:

ولقد صدّدتُ عن الغنيمة حرّمةً (٢) وبنيته لدداً (٣) وخيلي تطرد
أقبلته صرّ الأغرّ وصارماً ذكراً فخرّ على اليدين الأبد
وابن الصموت تركت حين لقينته في صدر مارنة (٤) يقوم ويقعد
وابنا ربيعة في الغبار كلاهما وابنا غنى عامر والأسود
حتى تنفس بمد نكظ (٥) مُججراً أذهبتُ عنه والفرائص تُرعدُ

(١) حدث بمد هنا أن قيس بن زهير العبسي لقي معاوية فقتله، فأبى عوف بن الأحوص بن عباس
قال: قلت طليق فأحبوه أو اتنوني بملك مثله، فتخوفت بنو عبس شره - وكان ميبياً - قالوا:
أمهلنا، وانطلقوا حتى آوا أبا براء وعامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف، قال: دونكم
سلي بن مالك فإنه ندبته وصديقه، وكان في سلمي حياء فقال: سأكلم لكم طفيل بن مالك
أخاه ليسلم إليكم حسان بن جون، وانطلقوا إليه، فقال طفيل لسلي: قد آتوني بك، ما أعرفني
بما جتم له: أتيتوني تريدون مني حسان بن الجون - وكان قد أسره - وتسلمونه لي عوف.
خذوه، فأعطاهم إياه، فأبوه، فجزّ ناصيته وأعتقه، ولذلك سمى عوف الجزاز.

(٢) اللد: الحصومة (٣) يقال: رمح مارن؛ صلب لين (٤) النكظ: الجهد،
والجهر: الضطر اللبأ، والضيق عليه.

يمدو بزى سابع ذو ميمة نهد المراكل ذو تليل أقود^(١)

— ٨ —

وفي ذلك اليوم قالت دختنوس ترى أباه لقيط بن زرارة ، وقد ضربه بنو عبس
بعد موته :

ألا يالها الويلات وبللة من بكى لضرب بنى عيس لقيطاً وقد قسى^(٢)
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابةً ولا تحفل الصم الجنادل من نوى^(٣)
فلو أنكم كنتم غداة لقيتم لقيطاً ضربتم بالأسنة والقنا^(٤)
غدرتم ولكن كنتم مثل خضب أضاءت لها القناس من جانب الشرا^(٥)
فاناره فيكم ولكن ناره شرح أردته الأسنة أم هوى^(٦)

(١) البز : السلاح ، يريد يمدو بزى سابع - فرس - يمد يديه في الجرى ، والميمة : أول الجرى
وألفظه ، ونهد : مرهق ، والمركل من الفرس : حيث تصيب برجلك ، والتليل : العنق ، وأقود
سلس القيادة (٢) الضمير في لها يعود لى بنى عبس ، تقول : لتحل بينى عبس الويلات ،
وتريد بمن بكى : نفسها (٣) تحفل : تضم ، والصم الجنادل : الصخور العظيمة ، ونوى :
مات ، تريد : أن الصخور التي تغطي جسمه في قبره ، لا تكاد تضمه لملو شأنه (٤) جواب
الفرط محذوف تقديره : لو فاتتم لقيطاً بالأسنة والرماح لرأيت بأسه وفررتم من وجهه (٥) الخضب :
كأنه جمع خاضب ، وهي النعامة ، وفي اللسان أن جمه خواضب ، والقناس : جمع فانس وهو الصياد ،
وأضاءت له : أوقدت ناراً . والقرى : مكان . تقول : غلبتموه بالفدر ولكنكم قد فررتم قبل
ذلك من وجهه كالنعام من أحس بالصيادين ، وم قد أوقدوا له ناراً ليقتنموه (٦) أرداه :
أهلكه ، والثأر هنا : المطلوب بدم القليل ، وشرح بن الأحوس العامري : قاتل لقيط ، وهوى :
سقط ومات ؛ تقول : ليس لكم القدر يا بنى عبس ، فإنما قاتله والمطلوب بدمه هو شرح بن
الأحوس العامري ، سواء قتل لقيط بالأسنة في ساحة الحرب ، أو حمل وبه طعنات فمات بعد
ذلك .

فإن تمقب الأيام من فارسٍ تكن
لُنَجْرِيكُمْ بِالْقَتْلِ قِتْلًا مُضْعَفًا
وما في دماء الخَمْسِ يامالٍ مِن بَوَا^(٢)
علينا من العارِ المجدِّعِ للملأ^(٣)
لقد صبرتُ للموتِ كمْبٍ وحافظت
كلابٌ وما أنتمُ هناكِ لمن رَأَى^(٤)
وقالت أيضاً :

لمعرى لقد لاقت من الشقِّ دارم
عناء وقد رابتُ حميداً ضرايها^(٥)
فا جَبِنُوا بالشَّعبِ إذ صبرتُ لهم
ربيعة يُدعى كمْبها وكلابها^(٦)
عَصُوا بسيفِ الهندِ واعتقلتُ لهم
بُرَا كاءِ موتٍ لا يَطِيرُ غُرابها^(٧)
وقالت في لقيط أيضاً :

بكر النَّمِيُّ بجزيرِ خِنْدَفٍ كَهَلِها وشبايها^(٨)

(٧) هول : إذا دارت الأيام فأمكنتنا من شريح وقومه فستروتنا نسر نار حرب لا تطفأ إذا ما علا ضرامها وانتشر سعيها (٢) تريد بالخمسة ، أشرف بن تميم الذين قتلوا ، ومال : ترخيم مالك . البوا : السواء والكفاء ، تقول : سوف تقتل منكم أضعاف ما قتلتم ، ولا نجد منكم يامالك أحدا يساوي بالقدر والشأن الخمسة الذين قتلوا منا فقتلهم بهم (٣) بنو غالب بطن من بني عامر وهم أنذلهم ، والمجدع للملأ : الفاطم له ، المانع من الوصول إليه ، تقول : يسرنا أن القتلى لم يقتلهم أحد من بني عامر ، ولو كان ذلك لحل بنا عار لا يمحى (٤) تخاطب بنو غالب فتقول : إنا رأينا بنو كعب وبنو كلاب يلبون في الحرب البلاء الحسن ، ولكننا لما طلبناكم لم نجدكم هناك (٥) تريد بالشق مدخل جبلية ، ودارم : حى من تميم وهو قوم دخنوس ، وحميد قوم من بني عامر (٦) تقول : لم يفشل بنو دارم لما تألب عليهم بنو ربيعة ، وربيعة أبو كعب وكراب . وتريد بالشعب شعب جبلية (٧) عصوا : دافعوا عن أنفسهم بسيف مهندة قاطمة وبراكاء : الثبات في الحرب والجدد ، ويقال للرجل إذا وقع في خطب : لا يطير غرابه ، وهى تريد أن سعدم المعتاد في الحروب اعتقل لهم ، أى امتنع عنهم في هذه الواقعة . (٨) بكر : أتى باكرأ . وخنذف : أم مدركة بن إلياس ، ولإيها تنسب قبائل مضر ، ومنها تميم قوم الشاعرة .

وبخبرها نسباً إذا عُدَّتْ إلى أنسابها (١)
 وأخرها لعدوها وأفكها لرقابها (٢)
 وقرينها ونجيبها في الطبقاتِ ونائبها (٣)
 ورئيسها عند الملو ك وزين يوم خطابها
 فرع عمود للمشيرة رافعاً لنصابها (٤)
 فيمولها ويحوطها وينذب عن أحسابها (٥)
 ويطا مواطئاً للعدو وكان لا يعيش بها (٦)
 فمل المدل من الأسود لحثيها ونجابها (٧)
 كالكوكب الدرري في الظلماء لا يخفى بها (٨)
 عبث الأغرّ به وكلّ منية لكتابها (٩)
 فرّت بنو أسد فرّاً ر الطير عن أربابها (١٠)
 وهو أزن أصحابهم كالفأر في أذنانها (١١)
 لم يحفظوا حسباً ولم يأووا لفيء عقابها (١٢)

(١) رواية ابن الأثير : وآمها نسباً إذا رجعت إلى أنسابها (٢) أي أنه يمرر رقاب قومه من الأسر (٣) القريع : السيد ، وأصله الغالب في المقارعة . والطبقات : البشائد ، والسنون الهجدة ، وناب القوم : سيدهم (٤) الفرع : الابن . والعمود : السند (٥) ذب عن الأمر : دافع عنه (٦) تريد أنه يتمقب آثار العدو في مسالك لم يتعود أن يجري فيها (٧) المدل : الواثق من نفسه . والحين : الهلاك ، والنياب : الفساد (٨) الدرري : الشبيه بالدرّة (٩) الأغرّ : السيد ، تسكنى به عن قاتل لقيط وهو شريح بن الأحوص ، وكتابها : لابتها ووقتها ، كما قال تعالى : « لكل أجل كتاب » (١٠) بنو أسد : من حلفاء تميم يوم شعب جيلة ، وهي بهذا تهجوم (١١) وهو أزن من حلفاء تميم أيضاً شبهتهم بالفأر لجنينهم (١٢) تريد بالعقاب لقيطاً ، والمعنى : أنهم بفرارهم فقدوا شرفهم ، ولم يجتمعوا بليقطة على العدو ، بل تركوه يقاتل وحده .

وقالت تهجو الزمان بن قهوس التميمي ، وكان حاملا- في يوم شعب جيلة- لواء
 بني تميم ، وهو من أشرفهم ، ففرّ هاربًا .

فَرَّ ابْنُ قَهْوَسِ الشُّجَا عُ بَكَفَهُ رُمَحٌ مِثْلُ^(١)
 يَمْدُو بِهِ خَاطِي البَضِيعِ كَأَنَّهُ سَمْعٌ أَزْلُ^(٢)
 إِنَّكَ مِنْ تَمِيمٍ فَدَعِ غَطْفَانَ إِنْ سَارُوا وَاحْطُوا^(٣)
 لَا مِنْكَ عَدُوٌّ وَلَا آبَاكَ إِنْ هَلَكُوا وَذَلُّوا^(٤)
 فَخَرُّ البَنِيِّ بِمُحْجِ رَبَّتَيْهَا مَ إِذَا النَّاسُ اسْتَقَلُّوا^(٥)
 وَلَقَدْ رَأَيْتَ أَبَاكَ وَسَطَ التَّوَمِ يَبْزُو أَوْ يَجِيلُ^(٦)
 مَتَقَلِّدًا رَبِيكَ الرِّقَى رَكَأَنَهُ فِي الجَيْدِ غَلَّ^(٧)

(١) التل : الشديد (٢) الخاطي : المكنز ، والبضيع : ما انحاز من لحم الفخذ الواحد
 بضيمة ، والسمع : ولد الضبع ، تقول : نحابه فرس مكنز اللحم يشبه السمع ، والأزل : السريع
 (٣) تميم : فرع من تميم ، تقول : إنك من قوم جبناء ، فلا تسرع غطفان أصحاب السدة
 (٤) تقول : لو حل الذل بنطفان فإنهم يستفنون عنك وعن آباءك (٥) البني : المرأة
 الفاجرة ، والحدج من مراكب النساء ، واستقل الناس : ذهبوا ، ضربت هذا مثلا ، وأرادت
 بالبني بنى التميم ، وعنت بربة الحدج- وهي السيدة- غطفان (٦) يبزو : كناية عن الجبن ،
 ويجل : يجمع الجلة وهي البعر (٧) الرقيق : المفود ، تريد : أن أباه لا يصلح إلا لرعاية
 الفم حين يضع حبالها في عنقه كأنها أغلال تفلها .

٣ - يوم ذِي نَجَب

لما كان المأمُ التابع من يوم جَبَلَة خرج ناسٌ من بني عامر بن صعصعة إلى حسان ابن كبشة الكندي ^(١)؛ منهم عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعِبُ الأَسنة ، وطفيل بن مالك بن جعفر ، وعمرو بن الأحوص بن جعفر ، ويزيد بن الصميق ، وقُدَامَة بن سلمة ابن قُشير ، وعامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ؛ واستنجدوه على بني حَنْظَلَة ^(٢) ابن مالك ، وقالوا : هل لك في إِبِلِ عَكْر ^(٣) ، ونساء كالبقر ، وتسير مُبْرِدًا ^(٤) ، وترجع سالما غانما من قوم قد أوقمنا بهم حديثا ، وقتلنا فرسانهم ورؤسائهم . فأقبل معهم بصنائمه ومن كان معه ، ومرّ على بني عامر ؛ فسارمه من خوفٍ منهم . وبلغ الخبر بني حَنْظَلَة فقال عمرو بن عمرو بن عُدُس ^(٥) : يا بني مالك ؛ إنه لا طاقةَ لكم بهذا الملك ومن معه ؛ فخِفُوا من مكانكم هذا - وكانوا يومئذ في أعلى الوادي مما يلي بحسى ، القوم وكانت بنو يربوع في أسفله - ودعوا بني يربوع فإبهم حتى مُصْرِمٌ نَزَّ ^(٦) ، فإن ظهرَ الملكُ عليهم سألتم ؛ فبقيّةُ السِّلْمِ خيرٌ من بقيّةِ الحرب ، وإن بُهرت يربوع عليهم كنتم مع إخوانكم . ففعلوا .

* لبي تميم على بني عامر (بن قيس) . وذو نجب ذكره ياقوت فقال : موضع كانت فيه وقعة لبي تميم على بني عامر بن صعصعة . وكان هذا اليوم بدمرور عام على يوم جبلة .
التقائس ص ٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩ (طبع أوربة) ، ابن الأثير ص ٣٦٣ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٨

(١) حسان بن كبشة ملك من ملوك البين (٢) بنو حنظلة : حى في تميم
(٣) السكر : ما فوق خمسة من الإبل (٤) يقال : أبرد : دخل في آخر النهار
(٥) عدس في بني تميم بضم الدال ، وفي - اثر العرب بفتحها (٦) نكد الرجل فهو منكود : إذا كثر سؤاله وقل خيره ، ورجل نكد : أى عسر .

وأقبلَ حسانٌ ومَن مَّه من الجيش في وجه الصبح ، والتقوا بيني يربوع ،
فقتلوا ، فضرب حُثَيْشٌ^(١) بن نمران الرِّبَاحي حسان بن كبشة الملك على رأسه
قتله ، وانهمزم أصحابه .

وأمر ثعلبة بن الحارث اليربوعي يزيد بن الصَّعق ، فأبصره في يده ثعلبة بن
الحارث بن عمرو، فضربه على رأسه فأمته، وانهمزم طفيل بن مالك على فرسه قُرْزُل^(٢)،
وضرب زنباع بن الحارث أحد بني رياح عبيدة بن مالك على هامته فسات في يده ؛
قال في ذلك سُهَيْم بن وَثِيل الرِّبَاحي :

ونحنُ ضربنا هامةَ ابنِ خُوَيْلِد^(٣) يزيد وضربنا عبيدةَ بالدم
بذي نَجَبٍ إذ نحن دون حريمنا على كلِّ جِيَّاش الأجارى^(٤) مِرْجَم^(٥)



وقتل خالد بن مالك النهشلي - رئيس بني عامر - عمرو بن الأحوص ، وقد كان
بعضُ أصحابه قال له : ياخالد ؛ اقتلُ بأبيك^(٦) ، وأنهمزمت بنو عامر وصنائع ابن
كبشة ، فقال أوس بن حُجْر :

كان بنو الأبرص^(٧) أقرانكم فأدرَكوا الأحدثَ والأقدمَا
إذ قال عمروُ ابني مالكٍ لا تُمِجِلُوا المِرَّةَ أن تُحْكَمَا

(١) في رواية : جشيش بالجم (٢) اسم فرسه ، وقال ابن الأعرابي : هو اسم فرس عامر
ابن الطفيل . وقال أبو عبيدة : كانت فرس الطفيل ، وكذلك قال الجوهري
(٣) ابن خويلد : يزيد بن الصعق (٤) الأجارى : ضروب من الجري
(٥) مرجم : شديد (٦) كان عمرو بن الأحوص قتل أبا خالد يوم جينة
(٧) بنو الأبرص : بنو يربوع بن حنظلة .

والله لولا قُرْزُلٌ (١) إِذْ نَجَا لَكَانَ مَثْوَى خَدِكَ الْآخِرَمَا (٢)
نَجَاكَ جِيَاشٌ (٣) هَزِيمٌ كَمَا (٤) أَحْمِيَتْ وَسَطَ الْوَيْرِ الْمَيْسَمَا

(١) فرس طفيل بنى مالك بن جعفر وقد فر به من بنى يربوع كما سبق (٢) الأخرم :
الجبيل : وهو منتطح أنفه وهو يريد : ثوى خدك في الأرض . وأخرما الكتفين أيضاً : رد وسهما
من قبل المضدين مما على الواصلة ، وقيل : هما طرفا أسفل الكتفين اللذان اكتنفا كعبرة
الكتف ، فالكعبرة بين الأخرمين ، والمعنى : لقتلت فسقط رأسك عن آخرم كتفك
(٣) الجياش : الشديد الجرى السريع كأنه مشتق من القدر إذا جاشت بالغل والهمز كذلك ،
يقول : يجيش ويهزم يعنى يصوت صوتاً كغلي المرجل (٤) كما أحيت : يعنى به السرعة .
يقول هذا القرس يلهب في عدوه كما يلهب الميسم رمى الحديدية تحمى بالنار حتى تصير كالجمرة ثم
توضع على جلد البعير علامة ، والأصمى يقول معناه : إنه سريع الجرى ، فسرعة هذا القرس
كسرعة ممر هذا الميسم في جلد البعير ووبره .

٤ - يوم الصرايم

أغلرت بنو عبس على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى الصريحُ بنى بربوع ، فركبوا في طلب بنى عبس ، فأدركوهم بذات الجرف^(١) ، فقتلوا شريحاً وجابرأ ابني وهب ، وأمروا فروة وزنباعا ابني الحكم بن مروان بن زنباع ، وأمر أسيد بن حنائة الحكم ابن صروان بن زنباع العبسي . وقتل عصمة بن حذرة الرياحي سبعين رجلاً من بنى عبس - وقد كان العفاق بن الفلاق بن قيس خرج في طلب إبل له ، فترى بينى عبس ، فأخذه شريح وجابر ابنا وهب فقتلاه ، فنذر عصمة ألا يطعم خمراً ، ولا يأكل لحماً ، ولا يقرب امرأة ، ولا يفسل رأسه ، حتى يقتل به سبعين رجلاً من بنى عبس ، فقال لما قتلهم :

اللهُ قد أمكنني من عبسٍ صاغ شراي وشفتي نفسي
وكنتُ لا أقرب طهرٍ عرسي ولا أشدُّ بالوخافِ^(٢) رأسي
ولم أكن أشرب صفو الكأس

وقال سحيم بن وثيل :

واني ابنُ زنباع وفروة عقدنا وفيهم دماء الحى لما تُصرم

* بين عبس وربوع ، ويسمى يوم بنى جذيمة وذات الجرف أيضاً ، والصرايم : اسم موضع كما في معجم البلدان

القائض ص ٢٤٨ ، ٣٣٦ (طبع أوربة)

(١) الجرف : موضع في نواحي اليمامة (٢) الوخف : ضربك الحطى في الطشت بوخف ليختلط ، وتقول : أما عندك وخيف أغسل به رأسي ، والوخيف والوخيفة : ما أوخفت به ، وقال : أتاه بلبن مثل وخاف الرأس .

وفي هذا اليوم قال الحطيئة ، وقد كان في الجيش فهرب :

ما أدرى إذا لاقيتُ عمراً أكلني^(١) آلُ عميرٍ وأمِّ صحاحُ
لقد بلغوا الشفاء فأخبرونا بقتلى من تُقتلنا رباحُ
حوتنا منهم لما التقينا رماحُ في مراكزها رماحُ
وجرد في الأعنة ملجعاتُ خفاف الطرفي كلمها السلاحُ
إذا ثار الفبارُ خرجن منه كما خرجت من القدر^(٢) السراحُ
وما بادوا كبأ وهم^(٣) علينا يفضل دماهم حتى أراحوا

وفي هذا اليوم قال : شميث بن زنباع بن الحارث بن ربيعة الرياحي :

سائلُ بنا عبساً إذا ما لقيتها على أي حمة بالصرام ذلت
قتلتنا بصبراً شريماً^(٤) وجاراً وقد نهلت منها الرماحُ وعأت
جزينا بما أمت أسيدة حقيبة خويلة إذ آذنها فاستقلت
فأبلغ أبا مهران أن رءاحننا قعت وطراً من غالب وتلفت^(٥)
فدئى لرباح إذ تدارك ركضها ربيعة إذ كانت بها النملُ زلت
فطرنا بحجالي للصربخ ولا ترمي لنا نعماً من حيث يُفزع شلت^(٦)
وما كان دهرى إن فخرت بدولة من الدهر إلا حاجة النفس سلت

(١) كلب الرجل : عضه الكلب الكلب ، فأصابه مثل ذلك ، ورجل كلب من رجال كلبين ، وكلب من قوم كلبى (٢) القدر : الحجارة والشجر وكل ما وارك ، والسراح : جمع سرحان وهو الذئب ، قال الأزهرى : وأما السراح في جمع السرحان ، فغير محفوظ عندي
(٣) البأو : الكبر (٤) شريح وجابر : ابنا وهب ، وهما من بني عوذ بن غالب (٥) تلفت : يريد من التلوه وهو الزيادة ، وأبو مهران : عروة بن الورد العبسي (٦) شلت : يريد لا يهيمون بطرد إبلهم إذا فزعوا ولكنهم يقيمون ثقة منهم بأنفسهم والتلل والطرود. سواء .

٥ - يوم الرعام

أغار عَتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب في بني ثَمَلَةَ^(١) بن يربوع على طوائف من بني كلاب^(٢)؛ فطردوا^(٣) إبلهم ، وكان أنس بن عباس الأصم أخو بني رِغَل^(٤) مُجَاوِرًا في بني كلاب ، وكان بين بني ثَمَلَةَ بن يربوع ، وبين بني رِغَل عَهْدٌ أَلَا يُسْفِكُ دَمٌ ، وَلَا يُؤْكَلُ مَالٌ .

فلما سمع الكلابيون الدَّعْوَى يا آل ثَمَلَةَ ، يا آل عُيَيْد ، يا آل جَعْفَر ! عرفوهم ، فقالوا لأنس بن عباس : قد عرفت ما بين رِغَل وبين بني ثَمَلَةَ بن يربوع ، فأدركهم فأحبسهم عينا حتى نَلْحَقَ .

فخرج أنس في آثارهم حتى أدركهم ، فلما دنا منهم قال عَتَيْبَةُ لأخيه حنظلة ابن الحارث : أَعْنِ^(٥) عَنَّا هذا الفارس ؛ فاستقبله حنظلة فقال له أنس : إنما أنا أخوكم وَعَقِيدُكُمْ^(٦) ، وكنت في هؤلاء القوم ؛ فأغرثتم على إيلي فبا أغرثتم عليه ، فهي معكم .

فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر ، فقالوا : حياك الله ! هَلُمَّ فَوَالِ^(٧) إِبِلِكَ . قال : والله ما أعرفها ، وبنو أخي وأهل بيتي معنى ، وقد أمرتهم بالركوب في أثري ، وهم أعرف بها مني .

* لبني يربوع (من تميم) على كلاب (من قيس) . والرغام : اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة .
التفاض ص : ٤١ طبع أوربة

(١) بنو ثَمَلَةَ بن يربوع : حي في تميم (٢) بنو كلاب : حي في طامر (٣) يقال : طرد الإبل : إذا ضمها من نواحيها (٤) رعل : بطن في سليم ، وسليم فرع من قيس عيلان (٥) يقال : أَعْنِ عني شرك أي امصرفه وكفه ، ومنه قوله تعالى : « لن ينزوا عنك من الله شيئا » ، وفي حديث عثمان أن علياً رضي الله عنهما بث إليه بصحيفة فقال للرسول : أَعْنِها عنا ، امصرفها وكفها (٦) العقيد : المعاند (٧) اعزلها .

ثم جاء فوارس بنى كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث ، فقال أنس : إنا هم
 بنى وبنو أخى - وإنا كان يرئهم (١) لتلحق جماعة فوارس بنى كلاب - فلحقوا ،
 فحمل الحوثر بن قيس (٢) على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سلمة على الحوثر هو وابن
 مزنة فأسراه ، ودفعا إلى عتيبة فقتله صبأ (٣) ، وهزم الكلابيون .

ومضى بنو ثعلبة بالإبل ، وفيها إبل أنس بن عباس ، فلم تُقر أنسا نفسه حتى
 اتبهم رجاء أن يصيب منهم غرة وهم يسرون في سخواء (٤) .

ثم تخلف عتيبة في قضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه ، فاشعر إلا بأنس
 قد مر في آثارهم فتغفله عتيبة حتى وثب عليه فأسره وأتى به أصحابه ، فقال له
 بنو عبيد : قد عرفت أن لأم بن سلمة وابن مزنة قد أسرا الحوثر ؛ فدفعا إليك
 فضربت عنقه ، فأعتبهما منه أنس بن عباس ؛ فهو خير منه ، فأبى عتيبة أن يفعل
 ذلك ، حتى اقتدى أنس نفسه بمائتي بعير ، فقال العباس بن مرداس (٥) يعبر عتيبة
 أخذه أنسا وبينهم ما بينهم من الميثاق :

كثُر الضجَّاج (٦) وما مُنيتُ بفادِرٍ كعتيبة بن الحارث بن شهاب
 جَلَّتْ حنظلة (٧) الخانة والحنأ ودنيت آخر هذه الأختاب
 وأجرتم أنسا فا حاولتم ياسر جاركم بنى الميقاب (٨)
 ففخوا (٩) بأطراف الأنوف وأمهلوا عنكم قوادم صرمة الأعراب

(١) يرئهم : يبطئهم (٢) الحوثر بن قيس : من بنى كلاب (٣) يقال للرجل يقدم
 فيضرب عنقه : قتل صبأ (٤) السخواء : الأرض السهلة الواسعة (٥) العباس بن
 مرداس : من بنى سليم قوم أنس ، شاعر جاهلي وأدرك الإسلام ثم أسلم ، وهو أحد أغربة العرب
 وقد جملة ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء (٦) الضجَّاج : الصياح
 (٧) حنظلة : قوم عتيبة إذ هو من يربوع بن حنظلة (٨) الميقاب : التي تلد الحنق ، والوقب
 الأحق (٩) الفخ : أن ينام الرجل وينفخ في نومه ، وفق النائم ينفخ (بكسر الفاء)

قتال عتيبة :

غدرتُم غدرَةً وَغدرتُم أُخرى فليسَ إلى توافينا سَبيلُ
كَأنكم غداةَ بني كلابٍ تَفَاقَدْتُم^(١) على لَكم دَليلُ
وقال مالك بن نُويرة^(٢) لسا أبي عُتيبة أن يدفعَ إليهم أنسا ، يَمُنُّ عليه بدفع
بني عُبَيْدِ الحَوَثرَةَ إليه حتى قتله :

وَمَحْنُ نَأْرُنَا قَبْلَهَا بِابْنِ أُمِّهِ غَدَاةَ الكلابيينِ وَالخيلُ تَشْمَهُ
لِحَنَّا بِهِ صَبْرًا إِلَيْكَ تَقْوُدُهُ وَأَنْتَ ضَعيفُ الصَّوْتِ قَلْبِكَ يُرْعَدُ
قِيَادَ ذَيْلِهِ لَا يُنَازِعُ رَأْسَهُ وَقَانَا لَكَ اقْتَلَهُ وَقَدْ كُنْتَ تَبْلُدُ

(١) يقال تفاقد القوم ؛ أى فقد بعضهم بعضاً (٢) مالك بن نويرة : من ثعلبة بن يربوع
أحد الشعراء المخضرمين ، قتله خالد بن الوليد في حروب الردة .

٦ - يوم جِزَعِ ظِلَال

أغارَت بنو فزارة ، ورئيسهم عِيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُدَيْفَةَ بنِ بدرٍ ، ومعه مالك ابنِ حِمارِ الشَّمْحِيِّ متسانِدَيْنِ ؛ هذا من بني عدي بن فزارة ، وذلك من بني شَمْنَعِ بنِ فزارة^(١) ، على التَّيْمِ وعديّ وثورٍ أطلَحَ من بني عبد مناة^(٢) ، فَلَثُوا أيديهم غنائم وإبلا ونساء ، وأخذ يومئذ شريك بن مالك بن حُدَيْفَةَ أربعين امرأةً من التَّيْمِ وعُكْلَ فأطلقهن وردهن ، وأخذ خارِجَةُ بنِ حِصْنِ نفرًا من التَّيْمِ فأطلقهم بغير فِدَاءٍ .
فأذعت بعد ذلك بنو يربوع أن عَتَيْبَةَ بنَ الحارثِ بنِ شهابِ وبني يربوع أددوهم بحَقِيلِ^(٣) فاستنقذوهم^(٤)

ثم إنه ضَرَبَ الدهر من ضَرَبَانِهِ^(٥) ، فبلغ بني فزارة أن النعمان بن جساس التيمي وعوف بن عطية وسبيع بن الخطيم - وهم سادة التيم - وابن الخيط ، وهو سيد بني عديّ تيم^(٦) انطلقوا إلى بني سعد بن زيد مناة^(٧) وضَبَّةَ^(٨) يستمدُّونهم ،

● لفزارة (من قيس) على تيم . وجزع ظلال: موضع

معجم البلدان ص ٣٠٨ ج ٣ ، النفاض ص ٣٠٢ ، ١٠٦٧ (طبع أوربة)

(١) فزارة : حى في ذيبان ، وذيبان فرع من قيس عيلان (٢) يسمى بعض النساين هذه الأحياء بالرباب (٣) حَقِيلُ : واد في ديار بني عكْل (٤) في ذلك يقول جرير وهو يضر على التيم :

تداركنا عينة وابن شَمْنَعِ وقد مرا بهن على حَقِيلِ

فردوا المردقات بنات تيم ليربوع فوارس غير ميل

(٥) ضرب الدهر من ضربانه وضربه : مر من مروره وذهب بعضه (٦) عدي تيم :

حى في تيم (٧) بنو سعد : حى في تيم (٨) ضَبَّةُ : تنسب إلى ضَبَّةِ بنِ أدِ بنِ طابِجَةَ ابنِ الياس .

وَيَسْأَلُونَهُمُ النَّصْرَ ، فَرَكَبَتْ بَنُو فِزَارَةَ وَرَأْسُهُمْ أَيْضًا عَيْنَةَ بَنِي حِصْنٍ ، فَأَغَارُوا عَلَى التَّيْمِ ، فَقَتَلُوهُمْ قِتْلًا لَمْ يَقْتُلُوهُ أَحَدًا ، وَأَخَذُوا مِائَةَ امْرَأَةٍ مِنَ التَّيْمِ ، فَحَسَمْنَ عَيْنَةَ بَنِي بَدْرِ (١) ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا فَقَتَلُوهُمْ .

فَلَمَّا نَزَلُوا اشْتَرَتْ بَنُو فِزَارَةَ الْخَمْرَ لِيَشْرَبُوا ، فَقَالَ عَيْنَةُ : ابْعَثُوا بَنَاتِ تَيْمٍ فَلْيَنْتَقِنَنَّ زِقَاقَكُمْ . فَانْطَلَقَ نِسَاءُ تَيْمٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ يَنْقَلُونَ زِقَاقَ الْخَمْرِ إِلَيْهِمْ ، تَمَّ أَمْرُهُنَّ فَجَعَلْنَ يَمْزُحْنَ فِيشْرَبُونَ وَلَا يَسْقُونَ تَيْمًا مَحْقَرَةً لَهُمْ ، فَأَتَى كَذَلِكَ زَمَانٌ .

ثُمَّ إِذْ عَيْنَةُ سَأَلَتْ قَوْمَهُ أَنْ يَرُدُّوا بَنِي تَيْمٍ ففَعَلُوا ، فَرَدُّوا السَّبْيَ إِلَى تَيْمٍ ، وَأَطْلَقُوا الرِّجَالَ بِغَيْرِ فِدَاءٍ (٢) .

ثُمَّ إِذْ بَنِي مَرَّةٍ (٣) أَغَارُوا عَلَى التَّيْمِ وَرَبِيسُ بَنِي مَرَّةٍ يَوْمَئِذٍ سَنَانُ بْنُ سَنَانِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ، فَقَتَلُوا التَّيْمَ وَعَدِيًّا وَعُكْلًا ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا ، فَلَمْ يُنْقِضُوا مِنْهُمْ شَيْئًا وَاسْتَحْدَمُوهُمْ .

(١) بدر : قوم عينة (٢) فذلك قول جرير :

خدمن بني غيظ بن مرة بسدما

إذا ما اشتروا خمراً قتلهم زقاقهم

(٣) مرة : حتى في ذبيان

٧ - يوم المَرَوْتِ

كان من حديث هذا اليوم أن قَمَنْبَ بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع النقي هو وُبَجَيْر^(١) بن عبد الله العامري بمكاظ ، والناس متواقفون ، فقال بُجَيْرُ : يا قَمَنْبُ ما فعلتَ البيضاة فرسك ؟ قال : هي عندي . قال : فكيف شُكركَ لها ؟ قال : وما عَسَيْتُ أن أشكرها به ؟ قال : وكيف لا تشكرها وقد نجتك مني ! قال قَمَنْبُ : ومتى كان ذلك ؟ قال : حيث أقول :

لو أمكنتني من بِشَامَةِ^(٢) مُهَرَّتِي لَلَّاقِي كَمَا لَاقَتْ فَوَارِسُ قَمَنْبِ
تَمَطَّتْ^(٣) بِهِ الْبَيْضَاءُ بَعْدَ اخْتِلَاسِهِ عَلَى دَهَشٍ وَخِلْتِي لَمْ أُكْذِبْ

فأنكر ذلك قمنب، وتلاعنا وتداعيا أن يقتل الصادقُ منهما الكاذب ، ونذر قمنبُ أن لا يراه بعد هذا الموقفِ إلا قتلَه أو ماتَ دونه .

فضربَ الدهرُ من ضَرَبَانِهِ ، ثم إن بُجَيْراً أغار على بني العنبر يوم إزمِ الكَلْبَةِ^(٤) وهم خُلوْفٌ ؛ فأصاب منهم ناساً، وانفلتَ منهم مُنْقَلِتُونَ، وأتى الصريحُ بنِي حَنْظَلَةَ ، وبني عمرو بن تميم وبني العنبر فركبوا في أثرِ بُجَيْرِ ، وقد سارَ بِمَنْ أَخَذَ من بني العنبر فكان أولَ مَنْ لَحِقَ بنو عمرو بن تميم ، فقال بُجَيْرُ لأصحابه من بني عامر : انظروا ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلاً عارضةً رماحها على كواهل خيلها . قال : أولئكم بنو عمرو

* تميم على عامر (من قيس) والمروت : موضع في ديار بني تميم
ابن الأثير ص ٣٨٦ ج ١ ، النقاظ ص ٧٠ (طبع أوربة) ، بلوغ الأرب ص ١٠٨ ، مهجم البلدان (المروت)

(١) في النقاظ : بجير بفتح الباء وكسر الحاء ، وهذا الضبط عن اللسان - مادة نكد
(٢) بشامة : اسم رجل (٣) تمطت به : سارت سيراً مسدوداً (٤) موضع بين البصرة والحجاز .

ابن تميم، وليست بشيء . فلحقوا ببيجر وهو بالمرآت، فاقتتلوا شيئاً من قتال؛ ثم لحق بنو مالك بن حنظلة، فقال بيجر لأصحابه: انظروا ما ترون؟ قالوا: نرى خيلاً ناصيةً الرماح . قال: أولئك بنو مالك بن حنظلة، وليست بشيء . فلحقوا وقتلوا شيئاً من قتال، ثم لحقت خيل شَمَاطِيط^(١)، فقال بيجر: ما ترون؟ قالوا: نرى خيلاً شَمَاطِيط ليس معها رماح وكأَنَّما عليها الصبيان . قال: أولئك بنو يربوع، ما حُهم عند آذان الخيل، إياكم والموت الزؤام! فاصبروا، وما قوتلتم منذ اليوم إلا الساعة .

فكان أول من لحق من بني يربوع تميم^(٢) بن عتاب، فظمن الثام بن قرط أخا بني قشير فصرعه وأمره، ثم لحق قعنب بن عصمة بيجر فظمنه فأرناه عن فرسه، فوثب عليه كدّام بن بجيلة^(٣) المازني، فأبصره قعنب بن عتاب، وهو في يد كدّام فحمل عليه، فأراد كدّام منعه، فقال قعنب: ماز^(٤) رأسك والسيف! فخلّى عنه كدّام، فضربه قعنب بن عتاب فأطار رأسه، وانهزم بنو عامر . واستنفذت بنو يربوع أموال بني المنبر وسيبهم من بني عامر وعادوا .

(١) متفرقة أرسالا (٢) كان يسمى الواقعة لبيته (٣) في القائض: بن نخيلة بالنون والحاء (٤) أي يمازني رأسك والسيف . قال في اللسان: ولم يكن اسماً مازناً وإنما كان اسمه كداماً، وإنما سماه مازناً لأنه من بني مازن، وقد تفعل العرب مثل هذا في بعض المواضع .

المشام
عفا الله عنه

٩- أيام ضبّة وغيرهم

١- يوم النسار

٢- = الشقيقة

٣- = بزاخة

٤- = دارة مأسل

٥- = النقيعة

١- يَوْمُ النَّسَارِ

أَجْدَبَتْ أَرْضُ مُضَرَ وَأُخْصِبَتْ بِلَادُ بَنِي سَعْدِ ^(١) وَالرَّبَابِ ^(٢) وَجَادَهَا الْغَيْثُ ؛
فلما وقع ذلك الغيثُ أقبلتُ عامرُ بنُ صعصعة ومن معهم من هوازن إلى بني سعد ،
وكانوا يواصلونهم بالنسب ؛ فسألوهم أن يُرْعَوْهم ومن معهم من هوازن ،
ففعّلوا .

فلما اجتمعت بنو سعد والرَّبَابِ وهوازن ومن معها قال بعضهم لبعض : إنه
ما اجتمعَ مثلَ عِدَّتِنَا قطًّا إِلَّا كانتَ بينهمُ أحوادثٌ ؛ فليضمَّن رجلٌ من هوازن
ما كان فيهم ، وليضمَّن رجلٌ من سعد والرَّبَابِ ما كان فيهم ؛ فكان الضامن لِمَا
كان في سعد والرَّبَابِ الأهمم ^(٣) ، وكان الضامن على هوازن قُرَّةُ بنُ هُبَيْرَةَ بنِ عامرِ
ابنِ صعصعة ؛ فرعوا ذلك الغيثَ ما شاء الله .

ثم إن رجلا من بني ضبة يقال له الحننفة أغار على خيلِ مالكِ ذي الرقبة بن
سلمة بن قشير ^(٤) ، فاستودعها رجلا من بني أسد بن خزيمه يقال له خالد بن عمرو ،
وكان غيبها قبل ذلك عند عوف بن عطية التيمي ^(٥) .

* لضبة وتيم على بني عامر . والنسار: جبال صغار ، وقال بعضهم : هو ماء لبني عامر
ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ ، المقدم الفريد ص ٣٦٦ ج ٣ ، القناص ص ٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤
(طبع أوربة) ، شرح الفضليات صفحة ٣٦٤

(١) بنو سعد أحياء في تميم (٢) الرباب: أحياء ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس ؛ سموا
كذلك لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتقاذوا (الفاموس) (٣) الأهمم : اسمه سنان بن
سبي بن خالد ، وهو من بني سعد بن زيد بن مناة بن عمرو بن تميم ، وقف خلاف بينه وبين
قيس بن هاشم المقرئ يوم الكلاب الثاني ، فرفع قس قوسه فمضرب فم الأهمم بها ، فهتم
أسنانه ، فسمى بالأهمم من يومئذ (٤) من بني قشير ، وقشير : بطن في بني عامر ، ومالك
هذا هو الذي أسر حاجب بن زرارة يوم شعب جيلة (٥) من ضبة .

فلما فقد مالك ذو الرُقَيْبَةِ خَيْلَهُ أَقْبَلَ هُوَ وَقُرَّةُ بِنُ هُبَيْرَةَ إِلَى الْأَهَمِّ فَقَالَا :
 ضَمَانِكَ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : عُدِي عَلَى خَيْلِنَا فَذُهِبَ بِهَا . فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ
 مَنْ أَخَذَهَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَاطْلُبُوا وَاسْأَلُوا وَاطْلُبْ وَنَسْأَلْ ، فَإِنْ يَكُنْ أَصَابَهَا
 رَجُلٌ مِنْ سَعْدِ وَالرَّبَابِ فَأَنَا لَهَا ضَامِنٌ حَتَّى أُرَدَّهَا .

وطلبوا وسألوا فذكر لهم رجلٌ أنها رُئيت عند عوف بن عطية التيمي ، فسأله
 فأنكر أن يكون رآها أو علم منها علماً ، وسأل الأهم فوجدها قد كانت عنده ،
 فاحتبس إبلَ عوف حتى أرضى ذا الرُقَيْبَةَ من خَيْلِهِ ، وأخذ منه شرواًها^(١)
 فانطلق عوف إلى الحنَظف فأخبره الخبر ، فردَّ عليه عِدَّةً مَا أَخَذَ مِنْهُ ، ورغب الحنَظف
 في الخيل فأمسكها ، فقال عوف بن عطية في ذلك :

يَاقُرُّ يَا بَنَ هُبَيْرَةَ بِنَ قُشَيْرٍ يَاسَيِّدَ السَّلَامَاتِ إِنَّكَ تَظَلُمُ
 يَاقُرُّ إِنْ تَشَعْرُ فَإِنِّي شَاعِرٌ أَوْ إِنْ تُكَارِمْنِي فَفَيْرُكَ أَكْرَمُ
 هَلْ أَغْرَمَنَّ لِمَاصِيٍّ مِنْ عَامِرٍ وَلَمْ أَلَا قِيْعِمُ وَلَمْ أَتَكَلَّمْ
 أَوْ أَغْرَمَنَّ لِيذِي الرُّقَيْبَةِ خَيْلَهُ إِنْ كَانَ دَلَّهْمُ عَلَى الْأَهَمِّ

ثم أظهر الحنَظف الخيل ؛ فبينما هو يوردها غديراً يسقيها إذ لقيه رجلٌ من
 بني قُشَيْرٍ فَنَازَعَهُ فِيهَا ؛ فَضْرَبَ الْقُشَيْرِيُّ الْحَنْظَفَ عَلَى سَاعِدِهِ وَضْرَبَهُ الْحَنْظَفُ فَقَتَلَهُ
 وَوَقَعَ الشَّرُّ ؛ وَجَاءَتْ بَنُو عَامِرٍ^(٢) إِلَى بَنِي سَعْدِ فَقَالُوا : نَحْنُ إِخْوَتُكُمْ فِي جَوَالِكُمْ ،
 وَقَدْ فُعِلَ بِنَا مَا تَرُونَ ، فَخَذُوا لَنَا بِحَقِّنَا . فَكَلَّمُوا بَنِي ضَبَّةَ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا أَقْبَلَ
 رَجُلَانِ فَأَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَمَاتَ صَاحِبُهُمْ وَخَطِيءٌ عَنْ صَاحِبِنَا ، فَنَحْنُ
 نَعْطِيهِمُ الدِّيَةَ .

(١) شروى الصبيء : مثله (٢) قوم القشيري المتول .

فأبى المأمريون أن يقبلوا الدية ، وقالوا : تقتلُ يصاحِبنا ، فأبت بنو ضبة ،
 ووقعت الحربُ ، وغضبت بنو سمد فاجتمعوا مع بني عامر ، وتواعدوا أن يلتقوا بالنسار ،
 واستمدوا بني أسدٍ فأمدوهم ؛ فالتقوا بالنسار فاقتلوا ، فصبرت عامر واستحرق بهم
 الشر ، وانفضت بنو سمد فوالت (١) لم يُصب منهم كبير . أما بنو عامر فهزموها
 وقتلوا وسبوا ؛ فقتل شريح بن مالك القشيري رأسُ بني عامر ، وصارت سلمى
 بنت الملق لمروة بن خالد بن نضلة ، وصارت العنقاء بنت همام من بني أبي بكر بن
 كلاب لزياد بن زبير الأسدي ، وصارت أم خازم بنت كلاب لأرطاة بن مُنقذ
 الأسدي ، ورملة بنت صبيح للحارث بن جزء الأسدي ، وهند بنت وقاص لقيس
 ابن عبد الله الفقمي ، وأمامة بنت المداء لأسامة بن نير الوالبي ، فقالت سلمى
 بنت الملق تميم مالك بن كعب بفرته والطفيل :

لَحَى الْإِلَهُ أَبَا لَيْلَى بِفَرَّتِهِ يَوْمَ النَّسَارِ وَقُبَّ الْعَيْرِ جَوَابًا (٢)
 كَيْفَ الْفَخَارُ وَقَدْ كَانَتْ بِمَعْرَكِهِ يَوْمَ النَّسَارِ بَنُو ذُبْيَانَ أَرْبَابًا
 لَمْ تَنْمُوا الْقَوْمَ إِذْ شَلُّوا سِوَاكُمْ وَلَا النِّسَاءَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحْزَابًا

فبمته بنو كلاب إلى القوم فشاطروهم سبيهم ، فقالت الفارعة بنت معاوية من
 بني قشير تميم كلابًا بمشاطرتهم الأحاليف سباباهم يومئذ :

مَنَا فَوَارِسُ قَاتَلُوا عَنْ سَبِيهِمْ يَوْمَ النَّسَارِ وَلَيْسَ أَمْنَا أَشْطَرُ
 وَلَبِئْسَ مَانَصْرَ الْمَشِيرَةَ ذُو لَحَى (٣) وَحَفِيفٌ نَا فِجَعَةَ بَلِيلٍ مُسْهِرٍ (٤)

(١) هربت ، وفي القائض : فأنضت بنو تميم (٢) جواب : لقب مالك بن كعب ؛ لأنه كان يجوب
 الآبار يجرها ويخذها لنفسه (٣) ذو لحي : أي ذو الحية بن عامر بن عوف بن أبي بكر بن
 كلاب ، ونسجت الريح إذا جاءت بهوة (٤) مسهر بن هبديس بن ربيعة بن أبي بكر بن كلاب .

زَعَمَتْ بَرُوحٌ^(١) بِنِي كِلَابٍ أَنَّهُمْ مَنَّمُوا النِّسَاءَ وَأَنَّ كَمَا أُدْبِرُوا
 كَذَبَتْ بَرُوحٌ بِنِي كِلَابٍ لَهَا تَمَشِي الضَّرَاءَ^(٢) وَبِوَلِهَا يَتَقَطَّرُ
 حَاتِي بِنِي الْجَنُونِ إِنْ أَبَاهُمْ صَاتٌ^(٣) إِذَا سَطَعَ النَّبَارُ الْأَكْدَرُ
 لَوْلَا بِنْتُ بَنِي الْحَرِيثِ تَقَسَّمَتْ سَبَى الْقَبَائِلِ مَازَنٌ وَالْمَنْبَرُ

(١) البروخ: التي تدخل ظهرها وتخرج بطنها (٢) الضراء: ما سترك وواراك
 (٣) صات: له صوت في الناس وذكر، والصيت: الشديد الصوت، وفي رواية: لولا بنو نبت،
 ويلة بنت الحريش، وبنوها بنو خويلد بن ثعلبة، وبنو الجنون: من بني أبي بكر.

٢- يَوْمُ الشَّقِيَّةِ

قال إسحاق بن قيس سيّد بن شيبان^(١) لأمّه ليلي بنت الأحوص : إني قد أخذتُك من كلِّ حيٍّ أمةً ، ولستُ منهنَّياً حتى أخذتُك أمةً من بني ضَبَّةَ^(٢) ، فقالت له أمّه : يا بني لا تفعل ؛ فإن بني ضَبَّةَ حيٌّ لا يَسْلَمُ ولا يَنْفَمُ منهم من غَزَامِ :

ولكنه خرج لغزّوم ، ومعه رجلٌ يزجر الطير من بني أسد بن خزيمه يُسمّى قعيداً .

فلما دنا من نَقَا^(٣) يقال له نَقَا الحَسَنُ في بلاد بني ضَبَّةَ صَعِدَهُ ليربأ^(٤) ، فإذا هو بنعمٍ قد ملأ الأرض فيه ألفُ بغير لِمَالِكِ بنِ المُنْتَفِقِ الضَّبِّيِّ قد نَقَا عينَ خَلْها - وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية إذا بَلَفَتْ إبلُ أحدهم ألفَ بغير ، نَقَا عينَ أجدها ليردَّ عنها الحسد - وإبلُ من تبعه وجميعها إبلُ مُرْتَبِعَةٍ ، ومالك بن المُنْتَفِقِ على فرسٍ له جواد .

فلما أشرف على النقا تخوّف أن يروّه فيتذروا^(٥) به ، فاضطجع بطنه لظهره ،

* لضبة على شيبان . والشقيقة : كل جمد بين جبلي رمل ، وقيل الشقيقة : فرجة في الرمال تلبث العشب ، وهو يسمّى أيضاً نقا الحسن ، والحسن اسم رمل يعينه

التفائض ص ١٩٠ ، ٢٣٣ طبع أوربة ، المقد الفريد ص ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ معجم البلدان . (مادة حسن) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص ٥٢ ج ٣

(١) شيبان : بطن في بكر (٢) ضبة : حي في مضر (٣) النقا : القطعة من الرمل المحدودة (٤) يقال : ربأهم وربأ لهم ؛ صار ربيثة لهم ، أى طليعة (٥) ينثرون : يعلمون .

وانحدر حتى أسهل بمستوى من الأرض ، وقال: يا بني شيبان؛ لم أراك اليوم في الغزاة
وكثر النعم .

فلما نظر نقيد الأسدى إلى لحيته بسطام مُعفّرة بالتراب حين أسهل تطير له ،
وقال :

والذى يُحلف به ؛ لئن صدق طائرُك لتعفرنكُ بنو ضبّة اليومَ بالتراب ،
فأطمني وانصرف .

فقال له بسطام : أأرجع وقد بلغتُ غايى وأشرفتُ على الغنيمة ! فقال الأسدى:
إنى لستُ لك بصاحب ، وأنا منصرف عنك وتاركك ، ثم أخذته رعدة تهيباً لفراقه ،
وقال له : ارجع يا أبا الصهباء ؛ فإنى أخوف عليك القتل ، فمصاه ، وركب نقيد
الطريق وفارقه .

وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الإبل وطردوها ، وفيها فحل لملك يقال له
أبو شاغر - وكان أعمى - ونجا مالك بن المنتفق على فرسه إلى قومه من ضبّة ،
واستصرخهم قائلاً : يا صباهاه (١) ! فأجابوه ، ثم عاد ومعه فوارس منهم أدركوا القوم
وهم يطردون النعم ، فحمل فحله أبو شاغر يشد من النعم ليرجع ، وتبعه الإبل ، فكلاما
تبعته ناقة عقرها بسطام . فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال : ماذا السفه
يا بسطام ! لا تعقرها لا أبالك ! فإما لنا وإمّا لك .

ثم إن رجلا من بني ثعلبة يقال له أرطاة بن ربيعة لحق بنى ضبّة ومعه قوسه
وأسهمه وقال : يا بنى ضبّة ؛ أبى أنتم وأمى ! مرونى بأمركم وما تريدون أن أصنع ،

(١) يا صباهاه : كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للفارسة ؛ لأنهم أكثر ما يفيرون عند الصباح ،
ويسمون يوم الفارسة يوم الصباح ؛ فكان القائل : يا صباهاه ! يقول : قد غشينا العدو (لسان
العرب - مادة صبح) .

قَالُوا: عَلَيْكَ بِرَأْوِيَةِ^(١) الْقَوْمِ فَإِنَّمَا هِيَ أَنْفُسُهُمْ، وَقَدْ اشْتَدَّ الْحَرُّ - وَكَانُوا قَدْ تَجَمَّعُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنْ مَاءٍ عَلَى جَمَلٍ لَهُمْ - فَأَهْوَى أَرطَاةَ الْجَمَلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَاءُ بِسَنَمِهِمْ ، فَوَضَعَهُ فِي سَالِفَتِهِ^(٢) فَفَطَّعَ نَخَاعَ الْجَمَلِ ، فَتَجَمَّبَ^(٣) الْجَمَلُ عَلَى جِرَانِهِ^(٤) ، وَاتَّقَدَّتْ الْمَزَادَاتَانِ اللَّتَانِ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ بَسْطَامٍ مِنْ شَيْئَانِ أَنَّ الْمَاءَ قَدْ هُرِيقَ سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَاسْتَأْسَرُوا ثُمَّ أَلْفَوْا السَّلَاحَ .

وَكَانَ عَاصِمُ بْنُ خَلِيفَةَ الصَّبَّاحِيِّ أَحَدَ بَنِي ضَبَّةَ رَجُلًا طَرُفَةً^(٥) ، وَكَانَ يَصْنَعُ حَدِيدَةً لَهُ قَبْلَ الْغَزْوِ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَا تَصْنَعُ بِهَا يَا عَاصِمُ ؟ فَيَقُولُ : أَقْتُلُ بِهَا بَسْطَامًا ، فَيَهْزُونَ مِنْهُ . فَلَمَّا جَاءَ الصَّرِيخُ بِبَنِي ضَبَّةَ أُسْرَجَ أَبُو عَاصِمٍ فَرَسَهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَشُدُّ أَرْزَارَ الدَّرْعِ عَلَيْهِ ، فَبَادَرَهُ ابْنُهُ عَاصِمٌ وَرَكِبَ فَرَسَ أَبِيهِ فَنَادَاهُ أَبُوهُ مَرَارًا ، فَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يُجِيبُهُ ، وَسَارَ حَتَّى لَحِقَ الْفَرَسَانَ ، ثُمَّ سَأَلَ رَجُلًا مِنْ فَرَسَانَ بَنِي ضَبَّةَ : أَيُّهُمْ الرَّئِيسُ ؟ بِأَبِي أَنْتَ ؟ فَقَالَ : حَامِيَتُهُمْ صَاحِبُ الْفَرَسِ الْأَدَمِ - وَكَانَ بَسْطَامٌ يَحْمِي قَوْمَهُ فِي أَخْرِيَاتِ النَّاسِ عَلَى فَرَسٍ يُقَالُ لَهُ الرَّعْفَرَانُ - فَمَارَضَهُ عَاصِمٌ حَتَّى حَاذَاهُ ، ثُمَّ جَمَلَ عَلَيْهِ فَطَمَنَهُ بِالرَّمْحِ فِي صَاحِخِ أُذُنِهِ ، وَأَنْفَذَ الطَّعْنََةَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ ، وَهُوَ مُتَمَجِّجٌ بِمَلَاةِ صَفْرَاءَ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ عَاصِمٌ لِيَسْلُبَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَسْطَامٌ : إِنَّكَ قَدْ أَحْرَزْتَ سَلْبِي فَعَمَلِيكَ غَيْرِي . ثُمَّ وَقَعَ رَأْسُهُ عَلَى الْأَمَةِ^(٦) مِنْ شَجَرِ الرَّمْلِ فَاتَ .

فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ بَنُو شَيْبَانَ خَلَوْا سَبِيلَ التَّعَمِّ ، وَوَلَّوْا الْأَدْيَارَ ، فَفَنَ قَتِيلٌ وَأَسِيرٌ .



(١) الرَّأْوِيَةُ : الْمَزَادَةُ فِيهَا الْمَاءُ ، وَالْبَعِيرُ وَالْبَنَلُ وَالْحِمَارُ يَسْتَقِي عَلَيْهِ (٢) السَّالِفَةُ : مَا تَمُتُّهُ مِنْ الْعَنْقِ (٣) تَجَمَّبَ : انْقَلَبَ (٤) جِرَانُ الْبَعِيرِ : مَقْدَمُ عُنُقِهِ مِنْ مَذْبُجِهِ إِلَى مَنْعَرِهِ (٥) طَرُفَةُ : أَحْمَقُ (٦) الْأَمَةُ : شَجَرٌ مَرٌّ .

وكان عبدُ الله بن عَمَّة الضبي مُنقطعاً إلى بني شيبان بمودته، لأنهم كانوا أخواله
وكان يُغزُّو معهم المغازي ، فلما مات بسطام خاف أن يُقتل، فقال يرثيه :
لَأَمَّ الْأَرْضِ زَيْلٌ ، مَا أَجَنَّتْ ؟ بِحَيْثُ أَضَرَ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ^(١)
يُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ^(٢)
أَجِدْكَ لِن تَرِيهِ وَلِن نَرَاهُ تَخُبُّ بِهِ عُدَا فِرَّةٌ ذُمُولُ^(٣)
حَقِيبَةٌ رَحَلَهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تَعَارِضُهَا مُرَبِّبَةٌ دَوْلُ^(٤)
إِلَى مِيعَادِ أَرْضِنَ مُكْفَهَرٌ نُضَمَّرُ فِي جَوَانِيهِ الْخِيُولُ^(٥)
لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُعُولُ^(٦)
أَفَاتَهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرِو وَلَا بُو فِي بِيَسْطَامِ قَتِيلُ^(٧)

(١) ما : استفهامية ، وأجنت : سرت ، أضر : دنا ، والحسن : جبل رمل . والمعنى : ويل
للأرض كيف سرت رجلاً عظيماً بمكان قرب فيه الطريق من الجبل المسمى الحسن
(٢) أبا الصباء : كنية بسطام ، والأصيل : العنبة ، وهو وقت الأضياف (٣) أجدك :
أجد منك ، وتخب : تمسح ، والمذافة : الغليظة ، والذمول : السريسة ، والنق الأول
رؤيته في السلم ، والثاني لرؤيته في الحرب (٤) الحقيبة : ما يجمل وراء الرجل ، والبدن :
الدرع ، والمرية : السمينة ، والدول : من الدولان ، وهو نوع من السير . والمعنى : وراء رجل
هذه الناقة درع وسرج ، تعارضها ناقة صمينة (٥) الأرهن : الجيش الكفيف لأنه أنف
في الجبل ، والمكفهر : الكربة النظر ، وتضمر : تلف القوت القليل بمد السن ، والمعنى سير
الناقة به إلى مياد جيش كفيف (٦) المربع : ربع الفئسة ، وكان الرئيس يأخذها حقاً له عند
الغزو ، والصفايا : جمع صفية ، وهي أشياء كان يعطفها الرئيس لنفسه من خيار ما ينعم ، والنشيطه :
ما أسابه الجيش في طريقه من قبل أن يصل إلى مقصده ، والتضول : ما فضل ولم ينقسم ، والمعنى أن
المفقود كانت له إمارة تسوخ له مالا تسوخ لغيره (٧) أفات : متعد إلى مفعولين ، واحدهما
مخوف ، كأنه قال : أفات الناس بنو زيد بن عمرو بسطاماً ، أي الانتفاع به ، وكانهم ضيموا
دمه ولا يوفى بدمه دم قتيل .

وخرَّ على الألاءِ لَمْ يُوسِدْ كَانَ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ^(١)
فإن تجزع عليه بنو آبيه فقد فجموا وفاتهم جليلٌ
يعطّام إذا الأشوال^(٢) راحت إلى الحجرات ليس لها فصيلٌ



وقالت شَمَعْلَة بنت الأَخضر بن هبيرة :

ويومَ شقيقة الحسنين^(٣) لآتت بنو شيان آجالاً قصّارا
شكنا بالأسنة وهي زور^(٤) صمّأخي كبشيم حتى استدارا
وأوجرناه^(٥) أسمرَ ذا كموب يشبهُ طولُه مسداً^(٦) مفاراً
فخرٌ على الألاءِ لم يُوسِدْ وقد كان الدماه له رخاراً

وقال مُحَرِّز بن المَكْتَمِب الضبّي ، يفخر بفعل بني ضبة :

أطلقتُ من شيبانَ سبعينَ عارياً فأبوا جميعاً كلُّهم ليس يشكُرُ
إذا كنتَ في أفناءِ شيانٍ مُنمما فجزُّ اللّحي إن النواصي تُكفرُ
فمَلَّ نَمَا أن تُغَيِّرَ عليكم بجيشٍ وَعَلَى أن أُغَيِّرَ فأقدِرُ
فلا شكركمُ أبني إذا كنتُ مُنمما ولا ودُّكم في آخرِ الدهرِ أضيرُ

(١) الألاءة : شجرة ، وشبه بينه لصفاته وانحسار الشعر عنه بسيف مصقول ، أي لم يكن أغم ،
والفم عندم مذموم (٢) الأشوال : الشول من النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها ، وآق
عليها سبعة أشهر من يوم تاجها أو ثمانية فلم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن : أي بقية مقدار
ثلاث ما كانت تحلب حدثان تاجها ، واحدها شائلة والأشوال جمع الجمع (٣) الحسنان : تقوان
من رمل بني سعد ، وهذه رواية اللسان ، ورواية النقائض : ويوم شقائق الحسين (٤) رواية
النقائض : * شكنا بالرمح وعن زور * وهي زور : يعني الخيل ، وزور : جمع
أزور من الزور ، وهو الميل (٥) أوجره الرمح : طعنه به في فيه (٦) مسدا مفاراً :
حبالاً شديد القتل .

وقالت أم بسطام :

لُبَيْكُ ابْنِ ذِي الْجَدَيْنِ بَكْرِيْنِ وَائِلِ
إِذَا مَا غَدَا فِيهِمْ غَدَاوَا وَكَأَنَّهُمْ
فَلَهُ عَيْنَا مِنْ رَأَى مِثْلَهُ فَنَى
عَزِيْزُ الْمِكْرَى لَا يُهْدَى جَنَاحَهُ
وَحَمَالُ أَنْتَقَالَ وَعَانِدُ مُجْجِرٍ (١)
سَيْبِكِيكَ عَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَفُكُّهُ
وَتَبِكِيكَ أَسْرَى طَالَمَا قَدْ فَكَّكَتَهُمْ
مَفْرَجَ حَوَامَاتِ الْخَطُوبِ وَمَدْرَكَ الـ

فقد بان منها زينها وجمالها
نجوم سماء بينهن هلالها
إذا الخيل يوم الرقع هب نزالها
وليت إذا الفتيان زلت نعالها
تحمل إليه كل ذاك رحالها
ويبيك فرسان الوغى ورجالها
وأرملة ضاعت وضاع عيالها
حروب إذا صالت وعز سيالها

(١) الجمر : الضطر اللبأ .

٣- يوم بزاخة

أغار مُحَرِّقُ النَّسَائِي ، وأخوه في إِيَادٍ^(١) وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضَبَّةَ بنِ أَدِّ بْنِ زَاخَةَ ، فاستاقوا النَّعَمَ ، فأتى الصريحُ بنُ ضَبَّةَ فركبوا فأدركوه ، واقتتلوا قتالاً شديداً ؛ ثم إن زيدا الفوارس حمل على مُحَرِّقٍ فاعتنقه وأسره ، وأمسروا أخاه^(٢) جُبَيْشَ بنَ دَلْفِ السَّيْدِيِّ ، فقتلتهما بنو ضَبَّةَ ، وهُزِمَ القَوْمُ ، وأصيب منهم ناسٌ كثيرٌ ، فقال في ذلك ابنُ القَائِفِ أخو بني ثعلبة ، ثم أحد بني ماموية بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضَبَّةَ :

نَعَمَ الفوارسُ يومَ جُبَيْشِ مُحَرِّقِ لِحَقُوا وَهُمْ يَدْعُونَ بِآلِ ضِرَارِ
زِيدُ الفوارسِ كَرًّا وَابْنًا مُنْذِرِ وَالخَيْلُ أَوْجَعَهَا^(٣) بنو جَبَّارِ
حَتَّى سَمَوْا لِ مُحَرِّقِ بِرِمَاحِهِمْ بِالطَّمَنِ بَيْنَ كِتَابِ وَغُبَارِ



يَوْمِي بَغْرَةً كَامِلَةً وَبَنَحْرِهِ خَطَرَ النَّفُوسِ وَأَمَى حِينَ خِطَارِ
لَمَّا رَأَوْا يَوْمًا شَدِيدًا بِأَسْهُ كِرَةَ الحَيَاةِ وَشُقَّةَ الأَسْفَارِ
وَكَانَ زَيْدًا زَيْدَ آلِ ضِرَارِ لَيْتَ بِكَفِيهِ النَّمِيَةَ ضَارِ

● لُصْبَةُ طَلِي إِيَادٍ ، وَبِزَاخَةَ : مَا

النَّفَائِضُ ص ١٩٥ طَبْعُ أَوْرَبِيَّةِ

(١) إياد: شعب عدنان ، أبوهم إياد بن معد بن عدنان ، وليست لهم قبائل مشهورة

(٢) كان يقال لأخي محرق فارس مردود (٣) أوجف داجه : إذا حشا .

وَكأْتِ أَنَارَ الْفَرِيبِ عَلَيْهِمُ وَمَكْرَهُ يَوْمًا مُطَافُ دُؤَارِ
جَمَلُوا لِمَافِي الطَّيْرِ مِنْهُمْ وَقَمَّةً صَرَغَى تَضَوَّرُ فِي قَنَّا أُكْسَارِ
وَلَمَّزْ حَدِّكَ مَا الرِّقَادِ بِطَائِشِ رَعِشَ بَدِيهَتِهِ وَلَا عَوَارِ (١)
لَوْلَا فَوَارِسُهُنَّ قِظْنُ عَوَاطِلَا فِي غَيْرِ مَا نَسَبِ وَلَا إِصْبَارِ

(١) العوار : الضعيف الجبان السريع القرار .

٤- بيوم دارة مأسل

غزا عتبة بن شُتير بن خالد الكلابي بني ضبة ، فاستاقَ نَمَمهم ، وقتلَ حصنَ ابنِ ضرار الضبي زيد^(١) الفوارس - وكان يومئذ حدثاً لم يُذكر .

فجمع أبوه ضرار قومه ، وخرج نائراً على بني عمرو بن كلاب ، فأقلت منه عتبة ابن شُتير ، وأسر أباه شُتير^(٢) بن خالد - وكان شيخاً كبيراً - فأنى به قومه وقال : يا شُتير ؛ اخترْ واحدةً من ثلاث ، قال : اعرضها عليّ ، قال : إما أن تردّ ابني حصيناً قال : فإني لا أنشرُ الموتى ، قال : وإما أن تدفع لي ابنيك عتبة أقتله به ، قال : لا ترَضِي بذلك بنو عامر أن يدفعوا فارسهم شاباً مقتبلاً بشيخِ أعمور ، هامة^(٣) اليوم أو غد . قال : وإما أن أقتلك ، قال : أما هذه فنعم . فأمر ضرارُ ابنته أذهم أن يقتله ، فلما قدّمه ليضرب عنقه ، نادى شُتير : يا آل عامر ؛ صبراً^(٤) بصبيّ . كأنه أرفَ أن يُقتل بصبي .

فقال في ذلك شملة :

وخيرنا شُتيراً من ثلاثٍ وما كان الثلاث له خياراً
جمعت السيف بين الليتِ منه^(٥) وبين قُصاصٍ لمتهِ عذاراً^(٦)

* لضية على بني عامر ، ودارة مأسل : ماء لعقيل

العقد الفريد ص ٣٣٠ ج ٣ ، معجم البلدان (مادة دارة مأسل) .

(١) زيد الفوارس : شاعر جاهلي ، وكان فارساً رئيساً على قومه ، شهد يوم القرين ، ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه ، وزيد الفوارس كان فارسهم ، ولنا قيل : زيد الفوارس

(٢) في اللسان : شتير بن خالد : رجل من أعلام العرب كان شريفاً قال :

أواب لا فانه شتير بن خالد عن الجهل لا يفررك بأنام

(٣) يقال : فلان هامة اليوم أو غد ؛ إذا أشرف على الموت (٤) أي أقتل صبراً بصبي

(٥) الليت بالكسر : صفح المنق (٦) وفي ذلك يقول عمرو بن لجأ :

لا تهج ضبة يا جريز فلأنهم قتلوا من الرؤساء ما لم يقتل
قتلوا شعياً بابن عمول وابنه وابني هشيم يوم دارة مأسل

٥- يَوْمُ النَّقِيعَةِ

كان المُتَلِّمُ بنُ المشَخَّرَةِ المائذِي الضَّبِّي (١) مجاوراً لبني عبس، فتقامر (٢) هو وعمارَة ابن زياد المبسي بالفداح (٣)، فقمره (٤) عمارَة، حتى حصل عليه عشرة بكار (٥)، فقال له المُتَلِّمُ: هلمَّ أزيدك في الفارعة حتى تزيدَ عليّ، أو أخطأ بمضَ ما عليّ! فقال له عمارَة: ما أنا بفاعلٍ؛ ما أريدُ أن أزيدَ عليك، وقد عجزتَ، وما أريدُ أن أخطأ عنك شيئاً قد ركبتهُ عليك.

فقال له المُتَلِّمُ: خلّ عنّي حتى آتَى قومي فأبثَ إليك بالذي لك عليّ؛ فأبى عمارَة إلا أن يرتهنه. فرهنه ابنه شريحان، وخرج حتى أتى قومه، فأخذ البكار فأتى بها عمارَة، وافتكَّ ابنه.

فلما انطلق بابنه قال له في الطريق: يا أبتاه؛ منْ مِمضال؟ قال: ذلك رجلٌ من بني عمك ذهب فلم يوجد إلى الساعة، ولم يحسس له أثر. قال شريحان: فأبى قد عرفتُ قاتله. قال أبوه: ومنْ هو؟ قال: هو عمارَة بن زياد المبسي،

* لضبة على عبس، والنقبة: أرض تنبت الشجر، بين بلاط سليط وبين ضبة. وهسي هنا اليوم أيضاً يوم أعيار.

الفرائض من ١٩٣ طبع أوربة، ابن الأثير من ٣٩٤ ج

(١) من ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مدركة

(٢) تقامر: تراهن

(٣) الفداح: جمع فدح وهو ما كان يلعب به الميسر

(٤) قمره: خلبه

(٥) البكار: جمع بكرة، وهي النقية من الإبل.

سميته يحدث القوم يوماً - وقد أخذ فيه الشراب - أنه قتله ثم لم يكن له
ناشد .

ولبثوا بعد ذلك حيناً ، وشبَّ شرحاف ؛ ثم إنَّ عُمارَةَ بن زياد جمع جمعاً
عظيماً من بني عبس ، فأغار بهم على بني ضبَّة ، فأطردوا إبلهم ، وركبت عليهم
بنو ضبَّة ، فأدركوهم في المرعى ؛ فلما نظر شرحاف إلى عُمارَةَ قال : يا عمارَةَ ؛
أتعرفني ! قال : ومن أنت ؟ قال : أنا شرحاف بن المثلِّم ، أدَّ إلى ابن عمي ممضلاً
لا مثله يوم قتلتَه .

قال عُمارَةَ : يا شرحاف ؛ اذكر اللبَّين^(١) ، قال شرحاف : الدَّم أحبُّ إلى من
اللبَّين ، ثم حمل عليه قتله ، وهزم جيشه واستنقذ الإبل .

ففي ذلك يقول المثلِّم بن المشخِّرة :

إنَّ تُنكِرُونِي فَأَنَا المثلِّمُ فارسٌ صدقَ يومَ تَنفَاحِ الدَّمِ
بشِكتي^(٢) وفرسٌ مُصَمِّمٌ^(٣) طعناً كأفواهِ المَزَادِ^(٤) المُصَمِّمِ

وقال شرحاف :

ألا أبلغ سِراةَ بني بَبيضِ^(٥) بما لاقَت سِراةَ بني زيادِ^(٦)
وما لاقَت جَذيمةَ إذ تُحَايِي وما لاقِي الفوارسِ من بَجادِ^(٧) .

(١) اللبَّين : إبل لها لبين ، وهو يريد الدية ، وفي حديث أمية بن خلف لما رأى يوم بدر
يقتلون قال : أما لكم حاجة في اللبَّين ، أي تأسرون فتأخذون فداءهم إبلهم . (٢) الشكة :
السلاح . (٣) المصم : الفرس الشديد الصلب ، والذكر والأثني فيه سواء .
(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهي الراوية ، ولا تكون إلا من جلد . (٥) ببيض بن ريث
ابن ضفطان . (٦) بنو زياد : الربيع بن زياد العبسي وإخوته ، ويسمون الكملة .
(٧) جذيمة وبجاد : بطنان في عبس .

ترَكْنَا بِالنَّقِيمَةِ آلَ عَبَسٍ ۖ شِعَاعًا يُقْتَلُونَ بِكُلِّ وَادٍ
وَمَا إِن فَاتَنَا إِلَّا شَرِيدٌ ۖ يَوْمُ الْقَفْرِ فِي زَيْهِ الْجِلَادِ
فَسَلَّ عَنَّا عُمَارَةَ آلِ عَبَسٍ ۖ وَسَلَّ وَرَدًّا وَمَا كُلُّ بَدَادٍ (١)
تَرَكَتَهُمْ بَوَادِي الْبَطْنِ ۖ رَهْنَا لِسَيِّدَانِ الْقَرَارَةِ وَالْجِلَادِ (٢)

—————

(١) بناد : أى متبددين (٢) السيدان : جمع سيد وهو الذئب . والقرارة : المطئن من الأرض . والجلاد : جمع جلد ، وهى الأرض الصلبة المستوية المتن .

المشام
عفا الله عنه

١- أيام متفرقة

١- يوم جديس

٢- ذات الأثل

٣- صوءر

١- بيوم جديس

كانت منازل طم في موضع اليمامة ، وكان يملكهم عمليق ، وكانت معهم جديس ، ولكن عمليقاً في أول مملكته قد تمادى في الظلم والقتل^(١) والسيرة بغير الحق .

وكانت امرأة من جديس يقال لها هزيلة ، ولها زوج يقال له ماشق ، فطلقها وأراد أخذ ولد لها منها ، فخاصمته إلى عمليق ، فقالت : « يا أيها الملك ؛ إن حملته تسماً ، ووضعته ذمماً ، وأرضمته شفعاً ؛ حتى إذا تمت أوصاله ودنا فصاله ، أراد أن يأخذه مني كرهاً ، ويتركني من بدمه وزها^(٢) » .

فقال لزوجها : ما حُجَّتْكَ ؟ قال : « حُجَّتِي أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ قَدْ أُعْطِيَتْهَا الْمَهْرَ كَامِلاً ، لَمْ أُصِبْ مِنْهَا طَائِلاً ، إِلَّا وَلِيداً خَامِلاً ، فافعل ما كنت فاعلاً » . فأمر بالانلام أن يزرع منهما جميعاً ، ويحمل في غلده . فقالت هزيلة :

أَتَيْنَا أَخَا طَسْمٍ لِيُحْكَمَ بَيْنَنَا فَأَفَدَّ حُكْمًا فِي هَزِيلَةَ ظَالِمًا
لِمَرِي لَقَدْ حُكِّمْتَ لَا مَتَوَرِّعًا وَلَا كُنْتَ فِيهَا يُبْرِمُ الْحُكْمَ عَالِمًا
نَدِمْتَ وَلَمْ أُنْدِمْ وَأَنْتِي لَمُتَرَقِي وَأَصْبَحَ بَقْلِي فِي الْحُكُومَةِ نَادِمًا

فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تزوج بكر من جديس وشهدى إلى زوجها حتى يراها هو قبل زوجها ، فلقوا من ذلك بلاء وجهداً ودلاً ، فلم يزل يفعل هذا حتى

* لجديس على طسم ، وطسم وجيس ؛ من العرب البائدة
قصص العرب ص ٢٣٤ ج ٤ ، ابن الأثير ص ٢٠٣ ج ١ ، خزنة الأدب ص ٢٣٥ ج ٢ ،
مهذب الأغاني ص ١ ج ١
(١) القسّم الظلم (٢) وره - كفرج : حق .

زُوجت الشَّموس ، فلما أرادوا سَحلها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق وممها القيان
بتغنيان :

أبدى بمعليق وقوى فاركي وبإدري الصبح لأميرٍ مُعجب
فسوف نلقين الذي لم تطلبي وما ليكرٍ عنده من مهرٍ رب
فدخلت عليه، ثم خلّى سبيلها ، فخرجت إلى قومها شاقّة دِرْعها وهي في أفتح
منظر ، وهي تقول :

لا أحدٌ أذلّ من جديس أهكذا يُفعل بالمروس
يرضى بهذا يا قوى حرّ أهدي وقد أعطى وسيق المهر
لأخذة الموت كذا لنفسه خيرٌ من ان يفعل ذَا يَمرِسه
وقالت تخرّض أهلها فيما أتى إليها :

أيجمل ما يؤتى إلى فتياتكم عشية زُفتٍ في النساء إلى بعل
ولو أننا كنا رجالاً وكنتم نساء لكاننا لا نُقرُّ بهذا الفعل
فوتوا كراماً أو أميتوا عدوكم ودبوا لئلا الحرب بالحطب الجزل
وإلا فخلوا بطنها ، وتحملوا إلى بلدٍ قفرٍ وموتوا من الهزل
قلّبين خيرٌ من تمارٍ على أذى وللغوت خيرٌ من مقامٍ على الذل
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تماين الكحل
ودونكم طيبُ العروس فاعسا خَلقتم لأنواب العروس وللنسل
فبعداً وسُحقاً للذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مشية القحل

فلما سمع أخوها الأسود - وكان سيّداً مطاعاً - قال لقومه : يا معشر جديس :

(١) قد كان يقال لها الشموس أيضاً .

إن هؤلاء القوم لبسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من مُلك صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا هجرنا وإدهاننا^(١) ما كان له فضلٌ علينا ، ولو امتننا لكان لنا منه النصف ؛ فأطيموني فيما أمركم به ، فإنه عزُّ الدهر ، وذهاب ذلِّ العمر ، واقبلوا رأبي . وقد أحمى جديسًا ما سمعوا من قولها ، فقالوا : نُطيمك ، ولكنَّ القوم أكثر وأحمى وأقوى . قال : فإن أصنعُ للملك طعاما ، ثم أدعوهم له جميعا ، فإذا جاءوا يرفلون في الحلل ثرنا إلى سيوفنا ، فأهمدناهم بها . قالوا : نفعل .

وصنع طعامًا كثيرًا ، وخرج به إلى ظهر بلادهم ، ودعا عمليقا ، وسأله أن يتغدي عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك ، وخرج إليه مع أهله يرفلون في الحلى والحلل ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ، ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ؛ فشدَّ الأسود على عمليق فقتله ، وكلُّ رجلٍ منهم على جليسه حتى أماتوهم ؛ فلما فرغوا من الأشراف ، شدوا على السفلة فلم يذعوا منهم أحداً ، وقال الأسود في ذلك :

ذوق ببنيك يا طسم مجلَّةً فقد أتيت لعمري أعجب العجبِ
 إنا أتينا فلم ننفك نقتلهم والبقى هيج منا سورة الغضبِ
 ولن يعود علينا بنهم أبداً ولن يكونوا كذي أنف ولا ذنبِ
 وإن رعيت لنا قربي مؤكدة كنا الأقارب في الأرحام والنسبِ

(١) الإدهان : إظهار خلاف ما يضمر والنسب .

٢ - بيوم ذات الأثل

غزا صخر بن عمرو بن الشريد السلمي بنى أمد بن خزيمه ، واكتسح إبلهم ، فأتى الصريخ^(١) بنى أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل^(٢) فاقتتلوا قتالا شديداً ، وطمن ربيعة بن نور الأسدي صخرأ في جنبه وفات القوم بالفنيمة ، وجوى^(٣) صخر من الطمئة ، فكان مريضاً قريباً من الحول ، حتى ماته أهله .

وفي أحد الأيام سمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته : كيف بملك ؟ قالت : لا حتى فيرجى ، ولا ميت فينسى ؛ لقد لقينا منه الأمرين^(٤) . ثم سمعها تسأل أمه كيف صخر ؟ فنقول : أرجوله المافية ، فقال في ذلك :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي وماتت سلمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة^(٥) عليك ومن يفتر بالحدتان ؟
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان^(٦)

* لأسد على سليم ، وذات الأثل : موضع في بلاد تميم الله بن ثعلبة
المقد الفرید ص ٣٢٢ ج ٣ ، الأغاني ص ١٣٠ ج ١٣ ، خزنة الأدب للبغدادي ص ٣٩٣
(١) الصريخ : السنينث (٢) ذات الأثل : موضع في بلاد تميم الله بن ثعلبة وقد سماها الشاعر بقوله :

فإن ترجع الأيام بيني وبينكم بنى الأمل مثل صفي ومرهبي
أشد بأعناق النوى بعد هذه صرائر إن جاذبتها لم تطلع

(٣) الجوى مقصور : كل داء يأخذ في الباطن لا يستمرأ معه الطعام ، وقبل هو داء يأخذ في الصدر - جوى (كفرج) (٤) الأمران : الشر والأمر العظيم ؛ كما في اللسان (مادة مر) (٥) إذا أنقل المريض على قومه يقال : هو جنازه عليهم ، وجاء هذا المعنى في لسان العرب مادة (جنز) وأورد هنا البيت شاهداً على ذلك المعنى (٦) العير : الحمار الوحشي والأمل . والنزوان : الوثب .

لمرى لقد نهتُ من كان نائماً وأسمتُ من كانت له أذنان
وللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها مَحَلَّةٌ بِمَسُوبٍ بِرَأْسِ سَنَانٍ (١)
وَأى امرئٍ ساوى بأُمَّ حَلِيلَةٍ (٢)

فلما طال عليه البلاء - وقد تنأت فطمة مثل السكبد في جنبه في موضع الطمئة -
قالوا له : لو قطعتم أرجوت أن تبرأ ، فقال : شأنكم ، فأشفق عليه بعضهم ؛ فهو
فأبى . وقالو : الموت أهون على مما أنا فيه ، فأخموها له شفرة ، ثم قطعوها من نفسه ،
ثم جاءت أخته الخنساء فقالت : كيف صبره ، فقال صخر في ذلك :

أجارتنا إن الخطرب تنوب على الناس كل المخطئين نصيب
فإن تسأليني هل صبرتُ فإننى صبوراً على ريب الزمان صليب
كأنى وقد أدنو أدنوا إلى شفارهم من الصرداي الصفحيتين (٣) ركوب
أجارتنا لست الفداء بظاعن ولكنى مقيم ما أقام عسيب (٤)
ثم لم يلبث أن مات ، ، ودفن بعسيب .
فقال الخنساء ترميه :

أهينى جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرى الجميل ألا تبكيان الفتى السيداً
طويل النجاد رفيع العمأ د ساد عشيرته أمرداً
إنما القومُ مدوا بأيديهم إلى المجدِ مداً إليه يدأ
فقال الذى فوقَ أيديهم من المجدِ ثم مضى مُصعِداً
يكافئه القومُ ما عاظم وإن كان أصغرهم مولداً
رى الحمدَ يهوى إلى بيته يرى أفضلَ الكسب أن يُجمداً

(١) اليسوب: السيد والرئيس . قال في اللسان : المعنى أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان ،
يعنى : أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت . (٢) الحليلة : الزوجة . (٣) الصفحة من
الرجل : جنبه . والركوب : كثير الركوب . (٤) عسيب : اسم جبل بباله نجد .

٢- بيوم صوهر

أُجِدَّتْ بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَصَابَتْ بَنِي حَنْظَلَةَ (١) سِنَّةٌ ، فَبَانَهُمْ خِصْبُ بِلَادِ كَلْبٍ (٢) بِنِ وَبِرَّةٍ ، فَانْتَجَمَا بَنُو حَنْظَلَةَ ، فَزَلُّوا صَوَاهِرَ ، وَكَانَتْ بَنُو يَرْبُوعٍ قُدَّامَ النَّاسِ ، فَزَلُّوا أَقْصَى الرَّادِي ، وَتَسَرَّعَ غَالِبُ (٣) بِنِ صَمَّصَةَ فِيهِمْ وَحَدَهُ ، دُونَ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَ بَنِي يَرْبُوعٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُ غَالِبٍ ، فَلَمَّا زَلُّوا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ نَجِسَ مِنْهَا نَاقَةً كَوْمَاءَ (٤) فَفَجَّرَهَا وَأَطْعَمَهَا .

فَقَالَ أَنَسُ : لَيْسَ فِينَا مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَقَدْ نَحَرُ وَلَمْ نَنْحَرْ ؟ فَقَالُوا لِسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ (٥) الرَّيَاحِيُّ : انْحَرْ ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ سُحَيْمٍ حَبَسَ مِنْهَا نَاقَةً فَفَجَّرَهَا مِنْ الْقَدِّ فَأَطْعَمَهَا .

* لبني حنظلة على بني رباح (كلاهما من تميم) . وصوره: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام، وهو من الأيام التي آثرنا ذكرها في هذا الجزء ، وإن كانت تتصل من حيث الزمن بالإسلام .
تخزانة الأدب ص ٢٤٣ ج ١ و ص ٥٢ ج ٣ ، الأغاني ص ٥ ج ١٩ ، النفاض ص ٢١٤ ،
١٠٧٠ طبع أوربة ، ذيل الأمالي ص ٥٣ ، بلوغ الأرب ص ٣٠ ج ٣ ، قصص العرب ص ١١٦ ج ٣ ، معجم البلدان ص ٣٩٥ ج ٥

(١) م بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة (من تميم) (٢) كلب بن وبرة : قبيلة في قضاة ، وقضاة من حمير في رأي بعض النسابة (٣) غالب بن صمصمة أبو الفرزدق الشاعر ، من بني مالك بن حنظلة ، وأبوه صمصمة محبي الموءودات ، وخبره فيها مشهور ، وقد وفد غالب على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهرق لحق على بن أبي طالب بالبصرة ، ومات في إمارة يزيد وملك معاوية (٤) الكوماء : الناقة الضخمة السنام (٥) رباح : قبيلة في يربوع ، وسحيم ابن وثيل : شاعر معروف في الجاهلية والإسلام ، وعده ابن سلام في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، وقال عنه : شاعر خنذيذ شريف مشهور الذكر في الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع في قومه .

فَقِيلَ لِنَالِبٍ : إِنَّمَا مَحْرٌ ^(١) سَحِيمٌ مِوَاءَةٌ ^(٢) ؛ فَضَحِكَ غَالِبٌ ، وَقَالَ : كَلَّا ،
وَلَكِنَّهُ امْرُؤٌ كَرِيمٌ ، وَسَوْفَ أَنْظُرُ .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا نَاقَتَيْنِ فَنَحَرَهُمَا فَاطْمَمَهُمَا ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ
سُحَيْمٍ نَحَرَ نَاقَتَيْنِ فَاطْمَمَهُمَا ، فَقَالَ غَالِبٌ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّهُ يُوَأْتِمُنِي .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا عَشْرًا فَمَقَلَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَرْبَةَ فَجَعَلَ يَنْحَرُهَا
فَانْقَلَبَتْ نَاقَةٌ مِنْهَا ، فَانشَأَتْ ^(٣) فِي بَنِي يَرْبُوعٍ ، فَركبَ غَالِبٌ فَرَسَهُ ، فَأَدْرَكَهَا عِنْدَ
بَيْتِ الْخُرَّمَاءِ ^(٤) ، وَكَانَتْ امْرَأَةُ الْهَيْذَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عْتَبَةَ ، فَمَقَرَهَا ، ثُمَّ كَتَبَ ^(٥)
فِي سَبِيلِهَا ، فَقَالَتْ الْخُرَّمَاءُ : مَا لَكَ قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ ؟ فَقَالَ : دُونَكَ فَاجْتَرِيهَا ، فَإِنِّي
لَا أَشْتُمُ ابْنَةَ الْعَمِّ ، وَلَكِنْ أَجْزِرُهَا ، فَسَأَلَتْ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا غَالِبُ بْنُ
صَمْعَةَ . فَقَالَتْ : وَسَوْفَ تَأْتِيهِ !

وَرَجَعَ غَالِبٌ فَصَبَّ قُدُورَهُ ، وَغَاطَ ذَلِكَ بَنِي يَرْبُوعٍ ، فَأَوُوا سَيِّدَهُمُ الْهَيْذَلِيَّ ،
فَتَجَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا تَرَى ؟ قَدْ فَضَحْنَا هَذَا ، وَسَنَعُ مَا تَرَى ، فَالرَّأْيُ ؟
قَالَ الْهَيْذَلِيُّ : أَرَى أَنَّ تَأْتِيهِ فَنَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ ، وَتَنْحَرُوا كَمَا نَحَرُ ، وَتَصْنَعُوا مِثْلَ
صُنْعِهِ . قَالُوا : لَا ، بَلْ إِذَا فَرَّغَ مِنْ قُدُورِهِ عَدَوْنَا فَكَفَّمْنَا نَاهَا بِمَا فِيهَا فَفَضَحْنَاهُ ؛
وَإِنِ بَنِي مَالِكٍ حُلَمَاءُ رُجِحُ فَنَأْتِيهِمْ ، فَنَقِرُّ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ فَيَمْتَفِرُونَ لَنَا .
قَالُوا ذَلِكَ بِمَسْمَعٍ مِنَ الْخُرَّمَاءِ ؛ فَتَقَنَّمَتْ بِمَلْحَفَتِهَا ، وَخَرَجَتْ مِنْ كَيْسْرِ بَيْتِهَا ،

(١) روى أن امرأة من بني رباح نذرت إن زوجت ابنتها مجرداً أن تنحر جزورين فزوجته
فنهرت جزورين لتسندهما ، فوافق ذلك نحر غالب فظن أنه مواءة فلهي الأعرس وفي ذلك يقول
الأعرس :

فكنا بخير قبل قبة مجرد و قبل جزوري أمة يوم صودر

(٢) مواءة : مباهاة (٣) اثثات : دخلت (٤) هي أسماء بنت عوف بن القطن
(٥) كعب وجبار ، والسبلة : موضع النحر ، ذلك السكان لا يخلو من شعرات هناك .

فأتت غالباً ، فقالت له : قد سير بك وأنت لا تشعر ! ثم أخبرته بما يريدون به .
 قال : ومن أنت ؟ قالت : أسماء بنت عوف ، وإنهم يريدون أن يكفئوا قُدُورك
 بما فيها ، فيقمنوك خِزْبَةً . فقال : هل شمركِ بكِ أحدٌ ؟ قالت : لا . قال : فارجعي
 بأبي أنت وأمي !

فحمل ابنه وابن أخ له على فرسين ، ثم قال لهما : خُذا أعداء^(١) الوادي ، فانظرا
 أولَ صَرم^(٢) تَريانه من بني مالك ، فعلى به ، وأحشراً من تقيمتا منهم ، فلقى
 أحدهما صَرمًا من بني فُقيم ، ولقى الآخر صَرمًا من بني سُبَيع ، ثم من بني طُهَيَّة ،
 فحشراًهم ، فأقبلوا على كل صَعبٍ وذُلُول ، حتى نزوا حولَ غالب ، واستيقظوا لهذا
 فقام من آخر الليل ، فإذا أبياتٌ ورجالٌ لم يكن عهدهم من أولِ النهار ، فقال : إني
 لأتعرّفُ وجوهاً لم أرها أولَ الليلِ وأبنيّةَ ورجالا ؛ فبعث إلى بني يربوع ، فقال :
 آترون ما أرى ؟ قالوا : نعم . قال : جاءكم قومٌ يئمنون قدورهم ؛ أليس هذا فلان ؟
 وهذا فلان ! أفترَوْنَ أن تفتلوا هؤلاء في غير جُرم ! قالوا : فما الرأي ؟ قال : أرى
 أن تأكلوا من طعامه ، وتنحروا كما ينحر ، وتصنعوا مثل ما يصنع .

فقدموا فأكلوا من طعامه ، ثم قالوا لُسُجيم : اعقِرْ . فقال : والله إني ما أقوم
 لنجاري بني مالك ، إنما أقومُ لِنَوِّ كاهم ، قالوا : إنا نرُفِدُك^(٣) . قال : فعلى بني مالك
 تُموئون بالرُفْد ، وهم أكثرُ منكم أموالاً .

ثم وردت إبلُ سُجيم ، فمقر منها خمسَ عشرة أوعشر بن فضحك غَالب ؛ وكانت
 إبلُ غالب تَرِدُ الخَلس^(٤) ، فجاء غَلمته قد جَبَّوا^(٥) في حياضهم أنصافها ، فقال لهم :

(١) أي ناحيته أي أنت عن يمين وأنت عن شمال هاهنا وهاهنا (٢) الصرم : الجماعة

(٣) أرفده : أعانه (٤) الخلس : من أظلاء الإبل ، وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع

(٥) قال في اللسان : الجبا ؛ أن يتقدم السائق للإبل قبل ورودها يوم فيجي لها الماء في المحوض

ثم يوردها في الفد .

قَدْ كُمْ^(١) الآن ، فقد أرويتم . قالوا له : وكيف أروينا ؟ وإنما جئنا في أنصاف
الحياض وكنا نملؤها ثم لانضميها حتى نأخذَ عليها قبلاً^(٢) سقياً على رؤوسها فنسقيها ،
فقال : بلى قد أرويتم فحسبكم .

فلما حان وِرْدُها لبس حُلَّتة ، وأخذ سيفه وانطلق معه الفرزدق .

قال الفرزدق : فعلونا صومر ، وجاءت الإبل فأمهل حتى إذا أدبرت فلم يبق
منها شيء انتضى سيفه فأهوى لمرقوبي آخرها ، ففقرنَ لَمَّا رأينَ الدَمَ ، ووجدنَ
ريحه ؛ فذُعِرْنَ فأقبلنَ حتى أطفنَ بالحياض نوافيرَ عطاشا ، وأقبل في أثرها ؛ فلما
لحقها جملَ يقولُ : عقرأ عقرأ ، ويقول للفرزدق : ردّها يا هميم^(٣) ، فجمل الفرزدق
يقول : إيه عقرأ ! إيه عقرأ !

فجمل يحول بينها وبين الحياض ، فكلا ورد بغيره عقره ، حتى اضطرّها إلى
بيت أم سحيم - ليلي بنت شداد - فمقر عن يمينه وشماله ومن ورائه ، حتى قُطعت
أطناؤه ، فوقع عليها فخرجت غليه فسبته ودعت عليه ، وقالت : يا غالب ؛ إن عقركَ
لن يُذهب لؤمك ، فقال : إني لا أشتم ابنةَ العمِّ ، ولكن كَلُّوا من هذا شحماً ولحماً .
وجمل يعقرها ويرتجز :

خَذَلْتِي قَوْمِي وَحَانَ وِرْدِي أَسَوَّهَا بِنِي حُسَامٍ فَرْدِي
هَلْ أَنْتَ يَا سَحِيمَ غَيْرَ عَبْدٍ أَسْوَدَ كَالْفِلْدِ^(٤) مِنَ الْمُنْدِ

(١) حسبكم (٢) القبل : أن تعرب الإبل الساء وهو يصب فيه فيصيبها شيء منه ،
ومنه قول الشاعر :

بلايت ما أرويتها لا بالعجل وبالجميا أرويتها لا بالقبيل

(٣) : تصغير حمام ، وهو اسم الفرزدق (٤) الفلد في الأصل : القطعة من الكبد ، وغد
البعير فأغد فهو مفد ، أى به غدة ، والأتى مفد أيضاً بغير هاء .

وقال :

آل رِيَّاحٍ إِنَّهُ الْفِضَاحُ وَإِنِّهَا الْخَاضُ وَالْقَاحُ
قَدْ شَاعَ فِي أَسْوَاقِ^(١) الْجِرَاحِ فَلَا تَضِجِي وَاصْبِرِي رِيَّاحُ
قَالَ سُحَيْمٌ^(٢) : فَلَمْ أَزَلْ أَطْمَعُ أَنْ يَكْفَ حَتَّى مَرَّ بِفَحْلٍ مِنْهَا مِنْهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ
دِرْهَمٍ فَمَقَرَهُ ؛ فَلَمَّا عَقَرَهُ عَلِمَتْ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَبِقَ شَيْئًا .
فَذَهَبَ سُحَيْمٌ بِكَفِّهِ عَنْهُ فَأَهْوَى إِلَيْهِ السَّيْفُ فَأَصَابَ رِكْبَتَهُ ، فَقَطَعَ إِحْدَى
رِجْلَيْهِ .

فَمَقَرُ أَرْبَعِينَ بَعِيرٍ ، فَطَلِبَهُ عُمَانُ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَمَاقِبَهُ ، فَوَكَّبَ إِلَى أَبِيهِ
صَعْمَةَ فَوَحَّيَ بِهِ ، وَقَالَ : حَاجَتِكَ ! قَالَ : جِئْتُ أُتَخِيفُ عَلَى مَا عَقَرْتُ ، فَقَدْ
رَحَضْتُ^(٤) عَنْكَ الدَّمَّ وَالْعَارَ ، فَأُخِيفُ لِي . قَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةً ! أَخْلَفَ مَا عَقَرْتَ ،
وَأَشْتَرْتُ لِحَيْلِكَ أَلَّا نَعْمَرَ بِمِعْرَا وَلَا بَهِيمَةً وَلَا نَمْدُبَهَا وَلَا تَتَلَّ بِهَا . قَالَ غَالِبٌ :
لَا أُعْطِيكَ هَذَا الشَّرْطَ أَبَدًا . قَالَ : فَلَا ، إِلَّا عَلَى هَذَا الشَّرْطِ .

فَلَمَّا حُقَّ بِالْبَصْرَةِ فَاتَى مَنْزِلَ الْحُنَاتِ بْنِ زَيْدٍ فَالْتَزَمَهُ وَقَبَلَهُ ، وَقَالَ : أُرِيقُ تَخْرُجُ
أَعْطِيئَةُ الْحَيِّ ، وَفِيهِمْ ثَمَانُونَ عَلَى أَلْعَيْنِ ، فَتَقَاسَمُكَ مِنْ أَعْطِيئَتِهِمْ ، فَفَعَلْ ، فَأَخَذَ
مَا أَعْطَاهُ ، فَارْتَحَلَ بِحَمَلِ وَرَقٍ^(٥) ، فَاتَى الْمَوْسِمَ بِرَاحِلَةِ دِرَاهِمٍ ؛ فَلَمَّا قَضَى نُسُكَهُ
زَارَ الْبَيْتَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبَ بَيْنَ خُرْجِيَّةٍ بِمِعْرَا نَجِيحًا لَا يُجَارَى ، ثُمَّ نَادَى

(١) أسوق : جمع ساق (٢) غلام انقلب كان أبصر الناس بالإبل وأرعاهم

(٣) وفي خزائن الأدب : إنه لما اتفقت الجماعة ، ودخل الناس الكوفة قلت بنو رياح لسحيم :
جررت علينا عار الأبد ، هلا نخرت مثل ما نخر غالب ، وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ؛
فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونخر نحو ثلاثمائة ناقة ، وكان في خلافة علي بن أبي طالب ، فنع
الناس من أسكلها وقال : إنها مما أهل لغير الله به ، ولم يكن الغرض منه إلا المفاخرة والمباهاة ،
فجمعت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلها العقبان والرخم (٤) رحضت : غسلت
(٥) الورق : الدرهم المضروبة .

بالطحاء يأبها الناس ؛ أنا غالبُ بنِ صعصعة ، فن أخذ شيئاً فهو له ، ثم فتح
أطرحين ، ثم حثاً أماته ، وعن يمينه وعن شماله ووراءه ، حتى إذا فرغ الخرجين من
الورق أحال السوط في بطن البعير ثم نجأ .

ف قيل لعثمان : عبتَ على غالب في المقر وأخفته وطلبته لتماقبه ، فهاهو ذلك
قد أنهب ماله ، فبعث في طلبه ، فهرب ، فأعجزهم .

فقال في ذلك ذو الخرق الطهورى :

أباع رباحاً على نأبها	ورمط الجحل شفاة الكلب
فلا تبعثوا منكم فارطاً	قصير الرشاء صغير الغرب ^(١)
يسارض بالذلّو فيض الفرات	تصك أواذيه ^(٢) بالخشب
فا كان ذنبُ بنى مالك	بان سب منهم غلام فسب
عراقب كورم طوال الدرّى	تخرّ بوائكهما ^(٣) للركب
بأبيض يهتر في كفه	يقط ^(٤) المظام ويبرى المصب
يسامى قروم ^(٥) بنى دارم	يسامى لهم غالباً قد غلب
فأبقى سحيم ^(٦) على ماله	وهاب السؤل وخاف الهرب ^(٧)

(١) الغرب : الدلو ، والقارط : المتقدم السابق للماء ، يقدم الواردة فيهم لهم الأرسان
والدلاء وعلاء الحياض ويستقى لهم ، فرطت القوم أفرطهم فرطاً : سبقتهم للماء ، فأنا فارط والقوم

فراط (٢) الأواذى : جمع الأذى : الموج (٣) بوائك الإيل : سمانها

(٤) القط : القطع عامة ، وقيل : قطع الشيء الصلب (٥) القرم : الفعل الذى يترك من

الركوب والعمل ويودع للفحلة وجمه قروم ، والقرم من الرجال : السيد العظيم على المثل بذك

(٦) هو سحيم بن وثيل الرياحى (٧) فى رواية : الحرب .

المشام
عفا الله عنه

مُلْحَق
فِي انْسَابِ الْعَرَبِ

أَنسَابُ الْعَرَبِ

العَرَبُ الْعَرَابِيَّةُ

ويقال فيهم العرب العرباء - وهم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . والمشهورُ منهم شَعْبَانُ : الشَّعْبُ الْأَوَّلُ : جُرَّهُمْ (١) ، والشَّعْبُ الثَّانِي يَمْرُبُ (٢) .

ويعرب هو أصلُ عرب اليمن - ومنه تناسلوا - وَوُلِدَ لَهُ يَشْجُبُ ، وولد يشجب سبأ - ومنه تفرعت جميع قبائلهم .

ومرجع المشهور فيه إلى حيين عظيمين : حَمَيْرٌ (٣) وَكَهْلَانٌ (٤) :

حَمَيْرٌ

هو حَمَيْرٌ بن سَبَأ ، وله عشرة أولاد من عَقبه ، ولكن النسب يرجع إلى اثنين

* رجعتنا في تحرر هذه الأنساب إلى المعارف لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، ونسب قحطان وعدنان للبرد ، وصبح الأعشى للقلشندى ، ونهاية الأرب للنورى ، وقد أتينا هذه الأنساب هنا تسميلاً لقارىء هذا الكتاب حتى يستطيع متابعة تفرع القبائل ، وإن كنا قد أشرنا في كل مناسبة إلى فروع هذه القبائل لإشارات مختصرة في حواشى الكتاب

(١) وهناك جرم المذكورة في العرب البائدة ، وقد كانت منازلهم باليمن ، ثم انتقلوا إلى الحجاز فأقاموا به حتى كان نزول إسماعيل على أبيه بمكة (٢) يقال إن العرب سموا عرباً ، مشتقاً من عرب (٣) ويقال إن اسمه الرنجهج ، وكانت بلادهم مشارف الشام ، فظفار وما حولها (٤) كانت كهلان في أول أمرها قد تداولت الملك مع بني حمير ، ثم اشرفد بنو حمير بالملك وبقيت بطون كهلان على كثيرتها تحت حكمهم ، ثم تقاصر ملك حمير .

منهم : الحميسع ومالك ، ومن مالك كان قضاة^(١) ، وإلى قضاة ينسب جل قبائل
حَمِير .

والشهور من قضاة سبعة أحياء : بلي^(٢) ، « ومن بطونهم بنو ناب » ،
وجُهينة^(٣) ، وكلب^(٤) ، وعذرة^(٥) ، وبهراء^(٦) ، ونهد^(٧) ، وجرم (ومهم
بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف) .

كهلان

هو كهلان بن سبأ ، وحيث من أعظم أحياء اليمن ، وأكثرهم قبائل ، والشهور
منهم إحدى عشرة قبيلة :

١ — الأزد ، وهم ثلاثة أقسام : أزدُ شَنُوذة^(٨) وأزدُ السَّرَاة^(٩) ، وأزد
هَمَان^(١٠) .

(١) ذهب بعض النسايين إلى أن قضاة من قبائل عدنان ، وحق السجيل قال : الصحيح أن
أم قضاة مات عنها زوجها مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حير وهي حامل ، فزوجها
معد بن عدنان ، فولدت له قضاة على فراشه ، فبناه ، فنسب إليه . قال بعض رجالهم :

قضاة بن مالك بن حير النسب المعروف غير المتكر

(٢) والنسب إلى بلي بلوى (٣) والنسب إلى جهينة جهني (٤) م بنو كلب بن وبرة
ومنهم حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) إلى هذرة هذه ينسب المشق
والثميم ومنهم عمرو بن حزام صاحب عفرأ ، وجيل صاحب بئنة (٦) كانت منازلهم من
ينبع إلى عقبه أيلة ، ومنهم الفلداد بن الأسود صاحب رسول الله (٧) كانت منازلهم باليمن ،
واليهم كتب رسول الله كتابه المشهور (٨) م بنو نصر بن الأزد ، وشنوة لقب
لنصر غلب على يبنه (٩) السراة : موضع بأطراف اليمن تزل به فرقة منهم ففرقوا به
(١٠) همان : مدينة بالبحرين ، تزلها قوم منهم ففرقوا بها .

وبطونهم كثيرة : منهم غَسَّان^(١) والأوس والخزرج^(٢) .

وفى الأوس والخزرج بطون كثيرة ، فمن بطون الأوس : بنو النبيت ،
وبنو عمرو^(٣) بن عوف وبنو السميمة وبنو عبد الأشهل وبنو ظفر وبنو جَحْجَجَتِي .
ومن بطون الخزرج : بنو النجار وبنو بَيَاضَة وبنو ساعدة^(٤) وبنو سالم ، وبنو عوف^(٥)
ابن الخزرج .

٢ - طي^(٦) : ومن بطونهم بنو تيم^(٧) بن ثعلبة ، وبنو نَبَهَّان
ابن عمر ، وئَمَل^(٨) بن عمرو ، وجَرَم بن عمر ، وجَدِيلَة ، وِوَالَان وهِنَاء^(٩) ،
وَسُدُوس^(١٠) ، وِجَحْرُ^(١١) ، وِزَيْيد ، وِسِينِس ، وِعَزْيَة ، وِلَام^(١٢) ، والنوثل .

(١) غسان : ماء نزلوا عليه فصرخوا منه ، فسوا به ، ولغسان كان ملك العرب بالشام
بعد سليح لى أن انتهى يابـسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم ، ثم ارتداده وحوقه ييلاد
الكفر (٢) الأوس والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقيا بن عامر ماء السماء
ابن حارثة الفطريف ؛ ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وكانت منازلهم
يترب ومنهم كان أنصار النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أهل قباء (٤) قوم سعد
ابن عبادة (٥) رهط عبد الله بن أبي بن سلول (٦) كانت منازل طي في اليمن ،
ثم خرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقهم بسيل الهم فزلوا بنجد والحجاز ، ثم غلبوا
بى أسد على جبلى أجا وسلمى من نجد ونزلوها ، ثم عرفا بعد ذلك بجبلى طي^(٧)
فيهم يقول امرؤ القيس :

أفر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصابيح الظلام

(٨) منهم عمرو بن عبد المسيح ؛ كان أرى العرب ؛ ولإياه يعنى امرؤ القيس بقوله :

رب رام من بنى ثعلب مخرج كفيه من ستره

(٩) منهم إياس بن قبيصة الذى ملك بعد النعمان بن المنذر (١٠) بضم السين

(١١) ومنهم أبو عبادة البحرى الشاعر (١٢) منهم أوس بن حارثة سيد طي .

٣ — مَذْحِجٌ^(١) ؛ ومن بطونهم خَوْلَانٌ ، وَجَنْبٌ^(٢) (وهم بنو منبّه والحارث
والفليّ وسَيْبِجَانٌ وَشِرْمَانٌ وَهِفَّانٌ) وَسَعْدٌ^(٣) المشيرة (وهم أَوْذٌ^(٤) وَجُمْفِيٌّ^(٥)
وَزُبَيْدٌ^(٦)) وَالنَّخَعُ^(٧) وَعَنْسٌ^(٨) وبنو الحارث^(٩) ، وَصُدَّاهُ .
٤ — مُرَادٌ^(١٠) .

٥ — هَمْدَانٌ^(١١) .

٦ — كَنْدَةُ ، ومن بطونهم بنو مُعَاوِيَةَ^(١٢) وَالرَائِثِ^(١٣) وَالسَّكُونِ وَالسَّكَّاسِكِ
وَبَنُو حُجْرٍ^(١٤) وَبَنُو الْجُونِ .
٧ — جُدَّامٌ^(١٥) .

(١) سموا بمذحج لشجرة تحالفوا عندها اسمها مذحج (٢) قبيل : سموا جنباً لأنهم
جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد المشيرة ، وحالفت صداء بنى الحارث بن كعب ، ومنهم معاوية
الخبير الجنبى صاحب لواء مذحج فى حرب ابى وائل ، ولهم يقول المهلهل :

أنسكها فقدمها الأرقام فى جنسب وكان الجباء من آدم

(٣) سمي بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل ؛ فكان إذا سئل
عنهم يقول : هؤلاء عشيرتى - دفعا لعين عنهم - فقيل لهم سعد المشيرة (٤) منهم الأفوه
الأوذى الشاعر (٥) إليهم ينسب الإمام البخارى (٦) منهم عمرو بن معديكرب
(٧) منهم الأشتر النخعى والى بن أبى طالب على مصر (٨) منهم همار بن ياسر
الصحابى ، والأسود العنسى التميمي (٩) منهم عبيد يفتوح الشاعر قتل يوم الكلاب الثانى
(١٠) يقال : اسمه يحابر فتمرد فسمى مراداً (١١) وكان شيعة على بن أبى طالب ،
وفيه يقول يوم الجمل : لو تمت عدتهم ألفاً لبيد الله حق عبادته . ومنهم مالك بن حريم الذى يقول :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا فى ذيك همدان ظالم
مضى تجميع القلب الذكى وصارماً وأتقاً حياً تحتنبك الظالم

(١٢) ويسمون معاوية الأكرمين ، وفيهم يقول الأعشى :

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمام

(١٣) رهط شريح الفاضى (١٤) هم ملوك كندة ، وفيهم امرؤ القيس الشاعر

(١٥) هم فى كهلان على المشهور ، وبعضهم يردم إلى معد ، وبعضهم ينسبهم إلى مدين .

٨ - أنمار^(١) ، وولده بجيلة^(٢) وخشم^(٣) .

٩ - نخم^(٤) .

١٠ - عاملة .

١١ - الأشعريون^(٥) .

أ العرب المستعربة "العَدَنَانِيَّة" (بَ)

ويقال لهم العرب المتعربة^(٦) ، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - والوجودون من العرب من ولد إسماعيل ، وكلمهم من بني عدنان بن أدد ؛ والباقون قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب ، ولذلك عرف هؤلاء العرب بالعدنانية .

وولد لعدنان : عكّ ومعدّ ، والنسب فيه يتحدر من معد ، وولد لمعد ثمانية منهم قنص^(٧) ، ونزار^(٨) ، والنسب في ولده إلى نزار .

(١) بعضهم ينسب أنمار إلى عدنان ويقول : إن نزار بن معد بن عدنان ولده مضر وريمة ولياد وأنمار ، وولد لأنمار بجيلة وخشم ، فصاروا إلى اليمن (٢) منهم جرير بن عبد الله البجلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم يقول الشاعر :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفقى وثبت القبيلة

(٣) منهم حمران الذي يقول :

أقسمت لأموت إلا حراً وإن وجدت الموت طعماً مرا

أخاف أن أخدع أو أغرأ

(٤) منهم ملوك الحيرة اللخميون رهط النعمان بن المنذر (٥) الأشعريون : رهط أبي موسى الأشعري (٦) سمووا بذلك لأن لسان إسماعيل - عليه السلام - كان العبرانية أو السريانية فلما تزلت جرحهم (وهم من القحطانيين) عليه وعلى أمه بمكة تزوج منهم ، وتعلم هو وبنوه العربية منه . (٧) في المعارف لابن قتيبة : يزعم قوم أن آل المنذر ملك الحيرة منهم (٨) وفي المعارف ذكر منهم قضاة وأنها صارت إلى حمير ، والصحيح ما ذكرناه أنها في حمير نسباً ووطناً ، وذكر أيضاً لياداً منهم .

وولد نزار أربعة : إياد وأعمار وربيعة ومضر ، وإلى ربيعة ومضر ينسب ولد نزار وهو الصريح من ولد إسماعيل - عليه السلام -

وأما إياد فليست لهم قبائل مشهورة ، وينسبون إلى القبيل الأكبر^(١) .
وأما أعمار فولد له خثعم وبجيلة ، ثم صاروا إلى اليمن .

رَبِيعَة

هو ربيعة^(٢) بن نزار بن معد بن عدنان ، والمشهور من أولاده ضبيعة وأسد .
وضبيعة قبيلة لم تسكن بطونها ، ومنها بنو أحس^(٣) وبنو الحارث وبنو دوفن^(٤)

وأسد قبيلة تمدت بطونها وأفخاذها ، ومنها بنو عنزة وعميرة وجديلة .

ومن جديلة عبد القيس ، وبنو النمر بن قاسط ، ووائل بن قاسط .

فمن عبد القيس : صباح^(٥) بن لسكيز ، وبنو غنم بن وديعة ، وعجل بن عمرو^(٦)
ومحارب بن عمرو^(٧) ، وجديمة بن عوف^(٨) .

-
- (١) يذكر قوم أن تقيماً منهم ، والأرجح أنه من قيس عيلان كما سيأتي . ومنهم قيس بن ساعدة
وكعب بن مائة ؛ وقد جعله ابن قتيبة ابناً لمعد كما سبق - (٢) ويعرف ربيعة الفرس ؛
لأن أباه نزاراً أوصى له من ماله بالخييل (٣) إلى بني أحس ينسب المسيب بن علس الشاعر
(٤) منهم الثلث الشاعر والحارث بن عبد الله الأضجم ، وكان سيد ضبيعة في الجاهلية
(٥) منهم كعب بن عامر بن مالك ، وكان ممن وفد على النبي عليه الصلاة والسلام (٦) منهم
صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان من أصحاب علي بن أبي طالب (٧) منهم عبد الله بن مام ،
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) رهط الجارود الصيدي .

وعصر^(١) بن عوف ، وشن بن أفضى ، وتعلبة بن أنمار ، ونكرة^(٢) بن لكيز
والدليل^(٣) بن عمرو .

وأما النمر بن قاسط فمن ولده تيم^(٤) الله ، وأوس^(٥) مناة ، وعبد مناة ،
وقاسط ، ومنبه .

وأما وائل فقد ولد له بكر وتقلب ، وعنهما تفرعت بطون كثيرة .



فمن بكر : يشكر بن بكر ، وعجل بن لجيم بن صعب ، وخيفة بن لجيم بن صعب
وقيس وعائذ (تيم الله) ، وذهل وشيبان [بنو تعلبة بن عكابة بن صعب]

فيشكر : من بطونهم بنو غُبر بن غنم ، وبنو كنانة بن يشكر ، وحرب^(٦) بن
يشكر ، وذبيان^(٧) بن كنانة بن يشكر .

وعجل بن^(٨) لجيم : من بطونهم بنو حاطب بن جذيمة ، وسيار بن الأسمد ،
وكعب بن الأسمد ، وبنو داف بن جشم ، وعبد المزى بن داف ، وضبيعة بن عجل
وسمد بن عجل

(١) هم رهط الأشج ، وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إن فيك لحملتين يجبهما
الله : الحلم والأناة (٢) منهم المثقب العبدى والمزق العبدى الشاعران (٣) منهم سحيم بن
عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعيد بن أبي وقاص (٤) منهم
الضحيان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بني شيبان ، وسمى الضحيان لأنه كان يجلس لهم وقت
الضحى فيقضى بينهم (٥) منهم صهيب بن سنان بن مالك ، صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم . كان أصابه سباه في الروم ، ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبسده الله بن جدعان فأعتقه
(٦) رهط ابن الكواء (٧) رهط سويد بن أبي كاهل (٨) منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار ،
وكان سيدهم يوم ذي قار ، ومنهم الأغلب وأبو النجم الراجزان ، والعديل بن الفرخ الشاعر .

وحنيفة^(١) بن لجيم : ومن بطونهم الدول بن حنيفة ، وعبد الله بن الدول ،
وسحيم بن مرة بن الدول ، وعدى بن حنيفة ، وعامر بن حنيفة .
وقيس بن ثعلبة : من بطونهم ، تيم وسعد (وهما الحرقتان) وبنو جحدر^(٢)
(ربيعة بن ضبيعة) ومنهم المسامة وعُباد بن ضبيعة ، وسعد بن ضبيعة وسعد
ابن مالك .
وتيم الله بن ثعلبة^(٣) : من بطونهم عامر ، والحارث بن تيم الله وعائش بن مالك ،
وبنو زيمان بن تيم الله ، وبنو هلال بن تيم الله وبنو حنم .
وذهل بن ثعلبة : من بطونهم سدوس ومازن بن شيبان وبنو رقاش^(٤) وبنو عامر
ابن ذهل وبنو عمرو بن شيبان بن ذهل .
وشيبان بن ثعلبة^(٥) : من بطونهم بنو محلم ، وبنو الحارث وربيعة ، وبنو مرة ،
وبنو الورثة ، وبنو هند ، وبنو الشقيقة ، وبنو أسعد بن همام بن مرة ، وبنو الحارث
ابن ذهل .



(١) منهم هوزة بن علي ، ومدوح الأعشى ، وشعر بن عمرو قاتل المنذر بن ماء السماء يوم
عين إبلاغ . ومنهم مسيلة الكذاب ، ونجدة الحروري (٢) منهم الأعشى يميون بن قيس
وربيعة الجحدري فارس بكر يوم تجلان اللمم ، والحارث بن عباد فارس النعام ، وكان على جماعة
بكر يوم قضة وطرفة الشاعر (٣) يطلق عليهم اللبازم ، وكانوا حلفاء بني عجل
(٤) رهط الحصين بن المنذر والقعاقع بن شور ودغفل النسابة (٥) منهم بسطام بن
قيس فارس بن شيبان في الجاهلية ، وقد ربع الدهليسين واللهازم اثني عشر مرباعاً ، وهاني بن
قيصة الذي أجاز عيال النعمان بن المنذر وماله عن كسرى وبسببه كانت وقعة ذي قار ، وعوف
ابن محلم وفيه يقال : لا أحر بوادي عوف ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، ومهام بن مرة ،
والضحاك بن قيس ، والمثنى بن حارثة ، والحوفزان .

تغلب : وأما تغلب فن بطونها الأرقام^(١) [وهم چشم^(٢) ومالك وعمرو وتغلبة
ومعاوية والحارث] وعكَب ، وبنو عدى بن أسامة ، وبنو فدوكس^(٣) وبنو عتاب
ابن سعد بن زهير^(٤) .

قَيْس عَيْلَانَ

من مضر بن نزار محمد حيان عظيمان : خندف^(٥) وقيس^(٦) عيلان .
وولد قيس عمراً وسعداً وخَصَفَةَ^(٧) .

١- عمرو بن قيس عيلان

ولد له فهم^(٨) وعدوان^(٩) .



٢- سعد بن قيس عيلان

ولد له أعصر وغطفان .

(١) سمو الأرقام ؛ لأن عيونهم كعيون الأرقام (٢) منهم كليب سيد ريبة كلها
وأخوه المهلس ، وهو الذي هاج الحرب بين بكر وتغلب (٣) رهط الأخطل الشاعر
الصرافي (٤) منهم عمرو بن كلثوم الشاعر ، أحد أصحاب المقات
(٥) خندف هي امرأة إلياس بن مضر ، وقد نسب ولد إلياس إليها وهي والدتهم
(٦) في نسب قحطان وهدنان للبرد أن قيساً مر الناس بن مضر ، وأن عيلان كان عبداً لمضر
حضن ابنه الناس ، فنسب إليه قيس ، وذكر ابن قتيبة أن اسمه قمة (٧) زاد ابن قتيبة
هكرمة وأعصر (٨) منهم تأبط شرأ الغداه (٩) منهم طامر بن الطرب حاكم العرب .

ومن أعصر: غنيّ وباهلة والطفاوة .

فتنى: من بطونها عبيد وزبان ، وصريم وضيّنة ، وبنو عتريف ، ومعظم
النسب إلى الأب الأكبر .

وباهلة^(١): من بطونها بنو قتيبة (ومنهم بنو سهم وبنو أصمع) ووائل بن ممن
وقرّاص بن ممن ، وأبو عُثَيْم بن ممن ، وبنو أودّ بن ممن ، وبنو جآوة بن ممن ،
وهلال بن ممن .

والطفاوة: منهم بنو جسر وبنو سنان .

ومن غطفان: عيس بن بفيض ، وذبيان بن بفيض ، وأنمار^(٢) بن بفيض ،
وعبد الله بن غطفان ، وأشجع^(٣) بن ريث .

فمبس^(٤): من بطونهم بنو جذيمة ، وبنو جرّوة ، وبنو هريم وبنو مجاهد .

وذبيان^(٥): من بطونهم ثعلبة وفزارة (ومنهم شَمُخ وعديّ وبنو غراب
ومازن) ومرة (ومنهم غَيْطُ وسهم ومالك وبنو صرمة) .



(١) م بنو مالك بن أعصر؛ نسبوا للأُمهم باهلة؛ منهم قتيبة بن مسلم والأصمعيّ وحبي بنت قرظ؛
أم الأحنف بن قيس (٢) عددم قليل ، ومنهم فاطمة بنت الحرشب أم الربيع بن زياد؛ وإخوته
الكلبة (٣) منهم بنو دهمان ، وكانوا ممن أعان على عثمان يوم الدار ، ومنهم فروة بن نوفل
(٤) هي إحدى جرات العرب ؛ منهم زهير بن جذيمة ، وكان سيد عيس ، وابنه قيس بن زهير
قارس داحس والنبراء ، وعنصرة التوارس ، والحطيئة ، وعروة بن الورد ، وزياد بن الربيع
وإخوته الكلبة ، وحذيفة بن اليمان (٥) منهم الحارث بن ظالم وزياد النابغة الشاعر ،
وهاشم بن حرمة ، وحذيفة بن بدر ، والشماخ الشاعر وأخوه مزرد ابنا ضرار ، وسنان بن
أبي حارثة وابنه هرم ، وطامر بن ضبارة والحصين بن مام ومسلم بن عقبة صاحب جيش الحرّة .

٢٧ - م

٣ - خَصَفَةَ بن قَيْس عَيْلَانَ

ولاد خَصَفَةَ عَارِبًا وَعَكْرَمَةَ .

فبن محارب بنو جَسْر^(١) وبنو طريف (ومنهم بنو الخضر) .

ومن عكرمة سليم وهوازن .

سليم^(٢) : من بطونهم بنو حرام بن سمّال ، وبنو عميرة بن خفاف ، وبنو عمبة

ابن خفاف ، وبنو يربوع بن سمّال ، وريغل ومطرود وقنغد (بنو نُسَبَةَ بن مالك)

و بنو بهز بن اسرى القيس ، وبنو الحارث بن بهشه (ومنهم بنو رفاعة وبنو ذكوان

ابن ثعلبة ، وبجيلة بن ثعلبة) وبنو الشريد .

هوازن : من عقبه ثقيف وبكر .

ثقيف^(٣) : من بطونهم بنو مُعْتَب ، وبنو غيرة ، وبنو عُقْدَةَ ، وبنو حبيب

ابن الحارث ، وبنو اليسار بن مالك .

وبكر بن هوازن : من بطونهم سعد^(٤) بن بكر ، ومعاوية بن بكر .

ومن معاوية بن بكر : جشم (ومنهم^(٥) غزية) ، ونصر^(٦) ، وصمصمة .

(١) حلقاء بن عامر بن صمصمة (٢) منهم العباس بن مرداس الشاعر ، وصخر ومعاوية

ابنا عمرو ، والحنساء أختهما ، وخفاف بن حمير ، وبيشة بن حبيب قاتل ربيعة بن مكدم ، وعنبة

ابن غزوان مؤسس البصرة (٣) منهم عروة بن مسعود الصحابي عظيم القربتين ، والحارث

ابن كلثة طبيب العرب ، وعبد الوهاب بن عبد الحميد الفقيه ، والحجاج بن يوسف

(٤) هم أطاّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسييت هوازن فبجاءته أخته من الرضاعة ،

فأعتقهم أجمعين (٥) منهم دريد بن الصمة فارس العرب (٦) منهم مالك بن عوف

وكان على هوازن يوم حنين .

ومن صمصمة : مرة (ويعرفون ببني ^(١) سلول) وعامر .



ومن عامر بن صمصمة : نمير وربيمة ، وهلال وسواعة :

فتمير : من بطونهم قريع بن الحارث ، وعبد الله ^(٢) بن الحارث ، وجمونة
ابن الحارث ، وبنو قطن ^(٣) بن ربيمة ، وبدر بن ربيمة ، وبنو عمرو بن نمير .

وربيمة : من ولده كلاب وكعب بن ربيمة وعامر بن ربيمة ^(٤) .

فبن كلاب بن ربيمة ^(٥) : الوحيد بن كعب ، وبنو أبي بكر بن كلاب (ومنهم
بنو هصان) وجمفر بن كلاب ، وكعب بن كلاب ، وربيمة بن كلاب ، والضباب ^(٦)
وويز بن الأضبط ، وعبد الله بن كلاب ، ونقائمة بن عبد الله ، ورؤاس بن كلاب ،
وعمر بن كلاب ، وجميعهم ينسبون إلى الأب الأكبر .

ومن كعب بن ربيمة ^(٧) : عقيل (ومنهم خفاجة والأخيل) ، وقشير (ومنهم
عطيف وعطفان وبنو ضمرة) والحريش وجمدة ، وعبد الله بن كعب (ومنهم بنو
المجلان) وحيب .

(١) سلول أمهم ، ومنهم العجير وعبد الله بن همام الشاعران (٢) كان فيهم العدد والفرق
(٣) رهط عبيد الراعي الشاعر (٤) من ولده عمرو بن عامر فارس الضخياء ، وخدش
ابن زهير الشاعر ، وخرقاء صاحبة ذي الرمة (٥) منهم عامر ملاعب الأسته ، ولعيد بن ربيمة
الشاعر ، ووكيح بن الجراح الفقيه ، ويزيد بن الصق ، وزفر بن الحارث ، والطفيل فارس قرزل
(٦) هم حسل وحسيل وضب (٧) منهم ابن مقلب الشاعر ، ومالك ذو الرقية وليلي الأخيلية
وتوية بن الحبر صاحب ليلي الأخيلية والمجنون الشاعر ، والنايفة الجمدى الشاعر .

خندف

في خندف فرعان كبيران: طابخة ومدركة .

طابخة

من قبائل بني طابخة: بنو أد بن طابخة ، وهم بنو عمرو بن أد ، وضبة بن أد ،
وعبد مناة بن أد ، وبنو مر بن أد .

فعبد مناة بن أد: من بطونهم (تيم ، وعدى ، وعكل ، وثور أطحل) (١) .

وضبة (٢) بن أد: من بطونهم (نصر ، ومازن ، والسيل ، وذهل ، وعائدة ،
وتيم اللات ، وزبان ، وعوف ، وشييم) .

وعمر بن مناة هم مزينة (٣) .



تميم

تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس . ولد عمرا وزيد مناة والحارث (٤) .
فعمرو بن تميم (٥): من بطونهم العنبر ، وأسيّد ، والهجيم ، والقيب ، وكعب ،

(١) في رأى بعضهم هم الرباب ، سموا كذلك لأنهم تحالفوا فوضوا أيديهم في جفنة فيها رب
(٢) منهم زيد الفوارس ، وسعد بن ضبة قاتل بطام (٣) منهم العمان بن مقرن ومنهم
خقل بن سنان ، ومنهم زهير بن أبي سلمى ، وممن بن أوس ، وإلياس بن معاوية
(٤) يقب أبا شقرة (٥) منهم أكرم بن صيفي حكيم العرب ، وأبو هالة زوج خديجة قبل
التي صلى الله عليه وسلم وأوس بن حجر الشاعر ، وحنظلة بن الربيع الصحابي

ومالك والحارث الحبيط^(١) .

وزيد مناة : منهم مالك وسعد .

فمالك بن زيد مناة : من بطونهم ربيعة^(٢) الجوع ، والبراجم (وهم همرو وقيس وكثفة والظلم وغالب) ويربوع^(٣) بن حنظلة (ومن يربوع الأحمال^(٤) ، وبنو غُدانة ، وكليب بن يربوع وحرام بن يربوع ورياح بن يربوع والعنبر بن يربوع) وبنو دارم ابن مالك (ومن دارم عبد الله بن دارم^(٥) ، ونهشل ومجاشع ومناف وأبان وققيم وجريز) وبنو المدوية^(٦) (وهم زيد والصدئي ويربوع) وبنو طهية^(٧) (وربيعة^(٨) ابن مالك .

وسعد بن زيد مناة : من بطونهم عوافة بن سعد ، وعمرو بن سعد ، وعبشمس ابن سعد وهبيرة بن سعد وكعب بن سعد (ومنهم مقاعس وعبيد وصريم وعمير^(٩) وربيع ، وبنو منقر^(١٠) ، وبنو مرة^(١١) بن عبيد ، وعوف وعامر^(١٢) وعبد عمرو^(١٣) وعوف بن سعد (ومنهم بهذلة^(١٤) وقريع^(١٥) وآل عطارد وآل صفوان) والأجارب (وهم حرام وربيعة وعبد المزى ومالك وجشم والحارث الأعرج) .

(١) يقال لولده الحبطات ، رهط عباد بن الحصين ، وكان يمدل بألف فارس (٢) رهما معلقة بن عبيدة الفحل وعلفمة الحصى (٣) منهم الأحموس الشاعر وسجاح التنبئة ووكيع بن أبي الأسود (فائل فنية بن مسلم) وعتاب بن ورقاء أحد أجواد الإسلام ومالك وتمام ابنا نويرة وهتبية ابن الحارث وجريز بن الحطفي الشاعر (٤) هم ثعلبة وعمرو والحارث أبو سليط وحمير وأمهم السفهاء كانت الرداة فيهم (٥) رهط حاجب بن زرارة (٦) نسبة لى أمهم من بني عدى (٧) هم بنو عوف ومالك ، وأمهما طهية بنت عبد شمس (٨) رهط الحنتف بن سبغ صاحب جيش الرينة وقائل حبيش بن دلجة القيني . (٩) رهط السليك (١٠) منهم قيس بن عاصم (١١) منهم الأحنف بن قيس (١٢) رهط زيد بن جلبة وكان شريفا ، كان الأحنف يقول: كنا نخرق النعال في طلب المروءة من بيت زيد (١٣) رهط سلامة بن جندل الشاعر (١٤) منهم الزبرقان بن بدر (١٥) رهط الخليل وبني أنف الناقة الذين مدحهم الحطيئة .

مُدْرِكَةٌ

من مدركة هذيل وخزيمة .

فهذيل^(١) : من بطونهم لحيان بن هذيل ، وسعد بن هذيل ، وخزاعة بن سعد ابن هذيل ، وتميم بن سعد ، ومنعة بن سعد ، وحريث بن سعد بن هذيل ، وجهامة ابن سعد ، وغنم بن سعد ، وكاهل بن سعد بن هذيل ، وصاهلة بن كاهل ، وكعب ابن كاهل .



ومن خزيمة : أسد ، والهون ، وكثانة .

فأسد^(٢) : من بطونهم دودان^(٣) بن أسد ، وكاهل بن^(٤) أسد ، وعمرو بن أسد ، وحلمة بن أسد^(٥) ، ومنهم أيضاً بنو الصيدا^(٦) ، وبنو نصر بن قعين ، وبنو الزينة ، وبنو غاضرة ، وبنو نعامه .

(١) منهم عبد الله بن مسعود الصحابي ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر ، وثابت بن عبد شمس الشاعر (٢) منهم الصامت بن الأقم قاتل ربيعة بن مالك أبا لييد الشاعر ، ودواب بن ربيعة قاتل عتيبة ابن الحارث اليربوعي ، ويصر بن أبي خازم وعبيد بن الأبرص الشاعران ، وعمرو بن شأس أبو عرار ، والكعيت بن زيد الشاعر ، والحساس بن هند الذي ينسب إليه عبد بن الحساس ، وزينب بنت جحش زوج النبي عليه الصلاة والسلام ، وأيمن بن خزيم والأقير الشاعران (٣) فيهم يقول امرؤ القيس :

قولاً لدودان عبيد المصا ما غرّكم بالأسد الباسل .

(٤) منهم هلباء بن الحارث الذي يقول فيه امرؤ القيس :

وأقتنهن علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب

(٥) أفتاهم امرؤ القيس بأبيه (٦) وفيهم يقول الشاعر :

يا بني الصيداء ردوا فرسي إنما يفعل هذا بالتليل

والمون : من بطونهم القارة^(١) (ومنهم هضد والديس) .



وكنانة : من بطونهم ملكان^(٢) ، وعبد مناة^(٣) (ومنهم قفّار^(٤) ، والدليل^(٥) وبنو ليث^(٦) ، وبنو الحارث^(٧) ، وبنو مدلج^(٨) ، وبنو ضمرة^(٩) ، وبنو عريج ، وبنو جذيمة^(١٠) ، وعمرو بن كنانة ، ومالك^(١١) بن كنانة (ومنهم بنو فراس^(١٢) ابن غم ، وبنو ققيم^(١٣)) والنضر .



ومن النضر (وهو قريش^(١٤)) : الصلت^(١٥) ومالك .



(١) هم أرى العرب (٢) قال ابن تيبة في المعارف : لهم بنية ، وليس فيهم شرف بلح
(٣) اسمه علي وربما قالوا مسعود (المعارف) (٤) رهاط. أبي ذر النفازي ، وفي الحديث
قفار غفر الله لها (٥) رهاط. أبي الأسود الدؤلي (٦) منهم عبيد بن عمير وعداة
ابن شداد (٧) ويقال فيهم بلحارث (٨) هم قافة العرب ، ومنهم سراقبة بن جشم
المدلبي (٩) رهاط. عمرو بن أمية الضمري الصحابي (١٠) منهم خالد بن الوليد
بالتبصاء فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) منهم ربيعة بن مكرم
(١٢) وفيه يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله لو أن لي بمائة ألف منكم
ثلاثمائة من بني فارس بن غم (١٣) هم نساء المشهور (١٤) قبيل في تسميته بذلك
أنه كان في سفينة يبحر فارس فخرجت عليه دابة عظيمة يقال لها قريش ، فخانها أهل السفينة
على أنفسهم فأخرج سهماً من كنانته فأتينها ، ثم قربت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها
معه إلى مكة فسمي باسمها (صبيح الأعمى ١ : ٣٥٢) (١٥) صاروا إلى اليمن ، وقيل
إليه أبو خزاعة .

ومن مالك : بنو الحارث^(١) بن مالك (ومنهم بنو الجراح^(٢)) وفهر بن مالك .



ومن فهر^(٣) : محارب^(٤) بن فهر وغالب بن فهر .



ومن غالب : تيم (ويطلق عليهم بنو الأدرم^(٥)) ولؤى^(٦) .



ومن لؤى : عامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وسعد بن لؤى ، وخزيمة بن لؤى

والحارث بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، وكعب بن لؤى .



(١) في صبح الأعمى : هم بنو الحارث بن فهر وهم من الطيبين . وقال ابن الخليل منهم ، وقال كانوا من عدوان فألقهم عمر بن الخطاب بالحارث ، وصموا خلباً لأنهم اختلجوا من عدوان .
(٢) منهم أبو عبيدة بن الجراح الصحابي المشهور وسهيل بن صفوان (٣) منه تفرقت قبائل قريش قبيل لهم بنو فهر (٤) منهم ضرار بن الخطاب شاعر قريش في الجاهلية ، والضحك ابن قيس القتي قتل مروان يوم مرج راهط وبنو الحارث بن مالك وبنو محارب بن فهر يطلق عليهم قريش الظواهر ؛ لأنهم تزلوا حول مكة وليست لهم ، وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قريش البطاح ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة (٥) هم من أعراب قريش ، ولم يكن يمكنهم أحد ، وفيهم يقول الشاعر :

لأن بني الأدرم ليسوا من أحد ليسوا لك قيس ولبسوا من أسد

ولا توفاهم قريش في السدد

(٦) لك لؤى يحيى مدد قريش وشرفها .

فعامر بن لؤى^(١) : من بطونهم مميص^(٢) ، وحسل (ومنهم سهل وسهيل
والسكران بنو عمرو ، وبنو مالك^(٣) بن حسل) .
وسامة بن لؤى : من بطونهم بنو ناجية^(٤) .
وسمد بن لؤى : من بطونهم بنو بُنَّانة (وهم عمار ، وعمارى ، ومخزوم^(٥)) .
وخزيمة بن لؤى : من بطونهم عائذة^(٦) .



وكعب بن لؤى : من بطونهم مصيص (ومنهم سهم^(٧) ، ووجج^(٨) ،
وعدى^(٩) ، ومرة .



(١) منهم سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى (من المؤلفات لطلوبهم) ، وعبد الله بن
أبي سرح ، ونوفل بن مساحق وعبد الله بن مخزومة (٢) منهم ابن قيس الرقيات ، وابن
المرقة الذي روى سعد بن معاذ يوم الخندق فأصابه كحلته فقال : خذها وأنا ابن المرقة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : هرق الله وجهك في النار (٣) رهط سودة بنت زمعة
زوج الرسول عليه الصلاة والسلام (٤) رهط عباد بن منصور فاضى البصرة
(٥) ينسبون إلى أمهم بنانة ، ومنهم أبو الطفيل الصحابي (٦) اندمجوا في شيبان ومقاس
المائذي الشاعر منهم (٧) منهم الحارث صاحب حكومة قریش ، ومهرو بن العاصى ، وقيس
ابن عدى ، وحبيش بن حنافة (٨) منهم صفوان بن أمية من المؤلفات لطلوبهم ، وأمية بن
خلف قتل يوم بدر وأبو عزة الجمحي وعثمان بن مظعون وأبو مخذومة مؤذن الرسول عليه الصلاة
والسلام (٩) منهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد وزيد بن عمرو بن قيس ، وعبد الله بن
مطيع ، وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن حنافة ، وكان قاضياً لمهرو بن العاصى ، فقتله الحارثى
بطنه عمراً ، وفيه قال : أردت عمراً وأراد الله خارجة .

ومن مرة : تيم بن (١) مرة ، وبنو مخزوم (٢) بن يقظة بن مرة ، وكلاب بن مرة



ومن كلاب بن مرة : بنو زهرة (٣) بن كلاب ، وبنو قصي بن كلاب .



ومن قصي (٤) بن كلاب : عبد العزى (ومنهم بنو أسد (٥)) ، وعبد الدار (٦) ،
(ومنهم آل أبي طلحة بن عثمان) وعبد مناف .



ومن عبد مناف : المطلب (٧) ، ونوفل (٨) ، وعبد شمس ، وهاشم ،

(١) منهم أبو بكر الصديق ، وعبد الله بن جدعان ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبيد الله بن معمر
(٢) منهم أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن الوليد ، والمغيرة بن عبد الله ، وعمر بن
عبد الله بن أبي ربيعة (الشاعر) ، وإسماعيل بن هشام بن المغيرة ، وسعيد بن السيب (الفقيه)
(٣) منهم عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وآمنة بنت وهب أم النبي عليه الصلاة
والسلام (٤) كان قصي عطيًا في قريش ، وهو الذي جمعهم بعد التفرق ، وفي ذلك يقول الشاعر :
أبوكم قصي حين يدعى محمداً به جمع الله القبائل من فهر

وارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة بعد أن كانوا انتزعوها من بني إسماعيل (٥) منهم ورقة
ابن نوفل ، ويزيد بن زمة ، والزيير بن العوام ، والماص بن هشام . وخويلد بن أسد أبو خديجة
بنت خويلد وحزام بن خويلد (٦) كانت ييديم مفاتيح الكعبة دون سائر بني قصي . ومنهم
عثمان بن طلحة صاحب الحجابة ، وشيبة بن عثمان بن طلحة ، والحارث بن علقمة ، والنضر بن الحارث
قتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأتيل (٧) منهم عبيدة بن الحارث المقتول يوم بدر والإمام
الشافعي (٨) منهم نافع بن طريب الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب ، وجبير بن مطعم
والحارث بن عامر صاحب الرقادة ، ومسلم بن قرظة ؛ قتل يوم الجمل .

ومن عبد شمس : حبيب^(١) بن عبد شمس ، ورييمة^(٢) بن عبد شمس ،
وعبد^(٣) العزى بن عبد شمس ، وأميمة بن عبد شمس الأكبر ، وأميمة بن عبد شمس
الأصغر .

ومن أمية الأكبر : العاص وأبو العاص والميص وأبو الميص (ويسمون
الأعياص^(٤)) ، وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو أبو عمرو (ويسمون
المنابس^(٥)) .

ومن أمية الأصغر : المبلات^(٦) .



ومن هاشم بن عبد مناف : نضلة ، وأسد وصيقي ، وأبو صيقي^(٧) ، وعبد المطلب



وولد لعبد المطلب اثنا عشر ولداً منهم : أبو طالب ، والزبير ، وعبد الكعبة ،
والمعابس وضرار ، وحجل ، وأبو لهب ، وقُثم ، والفيذآن^(٨) ، وعبد الله
(أبو النبي ﷺ) .



(١) منهم عامر بن كرز (٢) هو أبو عتبة وشيبة ابني ربيعة (٣) رجع أبو العاص
ابن الربيع ، وزوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) من الأعياص هيثم بن عфан ،
وعتاب بن أسيد عامل النبي صلى الله عليه وسلم على مكة وآل سعيد من العاصي (٥) ومن
المنابس آل سفيان بن حرب : معاوية وولده وإخوته (٦) منهم الثريا بنت عبد الله التي كان
يشبب بها عمر بن أبي ربيعة (٧) نضلة وأسد وصيقي وأبو صيقي لم يشتهروا
(٨) لقبه الحارث .

فهرس الاعلام

(١)

- الأحيمر بن عبدالله : ١٩٣، ١٩٧، ٢٠١
 الأخيل بن عبادة : ٢٣٩
 أرطاة بن ربيعة : ٣٨٣
 أرطاة بن منقذ الأسدي : ٣٨٠
 أسبع بن عمرو بن لأم : ٦٠
 الأسلع بن القصاف : ٢٢٧
 أسماء المرية : ٢٨٣
 أسود بن بجير المجلي : ٣٣
 الأسود بن شقيق الضبابي : ٣٠٤
 الأسود بن المنفر : ١١
 أسيد بن جذيمة : ٢٣٧
 أسيد بن حناءة السليطي : ١٨٢، ١٩٢
 ١٩٧، ٣٦٨
 الأشتر بن عمارة الضبابي : ٣٠٧
 أعشى قيس : ٣٤، ٣٨، ٩٩، ١١٣
 الأعيمر بن يزيد المازني : ١٢٤
 الأغلب المجلي : ٢١٤
 الأقرع بن حابس : ٢٠٦
 أكتل بن حيان المجلي : ٢١٧
 أكم بن صيفي : ١٢٤
 أمامة بنت المداء : ٣٨٠
- أبجر بن جابر المجلي : ١٧٢، ١٨٤
 ابن الرعاء الضبابي : ٥٢
 أبو دؤاد الرؤاسي : ١٣٥
 أبو جرودة السنبسي : ٦٠
 أبو سفيان بن أمية : ٣٣٤
 أبو السيد المصري : ٣٣٥
 أبو عامر الراهب : ٧٨
 أبو عمرو بن الملاء : ٣٦
 أبو النول الطهوي : ٢٢٥
 أبو قيس بن الأسلت : ٦٥
 أبو كلبة النيمي : ٣٧
 أبو لطيفة بن الخطيم بن الأعراف : ٣٠٥
 أبير بن عصمة النيمي : ١٢٤
 أئين بن عمرو السعدي : ١٢٤
 أبي بن زيد : ١٦
 الأجاج الضبابي : ٣٠٦
 الأحوص بن جعفر الكلابي : ٣٤٤، ٣٥٠
 أحيحة بن الجلاح الأومسي : ٦٣، ٦٩
 ٢٤٦

بشر بن أبي خازم : ١٣٨ ، ٣٢٩
 بشر بن حزن : ٢٢٠
 بشر بن الموراء : ١٧٢
 بشر بن مسمود : ٢١٧
 بكر بن يزيد : ٣٢
 بكير (أصم بن الحارث بن عباد) : ٣٩
 بلعاء بن قيس : ٣٣١ ، ٣٣٧

(ت)

تماضر بنت الشريد : ٢٣٦

(ث)

ثابت بن المنذر بن حرام : ٦٦
 ثعلبة بن الحارث : ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٣٦
 ثعلبة بن يربوع : ٣٧٠

(ج)

جابر بن وهب : ٣٣٦
 جبلة بن باعث اليشكري : ٢٩
 جثامة الدهلي : ١٧٦
 جزء بن سمدة : ١٩٣ ، ١٩٧
 جساس بن مرة : ١٤٣
 جنم بن ذهل : ١١١
 الجعد بن النماح : ٢١٥
 جعفر بن علبة : ٨٥
 الجليح بن شديد الجمعري : ٣٠٤
 جلييلة بنت مرة : ١٤٣

امرؤ القيس بن أيان : ١٦٠
 امرؤ القيس بن حجر : ٤٩ ، ١١٥
 أميمة بنت أمية بن عبد شمس : ٣٣٨
 أنس بن عباس الأصم : ٣٧٠
 أنس بن مرة : ٢٨٢
 أنوشروان (ملك الفرس) : ٢٠
 أنيف بن جبلة الضبي : ١٨٢
 الأهم بن سنان : ١٢٨ ، ٣٧٨
 أوس بن حارثة الطائي : ١٣٧
 أوس بن حجر : ٢٠٧ ، ٢٣٦
 أوس بن خالد : ٦٠
 أوس بن قلام الحارثي : ٦
 إياس بن عبلة : ٢٢٦
 إياس بن قبيصة : ١١ ، ٢٥ ، ٢٦
 أيوب بن محرف : ٦

(ب)

باذان (عامل كسرى) : ٢٧٢
 بجير (ابن أخي الحارث بن عباد) : ٣٩
 بجير بن عبد الله : ٢٠١ ، ٣٧٥
 بدر بن حشر الففاري : ٣٢٢
 البراض بن قيس : ٣٢٦
 بريقة بنت شيدان : ٢٢٣
 بسطام بن قيس الشيباني : ١٩١ ، ١٩٧
 ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٣٨٢
 البسوس بنت منقذ : ١٤٤

حبيش بن داف : ١٠٩
 الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٠٨
 حجر بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢
 حجر بن عمرو الكندي : ٤٢
 حذيفة بن بدر : ٤٩
 حرب بن أمية : ٢١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩
 ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
 حر بن الحارث العبسي : ٢٥٩
 حرقصة بن جابر : ١٨٤
 حرملة المكي : ٣٦٠
 حريث بن سلمة : ٢٢١
 حزيمة بن طارق : ١٨٢
 حسان بن ثابت : ٦٨
 حسان بن عامر بن الجون : ٣٥٩
 حسان بن كبة الكندي : ٣٦٥
 حسان بن وبرة السكبي : ٣٥١
 حسيل بن عمرو السكابي : ١٣٤
 حشيش بن نمران الرياحي : ٣٦٦
 حصن بن حذيفة : ٢٦٤ ، ٣٥١
 حصن بن ضرار الضبي : ٣٩٠
 حصيصة بن شراحيل : ٢٠٨
 الحصين بن أسيد بن زهير : ٢٣٢
 الحصين بن زهير : ٢٣٢
 الحصين بن يزيد الحارثي : ١٣٢
 حضير بن سمالك : ٧٢ ، ٧٥

جندب بن حصن السكابي : ١٣٨
 الجون السكبي : ٣٥١

(ح)

حاتم الطائي : ٦٠ ، ١٣٧
 حاجب بن حميصة : ٣٠٨
 حاجب بن زرارة : ٩٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥١
 الحارث بن الأبرص : ٣٥٨
 الحارث بن بدر : ٢٥٩
 الحارث بن بينة الجاشمي : ٥٤ ، ٢١٥
 الحارث بن جبلة : ٢٠ ، ٥٤ ، ٦٠
 ١٢٢
 الحارث بن ربيعة : ٢٩
 الحارث بن شريك (الحوقران) : ٣٢
 ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢١٣
 الحارث بن الشريد : ٢٣٦
 الحارث بن عباد : ١٥٤
 الحارث بن عمرو (المقصور) : ٤٦ ، ١١٢
 الحارث بن قراد : ١٨٢
 الحارث بن كلدة : ٣٣٧
 الحارث بن مكدم : ٣١٥
 الحارث بن هام : ١٦٢
 الحارث بن وعة : ٢٥ ، ٢٩
 حاطب بن قيس الأوسي : ٧٢
 حبيب بن عتيبة : ٤٧

خفاف بن عمير : ٢٨٤
خفاف بن ندبة ٧٨
الخنساء بنت عمرو (الشاعرة) : ٢٨٥
٢٩٠
خيرى بن هبادة : ٤

(د)

دخنوس بنت لقيط : ٣٦١
دراج بن زرعة بن قطن : ٣٠٨
درهم بن زيد : ٦٥
دريد بن حرمة : ٢٨٩ ، ٢٨٥
دريد بن الصمة : ٣١٧ ، ٣١٢ ، ٢٩٣

(ذ)

ذؤاب بن أسماء : ٢٩٨

(ر)

الربيع بن زياد : ٢٤٩ ، ٢٤٧
ربيعة بن شكل : ٣٤٩
الربيع بن ضبع الفزارى : ١٢٢
ربيعة بن طريف : ١٧٦
ربيعة بن الطفيل : ١٧٦
ربيعة بن عبد الله : ٣٤٥
زبيمة بن غزالة : ٣٠
ربيعة بن كعب : ٣٤٥ ، ٣٠٠

الحطيئة (الشاعر) : ٣٧٨ ، ١٣٧

حليمة بنت الحارث النسائي : ٥٤

الحكم بن الطفيل : ٢٧٨

الحمراء بنت ضمرة بن جابر : ١٠٧

حمران بن عبد عمرو : ١٦٧ ، ١٧٨

حمل بن بدر : ٢٤٩

حماد بن زيد بن أيوب : ٧

الحنثف الضبي : ٢٧٨

حندج بن البكاء : ٢٣٩ ، ٣٤٥

حنظلة بن بشر : ١٨٧

حنظلة بن ثعلبة : ٢٩ ، ٣١

حنظلة بن الطفيل : ١٨٧

حنظلة بن عمار : ٣٠٢

حنظلة بن المأمون : ١٧٣

حنابزين : ٢٧

الحوثرية بن قيس : ٣٧١

(خ)

خارجة بن سنان : ٢٧٠

خارجة بن حصن : ٣٧٣

خالد بن جعفر : ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٣٤٤

خالد بن مالك النهشلي : ٣٦٦

خالد بن يزيد الهراثي : ٢٧

خداش بن زهير : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧

خريم بن سنان : ٢٦٩

خفاف بن حزن : ٤٢٠

سليع بن ربيع : ٣٣٥
 سليع بن عمرو : ٢٦١
 سليمة بنت عبد شمس : ٣٣٥
 سحيم بن وثيل : ٣٦٨ ، ٤٠١
 سدوس بن شيان : ٤٣ ، ١١١
 بسرى بن عبد الله الهاشمي : ٨٧
 سعد بن ضبا الأسدي : ٣٠٠
 سعد بن فلحس الشيباني : ١٨٨
 سعد بن مالك : ١٥٤
 سعد بن مرة : ١٤٥
 سمدي زوج (أوس بن حارثة) : ١٣٨
 سفيان بن أمية : ٣٣٤
 سفيان بن عوف : ٣٣٧
 سلامة بن جندل السمدي : ١٨١
 سلامة بن طاب : ١٧٥
 سلمة بن الحارث : ٤٦ ، ٩٩ ، ١١٢
 سلمة بن خالد : ١١١
 سلمى بنت عمرو : ٧٠
 سلمى الملقى : ٣٨٠
 سمير بن يزيد : ٦٣
 السموءل بن عادياء : ١٢١
 سنان بن سُمَيَّ : ١٧٥
 سنان بن أبي حارثة : ٢٥٦ ، ٣٦٠
 سنان بن سنان بن أبي حارثة : ٣٧٤
 سوادة بن يزيد : ١٨٧
 سوار بن حبان : ١٨٠

ويمة بن مكرم : ٣١٣ ، ٣١٩
 رشيد بن رميض : ٢١٨
 رملة بنت صبيح : ٣٨٠
 رياح بن الأسك : ٢٣٠
 ريان بن الأسلع : ٢٦٣

(ز)

الزبرقان بن بدر : ١٢٤
 زرارة بن عدس : ١٠٠
 زرعة بن الصمق : ٣٤٥
 زنباع بن الحارث : ٣٦٦
 زنباع بن الحكم : ٣٦٨
 زهير بن أبي سلمى : ٢٧١
 زهير بن جذيمة : ٢٣٠
 زهدم بن حزن العبسي : ٢٩٤ ، ٣٥٧
 زياد بن نير الأسدي : ٢٨٠
 زياد بن الهبولة : ٤٢
 زيد بن أيوب : ٧
 زيد الخليل : ٦٠
 زيد بن عدى : ١٨
 زيد بن عمرو : ٢٢٦
 زيد الفوارس : ٣٩٠

(س)

ساعدة بن مر : ٢٩٨
 سبيع بن الحطيم : ٣٧٣

(ص)

- صخر بن أعلى الهندي : ١٣٤
صخر بن عمرو : ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩
صرد بن حمزة : ١٩٣
صرح بن ربيع : ١٧٨
الصمق بن عمرو : ٣٤٥
صلبح بن غنم : ٤٣
الصمة الجسمي : ٣١٥
الصميل بن الأعور السكلابي : ١٣٣

(ض)

- ضرار بن الخطاب : ٣٣٠
ضرار الضبي : ٣٩٠
ضرار بن عمرو : ١٠٩
ضرار بن الفقعاق : ١٧٢
ضمرة بنت ابي الحامبي : ١٢٧
ضمضم (أبو الحصين الرزي) : ٢٥٩

(ط)

- طارق بن ديسم : ٩٦
طريف بن عميم العنبري : ٢٠٨
طريف بن عمرو : ١٠٨
طريف بن مالك : ١٠٨
طفيل القنوي : ٣٠١
طفيل بن مالك : ٣٤٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦
٣٨٠

سويد بن الحوفزان : ١٨٨

- سويد بن ربيعة الدارمي : ١٠٢
سويد بن صامت الأوسي : ٦٦

(ش)

- شاس بن زهير بن حذيفة : ٢٣١
شأس بن عبده : ٥٥
شنير بن خالد السكلابي : ٣٩٠
شداد بن معاوية : ٢٦٣
شراحيل النيداني : ٢٠٨
شرحاف بن التلم : ٣٩٢
شرحبيل بن أخضر بن الجون : ٣٥١
شرحبيل بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢
شريح بن الأحوص : ٣٥٩
شريح بن الحارث اليربوعي : ٩٦
شريك بن وهب : ٣٦٨
شريك بن عمرو : ٣١
شريك بن مالك : ٣٧٣
شريك بن الهيثم : ٣٠٥
شمر بن عمرو الحنفي : ٥٢
شملة بنت الأخضر : ٣٨٦
شميث بن زنباع الرياحي : ٣٦٩
شهاب بن عبد قيس اليربوعي : ٩٥
شيدان بن خصفة : ٢٢٠

عبد الله بن الطفيل : ٢٨٢
 عبد الله بن عامر : ٢٢٠
 عبد الله بن عنمة الضبي : ١٨٧ ، ٣٨٥
 عبد الله بن غطفان : ٣٩٨
 عبد الله بن مالك : ٢٢١
 عبد الملك بن مروان : ٣٠٨
 عبد يفيو بن سلامة الحارثي : ١٢٦
 عبيد بن الأبرص : ١١٣
 عتبة بن جعفر : ٣٠٠
 عتبة بن شتير : ٣٩٠
 عتاب بن هرمي بن رباح : ٩٤
 عنوة بن أرقم : ١٨٧
 عنبية بن الحارث : ١٧٨ ، ١٩٢ ،
 ١٩٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣
 عنجل بن الأماموم : ١٧٢
 عثمان بن عبد الله بن سمرانة الفرشي :
 ٣٠٨
 عثمان بن عفان : ٢٢٠ ، ٤٠٦
 عديل بن الفرخ : ٣٧
 عدي بن حاتم : ٦١
 عدي بن زيد : ١٧
 عدي بن مرينا : ١٤
 عروة بن جعفر : ٣٠١
 عروة بن خالد : ٣٨٠
 عروة الرحال : ٢٤٣ ، ٣٢٧
 عروة بن الورد : ٢٨٧

طلحة بن سنان : ٢٦٨
 طليسة بن زياد المجلي : ١٧٣

(ع)

عاصم بن خابطة الصباحي : ٣٨٤
 عاصم بن عمرو : ٦٩
 عاصم بن العلي : ٣٢٠
 عامر بن جوين : ١٢١
 عامر بن الطفيل : ١٣٢ ، ١٩٩ ، ٢٧٨ ،
 ٢٨٢ ، ٣٠٢
 عامر بن كعب : ٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٦٥
 عامر بن مالك : ١١٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٥ ،
 ٣٦٥
 عباس الأحم : ٢٨٥
 عباس بن مرداس : ٢٨٥ ، ٣٢١ ،
 ٣٧١
 عبد عمرو بن سنان : ١٨٧
 عبد الله بن أبي : ٧٤
 عبد الله بن جدعان : ١٠٩ ، ٢٤٨ ،
 ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥
 عبد الله بن جذل الطمان : ٣١٥ ، ٣١٩
 عبد الله بن جمدة : ٢٢٤
 عبد الله بن الحارث بن عمرو : ١١٢
 ١٨٧
 عبد الله بن الزبير : ٣٠٨
 عبد الله بن الصمة : ٢٩٣

عمرو بن عبد الله بن جدلة : ٣٥٢
 عمرو بن عمرو : ٣٥٨ ، ٣٦٥
 عمرو بن قنيس : ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٨٩
 عمرو بن مالك : ١٦٧ ، ٣٢٠
 عمرو المزدلف بن أبي ربيعة : ١٢٤
 عمر بن ملقط الطائي : ١٠٥
 عمرو بن الهمان البياضي : ٧٢
 عمرو بن هند : ١٠٠ ، ١٣٧
 عمران بن مرة : ٢٠٦
 عميرة بن طاري : ١٨٤
 عنقرة بن شداد : ٢٥٨ ، ٢٦٧
 العنقاء بنت همام : ٣٨٠
 عوف بن الأحوص : ٣٦٨ ، ٣٠١ ،
 ٣٤٥ ، ٣٥٠ ، ٣٦٠
 عوف بن بدر : ٢٥٩
 عوف بن جليل : ٤٩
 عوف بن عتاب : ٩٤
 عوف بن عطية : ٣٧٣ ، ٣٧٨
 عوف بن عمرو : ١١١
 عوف بن القمقاع : ١٧٣
 عوف بن محلم : ٤٢ ، ١١١
 العوام الشيباني : ١٩٤
 عيننة بن حصن : ٧٢ ، ٣٧٣
 (غ)
 غالب بن صعصعة : ٤٠١

عصمة بن أير التيمي : ١٢٩
 عصمة بن حدرة : ٣٦٨
 عصيم بن مالك الجشمي : ٤٦
 عصيمة بن عاصم : ٢٢٣
 العفاق بن الفلاق : ٣٦٨
 علياء بن الحارث : ١١٥
 عليبة بن جعفر : ٨٧
 علقمة الفحل : ٥٥ ، ١٠٥
 علي بن جندب : ٨٧
 عمارة بن زياد العبسي : ٢٦٠ ، ٣٩١
 عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل : ٤٢
 عمرو بن الأحوص : ٣٦٦
 عمرو بن امرئ القيس الخزرجي : ٦٤
 عمرو بن بشر : ٢٩
 عمرو بن جبلة : ٣١
 عمرو بن جندب : ١٩٩
 عمرو بن الجون : ٣٥١
 عمرو بن جوين : ٩٦
 عمرو بن الحارث بن ذهل : ١٤٦
 عمرو بن حوط : ٩٦
 عمرو بن خالد : ٣١٩
 عمرو بن سنان : ١٢٨
 عمرو بن سواد : ٢١١
 عمرو بن شماث الطائي : ١٠١
 عمرو بن صبيح الهندي : ١٣٣

قيس بن عبد الله القمسي : ٣٨٠
 قيس بن قبيصة : ٣٣
 قيس بن مسعود : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٨ ،
 ٢٩٩ ، ٥٣
 قيس بن مقلد : ١٧٨
 قيس بن انتفق : ٣٥٨

(ك)

كدام بن بجيلة : ٣٧٦
 كرب بن صفوان : ٣٥٣
 كردم الغزاري : ٢٩٤
 كرز بن خالد : ٣١٩
 كسرى أبو شران : ٢ ، ١٢٤ ، ١٩١
 كعب بن أسد القرظي : ٧٤
 كعب النملي : ٦٣
 كعب بن عمرو المازني : ٦٩
 كعب الفوارس بن معاوية : ١٣٤
 الكاحبة البربعي : ١٨٢
 كايب بن عبد الأشهل : ٧٨
 كايب بن وائل : ١١١ ، ١٤٢

(ل)

لأم بن سلمة : ٣٧١
 لبيد بن ربيعة : ٣٠٢
 لبيد بن عمرو النسائي : ٥٤
 لقيط الأيادي : ٣٩
 لقيط بن زرارة : ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

(ف)

الفارعة بنت معاوية : ٣٨٠
 فاطمة بنت الأحجم : ٣٣٩
 فدكي بن أعبد : ١٧٦ ، ٢١٠
 فراس بن حابس : ٢٠٦
 فروة بن الحكم : ٣٦٦
 فروة بن مسعود : ٥٣

(ق)

قابوس بن النذر : ٩٥
 قباذ بن فيروز : ٤٦
 قبيصة بن نعيم : ١١٧
 قتادة بن سلمة : ٢٦٦
 قدامة بن سلمة : ٣٦٥
 قرة بن قيس بن عاصم : ١٧٦
 قرة بن هبيرة : ٣٧٨
 قرواش بن عمرو : ٢٦٣ ، ٢٦٨
 قعنب بن الحارث : ٣٧٥
 قعنب بن سكير : ١٩٣
 قعنب بن عصمة : ١٩٣
 قيس بن جحدر : ١٠٢
 قيس بن حزن العبسي : ٣٥٧
 قيس بن الخطيم : ٦٧ ، ٧٩
 قيس بن زهير بن جذيمة : ٢٤٥ ،
 ٢٤٦ ، ٣٤٩
 قيس بن عاصم النقري : ١٢٤ ، ١٧٥

ليلى بنت الأحوص : ٣٨٢

(م)

المأمور الحارثي : ١٢٥

مالك بن بدر : ٢٦٠

مالك بن جعفر : ٣٤٥

مالك بن حطان : ١٩٨ ، ٢٠١

مالك بن حمار الفزاري : ٢٨٦ ، ٣٦٠

٣٦٣

مالك بن خالد : ٣١٩

مالك بن الربيع : ٣٠٥

مالك بن زهير : ٢٥٤

مالك بن سلامة (ذو الرقيبة) : ٣٧٨

مالك بن المجلان : ٦٢

مالك بن قحافة : ٣٠٠

مالك بن قيس : ١٧٣

مالك بن كعب : ٣٠٠ ، ٣٨٠

مالك بن المنتفق : ٣٨٢

مالك بن المنذر بن ماء السماء : ١٠٢

مالك بن نويرة : ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٣٧٢

متم بن نويرة : ٩٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٣

الثلم بن قرط : ٣٧٦

الثلم بن المشخرة : ٣٩١

محرز بن مكعب الضبي : ٢١٨ ، ٣٨٦

محرقت الفسائي : ٣٨٨

محمد بن هشام : ٩٠

مرثد بن الحارث : ٣٣

مرثد بن ذى جندن : ١٢٠

مرة بن ذهل بن شدان : ١٤٣

مرة بن عمرو : ٢٨

مرة بن عوف الجشمي : ٢٩٨

مربة بنت جابر : ١٤٣

مزيد بن مهمم : ٣٠٥

مسعدة السلمي : ٢٢٠

مسعود بن معتب الثقفي : ٣١٦ ، ٣٣٥

مسهر بن ذى جدى الجبري : ١٢٠

معاوية بن الجون : ٣١٥ ، ٣٦٠

معاوية بن شكل : ٢٦٨

معاوية بن الصموت : ٣٦٠

معاوية بن عمرو السلمي : ٢٨٣

معبد بن زرارة : ٣٤٧

معدان بن عصمة : ١٩٣

معدى كرب بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢

مفروق بن عمرو : ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١٢

مقاس بن عمرو : ٢١٧

مكسر بن حنظلة : ٢٥

المليد بن مسعود : ٢٠٢

مليح بن عبد الله : ١٩٨ ، ٢٠١

المنذر بن ماء السماء : ٤٦ ، ٥١ ، ٩٤

٩٩ ، ١٠٢ ، ١٢٠

المنذر بن المنذر بن ماء السماء : ٥٤

المهلل بن وائل : ١٤٩

(ن)

النايلة الديقاني : ٢٨٠

ناشب بن بشامة : ١٧٠

نافع بن حجر : ١١٥

نبيشة بن حبيب : ٢٨٥ ، ٣١٥

نذبة بن حذيفة : ٢٤٥

النضر بن مضارب : ٨٧

النعمان بن جساس اليمعي : ١٠٢ ،

١٢٤ ، ٣٧٣

النعمان بن زرعة : ٢٦

النعمان بن فموس التميمي : ٣٦٤

النعمان بن المنذر : ٢ ، ١٠٩ ، ١٣٧ ،

٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥١

نعمة بنت ثعلبة العدوية : ٨

نميم بن عتاب : ٣٧٦

نميم بن القمقاع : ١٧٣

نهمشل بن مرة : ٢٨٢

نوفل بن ربيعة : ١١٤

(ه)

هاشم بن حرملة : ٢٨٣

الهامرز : ٢٧

هاني بن قبيصة : ١٩٢

هاني بن مسمود : ٩٣ ، ٢٠٩

الهذلق بن ربيعة : ٤٠٢

هذيل بن الأحنس : ١٧١

هريم بن الخطيم : ٣٠٦

هزار بن مرة : ٢٨٢

هشام بن عبد الملك : ٩٠

هشام بن المغيرة : ٣٢٩ ، ٣٣١

همام بن بشامة : ١٧١

همام بن مرة : ١٤٤

هند بنت جربول : ١٠٧

هند بن خالد : ٣١٩ ، ٣٢١

هند بنت ظالم : ٤٢

هند بنت النعمان : ٢٧

هند بنت وقاص : ٣٨٠

هند بنت يزيد بن معاوية : ١٢١

هوزة بن علي الحنفي : ٢

(و)

وبرة السكابي : ١٠٩

وحزة بنت الخطيم : ٣٠٦

وديمة بن أوس : ١٩٣

الورد العبدي : ٢٥٠

ورقاء بن زهير : ٢٣٨

وكيع بن القصاص : ٢٢٦

الوايد بن المغيرة : ٣٢٩

الوايد بن يزيد : ٩٢

يزيد بن عمرو : ١١٠
يزيد بن مسهر : ٣٢
يزيد بن معاوية : ١٢١
يزيد بن المحرم : ١٢٥
يزيد بن هوبر : ١٢٥
يزيد بن اليكسوم : ١٢٥
يوسف بن عمر النفقي : ٩٢

(٥)

يزيد بن حارثة : ٣١
يزيد بن حمار السكوني : ٣٣
يزيد بن حنظلة : ٣١
يزيد بن شرحبيل : ٩٩
يزيد بن الصمق : ٣٦٥
يزيد بن عبد المدان : ١٢٥



الامم والقبايل

بنو البكاء : ١٣٤

ياضة : ٩٥ ، ١٠٦

(ت)

تغلب : ٢٧ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٩٩ ، ١١٢

١٤٥

نميم : ٢ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ،

١٧٠ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ،

٢١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥٠ ، ٤٠١

بنو نيم اللات : ١٧٤

بنو نيم الله : ٢٠٦ ، ٢٢٦

(ث)

الثعالب : ١٩٧

بنو ثعل : ١٢١

بنو ثعلبية : ١٩٧

(ج)

بنو جحجي : ٦٣ ، ٦٩

جديس : ٣٩٦

جديلة : ٦٠

(١)

بنو آكل المرار : ١٢٠

أبو بكر بن كلاب : ٣٠٠

الأجارب : ١٧٥

الأحاييش : ٣٣١

الأزد : ٦٢ ، ١٢٠

أسد : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٣٨ ، ٢٦٢ ،

٣٠٠ ، ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٣٩٩

أشجع : ٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٣

أكلب : ١٣٢

الأوس : ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٣

لياد : ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٨٨

(ب)

بنو بدر بن فزارة : ٢٤٦ ، ٣٧٤

البراجم : ٩٥ ، ١٠٦

بكر بن عبد مناة : ٣٣٤

بكر بن كلاب : ٢٦٨

بكر بن وائل : ٦ ، ٢٥ ، ٤٢ ، ٤٦ ،

٩٩ ، ١١٢ ، ١٤٥ ، ١٧٥ ، ١٧٨

١٨٥ ، ١٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٠

بنو ذهل بن ثعلبة : ١٧٨ ، ١٧٥

(ر)

الرباب : ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ٢٠٦

بنو ربيع بن الحارث : ١٧٨

ربيعة : ٤٢ ، ١١١

بنو ربيعة بن ذهل : ٢٩

بنو رعل : ٣٧٠

بنو رواحة : ٢٢

الروم : ١٢٢

بنو رياح بن يربوع : ١٨٥ ، ٢٢١

(ز)

زيد : ١٣٢ ، ١٩١

بنو زياد بن الربيع : ٢٥٠

بنو زيد (بطن في الأوس) : ٦٣

(س)

سعد بن بكر : ٣٣٥

سعد بن زيد : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢٥ ،

٣٧٨ ، ٣٧٣ ، ٢٦٦

سعد المشيرة : ١٣٢

سليم : ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ،

٣٩٩ ، ٣٣١

بنو سليط بن يربوع : ١٧٨ ، ٢٠٩

بنو سنان : ٢٧

بنو جشم : ١٤٤ ، ٢٩٣ ، ٣١٢ ،

٣٣٥ ، ٣٢٥ ، ٣١٧

بنو جمدة : ١٣٣

بنو جعفر بن ثعلبة : ١٩٩

بنو جعفر بن كلاب : ٢٦٨ ، ٣٠٠ ،

٣٥٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢

جهينة : ٧٣ ، ٢٨٤

(ح)

بنو الحارث بن الخزرج : ٦٤ ، ٧٢

بنو الحارث بن كعب : ٨٥ ، ٨٩ ،

١٢٩ ، ١٣٢ ، ٣٠٢

بنو حارثة بن لام : ٢٢٦

حير : ١٢٠

بنو حظلة : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٧٢

٢١٥ ، ٢٦٧ ، ٣٧٥ ، ٤٠١

(خ)

خشم : ١٣٢

الخزرج : ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٣

(د)

الدؤل : ٣٢٦

بنو دارم : ١٠٦ ، ١١٢ ، ٣٤٤

(ذ)

ذبيان : ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٥١

بنو عامر بن صعصعة: ١٠٩، ١٣٢،
١٩٨، ٢٣٦، ٢٤٦، ٢٦٥،
٢٧٨، ٢٨١، ٣٢٤، ٣٤٤، ٣٤٩،
٣٧٦، ٣٦٥

عبس: ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٨١،
٢٩٣

عبد القيس: ١١٢، ٢٤٩، ٣٤٩،
٣٩١، ٣٦٨

بنو عبيد: ١٩١

بنو عتيبة: ١٩١

بنو عجل: ٣١، ١٥٤، ١٧٥، ١٨٤

عدوان: ٣٣٥

بنو عدى (رهط حاتم الطائي): ١٠٢

بنو عدى بن جندب: ١٧٤

بنو عدى بن كعب: ٣٠٨

بنو عقيل بن كعب: ٨٥، ٨٩

بنو عمرو بن تميم: ١٧١، ٣٧٥

بنو عمرو بن جندب: ١٩٨

بنو عمرو بن حنظلة: ٢٠٦

بنو عمرو بن عوف: ٦٣

بنو العنبر: ١٧٠، ٢٢١، ٣٦٥

بنو عذرة بن أسد: ١٧٥

(غ)

غسان: ٥٤

سنبس: ٦٠

(ش)

شهران: ١٣٢

بنو شهاب: ٢٠٠

شيبان: ٢٣، ٤٣، ١٤٤، ١٧٨،

١٨٤، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٦،

٣٨٢، ٢٦٦

(ص)

صدا: ١٣٢

الصنائع: ١١٢

(ض)

ضبة: ١٠٩، ٢٦٧، ٣٠٤، ٣٧٣،

٣٧٨، ٣٨٢، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩١

(ط)

طسم: ٣٩٦

بنو الطماح: ٢٣١

طلي: ٢٢، ٦٠، ٩٩، ١١٦، ١٣٧

(ع)

بنو عائذة: ٢٠٩

بنو عاصم بن عبيد: ٢٠١

بنو كعب : ٢٣٨ ، ٣٣١ ، ٣٥٠
بنو كلاب : ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٣٣١ ،
٣٦٨ ، ٣٤٩
كلب : ١١٦
بنو كلفة : ١٠٦
كنانة : ١١٣ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ،
٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،
٣٣٧ ، ٣٣٤
كندة : ٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٩

(ل)

لحم : ٥٥
اللهازم : ١٧٠ ، ٢٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٤

(م)

بنو مازن : ٢٢١
بنو مازن بن فزارة : ٢٥٣
بنو مالك بن حنظلة : ١٧٢ ، ٢١٦ ،
٤٠١ ، ٣٧٦
بنو مالك بن زيد : ١٩٧
بنو مالك بن كنانة : ٣١٧
بنو مجاشع : ٩٤
مخزوم : ٣٣٤
مدحج : ١١١ ، ١٢٥ ، ١٣٢
مراد : ١٣٢
بنو مرة : ١٤٤ ، ٢٠٩
بنو مرة بن عوف : ٢٧٨ ، ٢٨٣

غطفان : ٤٦ ، ١١٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ،
٢٨١ ، ٢٩٣ ، ٣٥٠
غنى : ٢٣١ ، ٢٤٢
غوث : ٦٥

(ف)

بنو فراس بن غنم : ٣١٥ ، ٣١٩
الفرس : ٣٣ ، ١٩١
فزارة : ٢٥٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ،
٣٧٣
فهم : ٣٣٥

(ق)

قريش : ١٠٩ ، ٢٣٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ،
٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣١
بنو قريظة : ٦٥ ، ٧٣
قشير : ٣٠٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦
بنو القصاف : ٢٢٦
قضاة : ٢٧ ، ١١١ ، ١٢٥
آل قلام : ٧
قيس بن ثعلبة : ٩٩ ، ١٧٠
قيس عيلان : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢١ ،
٢٣٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
٣٠٧

(ك)

بنو كاهل : ١١٥

بنو نمير بن عامر : ١٣٣

نهد : ١٣٢

نهلش : ١٠٨ ، ٣١٧ ، ٢٢٠

بنو نوفل بن عبد مناف : ١٠٥

(ه)

هلام بن عامر : ١٣٣

هوازن : ٢٣٥ ، ٢٩٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦

(ي)

يربوع : ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٦ ،

٢٢١ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ،

٤٠١

يشكر : ٣٢ ، ١٥٤

يزود : ٦٢

بنو مرينا : ٩١

مزينة : ٧٥

مضر : ١١١

معد : ١١١ ، ١٤٢

مقاعس : ١٧٥

بنو منقر : ١٧٩

(ن)

ناهس : ١٣٢

بنو النبيت : ٧٤

بنو النجار : ٦٤ ، ٦٩

نزار : ٤٦ ، ١١٢

بنو نصر : ٢٩٣ ، ٣٢٢

بنو النصير : ٦٥ ، ٧٣

النمر بن قاسط : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٥٤

الأماكن

(ت)

تبالة : ١٢٠
تهامة : ٦٢ ، ١١٣
تيمياء : ١٢١

(ث)

ثعلل : ١٧٥

(ج)

جبله : ٣٤٩
جدود : ١٧٨
جنح ظلال : ٣٧٣
جفاف : ١٩٢
ذات الجفر : ٣٦٨
جفر الهباءة : ٢٦٣

(ح)

الحديقة : ١٩١
الحريرة : ٣٣٧
الحزن : ١٩١
حوزة : ٢٨٩ ، ٢٨٣
الحيرة : ٤٦ ، ٢٥

(١)

الأبلة : ٢٥
ذات الأئبل : ٣٩٩
أجا : ٦١
إرم الكابة : ٣٧٥
الأفاقة : ١٩١
أنقرة : ١٢٣
أوازة : ٣٢٧ ، ١٠٠ ، ٩٩
إياد : ١٩١

(ب)

البحرين : ٤٢
بردان : ٤٢
برزة : ٣١٩
بزاحة : ٣٨٨
البصرة : ٢٢٠
بطن الجريب : ١٤٦
بطن عاقل : ٢٣٢
بناث : ٧٣

شبيث : ١٤٥

شمطة : ٣٣١

الشیطان : ٢١٧

(ص)

الصرايم : ٣٦٨

الصمان : ١٧١ ، ١٣٨

صومر : ٤٠١

(ط)

طخفة : ٩٤

طلح : ١٨٥

ذو طلوح : ١٨٤

(ع)

عاقل : ٢١٥

عسيب : ٤٠٠ ، ١٢٣

عكاظ : ٢٣١ ، ٢١٥ ، ٢٠٨ ، ١٠٩

٣٣١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٢ ، ٢٨٣ ، ٢٣٥

عين اباغ : ٥١

عين التمر : ٢١٥ ، ٣٣

(غ)

غبيط الدرّة : ١٩٧

غول : ٣٠٤

(ف)

فروق : ٢٦٧

فلج : ١٩٧

فيفه الريح : ١٣٢

(خ)

خزار : ١١١

الخصافة : ٣٠٤

خصى : ١٩١

خورنق : ٣٣

(د)

الدناء : ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٧١

دومة الجندل : ٤٣

(ذ)

الذئاب : ١٤٦

(ر)

الرحابة : ٦٩

رحرحان : ٣٤٤

الرقم : ٢٧٨

روضة التمد : ١٩١

(ز)

زبالة : ٢٠٦

زرود : ١٨٢

(س)

سحبيل : ٧٥

السلان : ١٠٩

سلى : ٦١

(ش)

الشبكة : ٣٠٤

النتاءة : ٢٨١
ذو نجب : ٣٦٥
نخلة : ٣٢٦
النسار : ٣٧٨
نسمة : ١٨٥
ذات النسوع : ١٩٤
الذفراوات : ٢٣٥
نقا الحسن : ٣٨٢
النهي : ٥٥

(هـ)

هراميت : ٣٠٤
هجر : ٤٣

(و)

واردات : ١٥٥
الوقى : ٢٢٠
الوقبط : ١٧٠

(ى)

اليحاميم : ٦٠
اليمرابة : ٢٦١
اليمامة : ١٠٠
اليمن : ١٢٠ ، ٦٢
الينسوعة : ١٨٦

(ق)

ذوقار : ٣٣
قدة : ١٢٥
قشاوة : ٢٠١
القصليات : ١٥٦

(ك)

الكديد : ٣١٢
الكلاب : ١٢٤ ، ٩٩ ، ٤٦
الكوفة : ٢٢٦ ، ٢٢٢

(ل)

لعلع : ٢١٧
اللدى : ٢٩٣

(م)

دارة مأسل : ٣٩٠
مبايض : ٢٠٨
المدنية : ٦٢
مرج حليلة : ٥٤
المشقر : ٢
مليحة : ١٩١
منميج : ٢٣٠

(ن)

النباج : ١٧٥